تصوير ابو عبدالرحمن الكردي

تاريخ المغرب في العصر الإسلامي

منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية

دكتور عبد الحميد حسين حمودة

الدار الثقافية للنشر

منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

تاريخ المغرب في العصر الإسلامي

منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية

دكتور/ عبد الحميد حسين حمودة
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد

الدار الثقافية للنشر

حمودة، عبد الحميد حسين
تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى .
تأليف عبد الحميد حسين حمودة .
ط١ ـ القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٦ .
٤٣٢ ص ، ٢٤ سم
تدمك ٤ ـ ١٨٨ ـ ٣٣٩ ـ ٩٧٧
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١١١١٩/ ٢٠٠٦
١ـ المغرب – تاريخ – العصر الإسلامى ٦٤٧ ـ ١٩١٢
العنوان : تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى
٩٥٣, ٠٧٢١

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧ م

كافة حقوق النشر والطبع محفوظة للناشر ـ الدار الثقافية للنشر ـ القاهرة

صندوق بريد ١٣٤ بانوراما ١١٨١١
تليفاكس ٤٠٢٠٥١٥ ـ ٤٠٣٥٦٩٤ ـ ٤١٧٢٧٦٩
Email: nassar@hotmail.com

الإهداء

إلى ابنتي الحبيبة رضوى....الحب كله.

من يليان حاكم سبتة. وقضية السبى ثم النشاط البحرى لموسى بن نصير فى حوض البحر المتوسط، ودوره فى فتح الأندلس ثم عودته لدار الخلافة بدمشق.

ويحتوى الباب الثانى بلاد المغرب فى عصر الولاة على خمسة فصول أفردت الفصل الأول للولاة فى العصر الأموى. والفصل الثانى للولاة فى العصر العباسى. وتناولت فى الفصل الثالث انتشار الإسلام فى المغرب مبيناً فيه دور الولاة، وأثر فتح الأندلس ثم دور الفقهاء والوعاظ، ودعاة الخوارج وأهمية المساجد والكتاتيب والأربطة فى نشر الإسلام وخصصت الفصل الرابع لحركة التعريب فى بلاد المغرب. وأنهيت هذا الباب بفصل خامس أشرت فيه للتنظيمات الإدارية والاقتصادية للمغرب إبان عصر الولاة.

أما الباب الثالث فهو خاص بدولة الأغالبة (١٨٤ـ٢٦٩هـ) ويتضمن سبعة فصول. أفردت الفصل الأول لتاريخ أمراء الأغالبة السياسى ودورهم فى فتح صقلية. وأشرت فى الفصل الثانى للزراعة والصناعة والأسواق وأنواعها. وعرضت فى الفصل الثالث للنظم التجارية فى أسواق القيروان. وخصصت الفصل الرابع للنظم المالية والرقابة على أسواق القيروان. وأشرت فى الفصل الخامس للتجار فى أسواق القيروان.

وتناولت فى الفصل السادس القضاء، والمظالم، والسجون. وعالجت فى الفصل السابع الحياة الاجتماعية والثقافية زمن الأغالبة.

وخصصت الباب الرابع لدول المغرب الأوسط والأقصى من خلال ثلاثة فصول. تناولت فى الفصل الأول الدولة الرستمية تاريخها السياسى وأهم الأحداث الداخلية والخارجية فى عصرهم. ثم أشرت الى الحياة الاقتصادية والثقافية. والفصل الثانى فهو خاص بدولة بنى مدرار بسجلماسة فعرضت فيه للتاريخ السياسى، والنشاط الأقتصادى والحياة الاجتماعية والثقافية. وخصصت الفصل الثالث لدولة الأدارسة وتحدثت فيه عن قيام الدولة

وأمرائها فى مرحلتى القوة والضعف ثم أشرت الى حضارة الأدارسة مبيناً نظم الحكم والإدارة، والحياة الاقتصادية ثم تأسيس فاس وسكانها.

وأنهيت هذا الكتاب بقيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب موضحاً قضية النسب الفاطمى ثم نجاح الدعوة الفاطمية بالمغرب. وخلفاء الفواطم بالمغرب. كما أبرزت أهمية مدينة المهدية حاضرة الفاطميين الأولى. وعرضت للموقع، وأسباب اختياره، والتسمية وتاريخ البناء ومساحتها والتطور العمرانى للمهدية ثم المنشآت الصناعية والتجارية.

والله ولى التوفيق،

القاهرة فى ٢٥ من ربيع الآخر ١٤٢٧ هـ

الموافق ٢٣ مايو ٢٠٠٦ م

دكتور عبد الحميد حسين حمودة

الباب الأول

الفتح الإسلامى للمغرب

الفصل الأول : جغرافية بلاد المغرب والسكان

الفصل الثانى : طلائع الفتح

الفصل الثالث : تثبيت الفتح

الفصل الرابع : إستكمال الفتح

الفصل الأول

جغرافية بلاد المغرب والسكان

إن دارسة البيئة الجغرافية للمغرب ضرورة حتمية فى فترة العصور الوسطى؛ لأن البيئة الجغرافية تؤثر فى الحياة القبلية تاثيرآ عظيمآ. ومعلوم أن الحياة القبلية هى عصب تاريخ المغرب الإسلامى. حيث ظفرت القبائل المغربية بالمساواة المطلقة بالفاتحين بعد دخولها فى الإسلام. واستطاعت منذ القرن الثانى الهجرى. أن تؤسس دولآ لعبت فى تاريخ المغرب الإسلامى دورآ عظيمآ [1]

١ - المقصود ببلاد المغرب :بلاد المغرب مصطلح يطلق على كل الاقاليم الواقعة غرب مصر. والتى تشمل شمال القارة الافريقية. وتتضمن حاليا البلاد الليبية، وتونس، والجزائر والمغرب [2].

و عرفت بلاد المغرب منذ اقدم العصور بأ سماء مختلفة، فقد أطلق اليونان اسم ليبيا على القسم الشمالى من إفريقيا الآهل بالسكان البيض، وقابلوا بينه وبين الصحراء بلاد الاحابش السودان [3].

أختلف الجغرافيون والمؤرخون المسلمون فى تحديد الغرب، فجعله البعض يشمل بلاد شمال إفريقيا إلى جانب أسبانيا الإسلامية، وكافة الممتلكات الإسلامية فى الحوض الغربى للبحر المتوسط مثل صقلية، وجنوب إيطاليا، وجزيرتى: سردينا وكورسيكا، وجزر البليار [4]. وذكر لنا أبو الفدا[5] (ت٧٣٢هـ) حدود المغرب بقوله "يحد بلاد المغرب من

---

(١) حسن أحمد محمود :قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٥٧م، ص١٦.

(٢) سعد زغلول عبد الحميد :تاريخ المغرب العربى، الجزء الأول، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٩م، ص٦١

(٣) جوليان :تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب / محمد مزالى وآخرين، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٩م، ص١١.

- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، موسسة شباب الجامعة، الإسكندرية (د- ت) ص٣٩

- عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب، الجزء الأول، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٨م، ص٥.

(٤) أحمد مختار العبادى : تاريخ المغرب والأندلس، موسسة الثقافة الجامعية الأسكندرية(د.ت) ص ١١.

(٥) تقويم البلدان، باريس، ١٨٨٩م، ص١٢٢.

جهة الشرق حدود ديار مصر ظهر الواحات إلى بحر الروم عند العقبة التى على طريق المغرب من برقة واسكندرية على بحر الروم، ومن الشمال بحر الروم من العقبة المذكورة فم بحر الزقاق عند سلا وطنجة.ومن الغرب البحر المحيط من طنجة إلى صحراء لمتونة، ومن الجنوب المفازة الفاصلة بين بلاد السودان وبلاد المغرب." وحدد ابن عذارى المتوفى فى آواخر القرن السابع الهجرى بلاد المغرب من ضفة النيل بالأسكندرية إلى مدينة سلا[1].

٢ - أقسام بلاد المغرب

١- المغرب الأدنـــى

يسمى إفريقية[2] وكان يشغل جمهورية تونس الحالية، وبعض الأجزاء الشرقيـــة من الجزائر وكانت عاصمته مدينة القيروان أيام حكم الأغالبة ثم المهدية أيام الفاطميين ثم مدينة تونس منذ عهد الحفصيين إلى اليوم[3]. وأطلق عليه العرب المغرب الأدنى لأنه أقرب إلى بلاد العرب ودار الخلافة[4].

كان امتداد ولاية إفريقية فى العصر الرومانى من لبدة شرقاً إلى المسيلة غرباً، وفى التعديل الذى أدخله موريق مد الحد الشرقى إلى صرت[5].

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، الجزء الأول، نشر وتحقيق ج. س كولان وليفى بروفنـــال، ليدن، ١٩٤٨، ص٥.

(٢) إفريقية مشتقة من كلمة فرق التى تقابل الكلمة اللاتينية separarit وهناك رأيان حول أصل هذه التسمية، الأول يرتكز على أن هذا الجزء من العالم ينفصل عن أوربا وعن جزء من أسيا بوساطة البحر المتوسط. ويرى القول الثانى أن هذا الأسم مشتق من إفريقوس ملك بلاد العرب السعيدة ـاليمن ـ على إعتبار أنه أول من سكنها.

لمزيد من التفاصيل أنظر : الوزان : وصف إفريقيا، ترجمة / عبدالرحمن حميده ومراجعة / على عبدالواحد السعودية (د. ت) ص٣٥.

(٣) أحمد مختار العبادى، ص١٢.

(٤) السلاوى : الأستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء الأول، ، القاهرة ١٣١٢هـ، ص٣٣

ـ الجزناءى : زهرة الأس فى بناء مدينة فاس، الرباط، ١٩٦٧م، ص٤.

ـ السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم فى الأندلس، الطبعة الثانية، الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٨٦ م، ص١٨.

(٥) حسين مؤنس : تاريخ المغرب وحضارته، المجلد الأول، الدار السعودية للنشر، ١٩٩٠م، ص١٩٦.

وأختلف جغرافيو العرب فيما بينهم فى تحديد موقع إفريقية فيذكر البكرى[1] (ت٤٨٧هـ). وينقل عنه الدمشقى[2] وابن أبى دينار[3] "أن حد إفريقية طولاً من برقة إلى مدينة طنجة وعرضاً من البحر الرومى إلى الرمال أول بلاد السودان".

٢- المغرب الأوسط

يمتد من تاهرت حتى وادى ملوية وجبال تازة غرباً، وقاعدته مدينتى تلمسان وجزائر بنى مزغنه[4].

وكانت عاصمته مدينة تاهرت فى عهد الدولة الرستمية، وفى أيام الدولة الزيرية الصنهاجيه التى خلفت الفاطميين فى حكم المغرب صارت العاصمة مدينة أشير ثم أنتقلت العاصمة إلى مدينة تلمسان غرباً أيام دولة بنى عبدالواد وبنى زيان فى القرن السابع الهجرى[5].

وكان يسكن المغرب الأوسط من البربر قبائل زناته ومغراوة وبنى يفرن ومديونة ومغيلة وسطفرة ومطماطة[6].

٣- المغرب الأقصى

يمتد من وادى ملوية شرقاً حتى المحيط الأطلسى غربا، والبحر المتوسط شمالاً، وجبل درن جنوباً. وسمى بالمغرب الأقصى لأنه أبعد أقطار المغرب الثلاث عن دار الخلافة[7].

---

(١) المغرب فى ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد د. ت، ص٢١.

(٢) نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، بطرسبورج، ١٨٦٥م، ص٢٣٤

(٣) المؤنس فى أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق محمد شمام، الطبعة الثانية، تونس ١٩٧٦ م، ص٢٠.

(٤) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب، ص٤١. إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار، الجزء الأول، مطبعة بولاق، القاهرة ١٣١٢هـ، ص٢٧٠. السلاوى١/ ٣٣.

(٥) أحمد مختار العبادى، ص١٣.

(٦) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر، الجزء السادس، دار الفكر، بيروت ١٩٧٩م، ص١٠٢.

(٧) ابن خلدون١/ ١٠١. السلاوى١/ ٣٤. السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب، ص٤١.

ويشمل المغرب الأقصى على خمس اقاليم هى :فاس، ومراكش، والسوس،ودرعة، وتافيلات[1].

والمغرب الأقصى يعرف اليوم بأسم المملكة المغربية أو المغرب، ويطلق عليه البعض اسم مراكش على غرار التسمية الأوربية Moroc وهو خطأ شائع لأن أسم مراكش يطلق على إسم مدينة كبيرة على سفح جبال أطلس فى الجنوب تعرف أيضاً بالحمراء لأحمرار تربتها ولون بيوتها، وعاصمة المغرب الأقصى ترددت بين مدينتى فاس ومراكش[2].

أما عن سطح المغرب فينقسم إلى ثلاثة أقسام هى :-

١- شريط ساحلى يطل على البحر المتوسط والمحيط الأطلسى ويختلف فى ضيقه وأتساعه تبعاً لأقتراب الجبال من البحر أو بعدها عنه.

٢- منطقة الجبال وهى بمثابة حواجز طبيعية لفصل منطقة السهول والصحراء. ومن أبرز هذه الجبال جبل درن التى يطلق عليها الآن جبال الأطلس.

٣- منطقة الصحراء وتقع خلف الجبال[3].

---

(١) السلاوى١/ ٣٤.

(٢) أحمد مختار العبادى، ص١٣.

(٣) حسن على حسن: تاريخ المغرب العربى، الطبعة الأولى، مكتبة الشباب، القاهرة (د.ت) ص٩ ـ ١٠.

(١) خريطة بلاد المغرب

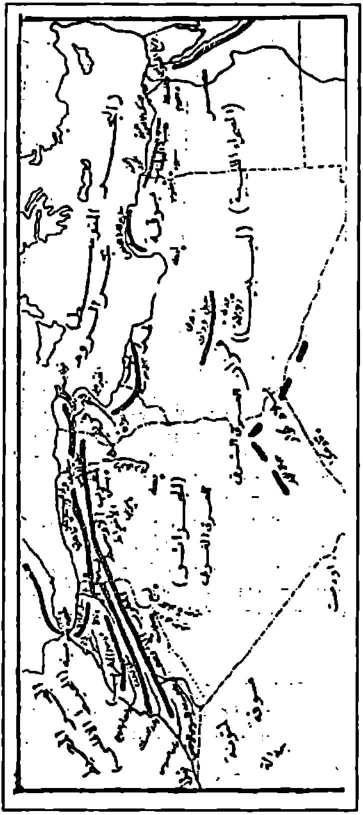

المصدر: سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج١، ص٧٦.

السكان

أ- البـربر

البربر هم أقدم أمة عرفها التاريخ في بلاد المغرب. وقد قام الكتاب العرب القدامى بتفسير كلمة بربر، فأوردوا في ذلك عدداً من الآراء يمكن تقسيمها إلى قسمين:

١- **تفسير كلمة البربر تفسيراً لغوياً**، لأن للغة القوم رطانة أعجمية تختلط فيها الأصوات التى لاتفهم من العرب. فقيل لهم "ماأكثر بربرتكم"[1]. والبربرة فى اللغة تخليط الكلام مع غضب ونفور، ويعتقد العلامة بوسكى أن كلمة بربر مشتقة من كلمة بارباروس Barbarus اللاتنية ومعناها الشخص الجاهل المنتمى إلى الشعوب العديدة التى تقع خارج سلطان روما[2]

٢- **تفسير كلمة البربر حسب عادة العرب فى تقسيم الشعوب على حسب المتعارف عندهم فى علم الأنساب**، فقالوا " إن شعب المغرب أتخذ اسم أحد آبائه البعيدين، وهو بر بن قيس عيلان. وينفى هذا القول أبن حزم بشدة فى جمهرة أنساب العرب[3].

وأختلف المؤرخون فى الموطن الأصلى للبربر، فيذكر البعض أنه فلسطين والبعض الآخر يقول اليمن، شأنهم شأن كتامة وأن هاتين المجموعتين الموجودتين فى شمال إفريقيا تشكلان إغلبية البرابرة. ومن أصحاب هذه النظرية الطبرى والمسعودى والسهيلى وغيرهم، من علماء أنساب العرب أن باقى القبائل قد جاءت من الشام بعد أن أبعدها نبى الله داود عن فلسطين[4]. وكان سبب مسير البربر إلى برقة وبلاد المغرب أنهم كانوا بنواحي فلسطين وكان ملكهم جالوت، فلما قتل سار البربر غربا حتى وصلوا إلى لوبية ومراقية، وهما: كورتان من كور مصر الغربية، وتفرقوا فسارت زناته ومغيلة وهما قبيلتان

---

(١) محمود شيت خطاب : سكان المغرب العربى فى أيام الفتح الإسلامى، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء ٢٧ لسنة ١٩٧١م، ص١٠٤. السلاوى١/٢٩

(٢) سعد زغلول عبد الحميد١/ ٨٠. عبد الوهاب بن منصور ١/ ٢٦٢.

(٣) سعد زغلول عبد الحميد١/ ٨٠ . محمود شيت خطاب، ص١٠٤

(٤) محمد الفاسى : نزوح البربر إلى إفريقيا، مجمع اللغة العربية، بالقاهرة العدد ٥٤لسنة ١٩٨٤م، ص١٠٧.

من البربر إلى الغرب وسكنوا الجبال وسكنت لواته أرض برقة وتعرف قديما بأنطابلس، وانتشروا فيها حتى السوس. ونزلت هوارة مدينة لبدة، ونزلت نفوسة مدينة سبرة [1].

ولقد أثبتت الدراسات اللسانية الحديثة أنتماء اللغة البربرية إلى اللغات السامية، وهذا مايدعوا للأعتقاد أن أصلهم من الجزيرة العربية[2]، وأنهم موجة من الموجات العربية التى هاجرت من الجزيرة العربية وقد أختلط المهاجرون العرب بسكان المغرب الأصليين، فدخلت فى لغتهم العربية كلمات من لغة أو لغات السكان الأصليين[3].

والتسمية القديمة لسكان المغرب هى امازيغ، وهى كلمة بربرية معناها الرجل الحر الخشن. أما كلمة بربر التى أطلقت على سكان المغرب فهى كلمة دخيلة أطلقها عليهم من غلبهم من الأمم الرومان والأغريق والعرب[4].

وينقسم البربر إلى قسمين :

١- **البرانس** : وهم البربر المستقرون الذين يعيشون على الزراعة. ومن قبائلهم المشهورة عشر أزداجة ومصمودة وأوربة وعجيسة وكتامة وصنهاجة وأوريغة، يضاف اليهم حسب رأى قسم من المؤرخين لمطة وهكسورة وجزولة.

٢- **البتر** : وهم البربر الرحل سكان البادية الذين يعيشون على الرعى والتنقل ومن قبائلهم أداسة ونفوسة وضريسة وبنو لوا الأكبر[5] .

وعلى الرغم من انقسام البربر الى برانس وبتر، وانقسام هؤلاء الى قبائل مختلفة فإن القرابة قريبة بين الجماعتين والصلة وثيقة العرى بين فروع كل منهما، فالنسابة يختلط

---

(١) ابن عبدالحكم: فتوح مصر وأخبارها، نشر/ هنرى ماسيه، ليدن، ١٩٣٠م، ص١٧٠.

ابن خرداذبه : المسالك والممالك، ليدن، ١٨٨٩م، ص٩٠. ابن الفقيه : البلدان، ليدن (د. ت) ص٨٣.

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، الجزء الثالث، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م، ص١٣.

(٢) محمود شيت خطاب : سكان المغرب، ص١٠٤.

(٣) أحمد مختار العبادى، ص٥.

(٤) نفسه، ص٥.

(٥) السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المغرب، ص٥١. أحمد مختار العبادى، ص١٥ ـ ١٦. سعد زغلول عبدالحميد ٨٦/١. محمود شيت خطاب : سكان المغرب العربى، ص١٠٩ ـ ١١٠.

عليها الأمر إلى درجة أنهم يضعون قبيلة هوار ة في البرنس وكان الفارق بين البرانس والبتر إجتماعية لاجنسية إذ أن البربر المستقرين ينزلون النواحي الخصبة في جبال أوراس، أي في جنوب ووسط الجزائر الحالية. وجنوب المغرب وبعض أجزاء تونس الغربية وطبيعي أن يكون هؤلاء على جانب من الحضارة لاتصالهم بالقرطاجنيين واللاتين وحضارات البحر المتوسط . أما البربر الظواعن، فهم بدو يعيشون على الرعي ويميلون الى الإغارة على ما يجاورهم من نواحي العمران. وكان هذا الإختلاف في الأحوال الاجتماعية سبباً في نزاع طويل وحروب دامية بين الفريقين [1].

(١) محمود شيت خطاب : سكان المغرب العربي، ص١١٠ـ١١١.

قبائل البربر

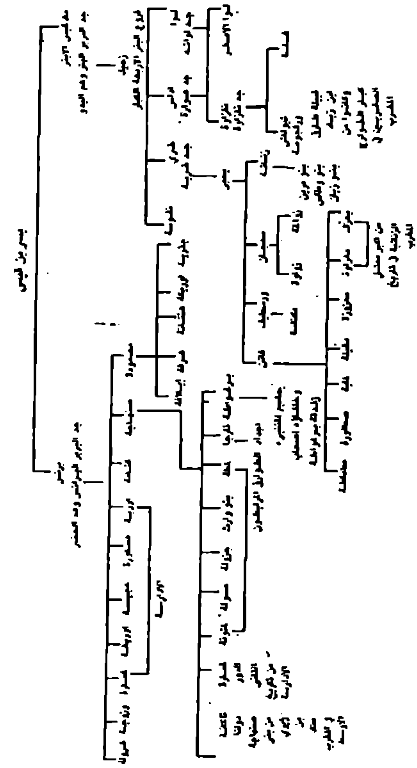

المصدر: حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، ج١، ص٧٥.

ب- الأفارقــة

هم بقايا الشعب القرطاجنى وأخلاط من المستعمرين اللاتين والوطنيون الذين تأثروا بالحضارة البيزنطية وكانوا يدينون بالطاعة والولاء لسادتهم البيزنطيين ويعملون لهم بالزراعة والصناعة[1].

وعلى الرغم من إعتناق الكثير منهم للإسلام، فإن أكثرهم ظلوا يتكلمون لغة خاصة بهم، ربما كانت مزيجاً من اللاتنية والبربرية أو لهجة محلية. وشارك بعضهم فى الثورات المناهضة للخلافة ابتداء من القرن الثانى الهجرى[2].

ج- السودان

من المعروف أن بلاد المغرب ترتبط بصلة وثيقة ببلاد السودان الغربى من الناحية الجغرافية[3].

ولقد اشار الأصطخرى[4] أحد رحالة القرن الرابع الهجرى في حديثه عن بلاد السودان بقوله: "وليس لها اتصال بشيء من الممالك الا من وجه المغرب لصعوبة المسالك بينها وبين سائر الأمم". مما ترتب عليه امتزاج الدماء منذ أقدم العصور. وكانت واحات الصحراء همزة الوصل بين المغرب والسودان وتعود جذور تلك العلاقة إلي ما قبل العصر الفينيقي والقرطاجي. وكان عامل استخدام هؤلاء فى الخدمات الخاصة الحراسة والفلاحة هو أ ساس جلبهم بكل الوسائل إلى بلاد المغرب[5]. كما استمر هذا الأمر فى العصر الرومانى[6]. وقام سكان الصحراء المنتشرون في المدن والواحات بدور كبير فى ربط

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين، ص١٨. ـ حسن على حسن، ص١٣.
محمود شيت خطاب : سكان المغرب العربى، ص١١٢.

(٢) سعد زغلول عبدالحميد ١/ ١٠٦.

(٣) بوفيل : تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة / الهادى أبو لقمة وآخرين، الطبعة الثانية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازى(د ـ ت) ص ١١٩ ـ ١٢٠.
ـ زاهر رياض : الممالك الإسلامية فى غرب إفريقية، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٨٢ ـ٨٣.

(٤) المسالك والممالك، ليدن، ١٩٣٧م، ص٤٠ ـ٤١.

(٥) سعد زغلول عبدالحميد ١/ ١٠٨.

(٦) الشيخ الأمين عوض الله :العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان فى عهد السلطنين الإسلاميين مالى وصنغى، الطبعة الأولى، دار المجمع العلمى، جدة، ١٩٧٩م، ص١٥٨.

بلاد المغرب ببلاد السودان سواء عن طريق التجارة أو تسهيل حركة مرور التجار وغيرهم بالمنطقة الصحراوية[1].

وفي أثناء الفتح الإسلامي للمغرب دخل العنصر السوداني في خدمة الدولة الإسلامية. فقد سار عقبه بن نافع على رأس حملة إلى جوف الصحراء الجنوبية ووصل إلى فزان ومنها إلى ودان، وجرمة، وكوار القريبة من كانم في بلاد السودان بعد أن نقضوا العهد مع الفاتحين العرب وحاربوهم ففرض على كل منهم ثلاثمائة وستين عبداً[2].

وأشار الدكتور سعد زغلول عبد الحميد إلى أن الجماعات السودانية في المغرب لم تكن ذات كيان خاص حيث خلى ذكرهم من قبل الكتاب العرب. مما يعني أن الدماء السودانية القادمة من الجنوب كانت تذوب أول بأول في دماء أهل البلاد[3]. ويرد ذكر السودان في ولاية عبيد الله ابن الحبحاب (١١٦-١٢٣هـ/٧٣٤-٧٤١م) والي المغرب الذي بعث حمله بقياده حبيب بن أبي عبده إلى بلاد السوس الأقصى، فوصل إلى أرض السودان وظفر بكل من قابله وجنى سبياً كثيراً من القبائل القاطنة هناك[4].

أشار البكري إلي جهود عبد الرحمن بن حبيب (١٢٧-١٣٧هـ/٧٤٥-٧٧٥م) وقيامه بإنشاء آبار للمياه أو تعميق لآبار على الطريق الممتد من تامدلت إلى أودغست[5]. وبرز دور السودانيين على المسرح السياسي في المغرب أبان فترة القلاقل التي حدثت على أرض المغرب. فقد اشتركوا في ثورات الخوارج وانتهزوا تلك الفرصة للتعبير عن أنفسهم فقد تمكن الخوارج الصفريه من تجنيد أعداد كثيرة من السودان تمكن أحدهم وهو عيسى بن يزيد الأسود أن يؤسس أول دوله مستقلة في سجلماسة سنه (١٤٠هـ/٧٧٥م)[6].

---

(١) عبدالإله بنمليح: الرق في بلاد المغرب والأندلس خلال القرنين ٥ ـ٦هـ/ ١١ ـ١٢م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الأنسانية، ظهر المهراز، الجزء الأول، فاس جامعة سيدي محمد بن عبدالله، ٢٠٠٠م، ص١٦١.

(٢) ابن عبدالحكم، ص١٩٤ ـ ١٩٥.

(٣) سعد زغلول عبدالحميد ١ / ١٠٨.

(٤) الرقيق: تاريخ افريقيا والمغرب، تحقيق/ المنجي الكعبي، تونس، ١٩٦٧م، ص١٠٨.

- ابن الأثير٤/ ٢٢٢. ابن عذارى ١/ ٥١. ابن خلدون ٤/ ١٨٩. الحبيب الجنحاني: دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٥.

(٥) البكري، ص١٥٦ ـ١٥٧.

(٦) البكري، ص١٤٩.

مصادر جلب السودانيين إلى المغرب

١ ـ الشراء: كان تجار المغرب يرحلون إلى بلاد السودان، لشراء الرقيق الأسود. ولدينا رواية تؤكد على ذلك فكان كيداد والد أبي يزيد الذى أعلن الثورة على الخليفة القائم بن عبيد الله من سكان تقيوس من بلاد قسطيلية يتردد على بلاد السودان وأشترى من تادمكة أمة تسمى سبيكة فحملت منه وولدت أبا يزيد[١].

ب ـ الخطف: وكان الخطف أحد الروافد لجلب السودانيين للمغرب وأشار الإدريسي[٢] إلى أن أهل أرض زغاوة السودان «وأكثر هذه أرضين صحار متصلة غير عامرة وأهل المدن الذين من أجناسهم يسرقون أبناء هؤلاء القوم الرحالة الذين يعبرون هذه الصحارى ويسرون بهم في الليل ويأتون بهم إلى بلادهم ويخفونهم حيناً من الدهر ثم يبيعونهم من التجار الداخلين إليهم بالبخس من الثمن ويخرجونهم إلى أرض المغرب الأقصى ويباع منهم في سنة أمم و أعداد لا تحصى »

ج ـ السرقة: وكانت السرقة من أساليب جلب الرقيق فكان التجار يفدون إلى بلاد السودان ويقومون بسرقة أبنائها وبعد ذلك تتم عملية إخصائهم ويجلبونهم إلى مصر ليبيعوهم فيها، ويوجد بينهم من يسرق أبناء غيره ليبيعهم إلى التجار عندما يقدمون إليهم[٣].

مصادر السودانيين: حدد صاحب طبقات الأمم أصناف السودانيين من البلاد التالية: غانة، وبلاد الكانم، وبلاد النوبة، والحبشة[٤]. وسنذكر بالتفصيل غانة وبلاد النوبة.

ـ محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، الطبعة الثانية، مكتبة الحرية الحديثة، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١٢٣.

ـ نريمان عبد الكريم احمد: مجتمع أفريقية في عصر الولاة، سلسلة تاريخ المصريين، رقم (١٩٥) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٢٦٥.

(١) ابن حماد: اخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم، تحقيق ودراسة / التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار العلوم بالرياض، ص٥٣.

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق في أختراق الأفاق، الجزء الأول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د ـ ت ص١٠٩ـ١١٠.

(٣) مجهول: حدود العالم بين الشرق والغرب، تحقيق/ يوسف الهادي، الدار الثقافية، القاهرة، ١٩٩٩م ص١٤٧ـ١٤٨

(٤) ابن صاعد: طبقات الامم، مصر (د ت) ص٩.

أ- **غانة:** كانت غانة أهم مورد للرقيق الى بلاد المغرب[1] ومصدقا لذلك قول الحميرى[2]: «وهى أكبر بلاد السودان قطراً وأكثرها خلقًا وأوسعها متجراً واليها يقصد المياسير من جميع البلاد المحيطة بها من سائر بلاد المغرب الأقصى». جمع يوسف بن تاشفين بواسطة تجار الرقيق من إقليم غانة عدداً كبيراً من العبيد واختار أمهرهم وزودهم بالسلاح والخيل ودربهم على جميع فنون القتال و أنشأ منهم حرسه الخاص الأسود من ألفى رجل و أنشأ على مثل هذا النمط حرساً خاصاً من الأندلسيين[3]. وكانت منطقة لملم أهل بريسى وأهل سلى وتكرور وغانة يغيرون على بلاد لملم يقول الإدريسى[4]: «ويسبون أهلها ويجلبونهم إلى بلادهم فيبعونهم من التجار الداخلين إليهم فيخرجون التجار إلى سائر الأقطار».

ب- **بلاد النوبة:** يجلب من النوبة العبيد السود وصفهم الزهرى[5] بقوله: «من عجائب النوبة أنهم سودان وهم فى أحسن صورة وأتم ما يكون من الحسن والجمال وأطيب رائحة ولهم شعور سبط وأنوف حلوه وشفاف رقاق وفي نسائهم خاصية ليس فى نساء الآدميين».وأشاد الإدريسى[6] بنساء النوبة مستعرضاً جمالهن وتميزهن عن نساء غانة والحبشة والكانم والزنج بمواصفات جمالية وجسمانية خاصة بلغت حد تنافس ملوك مصر فى أتخاذهن أزواجاً[7] وكان الرقيق السودانى القادم من النوبة إلى مصر أساس التبادل التجارى بين بلاد النوبة ومصر[8].

---

(١) الزهرى : كتاب الجعرافيا، تحقيق/ محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة(د ـ ت) ص١٢٥ .

(٢) الحميرى : الروض المعطار فى خبر الأقطار، حققه / إحسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٤م، ص٤٢ .

(٣) اشباخ :تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، ج٢ ترجمة / محمد عبدالله عنان، مطبعة لجنة التاليف، القاهرة ١٩٤١م، ص٤٧٩ .

(٤) نزهة المشتاق، ج١، ص١٩ .

- إبراهيم على طرخان : إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٠، ص٧٤.

- أحمد الياس: الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن ١٦ كما عرفها الجغرافيون العرب، رسالة ماجستير، كلية الاداب ـ جامعة القاهرة، ١٩٧٧م، ص١٥٤ .

(٥) الجغرافيا، ص١٢٢ .

(٦) نزهة المشتاق، ج١، ص٣١. عبد الإله بنمليح ١/ ١٩١ .

(٧) سوزى لباظة محمد حسن: السودانيون فى جيش مصر الإسلامية حتى سقوط الدولة الفاطمية ودورهم فى الحياة السياسية والاقتصادية والأجتماعية، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، رسالة ماجستير ـ جامعة القاهرة، ١٩٨٩م، ص٤٣ .

(٨) البكرى، ص١٠ . مجهول : الأستبصار فى عجائب الأمصار، نشر د. سعد زغلول عبدالحميد، جامعة الأسكندرية ١٩٥٨م، ص١٤٦ .

د - الــروم: هم الطبقة الحاكمة للشريط الساحلى للمغرب والذين لم يتوغلوا فى الداخل نتيجة صعوبة الحياة فضلاً عن رفض القبائل لسلطة المستعمرين وبمرور الوقت استقر بعضهم وأقام فى المنطقة واشتغل بالتجارة أو الزراعة[1]. وانتشر الروم فى مناطق متفرقة من المغرب في طبنة[2]، وبرنيق أحدى ضواحى برقة يقول اليعقوبى[3] "وأهلها قوم من أبناء الروم القدم الذين كانوا أهلها قديما.....".

هـ - اليهود: كان الوجود اليهودى في بلاد المغرب قديما. يرجع إلى ما قبل العصر البطلمى[4] والرومانى[5] حيث استقرت جالية يهودية بمنطقة وليلى[6] فى المغرب الأقصى. التى عثر فيها على بقايا شمعدان برونزى ذى سبعة عروش إضافة إلى شاهد قبر يحمل كتابة عبرية. والظاهر أن المستعمرات اليهودية ظلت بوليلى حتى مجئ العرب إلى المغرب[7]. فلقد وردت إشارات عند المؤرخين العرب إلى وجود قبائل بربرية متهودة فى زرهون على مقربة من المكان الذى شيدت فيه فاس سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٨ م[8]. كما شهد المغرب هجرات يهودية من إسبانيا عندما ضاق اليهود ذرعاً من أغلال القيود الاقتصادية والاجتماعية التى فرضها القوط عليهم[9]. واقدم نص يشير إلى علاقة اليهود

---

(١) حسن على حسن، ص١٣.

(٢) اليعقوبى : البلدان، ص٣٤٤.

(٣) البلدان، ص٣٥٠.

(٤) أحمد سوسة : العرب واليهود فى التاريخ، الطبعة الخامسة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١ م، ص ٦٢٠.

(٥) Abbou : Musulmans Andalous et Judeo Espagmals. casabl ance, 1953, p.277. (٣)

جمال حمدان : اليهود انثروبولوجيا، المكتبة الثقافية، العدد (١٦٩) دار الكاتب العربى، القاهرة، ١٩٦٧، ص ١٧ - ١٩

مركز الإعلام : اعرف شعبك (بالعبرية) مطبعة ميـون، القدس، ١٩٨٠ م، ص ١.

(٦) مدينة أنشأها الرومان على قمة جبل زرهون وهى محاطة بسور مبنى بحجارة كبيرة. . . لمزيد من التفاصيل أنظر (الوزان، ص ٢٩٥ - ٢٩٦).

(٧) حاييم الزعفرانى : ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة / أحمد شحلان وآخرين، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، ١٩٨٧ م، ص ٩.

- نور الهدى عبد المال : الملاحات فى المغرب، مطبعة إمبريال، القاهرة، ١٩٩٠ م، ص ٣.

- Slouschz : Travels in North Africa, philadel phia, 1923, p. 364.

(٨) الكتانى: جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٣م، ص ٣٠

(٩) محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الأول، الطبعة الأولى، مطبعة لجنة التاليف، القاهرة، ١٩٤٣ م، ص ٢٩.

بالعرب هو ما يقال من أن يهود المغرب الأقصى كانوا على علاقات بيهود أسبانيا. والدليل على ذلك هو أن المجمع الكنسى الذى انعقد فى طليطلة سنة ٦٩٤م قرر اتخاذ إجراءات عنيفة ضد يهود أسبانيا، وكانت ذريعته لذلك أنهم اتصلوا بإخوانهم يهود المغرب ليحرضوا العرب على غزو أسبانيا(١).

وتمتد جذور يهودية الغرب الإسلامى إلى أقدم العصور، إذ يعتبر اليهود تاريخياً أول مجموعة غير بربرية وفدت على المغرب. وليست لدينا أية نقوش مكتوبة أو شواهد تدل على إقامة مستعمرات يهودية كاملة على الشواطئ الإفريقية فى عهد مديناتا صور وصيدا. ويعتبر تاريخ تلك الفترة ضرباً من الأساطير (٢).

ونزحت الهجرات اليهودية إلى المغرب على هيئة موجات بعد تخريب الهيكل الثانى فى القرن الأول الميلادى وبعد الحروب التى شنها الرومان ضدهم.

وقصدوا أبادة جنسه(٣). بعد أن لاحقتهم لعنة كنيسة روما التى حملتهم مسئولية دم المسيح، ووصمت بها جبينهم واتجهت أكثر العناصر اليهودية المهاجرة إلى أسبانيا والمغرب واليونان(٤). وتزايد عدد اليهود فى المغرب بمرور الزمن نتيجة لاعتناق البربر اليهودية فى نهاية الحكم الرومانى(٥).

= ـ ول ديورانت : قصة الحضارة، الجزء الثالث، ترجمة / محمد بدران، القاهرا، ١٩٧٥ م، ص ٤٩. ـ محمد بحر عبد المجيد : اليهود فى الأندلس، المكتبة الثقافية، العدد (٢٣٧) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٠ م، ص ١٦.
- Emcyclopaedia Judica, art "Morocco".

(١) سعد زغلول عبد الحميد ١/ ١٠٧.

(٢) حاييم الزعفرانى، ص٩.

(٣) الفت محمد جلال : الأدب العبرى القديم والوسيط، مطبعة جامعة عين شمس١٩٨٧م ص١٢٧.

(٤) عطية القوصى : اليهود فى ظل الحضارة الإسلامية، القاهرة د. ت، ص١٠٣.

(٥) البكرى ص ٩، ٨٥. الأدريسى١/ ٢٣٥. ابن عذارى ١/ ٤٥.

ـ عبد الرحمن حيلة : المملكة المغربية دراسة فى الجغرافية البشرية، معهد البحوث العالية، القاهرة، ١٩٧٢ م، ص ١٣٥.

- Slouschz : op cit . p. 364.

ولقد وجد العرب أثناء الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بعض الجاليات اليهودية في مناطق متفرقة من المغرب[1] في مدن جادوا بجبل نفوسة[2]. كما عاش اليهود في المدن الكبرى مثل برقة وطرابلس ومسراته ولبدة ونفوسة وتونس وجربة فضلاً عن إقامتهم في المدن الصغيرة والهضاب والمناطق الزراعية وكثير من اليهود عاشوا بين البربر[3]. وحملت بعض المدن المغربية أسم اليهودية[4]. وبكل أسف أن مصادرنا العربية لم تزودنا بمعلومات عن اليهود بتلك المدن.

---

(١) مجهول، ص ١٤٤.

(٢) البكري، ص٩. مجهول : الأستبصار، ص١٤٤

(٣). Hirshberg : Ahistory of the Jews in North Africa V.1 Leiden 1974, p134. -

(٤) الفت محمد جلال، ص١٢٧.

الفصل الثانى

طلائع الفتح

أولاً : حملة عمرو بن العاص

لقد فطن عمرو بن العاص إلى أهمية الجبهة الغربية لمصر، فعندما أنتهى من فتحها سنة (٢١هـ/٦٤٣م)[1] حرص على تأمين حدود ها الغربية من خطر الروم. وشرع فى تجهيز حملة لفتح برقة وطرابلس اللتان كانتا تابعتين لمصر رسمياً ثم أنفصلتا عن ولاية إفريقية منذ عهد الأمبراطور البيزنطى موريس (٥٨٢-٦٠٢م). وعندما قامت الثورة فى المغرب ضد الأمبراطور فوكاس وقف أهالى برقة وطرابلس بجوار جريجوريوس وساعدوه على الأنفصال عن الأمبراطورية البيزنطية.

كما رغب عمرو بن العاص فى تطبيق سياسة الاستمرار فى الفتح صوب الغرب لنشر رسالة الإسلام السامية، وهو أمر يدل على خط سير الفتوحات الإسلامية فى فلسطين ومصر[2] .

١- فتح برقة

ذكر بعض المؤرخين أن أهل برقة لما بلغهم اخبار انتصارات عمرو بن العاص بمصر بعثوا إليه رسلا يعرضون عليه الدخول فى الإسلام على يديه فلما كلمهم فهم غرضهم ثم أرسلهم إلى الخليفة عمر بن الخطاب الذى رحب بهم أحسن ترحيب لآن أحد الحاضرين اخبره أنهم البربر أولاد بر بن قيس. فلما سألهم عمر عن عاداتهم وعلاماتهم أخبروه

---

(١) الكندى : ولاة مصر، تحقيق حسين نصار، دار صادر، بيروت ١٩٥٩م، ص٣٣. ابن عذارى ١/ ٨. السلاوى ١/ ٣٤ الطاهر أحمد الزاوى : ولاة طرابلس من الفتح إلى نهاية العهد التركى، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧١م، ص١١.
- محمود كامل : الدولة العربية الكبرى، دار المعارف، القاهرة د. ت، ص١٣٧.
- Abun-Nasr : History of the Maghrib . second Edition London , P.67.

(٢) حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب، مكتبة الأداب، القاهرة (د. ت)، ص ٥١، ٥٢
السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب، ص٥٥. عبد الوهاب بن منصور ١/ ١٠٧.
- محمد محمد زيتون : القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية، الطبعة الإولى، دار المنار القاهرة ١٩٨٤م، ص١٨ .

بهــا، فبكى لأن النبى (ﷺ) كان قد تنبأ بفتح بلاد لأهلها هذه الصفات ثم حمد الله على ذلك وبعث إلى عمرو بن العاص أن يقدمهم على الجند وحملهم بالهدايا[1]

ســار عمــرو بن العاص إلى برقة على الطريق الساحلى. وتمكن من فتحها سنة (٢٢هـ/ ٦٤٣م). ولم يـبد أهـل بـرقة مقاومـة لانهم كانوا مستائين من حكم الروم. وكانت نفوسـهم متأثـرة بمـا بلغهـم من اخبار انتصار العرب فى مصر والإسـكندرية وحسـن معاملتهم للناس والمحافظـة علـى أمـوالهم واعراضـهم"[2] وصالح أهلها على الجزية بفرض دينار على كل حـالم"[3]. وبلـغ مقدار الجـزية ثلاثـة عشـر ألـف دينار "علـى أن يبيعوا من أحبوا من ابـنائهم" [4]. قـال الفقـيه اللـيث بن سعد: "فلو كانوا عبيدا ما حل ذلك منهم"[5]. ويذكر أحـد الباحثين أن المقصود بذلك هم أبناء وبنات اللواتين والبنات بصفة خاصة"[6] ويؤيد ذلـك مـاروى عـن الخلـيفة عمر بن عبد العزيز الذى كتب فى اللواتيات أن من كان عنده لواتـية فليخطـبها إلى أبـيها أويـردها إلى أهلـها"[7] ولم يـدخل برقة جابى خراج. وكانوا يرسـلون خـراجهم إلى والى مصـر إذا حان وقتها طواعية[8]. يقول البلاذرى[1]. ت ٢٧٩هـ

---

(١) البلاذرى ١/ ٣٥. حسين مؤنس، ص٥٤ـ٥٥.

(٢) الطاهر أحمد الزاوى، ص١١.

(٣) ابن عذارى ١/ ٨.

(٤) ا بن عبدالحكم، ص١٧٠. البلاذرى ١/ ٢٦٤. خليفة بن خياط :تاريخ خليفة الخياط، تحقيق/أكرم ضياء العمرى، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧م، ص١٤٤.

ـالطبرى :تاريخ الطبرى، المجلد الثانى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م، ص٥٣٤. البكرى، ص٤ـ٥.

ياقوت :معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، ص٣٨٩. ابن الاثير٢/ ١٧.

السيوطى: حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، الجزء الأول، القاهرة، ١٢٩٩هـ، ص١٤١.

ابن غلبون :تاريخ طرابلس الغرب، عنى بنشره/ الطاهر أحمد الزاوى، القاهرة، ١٣٤٩هـ، ص١٣.

H.Mones;The conquest of north A frica and berber reistanace p.231

E assy in Generl History of Africa 111 form the seventh to the Eleventh centurty.

(٥) قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق/ محمد حسن الزبيدى، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م، ص٣٤٢. البكرى، ص ٤، ٥.

(٦) سعد زغلول عبد الحميد ١/ ١٣٣.

(٧) قدامة بن جعفر، ص٣٤٢.

(٨) ابن عبد الحكم، ص١٧١.

"من غير أن ياتيهم حاث أو مستحث ". ومما يسترعى الأنتباه ماورد فى شرط الصلح "على أن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم ". ويفهم من هذه العبارة أن عمراً شرط عليهم بيع الأبناء فى حالة العجز، وهو شيء مستغرب لم يسبق أن فعله العرب فى المناطق المفتوحة. ومن الثابت أن البربر هم الذين اشترطوا على أنفسهم ذلك الشرط توكيداً للألتزام بالوفاء، ولو أدى ذلك إلى بيع أولادهم، وهذا العمل كان متعارفاً عليه فى تلك العصور[٢]، فقد نقل عن المستشرق " ديل روى " أن أهل كورسيكة كانوا يبيعون أبنائهم ليستطيعوا دفع الضرائب للحكومة البيزنطية.

ويبدو أن بيع الأولاد كان أمراً عادياً حتى سهل على البربر أن يشترطوه على أنفسهم لعمرو وكتب فى الوثيقة على أنه التزام منهم لا شرط عليهم. هذا يتفق مع مادرج عليه العرب فى فتوحاتهم كلها.

ومن الجدير بالذكر، أن الذى يهم العرب هو دفع الجزية، أما الطرق التى يتوصل إليها الصالحون إلى تحصيلها فهى متروكة لهم[٣].

ويبدو أن بيع الأبناء والنساء فى برقة وغيرها كان يخضع لتراضى الطرافين. فقد قدر العرب ضعف برقة الاقتصادى وقلة مواردها فاعطوا لأهلها هذا الحق بموجب اختيارى من ناحية. كما حافظ الفاتحون من جانبهم على هذه العادة البربرية لأنها صادفت هوى فى نفوسهم وتمشيا مع مصالحهم[٤].

على أية حال فإن بيع الأولاد معناه هنا تقديم الأولاد كجزء من الجزية حيث يضمهم العرب إلى الجيوش ويعيشيون فى ظل حاميات جند العرب يخدم ثلاثة أهداف جوهرية هى :-

---

(١) فتوح البلدان ١/ ٢٦٤.

(٢) حسين مؤنس، ص٥٦. الطاهرة أحمد الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣م، ص٣١ - حسن على حسن، ص ٢٤.

(٣) حسين مؤنس، ص٥٦. الطاهر أحمد الزاوى، ص٣١.

(٤) خالد حسين محمود : الرق فى المغرب منذ بداية الفتح الإسلامى وحتى نهاية القرن الرابع الهجرى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠٠٤م، ص١٣٧ - ١٣٨.

١- ينشئون على التقاليد الإسلامية، وينضمون بعد ذلك إلى صفوف الجند الإسلامي[١].

٢- يتعلمون اللغة العربية لغة القرآن الكريم.

٣- توثيق أواصر الصلة بين العرب والبربر، مما يؤدى إلى تقوية دعائم الدولة العربية[٢].

٢- فتح صحراء برقة وفزان

بعد أن تم لعمرو بن العاص الاستيلاء على برقة، بدأ يستعد لغزو ما يليها من بلاد المغرب، وشرع فى تجهيز جيشين أحدهما يسير بحذاء الساحل للإستيلاء على طرابلس وما يجاورها من المدن الساحلية مثل صرت[٣] وصبره، والثانى يتجه إلى الداخل ليستولى على كثير من مراكز العمران الصحراوية الداخلية والتى تؤلف مراكز المقاومة فى قلب البلاد لكى لايتمكن أهل تلك البلاد من الوثوب على المسلمين وقطع خط الرجعة عليهم[٤] وأهم هذه الواحات واحة فزان[٥] فبعث عمرو قائده عقبة بن نافع إلى فزان ففتحها ثم واصل زحفه حتى بلغ زويلة[٦]. فافتتحها صلحا[٧] ونجح عقبة فى مهمته [٨] يقول بن عبد الحكم[٩] " وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين ". وكتب عمرو بن العاص

---

(١) حسين مؤنس ١/ ٨٠.

(٢) سعد زغلول عبد الحميد ١ / ١٣٢، ١٣٣ .

(٣) سرت مدينة كبيرة تقع على ساحل البحر المتوسط. (اليعقوبى : البلدان، ص٣٤٤. البكرى، ص٦. مجهول : الاستبصار، ص١٠٩) (وهى تقع على نهاية حدود برقه (اليعقوبى : البلدان، ص٣٤٤) وتحفل بالأسواق (البكرى، ص ٦) وتشتهر بزراعة النخيل والعنب والفواكه (ابن حوقل : صورة الأرض بيروت ١٩٧٩م، ص٦٨).

(٤) حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب، ص٥٦. السيد عبدالعزيز سالم ، ص٥٨ .

(٥) فزان ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب تشتهر بكثرة النخيل، ومدينتها زويلة السودان أنظر : . ياقوت٤/ ٢٦٠.

(٦) زويلة هى قاعدة بلاد فزان (ابو الفداء : تقويم البلدان، باريس، ١٨٤٠م، ص١٤٧) وتتمتع بموقع جغرافى هام فهى تعد بوابة بلاد السودان وهى ملتقى التجار من كل مكان (البكرى، ص١٠، ياقوت ٣/ ١٦٠)

(٧) ابن الأثير ٣/

(٨) السيد عبدالعزيز سالم، ص٥٨ .

(٩) فتوح مصر وأخبارها، ص١٧١ وأنظر أيضا: البكرى، ص١٠. قدامة بن جعفر، ص٣٤٢. مجهول: الأستبصار، ص١٤٦.

إلى الخليفة عمر بن الخطاب عن نجاح عقبة بن نافع. ومن حسن الحظ ان البلاذرى[1]. ذكر لنا هذا الخطاب بقوله: " أنه ولى عقبة بن نافع الفهرى المغرب فبلغ زويلة وأن برقة سلم كلهم حسنة طاعتهم قد أدى مسلمهم الصدقة وأقر معاهدهم الجزية أنه قدم زويلة ومن بينه وبينها ما رأى أنهم يطيقونه وأمر عماله جميعا أن يأخذوا الصدقة من الأغنياء فيردوها فى الفقراء ويأخذوا الجزية من الذمة فتحمل إليه بمصر وأن يأخذوا من أرض المسلمين العشر ونصف العشر ".

٣- فتح طرابلس

وفى الوقت الذى كان عقبة بن نافع يفتح فزان، كان عمرو بن العاص يغزو إقليم طرابلس[2] فبدأ بمدينة سرت ثم زحف إلى لبدة التى وجدها خالية من الروم. ولم يبد أهلها أدنى مقاومة[3].

واصل عمرو بن العاص سيره إلى طرابلس وفرض عليها الحصار فى سنة ٢٢هـ/٦٤٣م يقول بن عبد الحكم[4] فنزل على القبة التى على الشرف من شرقيها فحاصرها شهرا، لايقدرشئ فخرج رجل من بنى مدلج ذات يوم من عسكر عمرو متصيدا فى سبعة نفر فمضوا غربى المدينة حتى أمعنوا عن العسكر ثم رجعوا فاصابهم الحر، فأخذوا على ضفة البحر، وكان البحر لاصقاً بسور المدينة، ولم يكن بين المدينة والبحر سور وكانت سفن الروم شارعة فى مرساها إلى بيوتهم فرأى المدلجى وأصحابه مسلكاً بين البحر والبلد فدخلوا منه وكبروا، فلم يكن للروم ملجأ سوى سفنهم إلا أنهم قد ظنوا أن المسلمين قد دخلوا البلد وابصر عمرو أصحابه السلة فى جوف المدينة، فاقبل بجيشه حتى دخل

---

(١) فتوح البلدان ١/ ٢٦٤ـ٢٦٥.

(٢) المالكى ١/ ٦٣. القزوينى: اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د.ت)ص٥٩.
اطرابلس بالأعجمية الأفريقية ثلاث مدن وسماها اليونانيون طربليطة وذلك بلغتهم أيضاً ثلاث مدن لأن طر معناه ثلاث وبليطة تعنى مدينة.... أنظر: البكرى، ص٧. ياقوت٤/ ٢٥. الدمشقى، ص٢٣٤.

(٣) السيد عبد العزيز سالم، ص٥٨ـ٥٩. قارن سعد زغلول عبد الحميد ١/ ١٣٧.

(٤) فتوح مصر والمغرب وأخبارها، ص١٧١، ١٧٢. ياقوت٤/ ٢٥. ابن الأثير٣/ ١٢.
ـ التجانى: رحلة التجانى، تحقيق حسن حسنى عبدالوهاب، تونس ١٩٥٨م، ص ٢٣٩. ابن غلبون: التذكار فيمن ملك طرابلس ماكان بها من الأخبار، عنى بنشره وتصحيحه / الطاهر أحمد الزاوى، القاهرة، ١٣٤٩هـ، ص١٤ـ١٥.

عليهم فلم يفلت الروم إلا بما خف معهم في مراكبهم وغنم عمرو ماكان في المدينة ". وفتحت طرابلس دون صعوبة رغم ما تقوله بعض النصوص من أن أهلها استنجدوا بقبيلة نفوسة سكان جبل نفوسة جنوب طرابلس[1]. بينما يشير البلاذرى[2]. أن عمراً "قوتل ثم افتتحها عنوة ".

د. فتح صبراتة

ومن المحتمل أن يكون أهل طرابلس قد استنجدوا بالبربر أثناء الحصار الذى دام شهراً على قول البعض وأشهراً على قول البعض الآخر، وربما كان هذا هو السبب الذى جعل عمرو يعجل بارسال فرقه من جيشه لمفاجأة أهالي سبرت[3] وكان أهل سبرت أمنوا واطمانوا، فلما فتحت طرابلس جند عمرو بن العاص عسكرا كثيفا وسيره إلى سبرة[4] حيث فوجئوا بالقوات الإسلامية على أبواب المدينة. يقول ابن عبدالحكم[5] " وقد فتحوا أبوابهم لتسرح ماشيتهم فدخلوها فلم ينج منهم أحد، واحتوى عمرو على مافيها ورجعوا إلى عمرو. ... ".

ه. فتح ودان

أرسل عمرو بن العاص فرقة أخرى من جيشه لفتح ودان بقيادة بسر بن أبى أرطأة سنة (٢٣هـ)[6] ليقضى بذلك على أى محاولة من جانب البربر للتصدى للمسلمين وليأمن ماتم فتحه[7] ولم يتم فتح إقليم طرابلس كله حيث بقي من مدنه جزء من جزيرة جربة، وقابس على حدود أفريقية.

---

(١) ابن عذارى ١/ ٨. سعد زغلول عبد الحميد ١/ ١٣٩ .

(٢) فتوح البلدان ١/ ٢٦٦.

(٣) حسين مونس، ص٦٣.

(٤) ابن عبد الحكم، ص١٧٢ .

(٥) فتوح مصر وأخبارها، ص١٧٢ . ابن الأثير ٣/ ١٣ .

(٦) البكرى، ص١٢ ، ١٣ . ابن الابار ٢/ ٣٢٤. ابن أبي دينار ، ص٢٦ . عبد الوهاب بن منصور١/ ١٠٧ .
الطاهر احمد الزاوى: ولاة طرابلس، ص١٢ .

(٧) السيد عبدالعزيز سالم، ص٦٣.

(٢) خط سير حملة عمر بن العاص فى فتح برقة وطرابلس

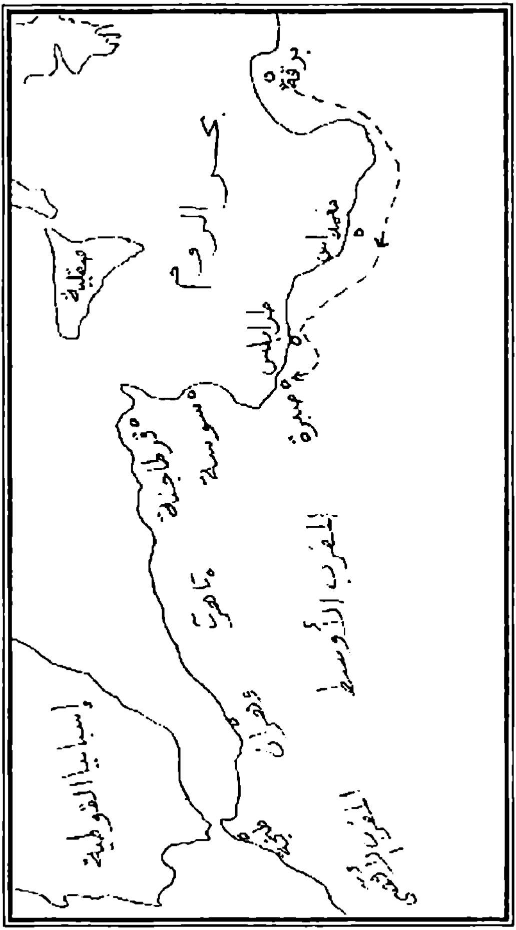

المصدر: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص ١٢٠.

وبقى كذلك عدد من المسالح والحصون مثل جرجس[1]. والبلادالتى تليها.

ولما انتهى عمرو بن العاص من فتح سبرت أرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه فى فتح إفريقية ويطلب الأستعانة بامدادات جديدة حتى يمكنه التقدم حيث كانت البلاد التى تلى سبرت محصنة بالجند ويظهر أن جريجوريوس لما وصلته أخبار التقدم العربى فى مصر سارع بتأمين الحدود الشرقية ليكون منها جبهة قوية يتلقى عندها هجمة العرب الأولى فاستعد استعداداً كبيراً فى قابس لأن العرب سيبعدون عنها عندما يشرعون فى غزو إفريقية فى حملة عبدالله بن سعد، بل سيقصدون إلى سبيطلة رأساً ولو وجدوا الاستيلاء عليه هينا لاخذوها فى طريقهم[2].

وأرسل عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه فى مواصلة الفتح "ان الله فتح علينا اطرابلس وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أياما، فان رأى أمير المؤمنين أن يغزوا ويفتحها الله على يديه فعل[3] . ..... ".

ويضيف ابن عذارى[4] نصاً غاية فى الأهمية أوقف من خلاله عمرو بن العاص الخليفة عمر بن الخطاب على أحوال البلاد بقوله: "وملوك كثير وأهلها فى عدد عظيم،أكثر ركوبهم الخيل ". ولكن الخليفة عمر بن الخطاب رفض فكرة الأستمرار فى الفتح بقوله "لا أنها ليست إفريقية ولكنها الفرقة غادرة مغدور بها لايغزوها أحد مابقيت[5] ". وقد أورد البلاذرى[6] صيغة أخرى لرد الخليفة عمر بن الخطاب بقوله " فكتب إليه ينهاه ويقول ما هى بإفريقية ولكنها غادرة مغدور بها، وذلك أن أهلها كانوا يؤدون إلى ملك الروم شيئا فكانوا يغدرون به كثير، وكان ملك الأندلس صالحهم ثم غدرو بها.....".

---

(١) حسين مؤنس، ص٦٦-٦٧. السيد عبد العزيز سالم، ص٦٣.

(٢) حسين مؤنس، ص٦٧.

(٣) ابن عبدالحكم، ص١٧٢، ١٧٣. ابن سعد ٨/ ٥٤٢. البلاذرى ١/ ٢٦٦.

ـ اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، الجزء الثانى، دار صادر، بيروت د.ت ص١٥٦.

(٤) البيان المغرب ١/ ٨.

(٥) ابن عبدالحكم، ص١٧٣.

(٦) فتوح البلدان١/ ٢٦٦.

أما عن أسباب رفض الخليفة عمر بن الخطاب مواصلة الفتح الإسلامي لإفريقية هي:

١ـ خوف الخليفة عمر على جند المسلمين من الدخول في مغامرة عنيفة[١]. في الوقت الذى كانت الدولة الإسلامية في مرحلة الأعداد وتحتاج إلى كل جهد لتدعيم نفوذها في البلدان المفتوحة حديثاً في جبهة العراق والشام ومصر[٢].

٢ـ بعد المسافة بين دار الخلافة في الحجاز وميدان القتال في المغرب[٣].

٣ـ نقض الروم[٤] لشروط الصلح المبرم مع عمرو بن العاص ويتضح ذلك من كتاب المقوقس إلى عمرو بن العاص، مما عجل بعودة عمرو لملاقاة الروم[٥].

ويشك أحد الباحثين الثقاة في هذه الرواية من حيث الشكل لأن المقوقس كان توفى سنة ٢١هـ/٤١-٦٤٢م، ولكنه يميل إلى تأييد صحتها من حيث المضمون. فلقد أتت ثورة الأسكندرية وغدر الروم بالعرب بعد ذلك بسنتين[٦].

٤ـ معرفة الخليفة عمر بن الخطاب بأخبار المغرب وأنه علم بحركات الانفصال التى قام بها سكانها ضد ملوك الروم والصعوبات التى اعترضتهم أثناء حكمهم لتلك البلدان[٧].

وعاد عمرو بن العاص إلى مصر بناء على رغبة الخليفة عمر بن الخطاب بعد أن ترك عقبة بن نافع على ولاية برقة والمناطق الصحراوية يدعوهم للإسلام، وأصبحت برقة قاعدة الجيش الإسلامي في غرب مصر[٨].

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم ، ص٦٥.

(٢) صابر محمد دياب : بلاد المغرب فى القرن الأول الهجرى، ص.

(٣) محمد محمد زيتون، ص٢٣.

(٤) لما فتحت الأسكندرية على يد عمرو بن العاص وعقد صلحا مع الروم عز عليهم ضياع الأسكندرية منهم فراسلوا اتباعهم ودعوهم إلى نقض الصلح فاجيبوهم إلى ذلك، وجاء منويل الخصى على رأس حملة لمساندة اتباعهم فى الأسكندرية. ولكن المقوقس لم يوافقهم على ذلك. أنظر : ابن الأثير٣/ ٤١ـ ٤٢.

(٥) ابن عبد الحكم، ص١٧٣. سعد زغلول عبدالحميد١/ ١٤٣.

(٦) سعد زغلول عبد الحميد١/ ١٤٣.

(٧) الحبيب الجنحانى: القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية فى المغرب العربى، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م، ص٢٧.

(٨) السيد عبدالعزيز سالم، ص٦٦. ـ محمد محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والأندلس، دار الوفاء للطباعة ، القاهرة ١٩٨٤م، ص١٤.

ثانيا: حملة عبدالله بن سعد بن أبى سرح

١- التعريف بعبدالله بن سعد

كان عبدالله بن سعد من كتاب الوحي للرسول (ﷺ)، ثم أرتد عن الإسلام. وعندما فتح الرسول (ﷺ) مكة في السنة التاسعة للهجرة إستجار عبدالله بأخيه في الرضاعة عثمان بن عفان الذى أخذ له الأمان من الرسول (ﷺ) ثم حسن إسلامه بعد ذلك[١] وبايعه الرسول (ﷺ) يومئذ على الإسلام وقال: "الإسلام يجب ما قبله" ولكن عبدالله كان يفر من رسول الله (ﷺ) أينما رآه خجلا منه، فذكر ذلك عثمان لرسول الله (ﷺ) فقال: "الإسلام يجب ما قبله"[٢]. وشهد فتح مصر مع عمرو بن العاص وأختط بها وكان على ميمنة الجيش[٣].

ومن المعروف أن الفتح الإسلامى توقف للمغرب بقية أيام خلافة عمر بن الخطاب. ولما تولى الخليفة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ/٦٤٤-٦٥٧م)، أمر بعزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر سنة (٢٥هـ/٦٤٥م[٤]) وعين أخيه في الرضاعة عبدالله بن سعد[٥] والذى يفهم من الروايات التاريخية أن عمراً بن العاص طلب من الخليفة عثمان بن عفان تنحية عبدالله بن سعد عن إمارة الصعيد وانتهى الحوار بينهما إلى إعفاء عمرو بن العاص من منصبه[٦].

وعلى أية حال، تمكن عبدالله بن سعد من إدارة شئون مصر بكفاءة عالية وأحسن السيرة في الرعية[٧]. ولم يهمل عبدالله بن سعد شئون إفريقية؛ فكان يرسل المسلمون في جرائد الخيل لشن الغارات عليها ويعودون بالغنائم[٨].

---

(١) ابن حجر العسقلانى: كتاب الأصابة فى تميز الصحابة، الجزء الثانى، الطبعة الأولى، دار العلوم الحديثة، بيروت ١٣٢٨هـ، ص ٣١٦، ٣١٧. ابن عذارى ١/٩. الجهشيارى: الوزراء والكتاب، حققه / مصطفى السقا وآخرين، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، القاهرة (د-ت) ص ١٣.

(٢) محمود شيت خطاب: قادة فتح المغرب العربى ١/ ٥٣.

(٣) ابن حجر العسقلانى ٢/ ٣١٧.

(٤) وردت عند ابن الأثير ٣/ ٤٥ سنة "٢٦هـ".

(٥) الكندى، ص٣٤. المالكى ١/ ٨. الباجى المسعودى: الخلاصة النقية فى أمراء افريقية، الطبعة الثانية، تونس، ١٣٢٣ هـ، ص٣.

(٦) ناطق صالح مطلوب وآخرون: تاريخ المغرب العربى، جامعة الموصل، ١٩٨٨م، ص٥٥.

(٧) ابو المحاسن: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، الجزء الأول، القاهرة د. ت، ص٧٩.

(٨) ابن عبدالحكم، ص١٨٣. البلاذرى ١/ ٢٦٧. المالكى ١/ ٨. أبو العرب: طبقات علماء إفريقية وتونس، تحقيق على الشابى وآخرون، تونس ١٩٦٨م، ص٦٥. ابن الأثير ٣/ ٤٤. النويرى ٢٤/ ٧. ابن عذارى ١/ ٩.

٢ـ الخليفة عثمان يستعد لفتح المغرب

أرسل عبدالله بن سعد إلى الخليفة عثمان كتاباً يستأذنه في مواصلة الفتح الإسلامي لإفريقية" واخبره بقربهم من حزر المسلمين [١] ".

ولم يوافق الخليفة عثمان على طلب عبدالله بن سعد بالشروع في الغزو إلا بعد إستشارة كبار الصحابة، وبعد مناقشات جادة أشاروا عليه بإنفاذ الجيش ولم يعترض سوى أبا الأعور سعيد بن أبي يزيد الذي قال له الخليفة عثمان " ما كرهت يا أبا الأعور من بعثة الجيش " قال " سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ يقول لا أغزيها أحد من المسلمين ما حملت عيني الماء، ولا أرى لك خلاف عمر[٢] ". على أية حال لقد شرع الخليفة عثمان في تجهيز حملة لغزو إفريقية فندب الناس لذلك وأشرف على أعداد الجيش الذي عرف بجيش العبادلة وشارك فيه كثير من أبناء الصحابة منهم عبدالله ابن عمر وأخوه عبيدالله وعبدالرحمن بن زيد وعبيدالله بن عمرو بن العاص ومروان بن الحكم، والحارث بن الحكم. وأمد الخليفة عثمان الحملة بألف بعير من ماله الخاص، وأمر بفتح بيوت السلاح [٣] ولما كمل الاستعداد خرج الخليفة إلى الجرف خطب في الجنود مرغبا في الجهاد وودعهم [٤]. وأسند الخليفة عثمان الحملة أثناء الطريق من المدينة المنورة إلى مصر للحارث بن الحكم ثم يسلمها إلى عبد الله بن سعد الذي جهز جيشاً من أهل مصر [٥]. وقد وعده الخليفة عثمان على حد قول ابن الأثير [٦] "أن فتح الله عليك ملك من الفيء خمس الخمس نفلا ". وقد بلغ عدد الجيش الإسلامي عشرين ألف مقاتل [٧] وزحف عبدالله بن سعد على رأس ذلك الجيش إلى إفريقية بعد أن ترك عقبة بن عامر الجهني نائباً عنه على حكم مصر [٨].

---

(١) ابن عبدالحكم ، ص١٨٣ . ابو العرب، ص٦٥ . المالكي ١/ ٨ .

(٢) المالكي١/ ٩ . ابو العرب، ص٦٥ . النويري٢٤/ ٧ . ابن الأثير٣/ ٤٥ .

(٣) النويري ٢٤/ ١٠ . ابن عذارى١/ ٩ .

(٤) النويري٢٤/ ١٠ . عبد الوهاب بن منصور ١/ ١،٨ . سعد زغلول عبد الحميد ١/ ١٤٨ .

(٥) ابن عبدالحكم، ص١٨٣ . ابن عذارى١/ ٩ . النويري ٢٤/ ١٠ . عبدالله : نص جديد عن فتح العرب للمغرب تحقيق ليفي بروفنسال مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، المجلدالثاني مدريد١٩٥٤م ص٢١٥ .

(٦) ابن الأثير ٣/ ٤٥ .

(٧) ابن عبد الحكم، ص١٨٤ . المالكي ١/ ١٠ . . ابن عذارى ١/ ٩ . النويري٢٤/ ١٠ . ابن ابي دينار، ص٢٦ .

(٨) ابو العرب، ص٧٠ .

وصل الجيش الإسلامي إلى برقة فلقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين[1] ثم مضى إلى طرابلس وفرضوا عليها الحصار وحدثت مناوشات بين المسلمين والروم، أنتهت بهزيمة الروم وغنم المسلمون من سفنهم الراسية في الميناء[2].

ولم يساند أهل طرابلس الروم في الدفاع عن مدينتهم، والتزموا موقف الحياد يقول المالكي[3] " وتحصن أهل طرابلس ولم يعرضوا لنا ولم نهجهم " ومضى عبدالله بن سعد حتى نزل مدينة قابس[4] وفرض عليها الحصار ولكنه فكر في الرحيل عنها لكي لاينشغل عن هدفه وهو إفريقية فأخذ يشن السرايا في كل النواحي[5].

٣- جريجوريوس حاكم افريقية

وكان على عرش إفريقية جريجوريوس وتسميه المصادر العربية جرجير من قبل الأمبراطور هرقل، وأمتد نفوذه من طرابلس إلى طنجة[6] وضرب الدنانير باسمه[7]. ويشك الدكتور مؤنس في أن جريجوريوس - جرجير - ضرب الدنانير باسمه حيث لاتوجد حتى الآن أثار تشهد بذلك[8]. ولما علم جريجوريوس بمجيء العرب تأهب للقائهم وعبأ جيشاً ضخماً بلغت قوته مائة وعشرين ألف[9]. وترك عاصمته قرطاجنة الواقعة في أقصى الطرف الشمالي من ولاية إفريقية على البحر. ورأى أن يتخذ عاصمة جديدة تقع في وسط البلاد حتى لايقع بين فكي الكماشة العرب من الشرق والبيزنطيين من البحر[10].

---

(١) ابن الأثير٣/ ٤٥ .

(٢) المالكي١/ ١٠.

(٣) نفسه، ص١٠.

(٤) تقع قابس على ساحل البحر المتوسط (اليعقوبي : البلدان، ليدن ١٩٦٧م، ص٣٤٦. ياقوت٤/ ٢٨٩) شيدها الرومان وهي محاطة بأسوار عالية. (الوزان، ص٤٦٥، ٤٦٤).

(٥) النويري٢٤/ ١١.

(٦) ابن عبد الحكم، ص١٨٣ . البلاذري ١/ ٢٢٨ . المالكي١/ ١٢ . قدامة بن جعفر، ص٣٤٤.

= ابن الأثير٣/ ٤٥ . ابن عذاري ١/ ٩ . النويري٢٤/ ١١ . ابن ابي دينار، ص٢٦.

. البارون الفونس روسو : الحوليات التونسية، ترجمة / محمد عبد الكريم، منشورات جامعة قاريونس (د - ت) ص٧١.

(٧) ابن عبد الحكم، ص١٨٣ . ابن الأثير٣/ ٤٥ . ابن ابي دينار، ص. ٢٦.

(٨) حسين مؤنس، ص٨٤.

(٩) ابن الأثير٣/ ٤٥. النويري ٢٤/ ١١ ابن عذاري ١/ ١٠. عبدالله : نص جديد، ص٢١٦. الباجي المسعودي : الخلاصة النقية في امراء افريقية، الطبعة الثانية، تونس، ١٣٢٣هـ ص٤.

(١٠) السيد عبد العزيز سالم، ص٦٦.

وكان جريجوريوس يهدف إلى التقرب من البربر ويستجدى عطفهم لمساعدته في صراعه مع العرب فأراد أن يحتمي بينهم وأتخذ سبيطلة حاضرة لولايته ٢٤هـ /٦٤٦م[١] وهي تبعد عن القيروان سبعون ميلاً [٢] ولكن جريجوريوس فضل إنتظار العرب في مكان علي مقربة من سبيطلة تسميه الروايات العربية عقوبة [٣] أما عبدالله بن سعد فقد تقدم إلى الشمال حتى بلغ موضعاً يقال لهُ قمونية أو قمودة.

٤ ـ المفاوضات بين المسلمين والروم

بدأت المفاوضات بين عبدالله بن سعد وبين جريجوريوس[٤]. كما هو متبع في الفتوحات الإسلامية بدعوة أهالي البلاد المفتوحة إلى الإسلام أو الجزية أو القتال. ولكن جريجوريوس رفض الدخول في الإسلام ودفع الجزية[٥]، وتكبر عن قبول أحدهما[٦]، ولم يبق أمام المسلمين سوى الشرط الأخير هو الدخول في ميدان القتال.

٥ ـ موقعة سبيطلة

بعدما فشلت المفاوضات تأهب المسلمون للقتال والتقو مع الروم في فحص متسع يسمى بعقوبة وقد استعد جرجير بقوة مكونة من (١٢٠ ألف) رجل. وكان جرجير يقف خلف قواته ممتطيا برذونا أشهب اللون وعن يمينه وشماله جاريتان تظلانه من حر الشمس بريش الطواويس بينما كانت ابنته تطل على أرض المعركة من أعلى المنصة التي اقامها والدها ليشرف منها على جنده أثناء القتال تحيط بها أربعين وصيفة.

أما قوات عبدالله بن سعد كانت تقف في هيئة القتال ميمنة وميسرة وقلبا وفيها الفرسان والرجالة وكانت الصفوف عامرة بقراءة القران [٧] ودامت الحرب بين الفريقين

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم ، ص٦٦. حسين مؤنس، ص٧٥ـ٧٦.

(٢) ابن خردانبه، ص٨٧. المالكي ١/ ١١ . ابن الدباغ ١١/ ٣٢. . يالوت٣/ ١٨٧ .

(٣) البلاذرى١/ ٢٦٧ . حسين مؤنس ، ص٨٦.

(٤) حسين مؤنس، ص٨٦. عبدالوهاب بن منصور ١/ ١٠٩ .

(٥) أورد لنا المالكي في رياض النفوس، جـ١ ، ص١٠رد جريجوريوس على المسلمين لما دعوه إلى الدخول في الإسلام "لا أفعل هذا ابدا " ولما طالبوه بدفع الجزية رفض قائلاً " لو سألتموني درهما لم أفعل. وأنظر كذلك النويرى٢٤/ ١٢ .

(٦) ابن الأثير٣/ ٤٥ . النويرى٢٤/ ١٢ ـ ١٣ .

(٧) المالكي١/ ١١ . سعد زغلول عبدالحميد ١/ ١٥٥ ـ ١٥٦ .

عدة أيام حتى أنقطع خبر المسلمين عن عثمان بن عفان. فانفذ عبدالله بن الزبير ليقف على أخبار المسلمين وكان المسلمون يقاتلون فى كل يوم إلى الظهر ثم ترجع كل طائفة إلى معسكرها وتضع الحرب أوزارها. وأشار عبدالله بن الزبير على عبدالله بن سعد "إنى فكرت فيما نحن فيه فرأيت أمراً يطول والقوم فى بلادهم والزيادة فيهم والنقصان فينا [1]... ".

٦ - خطة جديدة للمسلمين فى القتال

فكر عبدالله بن الزبير في وضع خطة لهذا اللقاء الحاسم الذى طال بأن يجعل فئة من الجند على أتم الاستعداد في خيامهم ولا يشتركون في القتال إلا بعد أنتهاء اللقاء – كما هو متبع - وتنقض على معسكر الروم على حين غرة ولا يمكنو الروم من النزل. ولما عرض عبدالله بن سعد تلك الفكرة على بعض الصحابة كعبدالله بن عباس ورؤساء القبائل أيدوها إلى حد كبير. ونفذ عبدالله بن الزبير ومن معه من الجند الإسلامي تلك الخطة ببراعة فائقة[2]. وقتل جريجوريوس وحلت الصاعقة بجيشه وأنقض عليه فرسان المسلمين من الكمائن وتقهقر جند الروم إلى سبيطلة فمنعهم المسلمين من دخولها ووقع فى قبضة المسلمين الكثير من أسرى الروم[3]. ووقعت ابنة جرجير فى السبى[4].

وجنى المسلمون من تلك الغزوة أموالاً طائلة حيث بلغ سهم الفارس ثلاثة الآف دينار وسهم الرجل ألف دينار[5]. ولم يكتف عبدالله بن سعد بالنصر الذى أحرزه في سبيطلة بل أخذ يشن غارات سريعة ومفاجئة على قصور قفصة ومرمجنة وولى الروم هاربين إلى القلاع والحصون وتجمعوا بفحص الأجم [6]. وفتحه بالأمان على الفىء ألف وخمسمائة

---

(١) النويرى ٢٤/ ١٢ - ١٣ .

(٢) اعتقد جريجوريوس أن عبدالله بن الزبير أحد الفارين من المعسكر الإسلامى يقول بن عذارى : البيان المغرب، جـ١ ، ص١١ " ماحسب إلا إنى رسول إليه حتى راى مابى من أثر السلاح فقدرانى هارب إليه فلما أدركته طعنته فسقط فرميت نفسى عليه. . . . . . " .

(٣) النويرى٢٤/ ١٤ - ١٥ . وانظر كذلك ابن الأثير ٣/ ٤٥ - ٤٦ .

(٤) ابن عبدالحكم، ص١٨٤ . ابن الأثير٣/ ٤٦ .

(٥) خليفة بن خياط، ص ١٦٠ . ابن عبدالحكم، ص١٨٤ . ابو العرب، ص٧١ -٧٢ . الكندى، ص٣٦. المالكى ١/ ١٢ = ابن الأثير٣/ ٤٦ . ابن الدباغ ١/ ٣٢. ابن عذارى ١/ ١٢ . النويرى٢٤/ ١٦ . ابو المحاسن ١/ ٨٠. السلاوى١/ ٣٦.

(٦) المالكى ١/ ١٢ . عبدالله، ص٢١٨ . ابن الدباغ ١/ ٣٣ .

ألف دينار(1). واشار ابن عذارى إلى أن هذه الواقعة اذلت الروم بإفريقية ورعبوا رعباً شديداً فلجأوا إلى الحصون والمعاقل(2)، وسار عبد الله بن سعد إلى قرطاجنة وضرب عليها الحصار ثم فتحها وجنى منها السبي والأموال(3).

وأرسل عبد الله بن سعد إلى الخليفة عثمان بن عفان عبدالله بن الزبير يحمل بشارة الفتح وما أفاء الله على المسلمين(4).

وبعد تلك الأنتصارات التى حققها عبدالله بن سعد على الروم عرض عليه عظماء افريقية مبلغ من المال قدر بثلاثمائة قنطار من الذهب مقابل أن يخرج من بلادهم فوافق عبدالله على ذلك(5) وكان فى شرط الصلح أن ما أصاب المسلمون قبل الصلح من حقهم. وما أصابوه بعد الصلح رده عليهم(6). وعاد إلى مصر دون أن يسند إلى أحد بولاية إفريقية يقول البلاذرى(7).": ولم يول على إفريقية أحداً. ولم يكن لها يومئذ قيروان ولامصر جامع".

---

(1) خليفة بن خياط، ص١٦٠ . ابن الأثير٣/ ٤٦ .

(2) ابن عذارى ١/ ١٢ .

(3) ابن عذارى١/ ١٢ . قارن ابن الأثير٣/ ٤٦ .

(4) ابن عذارى ١/ ١٢ ـ ١٣ . النويرى٢٤/ ١٧ .

(5) ابن عذارى ١/ ١٢ . النويرى٢٤/ ١٧ .

(6) البلاذرى ١/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨ المالكى١/ ١٢. عبدالله : نص جديد، ص٢١٨. قدامة بن جعفر، ص٣٤٤. ابن الدباغ ١/ ٣٣ ابن عذارى ١/ ١٢ . النويرى ٢٤/ ١٦ . التجانى : رحلة التجانى، ص٥٨. ابن ابى دينار، ص٢٧. السلاوى١ / ٣٦.

(7) فتوح البلدان١/ ٢٦٨.

(٣) خط سير حملة عبدالله بن سعد

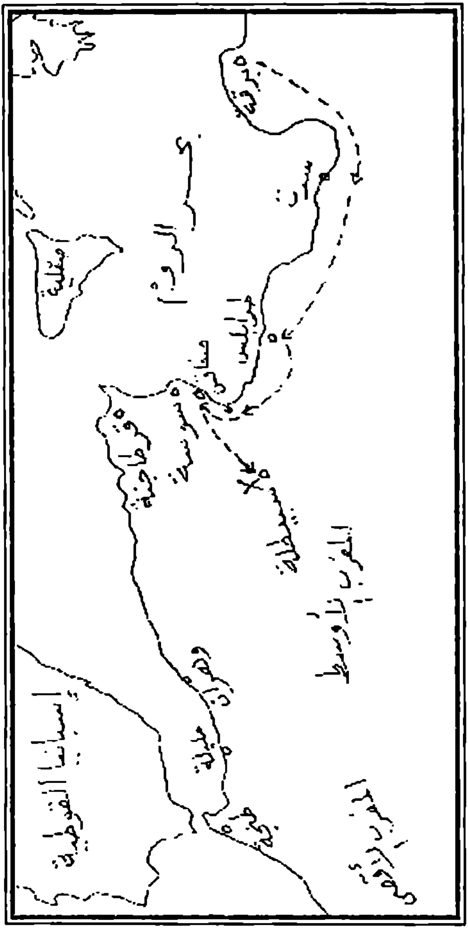

المصدر: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص ١٢٠.

٧ـ أسباب عودة عبدالله بن سعد لمصر

ناقش بعض المؤرخين المحدثين أسباب عودة عبدالله بن سعد لمصر ونوجزها في النقاط التالية :

١ ـ ان موقعة سبيطلة لم تفتح أمام العرب كل سهل تونس[١].

٢ ـ ان جيش المسلمين قد قضى في هذه الواقعة (١٥شهراً) في افريقية وان غيبته قد طالت عن الفسطاط ، فكان لابد له من العودة للنظر في تصريف شئون البلاد والقضاء على مظاهر المعارضة على سياسة الخليفة عثمان[٢].

٣ ـ الخوف من مهاجمة الروم بحراً لبلاد المغرب.

٤ ـ خوف عبدالله من توصل حاميات المدائن والمسالح إلى اتفاق، لمقاومة المسلمين. وربما جرآهم على ذلك ما رأوا من قلة عدد المسلمين[٣].

ثالثاً : حملة معاوية بن حديج (٤٥-٥٠ هـ/٦٦٦-٦٧٠م)

١ـ التعريف بمعاوية بن حديج

كان معاوية بن حديج يكنى: أبانعيم، وقيل أبا عبدالرحمن وقيل أنه خولاني والصحيح إنه سكوني. صحب الرسول (ﷺ) وروى عنه. وكان معاوية شهد فتح مصر وشارك مع عبدالله بن سعد في فتح إفريقية والنوبة. ولما تولى القيادة كان خبيراً عارفاً لشؤونه وطبيعة أرضه ونقاط الضعف في أهله. مما سهل له فتح كثير من بلاد المغرب[٤].

---

(١) حسين مؤنس، ص٩٩.

(٢) حسين مؤنس، ص٩٩ ـ ١٠٠ . السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المغرب، ص٨٧.

(٣) حسين مؤنس، ص١٠٠ . عبدالحليم عبدالرحمن خضر: الإسلام والمسلمين في إفريقية الشمالية، الطبعة الأولى، عالم المعرفة، جدة، السعودية، ١٩٨٦م، ص٨٥.

(٤) محمود شيت خطاب ١/ ٨٨.

٢. توقف الفتح الإسلامي للمغرب

توقف الفتح الإسلامي في بلاد المغرب بعد عودة عبدالله بن سعد إلى مصر سنة ٢٨هـ/ ٦٤٨م بموجب الصلح الذي عقده مع أهل إفريقية حيث شغلت الدولة الإسلامية بفتنة الأمصار التي أسفرت عن استشهاد الخليفة عثمان بن عفان، وورث الخليفة علي بن أبي طالب هذه التحديات حتى نشب النزاع بين الأمويين والعلويين في موقعة صفين على حدود بلاد الشام والعراق[١].

ولما استقر الأمر لمعاوية بن أبي سفيان بعد أن تنازل الحسن بن علي في أواخر ربيع الأول ٤١هـ/٦٦١م أعاد عمرو بن العاص إلى مصر واستأنف عمرو غزواته السابقة على برقة وطرابلس فكان يرسل الجنود لشن الغارات عليهما وتعود بالغنائم.

ولما توفي عمرو بن العاص في سنة ٤٣هـ/٦٦٣م فصل معاوية ولاية أفريقية عن مصر واعتبرها ولاية مستقلة تتبع دمشق مباشرة[٢] وتولى ولاية مصر عبد الله بن عمرو ثم عزله في سنة ٤٧هـ /٦٦٧م واسندها إلى معاوية بن حديج[٣].

٣. علاقة الدولة البيزنطية بحاكم أفريقية

وشهدت العلاقات السياسية توترا بين الأمبراطور هرقل وحاكم أفريقية حبابه[٤] أو حباحبه وهو تحريف لاسم جناديه أو جناديوس[٥]. الذي تولى عقب مقتل جرجير في سبيطلة ومن المعروف أن حبابة هو الذي عقد اتفاق الصلح بين العرب والروم في حملة عبدالله بن سعد. لذلك أوفد الأمبراطور هرقل مبعوثاً من قبله يدعى أوليمة يطلب من أهل إفريقية مبلغ ٣٠٠٠ قنطار من الذهب. كما أخذ عبدالله بن سعد الأمر الذي أثار دهشة أهالي إفريقية بشدة لمطلب الأمبراطور وقالوا " الذي كان بايدينا من الأموال فدينا به أنفسنا، والملك فهو سيدنا يأخذ منا كما كنا نعطيه في كل سنة [٦] ".

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم، ص٨٨. وانظر جوليان ٢/ ١٨.

(٢) نفســـه، ص٨٩.

(٣) الطبري ٥/ ٢٢٩.

(٤) ورد ذكره عند السلاوي : الاستقصاء، جـ١، ص٣٦. "العلج".

(٥) سعد زغلول عبد الحميد ١/ ١٦٩.

(٦) ابن الأثير٣/ ٤٦. النويري٢٤/ ١٨ ـ ١٩.

ويقول أحد الباحثين أنه يبدو أن بعض أهل البلاد انضم إلى جانب هذا الأمير فقام نزاع بين القائدين وأتباعهما انتهى بانهزام أوليمة وطرده[1].

وعلى الرغم من طرد أوليمة إلا ان الأمور لم تستقر لحباحبه وتولى مقاليد حكم البلاد الاطربون أحد القواد وفكر حباحبه في إعادة ملكه فطلب النجدة من العرب فسار إلى الشام والتقى بمعاوية بن أبي سفيان يقول النويرى[2] " فذكر له حال إفريقيةمن ثراء ودله على عورات الروم[3] وسأله أن يبعث معه جيشاً من العرب، فوجه معه معاوية بن حديج في جيش كثيف فلما أنتهى إلى الإسكندرية هلك حباحبة ". بينما اشار ابن عذارى أن معاوية بن حديج استعمل حباحبه على الإسكندرية[4].

ومن الجدير بالذكر أن احوال بلاد المغرب كانت معروفة لمركز القيادة في مصر أو دار الخلافة في دمشق فقد كانت تقريرحملات الطلائع الأولى للفتح تشير إلى هذا المعنى فيلخص ابن الأثير[5] أحوال البلاد بقوله: "كانت ناراً تضطرم" وابن عذارى[6] يقول: "دخل معاوية بن حديج افريقية وكانت حربا كلها ".

٤- تعيين معاوية بن حديج وخط سير حملته

عين الخليفة معاوية بن ابي سفيان على إفريقية معاوية بن حديج الكندى سنة (٤٥هـ /٦٦٥م) وكان تعيين ابن حديج يعود بالدرجة الأولى إلى قابليته كقائد عسكرى وإلى كثرة رجال عشيرته في مصر وعلى تأييده الخليفة عثمان في صراعه لنيل الخلافة[7] علاوة على معرفة معاوية بن حديج بشؤن الحرب[8] وبعث معه عبدالملك بن مروان،

---

(١) سعد زغلول عبدالحميد ١/ ١٦٩ .

(٢) نهاية الأرب، جـ ٢٢، ص١٩ .

(٣) محمود شيت خطاب ١/ ٧٩.

(٤) ابن عذارى ١/ ١٦ .

(٥) الكامل ٣/ ٤٦ . النويرى ٢٤/ ١٩ . ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص٦١ .

(٦) البيان المغرب ١/ ١٦ .

(٧) عبد الواحد ذنون طه :الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقيا والأندلس، دار الرشيد للنشر ، العراق، ١٩٨٢م،ص١١٦ .حسين مؤنس، ص١١٢ .

(٨) محمد على دبوز : المغرب الكبير، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي، القاهرة، ١٩٦٣م، ، ص٢٠ .

ويحيى بن الحكم، وخالد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمر[1]. واشراف من جند الشام ومصر[2]. في عشرة الآف مقاتل[3]. وسار ابن حديج بقواته عبر برقة وطرابلس وكان على رأس الحامية في برقة عقبة بن نافع الذى انضم إلى الحملة واستفاد ابن حديج من خبرتهم بطبيعة الحرب في تلك الاقاليم[4].

٥ـ الحرب بين المسلمين والبزنطيين

نزل معاوية غربي قمونية في سفح الجبل[5]. فاصبته أمطار فسمي جبل المطور ثم انتقل إلى القرن[6]. واتخذ قيروانا عند القرن[7] فلم يزل فيه حتى خرج إلى مصر[8]. وفي تلك الأثناء أرسل الأمبراطور البيزنطى جيشاً بقيادة نجفور إلى الساحل الإفريقى عدته ثلاثين ألف مقاتل[9] ونزل بين صفاقس وسوسة[10]. وأراد معاوية بن حديج رصد تحركات البيزنطيين على الساحل فأرسل عبدالله بن الزبير في خيل كثيف حتى نزل على منطقة مرتفعة تشرف على البحر تبعد عن مدينة سوسة اثنا عشر ميلا. ولم يعبأ عبدالله بن الزبير وصلى العصر والروم يتعجبون من امره بعدم اكتراثه بهم. ولما فرغ من صلاته شد على جماعة من الروم كانوا قد اقبلوا أثناء الصلاة وحمل عليهم فانكشفوا عنه وهزمهم وولوا هاربين من غير قتال وواصل عبدالله بن الزبير زحفه إلى باب سوسة ودخلها الروم واغلقوا أبوابها على انفسهم وحاصرهم المسلمين أياماً ثم استسلمت للمسلمين[11]. وبعد ذلك عاد إلى معاوية بن حديج بجبل القرن[12].

---

(١) المالكى ١/ ١٦ . ابن عذارى ١/ ١٦ . ابن الدباغ ١/ ٣٩. النويرى ٢٤/ ٢٠.

(٢) النويرى ٢٤/ ١٩.

(٣) ابن عذارى١/ ١٦ . ابن أبى دينار، ص٢٧ . السلاوى ١/ ٣٦.

(٤) سعد زغلول عبد الحميد١/ ١٧٠.

(٥) المالكى ١/ ١٩ . ابن الأثير ٣/ ٤٦ . ابن الدباغ ١/ ٣٩. النويرى ٢٤/ ١٩ـ٢٠.

(٦) ابن عذارى ١/ ١٦ . النويرى ٢٤/ ٢٠ . السلاوى١/ ٣٦.

(٧) ابن عبد الحكم، ص١٩٣ . النويرى ٢٤/ ٢٠.

(٨) ابن عبد الحكم، ص١٩٣ .

(٩) ابن عذارى ١/ ١٦ . النويرى ٢٤/ ٢٠ . السلاوى١/ ٣٦.

(١٠) حسين مؤنس١/ ٨٥ . سوسة مدينة مسورة من الصخر والطوب وبها رباطات ومحارس (البكرى، ص٢٠).

(١١) عبد العزيز الثعالبى : تاريخ شمال افريقيا من الفتح الإسلامى إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق/ أحمد بن ميلاد وآخرين، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٩٠م، ص٣٩.

(١٢) البكرى، ص ٣٤ـ٣٥. ابن عذارى ١/ ١٦ . التجانى، ص٢٦ـ٢٧.

٦ ـ فتح بنزرت وجربة

وقام معاوية بن حديج بفتح بنزرت[1] وبعث رويفع بن ثابت الأنصارى لفتح، جزيرة جربة[2] ففتحها عنوة سنة (٤٧هـ /٦٦٧م) من أجل حماية سواحل البلاد من غارات الروم عليها، مما سهل على المسلمين مراقبة تحركات الروم فى البحر مراقبة صارمة[3]. ومن أبرز أعمال معاوية بن حديج حفر الآبار فى باب تونس المعروفة بآبار حديج وهذه الآبار خارج باب تونس منحرفة عنه إلى الشرق عند مصلى الجنائز[4]. وشيد مساكن ناحية القرن[5] وهو جبل عال فى الجنوب الغربى من القيروان ويعرف حاليا باسم جبل الباطن[6] سماها قيروانا[7] قال عنه المالكى[8] وموضع القيروان غير مسكون". ولم ينس معاوية بن حديج المهمة الوالى للفتح وهى نشر الإسلام بين البربر[9].

٧ ـ حملة بحرية الى صقلية.

وكان معاوية بن حديج أول من سير حملة بحرية إلى جزيرة صقلية بقيادة عبدالله ابن قيس عدتها مائتى مركب استغرقت شهراً ثم عادت إلى إفريقية بغنائم كثيرة وأرسل الخمس إلى الخليفة معاوية بن أبى سفيان[10].

---

(١) ابن الدباغ ١/ ٤١ . السلاوى ١/ ٣٦ . ابن ابى دينار، ص٢٨ . حسين مؤنس : فجر الأندلس، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٥٩م، ص٣٩ . اسماعيل سرهنك : تاريخ دول المغرب، تقديم حسن الزين دارالفكرالحديث، بيروت، ١٩٨٨م، ص٢١ . ـ اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار، الجزء الأول، ص٢٧٦ .

(٢) المالكى ١/ ١٩ . البكرى، ص١٩ . ابن ابى دينار، ص٢٩ .

(٣) عبد العزيز الثعالبى، ص٤٢ .

(٤) محمود شيت خطاب ١/ ٨٠ .

(٥) المالكى ١/ ١٩ .

(٦) حسن حسنى عبدالوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، الجزء الأول، مكتبة المنار، تونس، ١٩٦٥م، ص٤ . هامش(١).

(٧) خليفة بن خياط، ص٢٠٧ . المالكى ١/ ١٩ . التجانى، ص٣٢ ـ ٣٣ .

(٨) رياض النفوس ١/ ١٩ .

(٩) السلاوى ١/ ٣٦ . اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار، الجزء الأول، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٣١٢هـ، ص٢٧٦

(١٠) ابن عذارى ١/ ١٧ . ابن ابى دينار، ص٢٨ . الباجى المسعودى، ص٥ . السلاوى ١/ ٣٦ .

٨ـ فتح جلولاء

وأرسل ابن حديج جيشاً لفتح جلولاء بقيادة عبدالملك بن مروان " فحاصرها أياماً فلم يضع شيئاً فانصرف راجعاً فلم يسير إلا يسيرا حتى رأى في ساقة الناس غباراً شديداً فظن أن العدو قد طلبهم فكر جماعة من الناس لذلك بقي من بقي على مصافهم وتسرع سرعان الناس فإذا مدينة جلولاء قد وقع حائطها..فدخلها المسلمون وغنموا مافيها [1] ". ويشير خليفة بن الخياط إلى أن عبدالملك بن مروان لما حاصرجلولاء نصب عليها المجانيق [2]. وينسب بعض المؤرخين فتح جلولاء إلى معاوية بن حديج [3].

---

(١) ابن عبدالحكم ، ص١٩٣ . البكري، ص٣٤ . المالكي١/ ١٨ . ابن عذاري ١/ ١٩ . النويري٢٤/ ٢١ . ابن الدباغ ١/ ٤٠ ابن الأبار ١/ ٢٩ ـ ٣٠ . ابن خلدون ٤/ ١٨٥ . ابن ابي دينار ، ص٢٨ .

(٢) خليفة بن الخياط ص٢١٦ .

(٣) المالكي١/ ١٨ . ابن عذاري١/ ١٧ .

(٤) خط سير حملة معاوية بن حديج

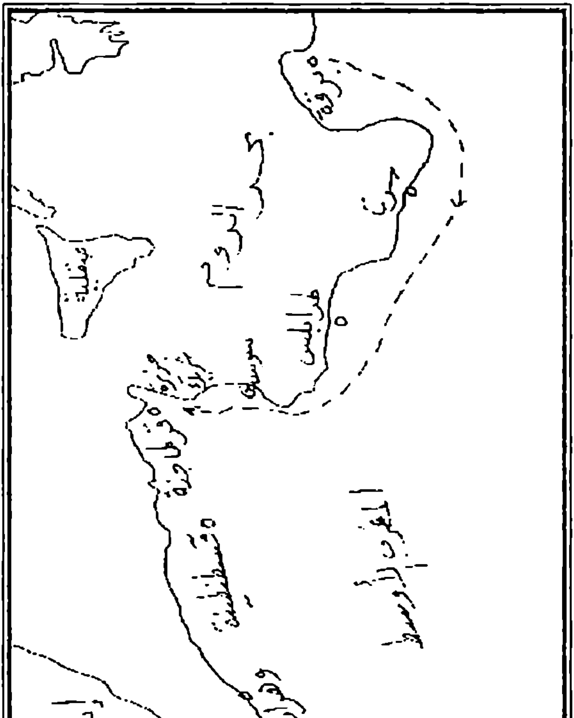

المصدر: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص ١٢٠.

٩ـ مشكلة توزيع الغنيمة

اختلفت الآراء حول تقسيم الغنيمة بين الجند الإسلامي فكان البعض يرى أحقية السرية التي قامت بالفتح بالغنيمة كلها، والبعض الآخر يرى أن توزع على كافة الجند يقول النويرى " وانصرف عبدالملك إلى معاوية وهو معسكر بالقرن ينتظره فلما أتاه بالغنائم أختلفوا فيها. فقال عبد الملك " هي لاصحابي خاصة " وقال ابن حديج " بل لجماعة المسلمين " وكتب معاوية بن حديج إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان[١] فجاء جواب الخليفة معاوية مؤيداً لرأى ابن حديج بتقسيم الغنمية على كل الجنود[٢]: " ان العسكر رد السرية فقسم ذلك بينهم "[٣]. وبلغ سهم الفارس ثلاثمائة دينار[٤] بينما يحددها ابن عذارى[٥] بمائتي مثقال، أما ابن عبدالحكم[٦] يقول " وأصاب رجل منهم مأتى دينار وضرب للفرس بسهمين ولصاحبه بسهم". ولم يتمكن معاوية بن حديج من استكمال فتح إفريقية حيث عزله الخليفة معاوية ابن أبي سفيان سنة ٥٠هـ/٦٧٠م وأقره على ولاية[٧] مصر وعين على إفريقية عقبة بن نافع الفهرى[٨].

(١) النويرى ٢٤/ ٢١. ابن عبدالحكم، ص١٩٣. حسين مؤنس ١/ ٨٥.

(٢) النويرى٢٤/ ٢١.

(٣) ابن عبدالحكم، ص١٩٣. البكري، ص٣٢.

(٤) النويرى٢٤/ ٢١.

(٥) البيان المغرب١/ ١٦.

(٦) فتوح مصر واخبارها، ص١٩٣.

(٧) لم تطل ولاية معاوية بن حديج على مصر حيث عزل وعين بدلاً منه مسلمة بن مخلد الأنصارى. (المالكى ١/ ١٩).

(٨) ابن عذارى ١/ ١٩. النويرى٢٤/ ٢١. ابن أبي دينار، ص٢٩. السلاوى١/ ٣٦. السيد عبدالعزيز سالم، ص١٠١.

الفصل الثالث

تثبيت الفتح

أولا : ولاية عقبة بن نافع الأولى (٥٠- ٥٥هـ/ ٦٧٠- ٦٧٤م)

١- التعريف بعقبة بن نافع

هو عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهرى ولد فى عهد الرسول (ﷺ)(١) ينتمى إلى بنى فهر الذين لهم ماض مشرف فى حروب ا لفتح وأقرباؤه وعلى رأسهم عمرو بن العاص هم أبرز قادة الفتح. ولقد نشأ فى بيئة إسلامية خالصة ذات طابع عسكرى. وشارك بفعلية فى العصر الذهبى للفتح الإسلامى(٢). دخل المغرب مع ابن خالته عمرو بن العاص وكان يؤمذاك فى بداية مرحلة الشباب فى حدود الرابعة عشرة من عمره. ومن المحتمل انه كان بصحبة والده نافع بن عبد القيس الذى سار لحرب النوبة مع عبد الله بن سعد، ومن المحتمل أن يكون دخل برقة عن طريق الصعيد أو الفيوم(٣).

اسند معاوية بن أبى سفيان ولاية إفريقية إلى عقبة بن نافع الفهرى بعد أن عزل معاوية بن حديج. ومن المعروف أن عقبة كان من أوائل الجند الإسلامى الذين اشتركوا فى حملة عمرو بن العاص سنة ٢٣هـ/٦٤٣-٦٤٤م على برقة ولم يغادرها طيلة ربع قرن من الزمان حيث أبلى بلاءً حسناً فقام ببعض الفتوح(٤). وكان عقبة مقيما ببرقة وزويلة منذ ولاية عمروبن العاص(٥). ولقد وصف المؤرخين العرب عقبة بن نافع برجل الدين الورع " وعقبة المستجاب "(٦).

---

(١) ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة، المجلد الرابع، تحقيق/ محمد إبراهيم البنا وآخرين، دار الشعب، القاهرة (د-ت) ص٥٩-٦٠.

(٢) محمود شيت خطاب١/ ٩٣-٩٤.

(٣) سعد زغلول١/ ١٧٦.

(٤) ابن الأثير٣/ ٢٣٠. النويرى٢٤/ ٢١-٢٢. . سعد زغلول عبدالحميد ١/ ١٧٦.

(٥) ابن الأثير ٣/ ٢٣٠. ياقوت ٤/ ٤٢٠. النويرى ٢٤/ ٢١.

(٦) البلاذرى١/ ٢٦٩. ابو العرب، ص٥٧. ابن الأبار٢/ ٣٢٣. ابن عذارى ١/ ٢١. . ياقوت ٤/ ٤٢١. ابن الأثير ٣/ ٢٣٠ النويرى ٢٤/ ٢٢. أبو العرب : كتاب المحن، تحقيق/ يحى وهيب الجبورى، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٨٨م، ص٢٧٧.

٢ـ غزوات عقبة فى الظهير الصحراوى لطرابلس وافريقية

قام عقبة بن نا فع بحملة فى صحراء طرابلس وإفريقية متزامنة مع حملة معاوية بن حديج فى المناطق الساحلية ونافذة بأمره. سيرا على خطة القادة العرب فى تأمين المناطق الصحراوية والساحلية معاً لأى خطر قد تتعرض له القوات الرئيسية من هذه المناطق[١] وهى:

أ ـ ودان: خرج عقبة بن نافع بعد معاوية بن حديج فى سنة (٤٦هـ/ ٦٦٦م) بصحبة قائدين من قادة المسلمين لهما خبرة بحرب الصحراء هما بسر بن أبى ارطاة وشريك بن سمى المرادى ونزل بمغمداس من سرت وترك عقبة جيشه هناك تحت إمرة عمر بن على القرشى وزهير بن قيس البلوى ثم سار بقوة مكونة (٤٠٠ فارس و١٠٠ بعير و ٨٠٠ قربة) حتى قدم ودان فافتتحها وفرض غرامة على ملكها؛ بدفع (٣٦٠ رأس) لنقضه للعهد الذى سبق عقده من قبل مع بسر أثناء حصار عمرو بن العاص لطرابلس[٢].

ب ـ جرمة: زحف عقبة من ودان إلى جرمة وهى مدينة فزان العظمى. ولما اقترب منها ارسل يدعوهم إلى الإسلام، فاجابوا ونزل على بعد ستة أميال وخرج ملكهم لمقابلة عقبة واتفق مع عقبة على دفع ضريبة قدرها نحو (٣٦٠ رأس) وفى الحال وجه عقبة تلك الصفقة إلى المشر ق[٣].

ج ـ كوار: واصل عقبة زحفه جنوبا إلى قصور فزان وفتحها حتى انتهى إلى خاوار ورد عند البكرى جاوان وهو قصر عظيم ويقع فى مفازة وعرة على ظهر جبل وهو قصبة كوار واتفق مع ملكها على دفع (٣٦٠ رأس) من العبيد[٤]. وسأل عقبة الدليل عن البلدان الواقعة إلى الجنوب من كوار فأخبروه بعدم معرفتهم فقفل عقبة راجعا وأقام بمكان اسمه ماء فرس واصاب المسلمين عطشاً شديداً أشفى منه عقبة وأصحابه على الموت فصلى ركعتين ودعا الله وجعل فرس عقبة يبحث برجليه فى الأرض حتى كشف عن صفاة فانفجر منها الماء. ونادى عقبة فى الناس واحتفروا وسمى ذلك المكان ماء فرس[٥]. ثم عاد

---

(١) ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص٦٢ ـ ٦٣.

(٢) ابن عبد الحكم، ص١٩٤ . البكرى، ص١٢ ـ ١٣.

(٣) ابن عبد الحكم، ص١٩٤ ـ ١٩٥ . البكرى، ص١٣ .

(٤) ابن عبد الحكم، ص١٩٥ . البكرى، ص١٣ . مجهول : الأستبصار ، ص١٤٦ .

(٥) ابن عبد الحكم، ص١٩٥ . البكرى، ص١٣ ـ ١٤ . مجهول : الأستبصار، ص١٤٦ ـ ١٤٧ .

عقبة مفاجئة من طريق مغاير للذى مر به على خاوار حتى اطمئنوا وفتحوا أبواب المدينة ثم فجئهم عقبة وطرقهم ليلاً فوجدهم مطمئنين واشتبك معهم عقبة وغنم ما فى المدينة[1].

لقد كانت عودة عقبة المفاجئة بجيشه إلى بلاد خاوار حركة بارعة جداً، طبق بها مبدأ المباغته بالزمان. فاطبق على خوار فى وقت لم يتوقعه أهلها. وبعد ذلك عاد عقبة ونزل بمو ضع زويلة ثم رحل إلى جند ه بعد خمسة أشهر.

ومن الجدير بالذكر، أن عقبة تغلغل فى الصحراء بقوات قليلة خفيفة لأن الحركة فى الصحراء صعبة جداً بقوات كثيرة لقلة المياه. ولأنه قدر أنه لن يصادف فى تغلغله قوات كبيرة لأن قوات الروم النظامية لن تستطيع القتال فى مثل هذا الميدان، وإنما ميدانها المناطق الساحلية التى تتوفر فيها المياه. فليس أمام عقبة غير قوات سكان الصحراء الاصليين[2]. وسار بجيشه متوجها إلى المغرب وتجنب السير على الطريق الساحلى التى تربط سرت بقابس إما لكثرة الحصون والمحارس فى هذه المنطقة الساحلية. وإما لأنه أراد ان يباغت أهل إفريقية باقتحامه بلادهم قادما من داخل الصحراء قبل أن يكونوا قد تهيأوا بعد لدفعه ومقاومته[3] وبعث عقبة فرقة من جيشه إلى غدامس ففتحها. ثم سار لفتح قفصة وقسطيلية ثم عاد عقبة إلى القيروان[4].

ومن الجدير بالذكر، أن الخليفة معاوية بن أبى سفيان كان على علم تام بما يدور على أرض المغرب وأيضا على دراية بجهود عقبة بن نافع الحربية[5].

لذلك عين عقبة بن نافع على ولاية إفريقية سنة (٥٠هـ /٦٧٠م) وأرسل إليه عشرة آلاف فارس وضم إليهم عقبة من أسلم من البربر[6]. والجيش المرابط بمدينة سرت ببرقة إضافة إلى الفرقة التى غزا بها فزان وكوار [7]

(١) ابن عبد الحكم، ص١٩٥ـ١٩٦. البكرى، ص١٤.

(٢) محمود شيت خطاب ١/ ١٠٠ـ١٠١.

(٣) السيد عبد العزيز سالم، ص١٢.

(٤) ابن عبد الحكم، ص١٩٦. البكرى، ص١٤. مجهول :الأستبصار، ١٤٧.

(٥) صالح ناطق مطلوب، وآخرون، ص٦٥.

(٦) ابن الأثير ٣/ ٢٣٠. النويرى ٢٤/ ٢٢.

(٧) السيد عبدالعزيز سالم، ص١١١.

وأدرك عقبة أن أمر الفتح الإسلامي لن يستقر إلا بتأسيس مدينة على أرض المغرب، لتكون مقراً للمسلمين ونقطة انطلاق لمواصلة سير الفتوحات الإسلامية. لذا شرع في بناء مدينة القيروان..ويمكن القول بعبارة أخرى أن تأسيس القيروان تعبير حقيقي عن استقرار الكيان الإسلامي في المغرب ومع ولاية عقبة بدأت ولاية إفريقية حتى وأن ظلت تابعة بعض الوقت لحكومة الفسطاط [1].

ومما لاريب فيه، أن إنشاء القيروان يدل على تفكير سياسي سليم لأن ذلك سوف يساعد على تحويل المغرب إلى جزء من دولة الإسلام وبذلك يكون قد تحقق الهدف الأسمى من حركة الفتوحات الإسلامية وبدون هذا تظل منطقة حدود ومغاز وسرايا[2].

ويبرهن بناء القيروان على فهم عقبة بن نافع العميق لنفسية أهل البلاد التي مكث في رحابها قرابة من ربع قرن من الزمان حيث قال: "أن أهل إفريقية إذا دخلها أمام أجابوه إلى الإسلام فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله على الكفر فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزاً للاسلام إلى آخر الدهر"[3].

الهدف من بناء القيروان

١ـ معنى كلمة القيروان :

كلمة القيروان مشتقة من اللغة الفارسية من كروان بمعنى القافلة وعربت على هذا الشكل وهي محط الجيش[4] أو لعلها مشتقة من معنى القيروان نفسه فعندما نزلها عقبة بن نافع ركز رمحه وقال "هذا قيروانكم"[5]. وكان هذا اللفظ معروفاً في الجاهلية بهذا المعنى إذ روى أن أمرئ القيس قال في وصف غارة له :-

وغارة ذات قيروان.... كان اسرا بها الرعال [6].

---

(١) هشام جعيط : تأسيس الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٤م، ص١٨.

(٢) حسين مؤنس : تاريخ المغرب ١/ ٨٨.

(٣) ابن عذارى ١/ ١٩ . النويري٢٤/ ٢٢ . مجهول: الأستبصار، ص١١٣ . المالكي١/ ٦.

(٤) ابو العرب : طبقات، ص٥٧ . هامش (٣). مجهول : الأستبصار، ص١١٣ ـ ١١٤.

(٥) ابن عبد الحكم، ص١٩٦ . خالد خليل حمودي : مدينة القيروان ومسجدها الجامع، مجلة المؤرخ العربي، العدد السابع عشر، ١٩٨١م، ص٢٥٧.

(٦) محمود شيت خطاب ١/ ١٠٣.

ومن معانى القيروان معظم العسكر، والقافلة من الجماعة، وموضع اجتماع الناس والجيش، ومحط أثقال الجيش، وقيل هو الجيش نفسه[1].

٢ـ موقع القيروان :

لم يعجب عقبة بالموضع الذى نزل فيه معاوية بن حديج قبله ونقل الناس إلى مكان جديد وكان عبارة عن واديا كثير الأشجار تأوى إليه الوحوش والسباع والهوام وركز رمحه وقال: "هذا قيروانكم "[2]. وقال بعض أصحاب عقبة "إنك أمرتنا بالبناء فى شعار وغياض لاترام، ونحن نرى الحيات والسباع وغير ذلك من دواب الأرض ".وتشير المصادر إلى وجود خمسة عشر رجلا وقيل فى رواية أخرى ثمانية عشر رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ. وسائر ذلك تابعون وتوجه عقبة بالدعاء إلى الله عز وجل واصحابه يؤمنون على دعائه، ثم مضى حتى وقف على الوادى ونادى: "أيتها الحيات والسباع ارحلوا فإنا أصحاب رسول الله ﷺ "ونظر الناس إلى أمر عظيم حيث وجدوا السباع تخرج إليهم من الشعراء تحمل أشبالها والذئب تحمل أجرواءه والحية أولادها سمعا وطاعة ثم نادى عقبة في الناس " كفوا عنهم حتى يرحلوا "[3]

ولقد تأثر البربر بما شاهدوه من تصرف عقبة واعتنق كثير منهم الإسلام[4] ثم شرع عقبة فى بناء القيروان سنة ٥٠هـ/٦٧٠م لتكون أول قاعدة للمسلمين فى إفريقية حيث علم بنوايا أهلها من خلال إقامته بينهم " أن أهل إفريقية إذ دخلها أمام أجابوه إلى الإسلام فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزاً للإسلام إلى آخر الدهر[5]..

---

(١) ياقوت ٤/ ٤٢٠ . حسين مؤنس :فتح العرب للمغرب، ص١٥٣ ـ ١٥٤ .

(٢) ابن عبد الحكم، ص١٩٦ .

(٣) المالكى ١/ ٧. ابن عذارى ١/ ٢٠ . ياقوت٤/ ٤٢ . القزوينى : آثار البلاد، ص٢٤٢ .النويرى ٢٤/ ٢٢ ـ ٢٣ .

(٤) ياقوت ٤/ ٤٢ .

(٥) ابن عذارى ١/ ١٩ . النويرى ٢٤/ ٢٢ . مجهول :الأستبصار، ص١١٣ . قارن المالكى ١/ ٦ .

٣ـ أهمية مكان القيروان

أ ـ اختار عقبة موضع القيروان بعيداً عن ساحل البحر المتوسط، لتجنب خطر الأسطول البيزنطى وليعطى الفرصة لسكانها للاستعداد لصد أى هجوم يقع عليهم من البحر.

ب ـ أن تكون غير متوغلة فى الصحراء خوفاً من بطش البربر، واختير موضع قريباً من السبخة لترعى الأبل فى مأمن[١]

ج ـ توفر مواد البناء حيث توجد فى سهول القيروان غابات من أشجار الزيتون وغيرها استغلت أخشابها بأمر عقبة فى البناء.

د ـ العوامل الطبيعية تتمثل فى خصوبة الأراضى السهلية من حولها حيث تعبرها أودية مهمة مثل وادى "مرق الليل " علاوة على استخراج المياه من الأبار القريبة[٢].

٤. أهمية بناء القيروان

ذكر ابن الدباغ[٣] مدينة القيروان بقوله: "أما القيروان فهى البلد الأعظم، والمصر المخصوص بالشرف الأ قدم. قاعدة الإسلام والمسلمين بالمغرب.."

وكان إنشاء القيروان علامة بارزة فى تاريخ الفتوح الإسلامية وسوف نرصد أهميتها فى النواحى التالية:

أ ـ الناحية الثقافية: سوف تصبح مركز لنشر الإسلام والثقافة العربية يتدفق منها العلماء والفقهاء[٤] إلى ربوع المغرب الفسيحة ويتضح ذلك جلياً من دعاء عقبة "اللهم إملاها علما وفقهاء وأعزها بالمطيعين والعابدين واجعلها عزا لدينك وذلاً على من كفر وأعز بها الإسلام وأمنعها من جبابرة الأرض"[٥].

---

(١) المالكى ١/ ٦. ابن عذارى١/ ١٩.

(٢) عبد العليم عبد الرحمن خضر، ص ٣٠٥ـ٣٠٦.

(٣) معالم الأيمان ١/ ٦.

(٤) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية فى إفريقية، الجزء الأول، النهضة المصرية ن القاهرة، ١٩٦٣م، ص٩٣.

(٥) المالكى ١/ ٦. الرقيق، ص٤٠. النويرى ٢٤/ ٢٣.

ب- الناحية العسكرية: لقد وفق عقبة في اختيار هذا الموقع الفريد الذى سيصبح مقراً للجند الإسلامي[1]. وقاعدة للعمليات العسكرية في المغرب لفتح ما تبقى من مدنه[2].

ج- نشر الإسلام: كان دور القيروان واضحا جليا في نشر الإسلام والتعريب بين قبائل البربر فشيوخها من أبناء الصحابة والتابعين كانوا خير دعاة وخير معين[3] لقد ترتب على بناء القيروان أعتناق كثير من البربر للإسلام يقول ابن الأثير[4] "ودخل كثير من البربر فى الإسلام واتسعت خطة المسلمين وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وأمنوا واطمأنوا على المقام فثبت الإسلام فيها " وسوف تصبح القيروان بمثابة مركز إشعاع دينى لتعليم أهالى البلاد شرائع الدين الإسلامي الحنيف[5].

ولما تم بناء القيروان سكنها جماعة من البربر الذين دخلوا فى الإسلام وأخذت تتكلم العربية وتستعرب وتسجل سنوات ولاية عقبة الأولى من سنة ٥٠-٥٥هـ الخطوة الأولى لقيام المغرب العربى الإسلامى[6].

ولقد وفد إلى القيروان الكثير من الصحابة وأقاموا بها يفقهون الناس بشئون دينهم كما دفن بها كثير ممن استشهد منهم لذلك نجد الرواة والكتاب يخلعون عليها ثوباً من القدسية[7].

د- الناحية التجارية: لم يغب عن ذهن عقبة أهمية التجارية للقيروان التى أخذت تزداد تدريجياً بمرور الوقت، بفضل وفرة الحاصلات الزراعية فى المنطقة المحيطة بها[8]

---

(١) القلقشندى :مآثر الأنافة فى معالم الخلافة، الجزء الول تحقيق / عبدالستار أحمد فراج،الطبعة الأولى، عالم الكتب،بيروت، ١٩٦٤ن،ص١١٥. .سليمان البارونى : الأزهار الرياضية فى أئمة الإباضية، الجزء الثانى، تحقيق / محمد على الصليبي، سلطنة عمان، ١٩٨٧ م، ص٣٨. ـ لمارمول كربخال : أفريقيا، الجزء الثالث، ترجمة / محمد على حجى وآخرين، الرباط، ١٩٨٩م، ص٩٧.

(٢) حسن أحمد محمود، ص٩٣.

(٣) ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص٦٨.

(٤) الكامل٣/ ٢٣٠.

(٥) حسن أحمد محمود، ص٩٣.

(٦) حسين مؤنس :تاريخ المغرب ١/ ٨٩.

(٧) حسن احمد محمود١/ ٩٣.

(٨) الزهرى : كتاب الجغرافية، ص١٠٩.

حيث تكثر أشجار الزيتون، التى عدها البكرى من عجائب القيروان[1] ووفرة المراعى الكافية للإبل والخيول، وسيلة النقل والترحال الوحيدة حينذاك، لترعى فى مأمن من عدوان البربر[2] فضلاً عن أهمية موقع القيروان فى الربط بين منطقتى الساحل والظهير الصحراوى. وقد شارك موقع القيروان الجغرافى والسياسى فى ربط المشرق بالأندلس بجنوبى أوربا عن طريق موان إفريقية مشاركة هامة فى تطور التجارة[3].

وأشاد الرحالة والجغرافيون العرب بمكانة القيروان التجارية على أنها من أجل[4]. مراكز التجارة، وأعظمها فى المغرب[5]، وهى فرضة المغربيين ومتجر البحرين[6] وما دمنا بصدد الحديث عن الأهمية التجارية للقيروان. ينبغى علينا ألا يفوتنا وصف الإدريسى[7] الرائع لها بقوله: "أم الأمصار، وقاعدة الأقطار. كانت أعظم مدن المغرب قطراً، وأكثرها بشراً، وأيسرها أموالاً وأوسعها أموالا، وأتقنها بناء وأنفسها همما وأربحها تجارة وأكثرها جباية ".

٥- التطور العمرانى للقيروان

وكان بناء القيروان فى البداية غاية فى البساطة وقد استعمل لتشيدها قراميد الأجر لوجود الطين المناسب على عين المكان ولخلو ضواحى العاصمة من الحجارة.

أ- دار الأمارة : ابتدى عقبة ببناء دار الأمارة.

ب- المسجد : شرع فى بناءه عقبة ولكنه لم يقم به أى بناء وكان يصلى فى أرضه دون أن يكون قد أقيمت فيه جدران[8]. ثم هدمه حسان بن النعمان فيما عدا المحراب وبناه

---

(١) البكرى، ص٢٦.

(٢) ابن الدباغ ١/ ٩. ابن عذارى ١/ ١٩ - ٢٠. السيد عبد العزيز سالم، ص١١٤.

(٣) الحبيب الجنحانى : القيروان، ص١٣٤.

(٤) الاصطخرى، ص٣٩. - ياقوت ٤ / ٤٢٠. - أبو الفداء، ص١٤٥. - القلقشندى ٥/ ١٠١.

(٥) ابن حوقل، ص٩٦.

- المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، ضبطه وصححه/ محمد سعيد العريان، وآخرين، مطبعة الاستقامة، القاهرة د.ت، ص٣٥٥. - مجهول : حدود العالم بين الشرق والغرب، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ١٩٩٩م، ص١٣٢.

Lopez : Medival trade in the Mediterranean world London, 1955, pp.53-53.

(٦) المقدسى ، ص٢٢٤.

(٧) نزهة المشتاق ١/ ٢٨٤. الحميرى ، ص٤٨٦ - مقديش : نزهة الأنظار فى عجائب التواريخ والأخبار، المجلد الأول، تحقيق / على الزوارى ومحمد محفوظ، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ص١١٥.

(٨) السيد عبد العزيز سالم، ص١١٩.

وحمل إليه الساريتين الحمراويين الوشايتين بصفرة. وشهد هذا المسجد توسعات في خلافة هشام بن عبد الملك[1].

ج - **تحديد القبلة:** اختلف الناس في تحديد القبلة على اساسه أول المساجد وقالوا: "إن جميع أهل المغرب يضعون قبلتهم على هذا المسجد. فاجهد نفسك في تقويمها!" واجتهد عقبة في تحديد اتجاه موضع القبلة ودعا عقبة الله أن يفرج عنه يقول ابن عذاري: طفاتاه في منامه، فقال له "إذا أصبحت، فخذ اللواء في يدك وإجعله على عنقك. فإنك تسمع بين يديك تكبيراً لا يسمعه أحد من المسلمين غيرك. فانظر الموضع الذي ينقطع عنك فيه التكبير: فهو قبلتك ومحرابك...." ولما استيقظ عقبة خرج إلى المسجد فتوضأ وأخذ يصلي وهو في المسجد ومعه أشراف الناس فلما انفجر الصبح، وصلى ركعتي الصبح بالمسلمين، إذا بالتكبير بين يديه. فقال لمن حوله: "اتسمعون ما اسمع" فقالوا "لا" فعلم أن الأمر من عند الله. فأخذا اللواء، فوضعه على عنقه. وأقبل يتبع التكبير، حتى وصل إلى موضع المحابز فانقطع التكبير فركز لواءه وقال: "هذا محرابكم! " فاقتدى به سائر مساجد المدينة[2].

د. **الدور والمساكن:** عمرت المدينة وأقبل الناس على السكن فيها وتعميرها وأقام فيها الجنود وأسرهم[3]. وبرزت معالم المدينة المختلفة الأخرى من منشآت دينية، وإدارية، وتجارية وصناعية. فضلاً عن الدروب، والساحات المعروفة بالرحبة[4]، والأرباض[5] والحمامات العمومية[6].

واختلف المؤرخون العرب في مساحة القيروان فقدرها كلاً من ابن عذارى[7] والنويري[8] بحوالي ١٣,٦٠٠ ذراع أما ابن الأثير[9] والسلاوى[10] قدروها بـ ٣,٦٠٠ ذراع.

---

(١) البكري، ٢٢. للالكي١/ ١٨.

(٢) ابن عذاري١/ ٢٠-٢١.

(٣) البلاذري١/ ٢٦٩. محمد محمد زينون: القيروان، ص٧٨.

(٤) الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، الجزء الثاني، ترجمة حادي الساحلي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٢، ص١٣-١٦، ١٧.

(٥) حسن حسني عبد الوهاب ١/ ١٥. - الهادي روجي إدريس٢/ ٢٣.

(٦) البكري، ص٢٦

(٧) البيان المغرب١/ ٢١..

(٨) نهاية الأرب ٢٤/ ٢٤.

(٩) الكامل٣/ ٢٣.

(١٠) الأستقصاء١/ ٣٧.

ويشير الدكتور سعد زغلول إلى أن المساحة الأولى التى ذكرها ابن عذارى والنويرى ٧,٠٠٠متر فهى معقولة بالنسبة إلى مساكن العسكر والقبائل ومن انضم اليهم من البلاد. أما المساحة الثانية والتى تقدر بحوالى ٥,٨٠٠ متر معقولة بالنسبة إلى خطة المدينة الأولى وإقامة الأسوار ووسائل الدفاع[١].

ومن الجدير بالذكر، أن عقبة أثناء قيامه ببناء القيروان كان يواصل إرسال السرايا لتوحيد سلطان العرب فى البلاد وتعود بالمغانم والأسلاب[٢]

وبعد أن مكث عقبة فى ولايته خمس سنوات قضى معظمها فى تأسيس القيروان ونشر الإسلام فى النواحى القريبة منها عزله مسلمة بن مخلد الأنصارى والى مصر وعين بدلاً منه أبى المهاجر دينار[٣] وقد فسر بعض الباحثين أسباب عزل عقبة عن ولاية إفريقية بسبب انشغاله ببناء القيروان عن الغزو فقلت الغنائم التى يبعث بها إلى ولاة المشرق وكانت كثرتها هى القياس الذى يقاس به اجتهاد القائد فى قيادته[٤] ولكننا لا نوافق على هذا الرأى لأن الخليفة معاوية أراد أن يكافىء مسلمة بن مخلد الذى كان من أبرز أعوانه[٥].

ثانيا: ولاية أبوالمهاجر دينار(٥٥ – ٦٠هـ/٦٧٤- ٦٨٠م)

١- التعريف بأبى المهاجر دينار

فى الواقع أن كتب التاريخ والتراجم صمتت عن ذكر أصل أبو المهاجر دينار ومولده ونشاته الأولى؛ لأنه ليس بصاحب ولا تابع ولا عربى. وإنما هو مولى وربما كان من أهل مصر أعتقه مسلمة بن مخلد أمير مصر وقربه إليه لذكائه وفطنته[٦]. وكان من طراز القادة البارعين فى ميدان الحرب والسياسة[٧]

(١) سعد زغلول عبدالحميد١/ ١٨٦،

(٢) ابن الأثير ٣/ ٢٣٠سعد زغلول عبد الحميد١/ ١٨٧..

ـ محمد محمد زيتون : القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية، ص٣٧

(٣) محمد محمد زيتون ، ص٣٧

(٤) عبد الوهاب بن منصور ١/ ١١١

(٥) محمود شيت خطاب: عقبة بن نافع، الطبعة الثانية، دار الأنسان، القاهرة، ١٩٧٠م، ص١٣٥

(٦) حسين مؤنس، ص ١٥٨

(٧) محمود شيت خطاب١/ ١٤٧.

ومما يلفت الانتباه أن تعين أبو المهاجر فى منصب الولاية وغيره فى المغرب كما حدث فى ولاية حسان بن النعمان وموسى بن نصير يقلل من الرأى الشائع عن بنى أمية أنهم لايثقون فى غير العرب ولا يعهدون فى أمر كبير إلى الموالى. وهنا نرى خلاف ذلك[1].

٢. تولية ابى المهاجر دينار

كان مسلمة بن مخلد الأنصارى الذى تولى إمارة مصر سنة ٤٧هـ/٦٦٧م من قبل الخليفة معاوية بن أبى سفيان أول من جمعت له شئون مصر والمغرب، وعين على ولاية المغرب مولاه أبى المهاجر دينار بدلاً من عقبة بن نافع[2].

ومن الثابت أن أبا المهاجر دينار تربطه علاقة وطيدة بسيده مسلمة الذى أراد أن يكافئه فأسند إليه ولاية المغرب[3]. ولما سئل مسلمة بن مخلد عن بقاء عقبة بن نافع لما يتميز بشجاعته فضلا عن بناءه لمدينة القيروان ومسجدها. رد مسلمة بقوله: "أن أبا المهاجر كما نرى إنما هو كأحدنا صبر علينا فى غير ولاية ولا كبير نيل فنحن نحب أن نكافئه ونصطنعه فوجهه إلى إفريقية...."[4]. وقبل أن يرحل أبو المهاجر إلى المغرب سنة (٥٥هـ /٦٧٤م) أوصاه مسلمة بالرفق فى عزل عقبة ونستند فى تدعيم هذا الرأى بقول ابن سعد[5] " لما ولى مسلمة بن مخلد أبا المهاجر إفريقية أوصاه بتقوى الله وأن يسير سيرة حسنة وأن يعزل عقبة أحسن العزل فإن أهل بلده يحسنون القول فيه. فخالفه أبو المهاجر فأساء عزله فمر عقبة بن نافع على مسلمة بن مخلد فركب إليه مسلمة يقسم له بالله لقد خالفه ما صنع ولقد أوصيته بك خاصة" ويرى بعض المؤرخين أن سبب عزل عقبة بن نافع يرجع إلى أسباب هى :

---

(١) حسين مؤنس : تاريخ المغرب ١ / ١١٧ .

(٢) ابن سعد ٨/ ٥٤٣ . ابن عبدالحكم، ص١٩٧ . البلاذرى ١/ ٢٧٠ . الطبرى٣/ ٢١٠ . ابن الأثير٣/ ٢٣٠ .
ابن الأبار٢٢/ ٣٢٤ . ابن الدباغ١١/ ٤٦ . ابن عذارى١/ ٢١ . النويرى٢٤/ ٢٤ . ابن خلدون٤/ ١٨٦ .
ـ ابن ابى دينار، ص٢٩ .

(٣) ابن سعد٨/ ٥٤٣ . ابن عذارى١/ ٢٢ .

(٤) ابن سعد٨/ ٥٤٣ . ابن عبد الحكم، ص١٩٧ . الرقيق، ص٣٩-٤٠ . ابن عذارى١ / ٢٢ .

(٥) الطبقات الكبرى ٨/ ٥٤٣ . ابن عبد الحكم، ص١٩٧ .

١ ـ سياسة العنف التى سلكها فى المغرب والتى لم تحوز على رضا مسلمة بدليل أن أبا المهاجر سار على نهج مغاير لعقبة[١] في التقرب من البربر والأفارقة واستئلافهم والتعاون معهم وجذبهم إلى الإسلام[٢].

٢ ـ خوف الخليفة معاوية بن أبى سفيان من تفكير عقبة فى الاستقلال بالمغرب وعلى الأخص بعد تشييد القيروان[٣].

٣ـ عزل عقبة

لما وصل أبى المهاجر إلى المغرب أساء عزل عقبة بن نافع حيث "اوقره قيد حديداً"[٤]. ويفسر أحد الباحثين تصرف أبو المهاجر دينار على هذا النحو بسبب شعبية عقبة في إفريقية بين العرب والبربر لذلك قدر أبو المهاجر أنه لن يستطيع السيطرة على ولايته بسهولة ويسر ما لم يحجز حرية عقبة ولو لفترة محدودة[٥]. ويبدو هذا التفسير معقول إلى حد كبير.

وعندما علم الخليفة معاوية بما نزل بعقبة كتب إلى أبى المهاجر يأمره باطلاق سراح عقبة وأرسله برسل من قبله حتى أخرجوه من قابس[٦]. وتشير المصادر على أن عقبة بمجرد فك سرحه مضى الى قصر الماء إحدى مناطق القيروان فصلى ركعتين ثم دعا وقال: "اللهم لا تمتنى حتى أتمكن من أبى المهاجر دينار. فلم يزل خائفاً منذ بلغته دعوته[٧]. وقد خاف أبو المهاجر دينار من دعوة عقبة فقال: "هو عبد لا ترد له دعوة[٨] ". ويرى الدكتور حسين مؤنس أن مسلمة بن مخلد هو المسئول عن الإساءة التى لحقت بعقبة بن نافع على يد أبى المهاجر دينار واستند فى رأيه إلى النزاع بين مسلمة وعقبة بن نافع على الولاية والشرف والحظوة لدى الخليفة معاوية. وعلى الرغم من سعى مسلمة إلى

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد ١/ ١٨٨.

(٢) حسين مؤنس: تاريخ المغرب ١/ ٩٠.

(٣) السيد عبد العزيز سالم، ص١٢٣.

(٤) ابن سعد٨/ ٥٤٣. ابن عبد الحكم، ص١٩٧. المالكى ١/ ٢١. ابن الأثير٣/ ٢٣٠. ابن الأبار ٢/ ٣٢٥. ابن الدباغ١/ ٤٦

(٥) محمود شيت خطاب: عقبة بن نافع الفهرى، ص١٤٣.

(٦) المالكى ١/ ٢١. ابن الدباغ ١/ ٤٦.

(٧) ابن عبد الحكم، ص١٩٧.

(٨) المالكى ١/ ٢١. ابن الدباغ ١/ ٤٦.

عقبة واعتذاره له ونفيه التهمة عن نفسه لا يعلل إلا أن مسلمة خشى أن يغضب معاوية عليه، حين يقص عليه عقبة ما نزل به من إساءة على يديه. فأسرع وألقى التهمة على أبى المهاجر دينار[1]. ويفهم مما ذكره ابن سعد[2] على لسان الخليفة معاوية بن أبى سفيان أن مسئولية عزل عقبة تقع على مسلمة بن مخلد فعندما بسط عقبة شكواه للخليفة معاوية اعتذر وقال: "قد عرفت مكانة مسلمة من الإمام المظلوم وتقديمه إياه على من سواه ثم قيامه بعد ذلك بدمه وبذل مهجة نفسه محتسباً صابراً على من أطاعه من قومه ومواليه وقد رددتك إلى عملك ".

وفى الواقع أن المصادر التاريخية تضاربت فى تلك القضية مما حدا بأحد الباحثين المحدثين أن يقر صراحة ويعترف بحيرته قائلا من المسئول؟ ثم قال أيلقيها على مسلمة بن مخلد وهو الآمر، أم على أبى المهاجر وهو المنفذ؟ ثم قال والأقرب للواقع إلقاؤها على الثانى لأن الشاهد قد يرى ما لايراه الغائب[3].

٤- بناء تيكروان وما نزل بالقيروان

سار أبى المهاجر دينار على رأس جيش من أهل الشام و مصر إلى قرطاجنة[4] ورفض أن ينزل فى القيروان وزحف خلفها بنحو ميلين على الطريق المؤدى إلى تونس[5] واختط مدينة تيكروان[6] وجد فى بنائها[7]. وأقام فيها قصراً للإمارة ومسجداً جامعاً وبعض المنشآت اللازمة لجنده[8]. وفى هذه المدينة الجديدة اختلط العرب والبربر بصورة كبيرة [9].

---

(١) حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب، ص١٥١ .

(٢) الطبقات الكبرى ٨/ ٥٤٣ . ابن عبد الحكم، ص١٩٧ ـ١٩٨ . ابن عذارى ١/ ٢٢ .

(٣) عبد العزيز الثعالبى، ص٤٧ .

(٤) المالكى ١/ ٢٠. ويوجد اضطراب فى رواية المالكى حيث ذكر أن أبا المهاجر نزل بفحص تونس، ويقال أنه نزل بسبخة. . .

(٥) ابن سعد ٨/ ٥٤٣ . ابن عبد الحكم، ص١٩٧ . ابن عذارى ١/ ٢٢ . ابن الدباغ ١/ ٤٧ . ابن أبى دينار، ص٢٩ .

(٦) أبو العرب، ص٥٧ . النويرى ٢٤/ ٢٥ . ابن أبى دينار، ص٢٩ .

(٧) ابن الدباغ ١/ ٤٧ .

(٨) السيد عبد العزيز سالم، ص١٢٨ .

(٩) حسين مؤنس :تاريخ المغرب ٩٠ .

ولقد اسرف المؤرخين في المبالغة لما حل بالقيروان على يد أبى المهاجر يقول ابن عذارى[1]: "أن أبا المهاجر أمر الناس أن تحرق القيروان ويعمروا مدينته..". ونميل إلى رأى الدكتور السيد عبد العزيز سالم فى شكه فى مسألة حرق القيروان التى أوردها بعض المؤرخين، لأن تدمير مدينة كالقيروان أخذ بناؤها من جهود المسلمين وقتاً طويلاً لايمكن أن يحدث بإيحاء من شخصية جليلة كمسلمة بن مخلد أو مولاه أبى المهاجر دينار[2].

أما النويرى[3] وابن الأبار[4] وابن الدباغ[5] وابن خلدون[6] أشاروا إلى أن أبا المهاجر أمر الناس بتخريب القيروان. بينما ذكر كل من ابن سعد[7] وابن عبد الحكم[8] إلى أن أبا المهاجر كره أن ينزل فى الموضع الذى اختطه عقبة.

ولو أن أبا المهاجر قد نزل بالقيروان نقمة الدهر وخرب دورها وهدم جامعها لقضى عقبة فى أعادتها زمنا طويلاً فى ولايته الثانية وينبغى أن نقول أنه نقل الناس من القيروان إلى مدينته فأصبها الأهمال[9].

وكان أبو المهاجر يهدف من ترك القيروان إلى موضع آخر يتقرب إلى البربر والإقامة فى إحدى قراهم لكى يشعرهم أن قيروانه لايمثل إحتلالاً أجنبيا لبلادهم[10].. واتخذ من البربر حرساً وأعوان[11].

---

(١) البيان المغرب ١/ ٢٢.

(٢) السيد عبد العزيز سالم، ص١٧٨.

(٣) نهاية الأرب ٢٤/ ٢٥.

(٤) الحلة السيراء ٢/ ٣٢٦.

(٥) معالم الأيمان ١/ ٤٧.

(٦) العبر ٤/ ١٨٦.

(٧) الطبقات الكبرى ٨/ ٥٤٣.

(٨) فتوح مصر والمغرب، ص١٩٧.

(٩) حسين مؤنس، ص١٧٠.

(١٠) السيد عبد العزيز سالم، ص١٢٨ ـ ١٢٩.

(١١) حسن حسنى عبد الوهاب ١/ ٥٠.

٥ـ أبو المهاجر أول من أقام بإفريقية

كان أبو المهاجر أول من أقام في إفريقية الشتاء والصيف واتخذها منزلاً، وكان الناس قبل أبي المهاجر يغزون إفريقية ثم يعودون منها إلى الفسطاط[1]. وينطوي عمل أبو المهاجر على مغزى عظيم وهو أن إفريقية أصبحت مقراً يقيم به المسلمون يطمئنون فيه دون أن يعودوا إلى مصر بعد كل غزوة [2]. أي أنها أصبحت رغم تبعيتها لمصر ولاية إسلامية مستقلة الشخصية بعض الشيء. وهذه الخطوة الأولى نحو ظهور ولاية إفريقية إسلامية. وقد صاحب هذا التغير السياسي الذي جد على المركز السياسي للبلاد تحول جوهري في سير الفتوح فيها، فقد أصبحت غاية الغزوات إتمام فتح المغرب. ومن الجدير بالذكر، أن الفضل الأول في التفكير في هذه الخطوة يرجع لعقبة بن نافع عندما عمل بكل طاقته على تأسيس القيروان[3].

٦ ـ دخول المغرب الأوسط

لما وصل أبو المهاجر إلى المغرب علم بالتعاون العسكري بين الروم البيزنطيين وكسيلة ابن لمزم[4]، زعيم قبيلة أوربة البرنسية حيث بدأوا يستعدون، لمنع توغل القوات الإسلامية في المغرب[5]. ولكي لا يسمح أبو المهاجر دينار لعدوه بالاستعداد التام. بادر بالزحف على رأس الجيش الإسلامي سنة (٥٠/٦٧٥م) إلى المغرب الأوسط وكان أول قائد إسلامي يدخله ووصل إلى موضع عرف بعيون أبي المهاجر[6]. واستمر في زحفه إلى تلمسان[7]. لمهاجمة القبائل البربرية في مواطنها الحصينة ليقضي على ما بدا له من

---

(١) ابن عبد الحكم، ص١٩٧ .

(٢) حسين مؤنس، ص١٥٦ .

(٣) محمود شيت خطاب ١/ ١٤٥ ـ ١٤٦ .

(٤) ورد خلاف بين المؤرخين حول اسم والد كسيلة . فهو كسيلة بن لمزم عند البكري، ص٧ وابن سعد ٨/ ٥٤٤ . وكسيلة بن ليوم. عندالرقيق،ص٤٩ . وكسيلة بن لهزم عند النويري٢٤/ ٢٩. وابو العرب: كتاب المحن، ص٢٧٦ .

(٥) ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص٦٩ ـ ٧٠ .

(٦) خليفة بن خياط، ص٢٢٦ . المالكي ١/ ٢١ . ابن خلدون ٤/ ١٨٦ . السلاوي ١/ ٣٧ .

(٧) ابن خلدون ٤/ ١٨٦ . القلقشندي : مآثر الانافة ١/ ١١٥ . السلاوي ١/ ٣٧ . حسين مؤنس : فجر الأندلس، ص٤٠ . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين، ص٣٧ . سعد زغلول عبد الحميد ١/ ١٩١ .

بوادر مقاومتهم، وكانت أول كتلة بربرية اصطدم بها هي كتلة أوربة أقوى قبائل البرنس في ذلك الحين، التي تدين بالنصرانية وكان زعيمهم كسيلة بن لمزم الأوربي[1]. من أهل المغرب الأقصى الذي حشد حوله البربر والفرنج وزحف لملاقاة المسلمين؛ فزحف إليهم أبو المهاجر وهزمهم حول تلمسان [2].

---

(1) حسين مؤنس، ص٤٠.

(2) ابن عذارى ١/ ٢٨ ـ ٢٩. السلاوي ١/ ٣٧.

(٥) خط سير حملة ابى المهاجر دينار

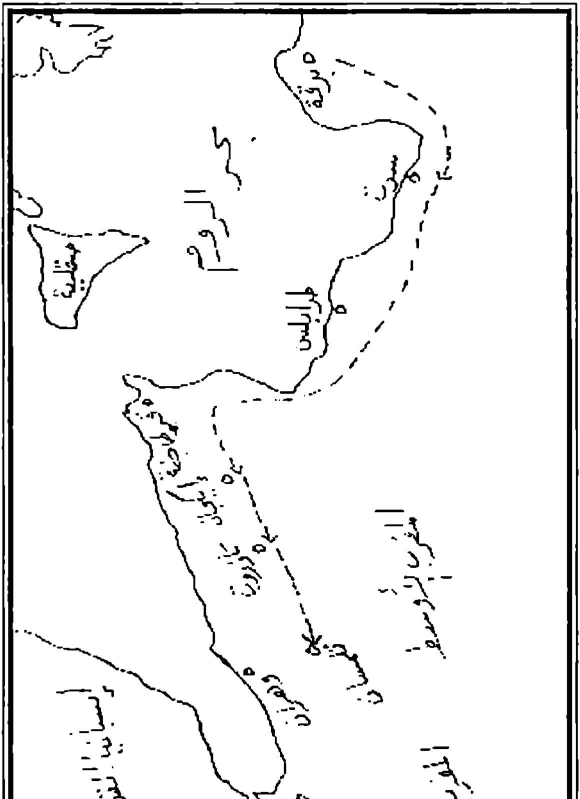

المصدر: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص ١٢٠.

٧ـ علاقة أبي المهاجر بكسيلة

بعدما تغلب أبو المهاجر على تحالف البربر والروم حرص على إستمالة كسيلة إلى الإسلام فأظهر إسلامه[١]. يقول ابن خلدون[٢]: "واسلم على يديه كسيلة الأوربي". وأحسن إليه أبو المهاجر واتخذه صديقا[٣]. ولقد وفق أبو المهاجر في هذه السياسة تماما وسار على منهاج الرسول (ﷺ) في استيلاف قلوب جبابرة العرب إلى الإسلام[٤].

ومما لا شك فيه أن لإسلام كسيلة كان حادثاً عظيماً له معناه وأثره العظيم حيث تبعه نفر كبير من قومه وعاد به إلى القيروان[٥].

٨ـ فتح قرطاجنة وتسليم جزيرة شريك للمسلمين

عندما قدم أبو المهاجر إلى إفريقية صالح عجم إفريقية[٦]. ويذكر أحد الباحثين أن العجم يقصد بهم هنا الروم أو الجماعات الموالية لهم مثل الأفارقة[٧]. ويبدو أن اؤلئك العجم قد انتهزوا فرصة خروج أبي المهاجر إلى تلمسان ونقضوا الصلح ولذا عاد أبو المهاجر متجهاً على وجه السرعة إلى قرطاجنة[٨]. وفتحها سنة (٥٩هـ /٦٧٩م) حيث دار قتال عنيف بين المسلمين والروم.يصفه خليفة بن خياط[٩]. بقوله: " فالتقوا فكثر القتل والجرح في الفريقين وحجز الليل بينهم وانحاز المسلمون من ليلتهم فنزلوا جبلاً في قبلة تونس ثم عادوهم القتال ".

ولم يرجع عنها إلا بعد أن تنازل الروم له عن جزيرة شريك[١٠]، ونزل المسلمين فيها بقيادة حنش بن عبد الله الصنعاني[١١]، وكان هدف أبي المهاجر فتح جزيرة شريك أن

---

(١) نفسه١/ ٢٨.

(٢) العبر ٤/ ١٨٦.

(٣) ابن مقديش ١/ ٢١٢.

(٤) المالكي ١/ ٢٦. ابن الأثير٣/ ٣٠٨ـ٣٠٩. النويري٢٤/ ٣٠.

صلاح أحمد عبد خليفة :الموالي في بلاد المغرب (٢) أوضاعهم الاجتماعية ـ مشاركتهم السياسية. ص٢٩١. بحث منشور بمجلة التاريخ والمستقبل، كلية الآداب ـ جامعة المنيا عدد يناير ٢٠٠٢.

(٥) حسين مؤنس : فجر الأندلس، ص٤٠

(٦) المالكي ١/ ٢١. ابن الدباغ ١/ ٤٦.

(٧) سعد زغلول عبد الحميد ١/ ١٩١..

(٨) صلاح أحمد عبد خليفة ٢/ ٢٩٢.

(٩) تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٢٦.

(١٠) عرفت جزيرة شريك بهذا الأسم نسبة إلى شريك العبسي للذى كان والياً عليها. انظر ابن ابي دينار، ص٢٩.

(١١) أبو العرب، ص٨٠ ـ ٨١. الباجي المسعودي، ص٥. السلاوي ١/ ٣٧.

يراقب الروم ويصدهم إذا هموا بالمسير الى المسلمين أثناء غزوه للبلاد.لأن بإمكان قوة الروم المرابطة فى تلك المنطقة أن تهدد بسهولة ويسر خطوط مواصلات المسلمين فى حالة تغلغل قواتهم غرباً وجنوباً [١].

٩. فتح ميلة

سار أبو المهاجر إلى ميلة في الجنوب الشرقى لبجاية وتبعد عنها بحوالى خمسين ميلاً فوجدها مستعدة للقتال وفيها طائفة من البربر والروم متحصنين بها فتم له السيطرة عليها وفتحها[٢].

وعلى الرغم من أهمية الدور الذى قام به أبو المهاجر فى نشر الإسلام وجذب زعماء البربر - كما مر بنا - إلا أن المؤرخين العرب مروا عليه سريعا بما لا يتناسب مع ما قام به، والسبب فى ذلك يرجع إلى شغل الرواة بعقبة وتتبع أعماله[٣]. وربما كان مرجع ذلك إلى الفهريين من أقارب عقبة الذين كان لهم مركز ممتاز فى مصر والمغرب والأندلس، وكان منهم رواة واخباريون[٤].

ثالثا: ولاية عقبة بن نافع (الثانية) (٦٠-٦٤هـ/٦٧٩-٦٨٢م)

١. عتاب رقيق بين عقبة والخليفة معاوية بن أبى سفيان

لما عزل عقبة بن نافع عن إفريقية سنة ٥٥هـ/٦٧٤م رحل إلى دمشق، والتقى بالخليفة معاوية بن أبى سفيان وقال لهُ: "فتحت البلاد ودانت لى وبنيت المساجد واتخذت المنازل واسكنت الناس ثم أرسلت عبد الأنصار فأساء عزلى " فاعتذر إليه معاوية " قد رددتك إلى عملك والياً... ".

وعلى الرغم من وعد معاوية إلى عقبة بإعادته إلى ولاية إفريقية إلا أن الموقف ظل كما هو حتى تولى يزيد بن معاوية الخلافة وعلم بشكوى عقبة فأعاده والياً عليها[٥]. فى سنة (٦٢هـ /٦٨١م) وهى ولايته الثانية على إفريقية والمغرب كله. وقال الخليفة يزيد: "أدركها قبل أن تهلك وتفسد![٦]...".

---

(١) محمود شيت خطاب١/ ١٣٩.

(٢) محمود شيت خطاب ١/ ١٣٩ - ١٤٠.

(٣) حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص١٥٧.

(٤) سعد زغلول عبد الحميد ١/ ١٨٩.

(٥) ابن عبدالحكم، ص١٩٧. المالكى ١/ ٢٢. ابن الدباغ ١/ ٤٧. ابن عذارى١/ ٢٢. النويرى٢٤/ ٢٥.

(٦) ابن عذارى ١/ ٢٢ - ٢٣.

٢- عقبة يعود إلى إفريقية

عاد عقبة إلى ولاية إفريقية وانتزعها من مسلمة بن مخلد والى مصر[١]. وسار عقبة إلى القيروان فى عشرة آلاف فارس[٢]. وعزل أبا المهاجر دينار فأوثقه بقيد من حديد[٣]. "وغزا معهُ السوس وهو فى حديد![٤]." وأمر عقبة برد الناس إلى القيروان وشرع فى تعميرها" ونقل الناس إليها فعمرت وعظم شأنها[٥]". وركب عقبة ومعه قادة الجند وبعض الصحابة والتابعين ودار حول القيروان وهو يدعوا لها، ويقول: يارب! إملأها علماً وفقهاً أو إملأها بالمطعين لك! واجعلها عزا لدينك وذلا على من كفر بك[٦]".

ومما يسترعى الأنتباه فى سياسة عقبة فى ولايته الثانية أنهُ لم يلتزم بسياسة أبى المهاجر دينار التى أثبتت نجاحاً عظيماً ودخل كثير من بربر أوربة فى الإسلام. ولو أن عقبة أستجاب لذلك لهانت مهمته وأستكمل فتح المغرب بدون إهراق دماء المسلمين[٧].

٣- عقبة يخرج للجهاد

كان هدف عقبة استكمال فتح المغرب فترك على القيروان زهير بن قيس البلوى. وترك معه الذرارى والأموال واحضر أولاده وقال لهم: "إنى قد بعت نفسى من الله عز وجل فلا أزال اجاهد من كفر بالله[٨] .." وزحف عقبة إلى باغاية الواقعة بالقرب من جبل الأوراس وتمكن من هزيمة البربر والروم وغنم أموالهم[٩]. ثم مضى إلى مدينة المنستير

---

(١) نفسه، ص٢٢. السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين، ص٣٧.

(٢) المالكى١/ ٢٢.

(٣) ابن سعد ٨/ ٥٤٣. ابن عبدالحكم، ص١٩٨. المالكى١/ ٢٢. الرقيق، ص٤٠. ابن الأثير٣/ ٣٠٨.
ابن الدباغ ١/ ٤٧. ابن عذارى١/ ٢٣. النويرى ٢٤/ ٢٦. ابن أبى دينار، ص٣٠.

(٤) ابن سعد ٨/ ٥٤٣، . ابن عبدالحكم، ص١٩٨. المالكى ١/ ٢٢. الرقيق، ص٤٠. ابن عذارى ١/ ٢٣
ابن أبى دينار، ص٣٠.

(٥) المالكى١/ ٢٢. حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب، ص١٩٧.
- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب، ص١٣٣. محمد محمد زيتون : القيروان، ص٤١.

(٦) ابن عذارى ١/ ٢٣.

(٧) حسين مؤنس، ص١٨٠.

(٨) ابن الأثير٣/ ٣٠٨. قارن الرقيق، ص٤١. ابن عذارى ١/ ٢٣.

(٩) الرقيق، ص٤١. عبد الله : نص جديد، ص٢١٩. ابن الأثير٣/ ٣٠٨. ابن الدباغ ١/ ٤٤.
ابن عذارى١/ ٢٤. النويرى٢٤/ ٢٦.

وهى من أعظم مدن الروم[1]. ومضى عقبة إلى لميش[2] أقوى حصون الروم وأشتبك معهم فى قتال عنيف "وظن الناس أنهُ الفناء فهزمهم وتبعهم إلى باب حصنهم، وأصاب غنائم كثيرة[3]".

٤- فتح بلاد الزاب

واصل عقبة زحفه إلى بلاد الزاب "وهى بلاد واسعة فيها عدة مدن وقرى كثيرة فقصد مدينتها العظمى أربة[4]" وقاتل المسلمين أهلها على وادى المسيلة[5]، ولما علم الروم بمجىء عقبة لجأوا إلى حصنهم وهرب أغلبهم إلى الجبال ثم التقى مع الروم عند الوادى وقت المساء فكره قتالهم في الليل فوقف القوم ليلهم كله ساهرين فسماه الناس إلى اليوم "وادى سهر" واستعد في الصباح للقتال. واشتد وطيس القتال وتحولت دفة القتال لصالح المسلمين ويصور الرقيق مشهد انتصارهم بقوله: "فانهزم القوم وقتل فيها أكبر فرسان البربر فذهب عزهم من الزاب وذلوا آخر الدهر[6]. "وأصاب منهم غنائم كثيرة[7]"، وفقد الروم سيطرتهم على الزاب[8].

ومن الجدير بالذكر أن استيلاء المسلمون على إقليم الزاب وسيطرتهم على وادى المسيلة يعد نقطة تحول حاسمة في سير الفتوحات فى إفريقية فإلى الآن كانت الحرب دائرة بين البيزنطيين والعرب في حين وقف البربر على الحياد. فلما دخل العرب هذا الأقليم دخلوا إقليماً بربرياً من أقاليم الداخل واستولوا على منازل قبائل بربرية فشعر هؤلاء بأنهم أيضاً مقصودون بهذا الفتح [9].

---

(١) ابن عذارى١/ ٢٤.

(٢) وردت عند الرقيق، ص ٤٢ " المس ". وعند ابن ابى دينار ص ٣٠و السلاوى ١/ ٣٨ "لميس ".

(٣) ابن الرقيق، ص٤٢. النويرى ٢٤/ ٢٦.

(٤) ابن الاثير٣/ ٣٠٨. المالكى١/ ٢٣. . وردت بأسم " أذنة " عند بعض المؤرخين. أنظر. . الرقيق، ص٤٢. المالكى١/ ٢٣. ابن الدباغ١/ ٤٤. ابن خلدون ٤/ ١٨٦.

(٥) ابن عذارى١/ ٣١.

(٦) الرقيق، ص٤٣.

(٧) ابن خلدون ٤/ ١٨٦.

(٨) المالكى ١/ ٢٣.

(٩) حسين مؤنس: تاريخ المغرب، جـ١، ص٩٢.

ومن المعروف أن العلاقة كانت بين الروم والبربر سلبية فالروم يعتصمون بالسواحل والقلاع في الداخل ويساندهم قلة قليلة من أهل البلاد الذين تأثروا بالصبغة الرومانية واعتنقوا المسيحية. ولما وجد الروم انتصارات عقبة المتتالية فى الزاب أعتقدوا أنه لا جدوى من التصدى للعرب وحدهم ففكروا فى الأستعانة بالبربر فأجبوهم، وإن كنا لا نعرف أية بيانات عن جوهر الأتفاق الذى تم بين الروم والبربر[1]. ومما لا ريب فيه أن الخطر الإسلامى الذى أحاط ببلادهم هو الذى جعلهما يعاونا على مقاومة المسلمين. وانتقل عقبة من الزاب إلى مدينة تاهرت[2] ووجد أن الروم والبربر يقفون صفاً واحداً لمقاومة عقبة[3] ونشب قتالاً عنيفاً بين المسلمين من جهة والبربر والروم من جهة أخرى وكان عددهم يفوق القوة الإسلامية يقول ابن الأثير[4] "واشتد الأمر على المسلمين لكثرة العدو ثم نصرهم الله فانهزمت الروم والبربر...". وعلى الرغم من قلة عدد المسلمين بالمقارنة بالروم والبربر فأنهم لم يصمدوا كثيراً فى ميدان القتال وانتهى أمرهم بين قتيل أو فار[5].

٥ ـ فتح المغرب الأقصى

ولما همّ عقبة بدخول المغرب الأقصى نصحه أبو المهاجر بالإنصراف من طنجة لأن قبيلة أوربة البرانسية قد أسلمت بإسلام كسيلة وليس هناك ما يدعو لغزوها ونصحه بأن يبعث مع كسيلة والياً فأبى عقبة[6]، وكان أول قائد عربى مسلم يدخل المغرب الأقصى[7] وفتح مدينتى سبتة[8] وطنجة[9] وكان يلى طنجة رجل يدعى يليان[10] يملك ساحل

---

(١) سعد زغلول عبدالحميد ١/ ١٩٦ ـ ١٩٧.

(٢) تاهرت اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لاحداهما تاهرت القديمة وللأخرى تاهرت المحدثة..
لمزيد من التفاصيل أنظر : ياقوت٢/ ٧.

(٣) الرقيق، ص٤٣. المالكى١/ ٢٣. ابن الأثير٣/ ٣٠٨. ابن الدباغ ١/ ٤٨. ابن عذارى ١/ ٢٥ ـ السلاوى١/ ٣٨.

(٤) الكامل٣/ ٣٠٨.

(٥) المالكى ١/ ٢٤.

(٦) حسين مونس : فتح العرب للمغرب، ص١٨٠. السيد عبدالعزيز سالم، ص١٣٨.

(٧) عبدالله : نص جديد، ص٢١٩. السلاوى ١/ ٣٨.

(٨) بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب، وهى تقابل جزيرة الأندلس. أنظر : ياقوت٣/ ١٨٢.

(٩) طنجة بلد على ساحل المغرب مقابل الجزيرة الخضراء.. أنظر : ياقوت٤/ ٤٣.

(١٠) يشك الدكتور حسين مونس فى أن يكون يليان هو صاحب طارق بن زياد بعد ذلك بثلاثين سنة وان هذا الأمر يحتاج إلى ما يعززه، وأنه درجت عادة العرب فى تسمية الأعلام الأجنبية فكل من وجد فى القسطنطينية هرقل، وكل من وجد فى مصر مقوقس وكل من وجد فى إفريقية جرجير وكل من أقام على طنجة يليان.....
ـ حسين مونس : فتح العرب للمغرب، ص ١٩٣ ـ ١٩٤.

المجاز بسبتة وهو من أشراف ملوك الروم ولاطف عقبة وأهداه هدايا حسنة ونزل على حكمه[1]، ولما سأله عقبة عن بحر الأندلس. فقال له: "إنه محفوظ لا يرام" فقال له: "دلني على البربر والروم" فقال قد تركت الروم خلفك، وما قدامك إلا البربر وفرسانهم" قال له: " وأين موضعهم؟". قال في السوس الأدنى وهم قوم ليس لهم دين ولم يدخلوا النصرانية يأكلون الميتة ويشربون الدم من أنعامهم وهم أمثال البهائم ويكفرون بالله عز وجل ولا يعرفونه[2]" ويشير الدكتور حسين مؤنس إلى أن يليان لم يكن برومي ولا بربرى فقد قال لعقبة "إن الروم وراءه وإن البربر أمامه[3] ثم أن تحذيره لعقبة من العبور إلى الأندلس يدل على أنهُ كان حريصاً على أن يجنب الأندلس من المسلمين، ولايتفق هذا إلا إذا كان يليان من أهل الأندلس ومن يهمهم أمره، وهذا يؤيد القول بأنهُ قوطي معين من قبل القوط في إسبانيا، وكان عليه أن يحرس البلاد من كل معتدى عليها[4]. ومن الثابت أن عقبة أقتنع برأى يليان ورسم خطته العسكرية بناء على ذلك فشن عقبة هجومه على السوس الأدنى: "فلقى البربر فى عدد لا يعلمه إلا الله تعالى فانهزموا فقتلهم قتلا ذريعا وأمعنت خيل المسلمين فى البلاد والسواحل وسبوا النساء وغنموا الأموال فبلغت الجارية الرومية بالمشرق منهم ألف دينار"[5]. وفر من أمامه البربر إلى السوس الأقصى حيث حشد البربر قوة كبيرة فتمكن عقبة من هزيمتهم وسار حتى بلغ المحيط الأطلنطى فدخل فيه وبلغت الماء بطن فرسه فرفع يديه إلى السماء قائلاً "يارب لولا أن البحر منعنى لمضيت فى البلاد إلى مسلك ذى القرنين مدافعاً عن دينك مقاتلاً من كفر بك [6]...".

ومضى عقبة إلى موضع يعرف بماء فرس[7] ثم سلك فى طريق عودته إلى إفريقية على إيغيران يطوف ومنها إلى تازنا ثم إلى موضع شاكر وبلاد دكالة ودعاهم إلى الإسلام فأبوا وقاتلهم عقبة ثم عاد إلى بلاد دكالة وإلى هسكورة [8].

---

(١) الرقيق، ص٤٥. ابن الأثير٣ / ٣٠٨. ابن الدباغ ١ / ٤٦. ابن عذارى ١ / ٣٦. النويرى٢٤ / ٢٨.

(٢) الرقيق، ص٤٥.

(٣) نفسه، ٤٥.

(٤) حسين مؤنس ، ص١٩٢.

(٥) المالكى١ / ٢٤. الرقيق، ص٤٦. ابن عذارى٢٧.

(٦) ابن الأثير٣/ ٣٠٨. ابن الدباغ١/ ٤٦ـ ٤٧. ابن عذارى١/ ٢٦ـ ٢٧. النويرى٢٤/ ٢٨.

(٧) ابن الأثير٣/ ٣٠٨. النويرى٢٤/ ٢٨.

(٨) عبد الله : نص جديد، ص ٢١٩ ، ٢٢٠. ابن عذارى١/ ٢٧ـ ٢٨.

٦- انتشار الإسلام

وعلى الرغم من اهتمام عقبة بالفتح فلم ينس فى تلك الجولة دعوة أهالى تلك البلاد إلى الإسلام، وهو الهدف الرئيسى لتلك الفتوحات كما أسس مساجد فى إيجلى بالسوس، وبدرعة والسوس الأقصى، ووادى نفيس[١].

(١) ابن عذارى ١/ ٢٧.

خريطة رقم (٦) خط سير حملة عقبة بن نافع الثانية

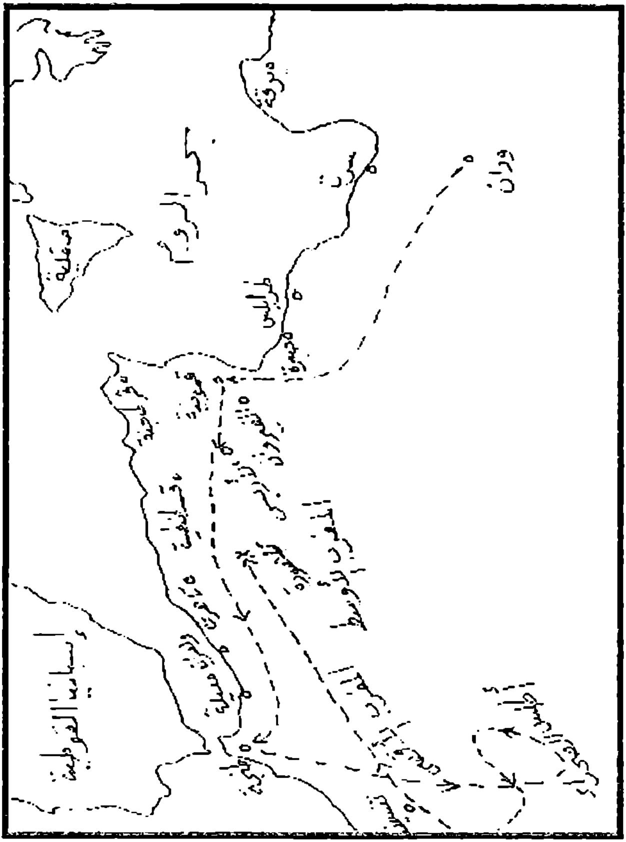

المصدر: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص ١٢٠.

٧- لقاء تهوده

يشير المؤرخون إلى أن عقبة أهان كسيلة وأمره بسلخ الأغنام مع السالخين، مما جعل كسيلة يضمر السوء للمسلمين " فكان كلما دحس فى الشاة مسح يده بلحيته، مما علق بيده من بلل ذلك، وجعل العرب يمرون عليه وهو يسلخ ويقولون له "يابربرى، ما هذا الذى تصنع؟ "فيقول" هذا جيد للشعر "فمر به شيخ من العرب فقال" كلا إن البربرى يتوعدكم " فقال أبو المهاجر لعقبة " أصلح الله الأمير ما هذا الذى صنعت ؟ كان رسول الله ﷺ يستألف جبابرة العرب كالأقرع بن حابس التميمى، وعينية بن حصن وأنت تجىء إلى رجل هو خيار قومه فى دار عزه قريب عهد بالكفر فتفسد قلبه؟ توثق من الرجل فإنى أخاف فتكه!" فتهاون عقبة، فلما انصرف نكث البربر ما كانوا عليه وأقبلت النفرة إلى عقبة، فقال لهُ أبو المهاجر "عاجله قبل أن يجتمع أمره" فزحف إليه عقبة فتنحى من بين يديه فقال البربر لكسيلة "لم تهرب من بين يديه ونحن فى خمسين ألفا وهو فى خمسة ألاف" فقال "إنكم كل يوم فى زيادة وهو فى نقصان ومدد الرجل قد افترق عنه، فإذا طلب إفريقية زحفت إليه"[1]. وفر كسيلة من قيده الحديدى ولا ندرى فى أى موضع وتزعم المقاومة.

ونجد أنفسنا فى مواجهة سؤال يطرح نفسه فى إلحاح لماذا لم يستجب عقبة بن نافع لنصيحة أبى المهاجر دينار.؟ فى الواقع أن عقبة من القادة الذين يقسون على رؤساء أعدائهم ليكونوا عبرة لأمثالهم فلا يقدمون على محاربة المسلمين. وقد كان خالد بن الوليد يطبق نفس المبدأ فى حربه مع الفرس والروم، فنجح خالد وفشل عقبة، لأن الفرس والروم لم يكونوا قبائل تعتز بالكرامة الشخصية وتؤمن بأخذ الثأر.

أما البربر كانوا يجلون رؤسائهم ويدينون لهم بالطاعة وتعتبر كل اعتداء عليهم اعتداء على قبائلهم. ويرون أن التغاضى عن الأخذ بتلك التقاليد عاراً. لذلك اشتد غضبهم عندما وجدوا كسيلة فى موضع المذلة والهون[2].

---

(١) المالكى ١/ ٢٦. ابن عذارى ١/ ٢٩. ابن الأثير ٣/ ٣٠٨-٣٠٩. النويرى ٢٤/ ٣٠.

(٢) محمود شيت خطاب ١/ ١٢٨.

ولما وصل عقبة إلى طبنة أذن لجنده بالعودة إلى القيروان على هيئة أفواج وسار في قلة من جنده إلى تهوده. وفسرت المصادر هذا التصرف من عقبة على أنه ثقة بما احرزه من انتصارات[1]. أم أن عقبة تسرع في هذا الأمر. أم أنه شعر بتهديد البيزنطيين للقيروان[2]. وانتهز الروم تلك الفرصة وأغلقوا أبواب حصنهم وقذفوه بالحجارة وهو يدعوهم إلى الإسلام. وأرسل الروم إلى كسيلة بن لمزم الأوربي للإنضمام إليهم فلبى دعوتهم وتسانده قبائل البرانس[3]. وعند تهودة دار اللقاء الحاسم بين المسلمين والروم والبربر، واشتد القتال وطلب عقبة من أبي المهاجر أن يفك أسره من الحديد ليلحق بالقيروان ويقم بأمر المسلمين فرفض أبو المهاجر حباً في طلب الشهادة، وتمثل بقول أبي محجن الثقفي:

كفى حزنا أن تقرع الخيل بالقنا ... واترك مشدوداً على وثاقيا

إذا قمت عناني الحديد وأغلقت ... مصارع أبواب تصم المناديا[4]

وكسر عقبة والمسلمون أجفان سيوفهم واشتبكوا مع البربر فقتل المسلمون جميعهم وقد دافع عقبة ومن معه من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ولازل ذلك المكان الذي سقط فيه عقبة مقدسا إلى يومنا[5].

٨ـ الناجون من المسلمين

لم يفلت من مأساة تهوده من المسلمين إلا نفر قليل منهم محمد بن أوس الأنصاري[6]. ويزيد بن خلف العبسي[7] حيث خلصهم صاحب قفصه وبعث بهم إلى زهير بن قيس البلوي بالقيروان. وعزم زهير بن قيس البلوي على القتال وخطب في الناس، فقال: "يا معشر المسلمين إن أصحابكم قد دخلوا الجنة، وقد منّ الله عليهم بالشهادة فأسلكوا سبيلهم ويفتح الله لكم دون ذلك" ولكن رفض حنش بن عبد الله الصنعاني وقال "لا والله ما نقبل قولك، ولا لك علينا ولاية ولا عمل أفضل من النجاة بهذه العصابة من المسلمين

---

(١) ابن الأثير٣/ ٣٠٨. ابن الدباغ ١/ ٤٧ـ ٤٨. ابن عذارى١/ ٢٩ ـ ٣١. النويري٢٤/ ٢٩.

(٢) دائرة المعارف التونسية ٤/ ٦٤.

(٣) المالكي١ / ٢٧. ابن الأثير ٣/ ٣٠٩. النويري٢٤ / ٣١.

(٤) ونجد بعض الأختلاف عما ذكره المالكي في نقل بعض كلمات هذين البيتن عند ابن الأثير والنويري.

(٥) محمد عبدالسلام عبود: تاريخ المغرب، الجزء الأول، المغرب، ص٦٤.

(٦) ابن الأثير ١/ ٣٠٩. ابن خلدون ٤/ ١٨٦. السلاوي ١/ ٣٨.

(٧) السلاوي١/ ٣٨.

إلى مشرقهم"[1]. وعاد إلى مصر فتبعه أكثر الناس فاضطر زهير إلى العودة إلى برقة وأقام بها مرابطا[2]. وزحف كسيلة إلى القيروان واستولى عليها. ووصف المالكي[3]. حال البلاد يومذاك: "وانقلبت إفريقية ناراً"، ولم يبق بالقيروان إلا الشيوخ والأطفال وطلبوا الأمان من كسيلة فأمنهم وأصبح حاكم إفريقية حتى خلافة عبدالملك بن مروان[4].

رابعا: زهير بن قيس البلوي (٦٩-٧١هـ/٦٨٨-٦٨٩م)

١ ـ القيروان تحت حكم كسيلة

لقد مر بنا أن عقبة بن نافع استشهد في معركة تهوده سنة (٦٢هـ/ ٦٨١م) وزحف كسيلة للإستيلاء على القيروان وحاول زهير بن قيس التصدى لقتال كسيلة لكن حنش بن عبدالله الصنعاني رفض تلك الفكرة وعاد إلى مصر واضطر زهير إلى العودة لبرقة وتبعه أكثر الناس[5]. وتخلف من المسلمين في القيروان كبار السن والنساء والأطفال وكل مثقل بالعيال وراسلوا كسيلة يطلبون منه الأمان فأمنهم ودخل القيروان. وأصبح كسيلة الحاكم الفعلي لإفريقية [6].

٢ ـ الظروف المحيطة بدار الخلافة في دمشق

ومما لاريب فيه أن المسلمين لم يفقدوا كل شئ بانسحابهم إلى برقة ومصر فقد تركوا هناك طائفة من البربر تحولت إلى الإسلام[7]. وكانت بمثابة شوكة في ظهر كسيلة. ومما لا شك فيه أن البلاط الأموى في دمشق تلقى أنباء إفريقية بمزيد من الأسى والحزن على ما حدث. ولم تكن الظروف مواتية للخليفة عبد الملك بن مروان لإستعادة زمام الأمور حيث كانت الدولة الأموية تمر بأصعب مراحل تاريخها فاختلت موازين الأوضاع في أقاليم الدولة رأساً على عقب ففي المدينة المنورة أعلن عبدالله بن الزبير نفسه خليفة وكاد

---

(١) ابن عذارى١/ ٣١.

(٢) ابن الأثير٣/ ٣٠٩. ابن عذارى١/ ٢٩ـ٣٠. ابن الدباغ١/ ٤٧ـ ٤٨.

(٣) المالكي ١/ ٢٨.

(٤) الرقيق، ص٤٦. ابن الأثير٣/ ٣٠٩. ابن عذارى١/ ٣١.

(٥) ابن الأثير٣/ ٣٠٩. ابن عذارى١/ ٣١. قارن ابن الأبار٢/ ٣٣٠ـ ٣٣١.

(٦) المالكي ١/ ٢٨. ابن الأثير٣/ ٣٠٩. ابن عذارى ١/ ٣١.

(٧) السيد عبدالعزيز سالم، ص١٤٦.

البساط ينسحب لصالحه من الأمويين في نفس الوقت الذى أشتدت فيها شوكة الخوارج والشيعة، ناهيك عن الثورات الأخرى التى أثرت سلبياً على قوة الدولة[1].

٣ ـ استرداد إفريقية من كسيلة

كان أمر الغرب الإسلامى يشغل ذهن الخليفة عبدالملك على الرغم من الظروف المحيطة به للأسباب التالية:

١ ـ كان عبدالملك أحد القادة الذين شاركوا فى فتوح إفريقية فى حملة معاوية بن حديج الكندى[2].

٢ ـ أفريقية إقليم هام من أقاليم الدولة لا تقل فى أهميتها عن أقاليم المشرق الإسلامى[3].

٣ ـ إلحاح كبار رجال المسلمين في الطلب من عبد الملك بن مروان؛ لتخليص إفريقية ومن بها من المسلمين من كسيلة[4].

٤ـ تعيين زهير بن قيس البلوى على ولاية إفريقية

اختار الخليفة عبد الملك بن مروان لولاية إفريقية زهير بن قيس البلوى وفسرت لنا المصادر سر هذا الأختيار: "هو صاحب عقبة وأعرف الناس بسيرته وأولاهم بطلب دمه". كما أن زهير رجل تميز بالتقوى والورع: "لا يصلح للطلب بثأر عقبة بن نافع من المشركين إلا من هو مثله فى دين الله عز وجل"[5].

وكان زهير بن قيس من رؤساء العابدين وأشراف المجاهدين، وأرسل إليه عبد الملك يطلب منه الخروج بمن معه من المسلمين من برقة لغزو إفريقية سنة (٦٩هـ/ ٦٨٨م)[6]، فسر لذلك زهير ولبى نداء الجهاد ولكنه طلب المدد من الخليفة عبد الملك[7]، حيث

---

(١) حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص٢١٧. السيد عبدالعزيز، ص١٤٧.
ـ عبدالحميد حسين حمودة: تاريخ الدولة الأموية، القاهرة ١٩٩٦م، ص٢٥.

(٢) أنظر ماسبق أن ذكرناه عن حملة ابن حديج.

(٣) حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص٢١٧.

(٤) ابن الرقيق، ص٤٧. النويرى٢٤/ ٣٢.

(٥) ابن عذارى١/ ٣١.

(٦) وردت عند الرقيق " سنة ٦٧هـ " ويتفق معه ـ ابن خلدون ٤/ ١٨٧.

(٧) المالكى١/ ٢٩.

أخبره زهير بكثرة حشود كسيلة من البربر والروم وطلب المدد بالمال والرجال؛ فأمده الخليفة عبد الملك بما احتاجه[1]، يقول المالكى[2]، أرسل عبد الملك أشراف العرب ليحشدوا إليه الناس من الشام وأفرغ عليهم أموال مصر فسارع الناس إلى الجهاد وأجتمع إليه خلق كثير وأمرهم أن يلحقوا بزهير فلما وصلوا خرج بهم إلى إفريقية... ".

٥- كسيلة يرحل عن القيروان وفكره العسكرى

ولما علم كسيلة بمجيء العرب إليه، حشد للقائهم جيشاً كثيفاً من البربر والروم وآثر الرحيل عن القيروان فقد أبدى تخوفاً كبيراً من موقف مسلمى القيروان نحوه عند وصول جيش العرب وخشى أن يقع بين عدوين عدو داخلى يتمثل فى مسلمى القيروان ومن يميل إليهم من البربر وعدو خارجى هم العرب. لذلك عزم كسيلة على مغادرة القيروان ودعا كبار مستشاريه من أشراف البربر موضحاً لهم خطته: "إنى رأيت أن أرحل عن هذه المدينة فإن بها قوماً من المسلمين؛ لهم علينا عهود ونحن نخاف، إن أخذنا القتال معهم أن يكونوا علينا. ولكن ننزل على موضع ممس[3]. وهى على الماء فإن عسكرنا فى خلق عظيم فإن هزمناهم إلى إطرابلس، قطعنا آثارهم، فيكون لنا الغرب الى آخر الدهر وإن هزمونا، كان الجبل منا قريباً والشعراء فنتحصن بهما[4] ".

ومما يلفت الأنتباه فى خطة كسيلة الحربية حرصه على توفر المياه فى ميدان القتال؛ لتزويد جيشه بحاجته من الماء. علاوة على أنه وضع اعتبار لقوة العرب على الرغم من كثرة جنده فى حالتى النصر والهزيمة. كما هو مبين من النص السالف الذكر.

---

(١) الرقيق، ص٤٧ ـ ٤٨. ابن عذارى ١/ ٣١. النويرى ٢٤/ ٣٢.

(٢) رياض النفوس، جـ١، ص٢٩، ٣٠. النويرى ٢٤/ ٣٢.

(٣) اختلف المؤرخين فى اسمها فهى عند المالكى: رياض النفوس، جـ١، ص٣٠ " بمس" وذكرها ـ ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص١٠٩ " مش" وابن خلدون: العبر، جـ٤، ص١٨٧ "ميس".

(٤) البيان المغرب، جـ١، ص٣٢ وانظر كذلك الرقيق، ص٥٠. المالكى ١١/ ٣٠. ابن الأثير ٣/ ٣٠٩. السيد عبدالعزيز سالم، ص١٤٩.

٦ـ موقعة ممش ونتائجها

ولما قدم زهير إلى إفريقية لم يدخل القيروان وعسكر فى ظاهرها على باب سالم[١] أو بقرية قرقشانة على حد قول المالكي[٢]. ومن الجدير بالذكر، أن قرار زهير فى البقاء خارج القيروان وعدم دخولها قراراً صائباً لأن دخول المدينة يؤدى إلى بعثرة قوات المسلمين للدفاع عنها. وبذلك تنقلب خطتهم الهجومية على جيش كسيلة إلى خطة دفاعية[٣]. وأعطى زهير مهلة لجنده للراحة لمدة ثلاثة أيام ثم توجه فى اليوم الرابع لخوض اللقاء الفاصل مع كسيلة والتقي الجيشان وطال أمر القتال وأسفر عن هزيمة ساحقة للبربر ومقتل زعيمهم كسيلة وطارد الجيش الإسلامى فلول البربر[٤] فى مرماجنة ووادى ملوية[٥]. وأفاض المؤرخين العرب فى وصف الخسائر الفادحة التى لحقت بالبربر. يقول ابن الأثير[٦]: "وفى هذه الواقعة ذهب رجال البربر والروم وملوكهم واشرافهم ". ويصف لنا السلاوى[٧] الخسائر الفادحة التى لحقت بالبربر "وفى هذه الوقعة ذل البربر من زهير فلجأوا إلى القلاع وكسر شوكة أوربة وأستقر جمهورهم بالمغرب الأقصى".

ومن المؤكد أن خطة كسيلة فشلت حيث لم يتمكن من الفرار إلى الجبال فمن المحتمل أن كسيلة وكبار قادة جيشه لقوا مصرعهم فى بداية القتال أو أن زهيرا أجاد توزيع قواته ساعة الهجوم فلم يستطع البربر تنفيذ ما كانوا عزموا عليه[٨]

ولقد ترتب على موقعة ممش كسر شوكة البربر البرانس وقضت على مقاومتهم، وقضت على ما كان معقوداً بينهم وبين الروم من تحالف على العرب (٩).

---

(١) الرقيق، ص٥١.

(٢) رياض النفوس، جـ١، ص٣٠.

(٣) محمود شيت خطاب ١/ ١٦٥.

(٤) ابن عبدالحكم، ص٢٠٠. المالكى١/ ٣٠. ابن الأثير٣/ ٣٠٩. ابن عذارى١/ ٢٣. النويرى٢٤/ ٣٢. ابن ابى دينار، ص٣٢، ٣٣.

(٥) السلاوى ١/ ٤٢. السيد عبدالعزيز سالم، ص١٥٠.

(٦) الكامل ٣/ ٣٠٩.

(٧) الأستقصاء، جـ١، ص٤٢.

(٨) حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص٢٢٤.

(٩) نفسه، ص٢٢٤.

٧ ـ أسباب عودة زهير للشرق

لما عاد زهير من ميدان القتال رفض الأقامة في القيروان، وعزم على الرحيل إلى الشرق، وبرر ذلك قدامى المؤرخين ماجاء على لسان زهير لما طلب منه العدول عن رأيه قال " أني قدمت إلى الجهاد وأخاف أن تميل إلى الدنيا فاهلك[1] ". وكان زهير من رؤساء العابدين وكبراء الزاهدين ترك القيروان تنعم بالأمن وبها كثيراً من أصحابه وقفل عائدا إلى الشرق " [2].

إن تفسير المصادر لعودة زهير للشرق يحتاج إلى مراجعة ولا يستند على أساس قوى[3]. لأن الزهد والورع الذى يخاف على نفسه فتنة الدنيا هو الذى يقيم على الثغور ويرابط في دار الحرب[4]. وقد كانت حتى أيام حسان بن النعمان دار حرب وجهاد. إذن فهناك سبب لا نعرفه هو الذى دفع زهيرا إلى هذا الرحيل المفاجيء ومن المحتمل أن زهيرا وجد أن مهمته أنتهت باسترداد العرب للقيروان والثأر من كسيلة الذى ترصد لصاحبه عقبة وقتله[5].

---

(١) المالكى١/ ٣٠. ابن عذارى١/ ٣٢. النويرى ٢٤/ ٣٣.

(٢) ابن عذارى ١/ ٣٣.

(٣) حسين مؤنس، ص٢٢٧. محمود شيت خطاب ١/ ١٦٠.

(٤) محمود شيت خطاب١/ ١٦٠.

(٥) حسين مؤنس، ص٢٢٧ ـ ٢٢٨. السيد عبدالعزيز سالم، ص١٥١. محمد محمد زيتون: القيروان ودورها، ص٥٣.

خريطة رقم (٧) خط سير حملة زهير بن قيس البلوى

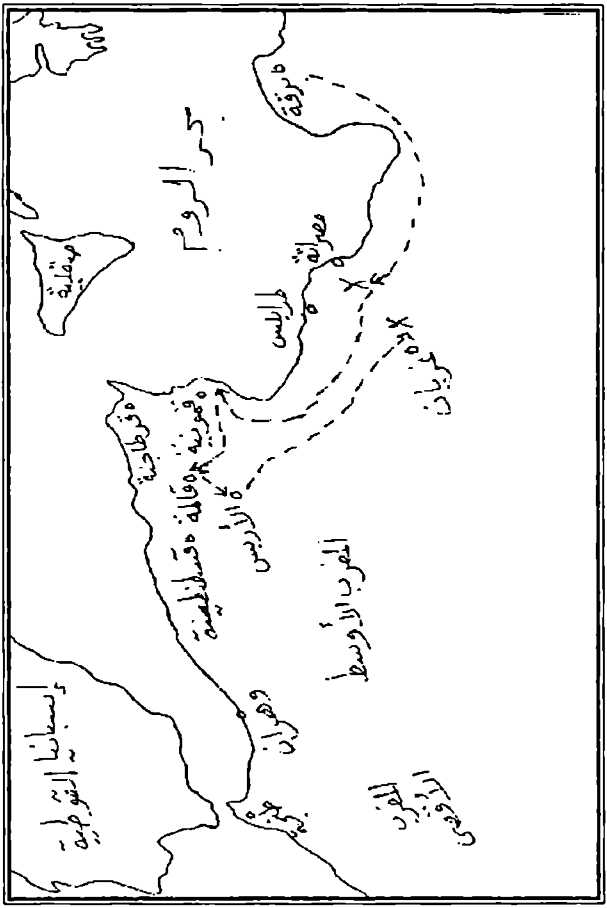

المصدر: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص ١٢١.

ومن الجدير بالذكر، أن السبب الحقيقى لعودة زهير إلى الشرق هو تعرض الأقاليم الشرقية من المغرب منطقة برقة وما حولها؛ لخطر الروم الذين رغبوا فى زعزعة الأستقرار والأمن فى تلك المنطقة ومحاصرة زهير بين عدوين وقطع خط الرجعة على المسلمين للشرق. وانتهز الروم فرصة خروج زهير لقتال كسيلة فأعدوا أسطولاً بحرياً قويا خرج من جزيرة صقلية للهجوم على برقة[1] يقول ابن الأثير[2] " فاصابوا منها سبياً كثيراً وقتلوا ونهبوا ووافق ذلك قدوم زهير من إفريقية إلى برقة... ".

وعندما وصلت زهير الأخبار بنزول قوات الروم فى درنة قاموا بعملية نهب وسلب واسعة، وأخذوا ينقلون إلى سفنهم الأسلاب والأسرى التى حصلوا عليها من المسلمين.

ووصل زهير قرب درنة والحال على هذه الصورة، وكان جيشه يسير قطعاً قطعاً؛ نظرآ لوعورة الأرض وطول الطريق، وكان مع زهير سبعين رجلاً فى مقدمة جيشه. ولما وصل زهير رأى الروم يدخلون أسرى المسلمين فى المراكب، وأرد زهير أن ينتظر حتى يتجمع عدد كاف من جيشه. ولكن يبدو أن هول الموقف لم يكن يحتمل أكثر من ذلك، فأضطر إلى دخول معركة غير متكافئة[3]. واشتبك بالقوة التى معه مع الروم وتكاثر الروم عليهم فقتلوا زهيراً وأصحابه ولم ينج منهم أحد وعاد الروم بما غنموه إلى القسطنطينية[4]، وقبور زهير واصحابه هناك تعرف بقبور الشهداء[5].

وكان مقتل زهير بمثابة نقوس الخطر للعرب للأستعداد للنيل من قوة الروم والحرص على تأمين السواحل بقوات كافيه للدفاع عنها[6]، والبدء فى إنشاء أسطول إسلامى كما سيحدث فى ولاية حسان بن النعمان. ولما بلغ عبد الملك بن مروان خبر مقتل زهير اشتد عليه [7]. ذلك يقول المالكى[8] "وكانت المصيبة بزهير وأصحابه مثل المصيبة بعقبة بن نافع وأصحابه".

---

(١) سعد زغلول عبدالحميد ١/ ٢١١-٢٢٢. عبدالعزيز الثعالبى، ص٥٩. محمود شيت خطاب١/ ١٦٠.

(٢) الكامل، جـ٣، ص٣١.

(٣) حسين مؤنس١/ ٩٨.

(٤) المالكى ١/ ٣١. ابن الدباغ١/ ٤٥. ابن الأثير ٣/ ٣١٠. ابن عذارى ١/ ٣٢. النويرى٢٤/ ٣٣. السلاوى١/ ٤٢.

(٥) البلاذرى١ / ٢٧٠. ابو العرب: كتاب المحن، ص٢٧٧.

(٦) حسين مؤنس ، ص٢٣٠.

(٧) ابن الأثير٣/ ٣١.

(٨) رياض النفوس، جـ١ ، ص٣١.

الفصل الرابع

استكمال الفتح

أولاً: ولاية حسان بن النعمان الغسانى (٧٢-٨٥هـ/٦٩٢-٧٠٤م)

أشتد غضب الخليفة عبد الملك بن مروان على مقتل زهير بن قيس وأصحابه، وأراد أن يعيد السيطرة الإسلامية على إفريقية. ولكن أحداث المشرق كانت على أشدّها وحالت دون تحقيق ذلك فى الحال حيث شغل بإخماد ثورة عبدالله بن الزبير، ونزول الجراجمة إلى جبال لبنان بإيعاز من البيزنطيين وثورة عمرو بن سعيد الأشدق، ولما قضى عبد الملك على تلك التحديات تفرغ لأمر المغرب[1]، واجتمع أشراف العرب وسألوه أن ينظر لإفريقية "من يسد ثغرها ويصلح أمرها" فاختار قائداً بارعاً لتلك المهمة هو حسان بن النعمان، وهو أول شامى يدخل إفريقية فى حكم الأمويين، وعبر الخليفة عبدالملك عن أرتياحه لاختيار حسان بقوله: "ما أعلم أحداً أكفأ بإفريقية من حسان بن النعمان الغسانى"[2].

١- التدقيق التاريخى

وقد أختلف المؤرخين فى تحديد السنة التى سار فيها حسان بحملته إلى إفريقية فحددهاالبكرى[3] (٦٨هـ/٦٨٧م)، وفى رواية المالكى[4] وعبيدالله [5] والسلاوى[6] (٦٩هـ/٦٨٨م) ووردت عند ابن عذارى[7] سنة (٧٨هـ/٦٩٧م). وابن عبدالحكم[8] حددها بسنة (٧٣هـ /٦٩٢ -٦٩٣م) هى التى صدر مرسوم الخليفة بتعيينه والياً على بلاد المغرب

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم، ص١٥٤، ١٥٥ .محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الأول، ص١٧ . حسن على حسن، ص٤٩ .

(٢) المالكى١/ ٣١. الرقيق، ص٥٤ .

(٣) المغرب، ص٧ .

(٤) رياض النفوس١/ ٣١.

(٥) نص جديد، ص٢٢١ .

(٦) الأستقصاء١/ ٤٣ .

(٧) البيان المغرب١/ ٣٤.

(٨) فتوح مصر والمغرب، ص٢٠٠ .

ويؤكد الدكتور سعد زغلول على صحة هذا التاريخ لأنهُ يوافق أنتهاء الخلافة الأموية من مشاكلها[1] التى أشرنا إليها. ويرجع هذا الخلاف إلى أن المؤرخين خلطوا بين تاريخ حملة حسان الأولى سنة (٧٤هـ/٦٩٣-٦٩٤م) التى فتح فيها قرطاجنة ثم أتجه للكاهنة فهزم، وحملة حسان الثانية سنة (٧٨هـ/٦٩٧م) التى أعاد فيها فتح قرطاجنة مرة أخرى واختلط الأمر على المؤرخين لتشابه أعمال حسان فى كليتهما وترددوا بين كل السنوات التى انقضت بين مسيره الأول والثانى[2].

٢ ـ خط سير حملة حسان

رحل حسان إلى مصر وتحت أمرته جيش عدته أربعون ألفا[3]، وقيل ستة آلاف[4] وخول الخليفة عبدالملك إلى حسان حرية التصرف فى أموال مصر لينفق على حملته بسخاء " أني قد أطلقت يدك فى أموال مصر، فاعط من معك ومن ورد عليك وأعط الناس وأخرج إلى بلاد إفريقية على بركة الله وعونه [5]....." .

ويشير ابن الأثير[6] إلى ضخامة هذا الجيش بقوله" فلم يدخل إفريقية قط جيش مثله " وفى إفريقية إنضم إلى هذا الجيش الكثيف عدد آخر من المسلمين البربر ويقودهم هلال بن شرون اللواتى[7] ومن المحتمل أن يكون هلال قد أسلم وأنضم للعرب أو أنه ناصرهم وأخذ جانبهم فوثقوا فيه. وهذا دليل قاطع على أن المسلمين كسبوا أعوانا جدد من أهل البلاد[8].

---

(١) سعد زغلول عبدالحميد١/ ٢١٥.

(٢) حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب، ص٢٣٥ . السيد عبدالعزيز سالم، ص١٥٦ . محمود شيت خطاب١/ ١٧٤.

(٣) ابن عذارى١/ ٣٤. ابن الأبار ٢/ ٣٣١. النويرى ٢٤/ ٣٤.

(٤) المالكى١/ ٣١. ابن الدباغ١/ ٥٥.

(٥) ابن عذارى١/ ٣٤.

(٦) الكامل٤/ ٣١. قارن ابن عذارى ١/ ٣٤. التجانى . ص٥٧ ـ ٥٨. النويرى ٢٤/ ٣٤.

(٧) ابن عبد الحكم، ص٢٠٠ . السيد عبدالعزيز سالم، ص١٥٦ .

(٨) حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص٢٣٨ .

خريطة رقم (٨) خط سير حملة حسان

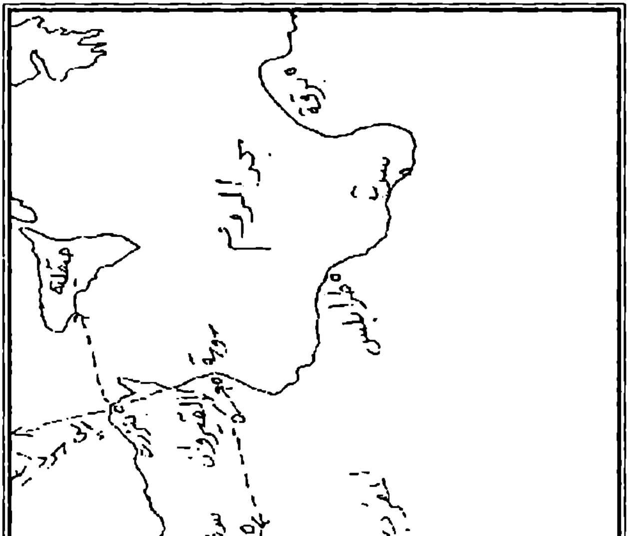

المصدر : حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، ص ١٢١.

٣ـ خطة حسان العسكرية

أ ـ القضاء على قوة الروم

لما وصل حسان إلى إفريقية كان لزاماً عليه أن يواجه خطرين الروم والبربر وبدأ بالتصدى للروم الذين كانوا بمثابة العقبة التى وقفت حائلاً منذ أن وطأت أقدام المسلمين فى المغرب لذلك كان من الضرورى على حسان توجيه ضربة قوية للروم[١] وسأل أهل إفريقية: "من أعظم الملوك بها قدراً فقالوا "صاحب قرطاجنة دار ملك إفريقية " فشن حسان هجوماً على مدينة قرطاجنة التى يسكنها من الروم جالية كثيرة العدد "خلق لا يحصى كثرة ". فخرجوا مع ملكهم واشتبك معهم حسان وهزمهم[٢] وتم فتحها عنوة ولاذ سكانها من الروم والفرنجة بالفرار إلى صقلية والأندلس وهكذا أستولى المسلمين على قرطاجنة بدون عناء كبير. ويبدو أن بعض الفارين أعادوا تنظيم صفوفهم فى صطفورة وبنزرت لمواجهة المسلمين، ولكن حسان أنزل بهم هزيمة ساحقة ثم عاد إلى القيروان وفر الروم إلى مدينة باجة وتحصنوا بها بينما تحصن البربر فى بونة[٣].

ب ـ القضاء على قوة البربر

بعد أن قهر حسان قوة الروم عزم على توجيه ضربة قوية للبربر وكان يلى أمرهم أمرأة تدعى الكاهنة وأختلف المؤرخين فى شأنها أختلافاً بيناً، بل يميل بعضهم إلى إنكارها أصلاً معتمداً على ما يشوب أخبارها كلها من المسحة الأسطورية، ولكن تجتمع الأراء كلها على وجود الكاهنة وعلى ذكر الدور العظيم الذى قامت به أثناء فتوح إفريقية ولكن شخصيتها وحقيقة أمرها لازالت غامضة فى حاجة إلى المزيد من البحث والدرس[٤].

وتباينت أراء المؤرخين حول هذه الشخصية الغامضة فلم يتم الأتفاق على اسمها الحقيقى إذ أن الكاهنة ليس سوى لقب أطلقه عليها العرب. فيبدو أنها سميت بعدة تسميات منها دهية أو دمية أو دامية أو داهية أو دحية. كما لم يتم الأتفاق حول نسبها فيبدو أنها ابنة تاتيت أو كذلك ماتيا. فهل تكون الكاهنة من هؤلاء البربر ذوى الدم

---

(١) حسن على حسن، ص٥٠ .

(٢) المالكى١/ ٣٢. ابن عذارى١/ ٣٤.

(٣) المالكى١/ ٣٢. ابن الأثير٤/ ٣٥. ابن عذارى١/ ٣٥. النويرى٢٤/ ٣٥. ابن خلدون٤/ ١٨٧ .

(٤) حسين مؤنس، ص٢٤٢.

المختلط الناشئين عن زيجات مختلطة؟ ومما يساعد على فهم هذا الأفتراض يتجلى فى نفوذ الكاهنة على البربر والبيزنطيين معاً. فقد تزوجت الكاهنة يونانياً وامدتنا المصادر بمعلومات عن أبناء آبائها فكان لها اثنان أحدهما بربرى النسب والثانى من أب يونانى[1].

ولقد اشتدت ساحة الجدل بين المؤرخين حول ديانة الكاهنة فهناك ثلة من الباحثين الذين كتبوا عن تاريخ اليهود فى المغرب عدوها يهودية حيث وجدوا فيها مادة خصبة للكتابة عنها وعن قبيلتها فى محاولة؛ لتعويض ندرة المادة العلمية المتاحة فى المصادر عن اليهود إبان تلك الحقبة.

وأشار أحد الباحثين إلى النصوص التى تصف الكاهنة وقبيلتها جرواة باليهودية يتبين أن المسألة غير محققة. فالصفة التى ألصقت بها لا تصفها بالدهاء[2].

ومما لاريب فيه أن الكاهنة كانت مسيحية الديانة. وجاء الخلط بين الباحثين حول يهوديتها من منطلق أن قبيلتها جراوة وهى فرع من زناته اعتنقت فى بأدى الأمر اليهودية ثم تحولت إلى المسيحية ضمن قبائل مغربية أخرى منها نفوسة[3].

ووصف ابن الأثير[4] الكاهنة بقوله: "من أعظم ملوك إفريقية... وكانت بربرية وهى بجبل أوراس وقد اجتمع حولها البربر بعد قتل كسيلة. فسأل أهل إفريقية عنها فعظموا محلها .."و أضاف المالكى[5] عنها: "وجميع من بإفريقية خائفون منها والروم سامعون لها ومطيعون فإن قتلتها يئس الروم والبربر أن يكون لهم ملجأ ".

وكانت الكاهنة فى أول أمرها زوجاً لرئيس من رؤساء قبيلة جروة إحدى قبائل البتر الحضر المقيمين فى الأوراس والتف حولها البربر بعد قتل زعيمهم كسيلة ولكن الدكتور مؤنس يستبعد هذا الرأى بقوله " والحقيقة أن لا صلة بين كسيلة والكاهنة، ولم يكن بين الأثنين علاقة ما"[6].

---

(١) دائرة المعارف التونسية ٤/ ٥٦.

(٢) هاشم العلوى القاسمى ١/ ١٥٩ ـ ١٦٠.

(٣) دائرة المعارف التونسية ٤/ ٥٦.

(٤) الكامل ٤/ ٣٢.

(٥) رياض النفوس ١/ ٣٢ ـ ٣٣.

(٦) حسين مؤنس، ص٢٤٢ـ٢٤٤ وأنظر كذلك ـ عصام الدين عبدالرؤف: تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٢.

وكانت الكاهنة من الشخصيات القوية عبر عن ذلك المؤرخين العرب يقول ابن الأثير[1]" إن قتلتها لم يختلف البربر بعدها عليك ....". ويضيف ابن عذارى[2] قائلاً "فإن قتلتها دان لك المغرب كله ولم يبق لك مضاد ولا معاند ... " .

ولما علمت الكاهنة بمسير العرب إليها رحلت من جبل الأوراس في عدد لا يحصى وحطت رحالها في مدينة باغاية وهي مدينة حصينة على سفح جبل الأوراس واخرجت منها الروم وهدمتها ظنا منها أن حسانا يريد أن يتحصن بها[3]. ويستنتج الدكتور حسين مؤنس دليل على أنها كانت تحارب العرب بدون مساعدة من الروم لذلك فحركة الكاهنة حركة بربرية صرفة لا تعرف حرب الحصون ولا المناجزة خلف الأسوار و إنما أسلوبها هو اللقاء في الأرض الفضاء بالحرب والسيوف[4].

٤ـ اللقاء الأول بين حسان والكاهنة

التقى حسان بالكاهنة في معركة شديدة الوطيس في وادى مسكيانة عند نهر نيني[5] وكان جند حسان يشربون من أعلى الوادى والكاهنة من أسفله[6]. ويطلق عليه كلاً من ابن الرقيق[7]. وابن عذارى[8]." وادى العذارى". ويعرفه ابن عبدالحكم[9] "وادى البلاء " أما المالكى[10] عرفه "يوم البلاء"

ولما استعد الفريقين للقاء رفض حسان القتال في آخر النهار فبات الفريقين على سراجهم حتى الصباح والتقى الجمعان في قتال مرير وصبر كلا الفريقين في ساحة الوغى. وأسفر اللقاء عن هزيمة جيش المسلمين[11].

---

(١) الكامل٤/ ٣٢.

(٢) البيان المغرب١/ ٣٥.

(٣) ابن عذارى ١/ ٣٥ـ٣٦. حسين مؤنس، ٢٤٦.

(٤) حسين مؤنس، ص٢٤٦ـ٢٤٧.

(٥) ابن الأثير٤/ ٣٢. النويرى٢٤/ ٣٦.

(٦) المالكى١/ ٣٣. ابن عذارى١/ ٣٦.

(٧) تاريخ إفريقيا والمغرب، ص٥٧ .

(٨) البيان المغرب ١/ ٣٦.

(٩) فتوح مصر والمغرب، ص٢٠٠ .

(١٠) رياض النفوس ١/ ٣٣.

(١١) المالكى١/ ٣٣. ابن عذارى١/ ٣٦.

"وتمكنت الكاهنة من هزيمة حسان وأسرت مـــن المسلمين ثمانين رجلاً"[1]. ولما أنتهت المعركة طاردت المسلمين إلى حدود قابس"[2]. ومما لاشك فيه أنه كانت هناك أسباب تكمن وراء هزيمة المسلمين هي:

١ـ كان المسلمون مجهدون من أثار حملة قرطاجنة وما تلاها، ولهذا ضعفت عزائمهم، في ميدان القتال.

٢ـ أن العرب كانوا يقاتلون قوماً مثلهم واستثارت الكاهنة حماسهم بما لها من مكانة في نفوسهم وبذلك ثبت البربر للعرب[3].

٣ـ كانت الكاهنة تتمتع بمزايا قيادية. فقد كانت مسيطرة على رجالها سيطرة تامة فاستطاعت أن تثير البربر وتحفزهم على القتال بحماسة وإقدام[4]

٤ ـ سوء تقدير جيش حسان للبربر وقوتهم وعدم معرفتهم ببربر أوراس[5].

ولدينا نقطة جديرة بالمناقشة حول أكتفاء الكاهنة بهزيمة المسلمين في قلب الأوراس، ثم مطاردتها لحسان حتى أخرجته من حدود إفريقية، ولم تسر إلى القيروان للسيطرة عليها كما فعل كسيلة من قبل؟

الظاهر أن الكاهنة حرصت في المقام الأول على خلاص منازل قبيلتها وملك أبنائها في الأوراس من خطر المسلمين. وما دام المسلمين الذين في القيروان ضعفاء مسالمين، فلا خطر على الكاهنة منهم. كما أن تهديد الكاهنة للقيروان بالدمار وسكانها مسالمين لايخلوا هذا الأمر من إثارة البربر المسلمين على الكاهنة مما يجر عليها متاعب أخرى دون مبرر[6].

أما عن مصير الأسرى المسلمين فلقد نالوا كل رعاية من الكاهنة وأطلقت سراحهم فيما عدا خالد بن يزيد القيسي وتبنته الكاهنة على الطريقة البربرية. ومن حسن الحظ أن ابن

---

(١) ابن عبدالحكم، ص٢٠٠ . المالكي١/ ٣٣. ابن الرقيق، ص٥٧، ٥٦ . البكري، ص٨ .
عبد الله : نص جديد، ص٢٢١ . ابن الأثير١/ ٣٢. ابن عذاري١/ ٣٦. النويري ٢٤/ ٣٦.

(٢) المالكي١/ ٣٣. ابن عذاري١/ ٣٦.

(٣) حسين مؤنس ، ص٢٤٨ . عصام الدين عبد الرؤف ، ص٢٣ .

(٤) محمود شيت خطاب١/ ١٨٥ . محمد علي دبوز٢/ ٨٤ـ٨٥.

(٥) محمد علي دبوز ٢/ ٨٥.

(٦) محمود شيت خطاب ١/ ١٨٦ .

عذاري[1] ذكر لنا هذه الطريقة بقوله: "أن الكاهنة أعجبت بشخصية خالد بن يزيد واتخذته أخاً لولديها أحدهما بربرى والآخر يوناني وقالت لهُ " نحن جماعة البربر لنا رضاع إذ فعلناه نتوارث به، فعمدت إلى دقيق الشعير فلثته بزيت وجعلتها على ثديها ودعت ولديها وقالت كلا معه على ثدى ففعلا فقالت " قد صرتم أخوة ... ".

وكانت الكاهنة تهدف من حظوتها لخالد بن يزيد أن يكون عيناً لها على العرب ليعرفها بأحوالهم ومدى قوتهم[2].ومما يسترعى الأنتباه إحسان الكاهنة للأسرى المسلمين. والظاهر أنها فعلت ذلك خشية من أنتقام البربر المسلمين الذين تغلغل الإسلام في صفوفهم. كما يبدو أن الإحسان إلى الأسرى كان من تقاليد البربر العريقة[3].

٥ـ رحيل حسان إلى برقة

ترك حسان على ولاية القيروان أبو صالح، وعاد هو إلى برقة ونزل قصورا من حيزها فسميت قصور حسان، وبنى لنفسه قصراً وأقام ومن معه بذلك الموضع حوالى ثلاث سنين[4] وفى رواية أخرى خمس سنين[5] وأرسل حسان بن النعمان إلى الخليفة عبدالملك تقريراً عن حال المسلمين في إفريقيا ويطلب منه المدد والعدة ويصف لهُ قوة البربر " وأن أمم المغرب ليس لها غاية، ولا يقف أحد منها على نهاية، كلما بادت أمة خلفتها أمم وهي من الجهل والكثرة كسائمة النعم. وجاء رد الخليفة عبدالملك بن مروان لحسان وهو في برقة يأمره بالمقام حينما وافاه الجواب[6].

٦ـ الكاهنة تخرب إفريقية

لما تمكن الخليفة عبدالملك من التغلب على الحركات المناوئة للأمويين في العراق والمشرق أمد حسان بالجنود والأموال وأمره بالمسير إلى إفريقية وقتال الكاهنة[7] وأدركت

---

(١) البيان المغرب ١/ ٣٧. قارن المالكى ١/ ٣٤.

(٢) المالكى ١/ ٣٠. البكرى، ص٨. ابن الرقيق، ص٥٨. ابن عذارى١/ ٣٧. ابن الأثير٤/ ٣٦. النويرى٢٤/ ٣٦. ابن خلدون٤/ ١٨٧.

(٣) محمود شيت خطاب ١/ ١٨٥.

(٤) ابن عبدالحكم، ص٢٠٠. المالكى١/ ٢٣. ابن ابى دينار، ص٣٤. السلاوى١/ ٢٣.

(٥) ابن الأثير٤/ ٣٢. النويرى٢٤/ ٣٦.

(٦) ابن عذارى١/ ٣٦. قارن المالكى١/ ٣٣.

(٧) ابن الأثير٤/ ٣٢.

الكاهنة أن العرب يريدون من البلاد الذهب والفضة وهى تريد المزارع والرعى فاشعلت النيران وأقلعت الأشجار ودمرت القلاع والحصون لتعوق سير العرب وبهذا التصرف أبادت ثروة عظيمة من الأشجار التي كانت تمتد من طرابلس إلى طنجة[1].

يصفها ابن عذارى[2] بقوله: "وكا نت البلاد ظلا واحداً من طرابلس إلى طنجة وقرى متصلة ومدائن منتظمة، حتى لم يكن فى أقاليم الدنيا أكثر خيرات و لا اوصل مما نزل بهم بركات ولا أكثر مدائن وحصونا من إقليم إفريقية والمغرب مسيرة ألفى ميل فى مثله". ويعترف ابن عذارى أن المسؤلة عن هذا التصرف الكا هنة " فخربت الكاهنة ذلك كله " ووصف أحد الباحثين سلوك الكاهنة في هذا الأمر بسياسة "الأرض المحروقة " أو "البلاد المخربة" في البلاد التى دانت لها بالطاعة والولاء إلى درجة الاعتقاد. وهذه السياسة تعتبر نتيجة لتصورها الخاطىء للعرب فى عملية فتوحهم لبلاد المغرب فى فهم الأهداف وحقيقة الفتح الإسلامى[3].

ويبدو أن الكاهنة فعلت ذلك لكى تغلق منافذ المرور إلى جبال الأوراس. كما كانت تهدف إلى بعد آخر وهو إبادة الأخشاب كى تضيع على المسلمين خططهم المستقبلية فى إنشاء دار لصناعة السفن لحماية المدن الساحلية[4]. وهو المشروع الذى نفذه حسان بن النعمان بموافقة الخلافة الأموية. وحاول بعض الكتاب الأوربيين نسبت هذا العمل إلى العرب وإن هذا يخالف طباع البربر[5]. ولكننى استبعد هذا تماماً لأنه يشكل جزء من الدعاية المنظمة فى دوائر الاستشراق عن الإسلام والمسلمين. ولقد فات هؤلاء إن العرب حملوا رسالة الإسلام لنشره فى بقاع الأرض وحث الإسلام على التعمير لا التدمير.

---

(١) عبد الله: نص جديد، ص٢٢١ . الرقيق، ص٦١ .ابن الدباغ ١/ ٥٩. ابن الأثير٤/ ٣٢. ابن عذارى ١/ ٣٦. النويرى٢٤/ ٣٦.

(٢) البيان المغرب ١/ ٣٦ـ ٣٧.

(٣) هاشم العلوى القاسمى ١/ ١٧٢ .

(٤) هاشم العلوى القاسمى١/ ١٧٤ ـ ١٧٥ .

(٥) نفسه، ص١٧٥ .

٧ـ معارضة النصارى والأفارقة لسلوك الكاهنة

إستاء النصارى والأفارقة وخرج منهم خلق كثير مستغثين من الكاهنة، مطالبين النجدة من حسان وفر البعض الآخر منهم إلى الأندلس وإلى سائرالجزر البحرية[(١)].

ويبدو أن الكاهنة وجدت معارضة شديدة فلجأت إلى إخمادها بالعنف يقول ابن الأثير[(٢)] "وأساءت السيرة فى أهلها" الأمر الذى جعل أهالى إفريقية يرحبون بمجيء حسان ويطلبون منه النجدة فسره ذلك وسار إلى قابس ومنها إلى قفصة ثم بسط نفوذه على قسطيلية ونفزاوة [(٣)].

٨ـ دور خالد بن يزيد

رغب حسان فى معرفة قوة الكاهنة ومدى استعدادها للجولة القادمة فبعث رجل يثق فيه إلى خالد بن يزيد فأتاه وقال له: " قال لك حسان: ما لك لا تكتبنا بخبر الكاهنة؟" فكتب يزيد خطاباً إلى حسان مع رسول فى ملة ـ قطعة ـ خبز قد أنضجها، ثم دفعها إلى الرسول ليخفى الكتاب، وليظن من رأى الخبزة أنه زاد ذلك الرجل، فلم يغب شخص الرجل الرسول حتى خرجت الكاهنة ناشرة شعرها فقالت: "يا بنى، انظروا ماذا ترون فى السماء "قالوا: "نرى شيئاً من سحاب أحمر "فقالت: "لا والهى ما هى إلا رهج خيل العرب قد أقبلت عليكم[(٤)] "

ولما شرع حسان فى خوض الجولة الثانية مع الكاهنة بعدما أمده الخليفة عبدالملك بن مروان بالقوات الكافية. دعا حسان رجل يثق به إلى خالد بن يزيد؛ ليخبره بأمر الكاهنة فقرأه وكتب فى ظهره: "إن البربر متفرقون. ولا نظام لهم ولا رأى عندهم فاطو المراحل، وجد فى السير "وجعل الكتاب فى خبزة وجعلها زاداً للرجل، ووجهه بها الى الأمير حسان فلم يغب عن خالد بن يزيد إلا يسيرا حتى خرجت الكاهنة ناشرة شعرها، تضرب صدرها، وتقول: "يا ويلكم يا معشر البربر ذهب ملككم فيما يأكله الناس" فافترقوا يميناً وشمالاً يطلبون الرجل؛ فجد فى السير حتى وصل إلى حسان فكسر الخبزة

---

(١) ناطف صالح مطلوب وآخرون، ص ٨٨.

(٢) الكامل٤/ ٣٢.

(٣) الرقيق ، ص٦٢ . ابن الأثير٤/ ٣٢. النويرى ٢٤/ ٣٧.

(٤) المالكى ١/ ٣٤.

وقرأ الكتاب الذى كتبه إليه خالد، فوجده قد افسدته النار. فقال له حسان: "ارجع إليه" فقال الرجل: "إن المرأة كاهنة: لا يخفى عليها شيء من هذا" فرحل حسان بجنوده إليها وبلغ الكاهنة خبره[1] " وعاد الرجل إلى خالد فكتب إلى حسان بما كتب أولاً وأودعه قربوس السرج حفره ووضع الكتاب وأطبق عليه حتى استوى وخفى مكانه[2].

نلحظ مما سبق أن الكتابات التاريخية أشارت إلى معرفة الكاهنة بالتنجيم. وأننى لا أوافق على معرفة الكاهنة للغيب لأن الغيب لا يعلمه إلا الله. كما نؤكد على دور خالد الجليل فى خدمة الإسلام حين أخبر حسان بأحول الكاهنة .

٩-نهاية الكاهنة

شعرت الكاهنة أن نهايتها قد اقتربت فأرسلت ولديها مع خالد بن يزيد إلى حسان يطلب الأمان لهما فأمنهم[3] وأسند قيادة جيش البربر لأكبرهما[4].

وزحف حسان للقاء الكاهنة ودار بين الفريقين معركة فاصلة كثر القتل فيها وظن الناس أنه الفناء وأسفر عن هزيمة ساحقة للبربر ومقتل الكاهنة. وطلبت قوات البربر الأمان من حسان فوافق مقابل انضمام أثنا عشر ألفاً من البربر للعمل فى سلك الجندية مع جيش المسلمين فأجابوه ودخلوا فى الإسلام على يديه وأسند إلى كل واحد من أبناء الكاهنة بعد أن دخلوا فى الإسلام أيضاً القيادة على ستة آلاف فارس من البربر واخرجهم مع العرب يقاتلون الروم ومن كفر من البربر ونجح حسان وأحسن التعامل مع الموقف مما ساعد على نشر الإسلام [5].

و استقام أمر إفريقية إلى حسان بن النعمان بعد قتل الكاهنة "فلا يغزو أحد ولا ينازعه أحد". [6]

---

(١) ابن عذارى١/ ٣٧.

(٢) محمود شيت خطاب١/ ١٨٨ .

(٣) ابن عبد الحكم، ص٢٠١ . المالكى١/ ٣٥. الرقيق، ص٥٣ .ابن الأثير٤/ ٣٢. ابن الدباغ١/ ٥٦. النويرى٢٤/ ٣٧ .التجانى، ص٥٨ .

(٤) المالكى١/ ٣٧.

(٥) المالكى١/ ٣٦. الرقيق، ص٦٤ . ابن الأثير٤/ ٣٢. ابن عذارى١/ ٣٨. النويرى ٢٤/ ٣٧. ابن خلدون٤/ ١٨٧ .

(٦) الرقيق، ص٦٤ . ابن عذارى ١/ ٣٨.

١٠ـ تنظيمات حسان فى إفريقية

عندما استقامت لحسان بلاد إفريقية حرص على تنظيم شئون البلاد. ومن أبرز أعماله:

أ ـ تعمير مدينة القيروان: بدأ بالمسجد الجامع فأمر بتجديد بنائه سنة (٨٤هـ)[١].

ب ـ تدوين الدواوين: دون حسان الدواوين. وكانت من ضرورات المرحلة الراهنة يومذاك[٢]. وجعل لكل وظيفة من الوظائف الكبرى ديوانا مستقل يشمل على طائفة من الكتبة والرؤساء[٣] وأقام العمال على نواحى الإدارة من خراج وزكاة وجند[٤].

١ـ ديوان الصدقات: ولى حسان على ديوان الصدقات حنش بن عبد الله الصنعانى [٥].

٢ـ ديوان الجند: كان هذا الديوان بالغ الأهمية وعلى الأخص عندما ضم حسان أثنا عشر ألفا من البربر للعمل فى سلك الجندية مع جيش المسلمين مما ساعد على نشر الإسلام[٦]. وجذب حسان عطف البربر بفضل سياسته الحكيمة فعقد لولدى الكاهنة لكل واحد منهما على ست الآف فارس من البربر وخرجوا مع جيش المسلمين لفتح المدن الإفريقية ولقتال الروم ومن كفر من البربر، كما قسم حسان الفىء بينهم وحسنت طاعتهم[٧] كما عمل حسان على إشراك البربر فى جيشه ورغبهم فى الغنائم وعاملهم معاملة الجند العرب فى الحقوق والواجبات وقد أدى هذا إلى مزيد من الأحتكاك بين العرب والبربر مما دفع كثير منهم إلى الدخول فى الإسلام[٨]. وحرص حسان على المؤاخاة بين البربر والعرب فقد جند من البربر أجناداً وعهد إلى ثلاثة عشر فقيها من كبار التابعين بتعليمهم القرآن وأصول الإسلام واللغة العربية[٩] ومن هنا بدأت أهمية إنشاء ديوان الجند لتدوين

---

(١) ابن عبد الحكم، ص٢٠١. المالكى١/ ٣٨. ابن عذارى ١/ ٣٨.

(٢) ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص٨٨.

(٣) محمد على دبوز ٢/ ١١١. سعد زغلول عبد الحميد١/ ٢٢٩.

(٤) حسين مؤنس، ص٢٧٦.

(٥) المالكى١/ ٣٨.

(٦) المالكى ١/ ٣٦. الرقيق، ص٦٤. ابن عذارى ١/ ٣٨. النويرى ٢٤/ ٣٧.

(٧) ابن عذارى١/ ٣٨.

(٨) حسن على حسن، ص٥٦. محمد محمود أدريس: حسان بن النعمان، المطبعة التجارية، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٢١

(٩) محمود إسماعيل، ص٣٨. محمد محمود أدريس، ص٢٠.

أسماء المقاتلين وأنسابهم إضافة إلى اعطياتهم[1] ورتب حسان الأعطيات للبربر على أن تصرف لهم من بيت المال[2].

٢- **ديوان الخراج:** من الثابت أن أرض إفريقية فتحت عنوة[3] ولكن حسان بن النعمان اعتبرها مفتوحة صلحاً وأقر البربر على ما بيدهم من الأرض وهذا ما أورده المالكى من قوله: "فمن ذلك صارت الخطط للبربر بإفريقية فكان يقسم الفيء ويؤدى العشر منها والغالب أنه لم يفعل ذلك إلا مع الذين أسلموا منهم، لأن الشرع يبيح ترك الأرض لمن أسلموا يتوارثونها ويتبايعونها وأقر حسان الخراج على عجم إفريقية على من بقى منهم على دين النصرانية[4] من البربر وكان غالبيتهم من البرانس وقليل منهم من البتر[5] والروم[6] وعين على خراج برقة (٧٨هـ/ ٦٩٧ م) إبراهيم النصرانى[7] وقام حسان بمسح الأراضى وقطع عليها الخراج وأبطل نظام الأقطاع الذى شرعوه الروم[8] والواضح من النصوص تقصد بكلمة الخراج هنا الجزية (ضريبة الرؤوس التى يدفعها أهل الذمة) نعتقد أنه قصد بالخراج التعميم فى الضريبة عامة سواء كانت جزية أو ضريبة وعقارات[9].

ج- **سك العملة:** اهتم حسان بالعملة فأبقى على العملة البيزنطية المكتوبة والمزينة برسوم الأباطرة[10]. وكان الدينار القرطاجى أيام حكم البيزنطيين يطبع على الوجهين فعلى أحدهما صورة القيصر وولى عهده أو القيصر وبه من الكتابة اسم القيصر وألقابه وعلى الوجه الثانى صليب فى الوسط قائم على ثلاث درجات وهو المعروف بالصليب القرطاجى ومكتوب على دائريه باللاتينية ضرب هذا بإفريقية ثم ذكر السنة بحسب عقد

---

(١) ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص٨٩.

(٢) حسين مؤنس، ٢٧٥.

(٣) نريمان عبد الكريم أحمد، ص١١٩.

(٤) ابن عبد الحكم، ص٢٠١. الرقيق، ص ٦٤. بن عذارى ١/ ٣٨.

(٥) ابن عبد الحكم، ص٢٠١.

(٦) الرقيق، ص٦٥.

(٧) ابن عبد الحكم٢٠٢.

(٨) عبد العزيز الثعالبى، ص٧٨.

(٩) سعد زغلول عبد الحميد ١/ ٢٢٩.

(١٠) عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى للدولة العربية، الجزء الثانى، الطبعة السابعة، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م، ص١٨٣.

ذات عشر سنوات من استيلاء ذلك القيصر. أما دينار حسان اللاتينى فهو مثل الدينار القرطاجي المتقدم وزنا وشكلا فى أعلى العمود حسان ودون حسان على الدواوين بسم الله الرحمن لا إله إلا هو، وعلى الوجه الثانى وحده لا شريك ولا مثيل له ضرب بافريقية[1]. وكتب حسان على الدينار فى الوجه الأول فيه صورة عبدالملك وولى عهده والوجه الثانى فيه الشعار القرطاجي الإسلامي. وبعد حين ضرب نقوداً أخرى حذف منها الصور ووضع مكانها كتابة باللغة اللاتنية والحروف اللاتنية[2].

د- دار الصناعة: لم يكن للمسلمين قوة بحرية تذب عن شواطئه وتؤمن المد الإسلامي. وقد مر بنا أن البيزنطيين شنوا هجوما خاطفا على سواحل طرابلس وراح ضحية هذه الغارة والى المغرب زهير بن قيس. وفى ولاية حسان شن البيزنطيين هجوماً على جزيرة رادس ونزل بالمسلمين البلاء ولما علم الخليفة عبدالملك بن مروان بما حل بالمسلمين أشتد عليه الأمر وكتب إلى أخيه عبد العزيز والى مصر أن يوجه ألف قبطى بأسرهم للمساهمة فى بناء دار الصناعة فى تونس؛ لتكون قوة للمسلمين؛ لصد هجمات الروم فى البر والبحر، وشن الغارات على سواحل الروم، وصنع المراكب المحلية التى تفيء بحاجة المسلمين وكلف حسان البربر بنقل الأخشاب اللازمة من الصحراء (ليكون ذلك جريا عليهم إلى آخر الدهر) وقام حسان بجر البحر من مرسى رادس إلى دارالصناعة. وصارت دار صناعة تونس متصلة بالميناء، والبحيرة متصلة بالبحر وعلى شاطىء الميناء مسجد يعرف بمسجد عبدالله وبقبلى الميناء قصر بالحجارة متقن البناء وفى الحوف منه حائط صخر كالسور فصار المدخل بالسفن وفى هذين الميناثين حائط القصر وهذا السور وتعرض بينهما سلسلة حديد تمنع المراكب من الدخول والخروج ما دامت متعرضة. وهذا القصر يعرف بقصر السلسلة[3].

هـ- بناء مدينة تونس: شيد حسان مدينة تونس سنة (٨٤هـ /٧٠٣م) لتكون مدينة بحرية مكملة لمدينة القيروان البرية التى شيدها عقبة فى إفريقية[1] وساهمت مدينة تونس

---

(١) محمد على دبوز ٢/ ١١٩.

(٢) عبد العزيز الثعالبى، ص ٨١ ـ ٨٢.

(٣) البكرى، ص٣٨ ـ ٣٩.

(١) ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص٨٩.

في نشر الإسلام واللغة العربية في المنطقة بمثل ما قامت من قبل مدينة القيروان. ويعتبر بناء هذه المدينة دليلاً على إستقرار حركة الفتوحات الإسلامية في إفريقية [1].

١١- عزل حسان

كان عبد العزيز ينكر على حسان استقلاله برأيه. وعلى ما قام به من جهود ودأب وعمل على مضايقة حسان وزعم أن له السلطان عليه لأن والى مصر هو والى المغرب وأقام عبد العزيز على برقة مولى له يسمى تليدا مما أثار غضب حسان[2].

وأشار ابن قتيبة إلى النزاع الذى دب بين حسان وعبدالعزيز بسبب ولاية برقة التى أضافها الخليفة عبد الملك إلى حسان مكافأة على جهوده في المغرب "فأجازه عبد الملك وزاده برقة ورده إليها، أى إلى إفريقية واليا".

ولما علم عبد العزيز طلب من حسان التنازل عن برقة التى عين عليها مولاه تليدا فأصر حسان على التمسك ببرقة. الأمر الذى أثار حفيظة عبد العزيز فعزله عن ولاية إفريقية وعين بدلا منه موسى بن نصير[3]. وأمر حسان بالقدوم إليه. وبعث أربعين رجلاً من أشراف أصحابه وأمرهم أن يحفظوا ما معه ففهم حسان غرضه فعمد إلى الجواهر والذهب والفضة فوضعه في قرب الماء ووزعه على جنده واظهر أشياء أخرى. ولما قدم حسان على عبد العزيز أهدى إليه مائتى جارية من أجمل ما معه. وقدر عدد سبى حسان بنحو خمسة وثلاثين ألف رأس ما لم يدخل فيها "وصفاء ووصائف" ما رأى الراؤون مثلهم قط وأخذ منه عبد العزيز ما استحسنه وواصل حسان سيره بما معه من الغنائم والسبى حتى قدم على الخليفة الوليد بن عبد الملك، وشكا إليه ما صنع به عبدالعزيز فغضب الوليد من تصرف عبد العزيز وقال لمن معه "أئتونى بالقرب فأتى بها". ففرغت بين يدى الوليد مما فيه من الجواهر والذهب والفضة فاستعظمه وقال حسان: "يا أمير المؤمنين إنما خرجت مجاهدا في سبيل الله وليس مثلى خان الله ولا الخليفة". فقال له الوليد: "أردك إلى عملك وأحسن إليك". فأقسم حسان: "أنه لا أولى لبنى أمية ولاية أبداً". فلما رأى ذلك الوليد غضب على عمه عبد العزيز. وكان حسان يسمى "الشيخ الأمين"[4].

---

(١) محمد عبد الحميد عيسى: الفتح الإسلامى للأندلس، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، ١٩٨٥م، ص٥٧.

(٢) حسين مؤنس: تاريخ المغرب ١/ ١١٣.

(٣) ابن قتيبة ٢/ ٦٠-٦١.

(٤) الرقيق، ص٦٦-٦٧. ابن عذارى ١/ ٣٨-٣٩.

ثانيا : موسى بن نصـير

١.١ التعريف بموسى بن نصير

ينتمي موسى بن نصير إلى قبيلة لخم، وقيل بكر بن وائل[١] وكان والده من أسرى خالد بن الوليد المخزومي في موقعة عين التمر[٢]، ثم شغل منصب كبير الحرس في عهد معاوية بن أبي سفيان[٣]، ولما سار معاوية إلى صفين لم يسر معه[٤]، ورزق نصير أبناً عرف بالشجاعة والنجابة هو موسى الذى أسند إليه ولاية إفريقية من قبل عبدالعزيز بن مروان والى مصر[٥] وقد أغفل بعض المؤرخين السياق التاريخي لترتيب الأحداث. وهو الأمر الذى فطن إليه ابن الأثير الذى أشار إلى أن الوليد بن عبد الملك ولى على إفريقية عمه عبد الله بن مروان فعزل عنها حسان بن النعمان وأسند ولاية إفريقية إلى موسى بن نصير[٦] وفصل الوليد عن ولاية إفريقية والمغرب عمه عبدالله بن مروان والى مصر[٧]. بعد أن عزل حسان عنها في أواخر سنة ٨٥هـ/٧٠٤م.

وأما عن حياة موسى الأولى فلا تذكر الروايات التاريخية سوى القليل. وكل ما نعرفه منها أنهُ تقلب في بعض المناصب الحربية والإدارية الهامة قبل أن يعهد إليه بحكم إفريقية، وقاد بعض الحملات البحرية في عصر معاوية بن أبي سفيان وغزا قبرص وغيرها من الجزرالقريبة[٨]. وفي بعض الروايات أن عبدالملك بن مروان حينما ولى أخاه بشراً على البصرة في سنة (٧٣هـ/٦٩٢م) وكان يتولى قيادة الجند بمصر، لم يلبث أن ندب موسى بن نصير لمعاونته، وكان يومئذ في خدمة أميرها عبدالعزيز بن مروان صديقه، وأن موسى لبث وزيراً ومستشاراً لبشر أيام ولايته للبصرة. فلما ولى الحجاج حكم

---

(١) ابن عذارى١/ ٣٩.

(٢) البلاذرى١/ ٢٧٢ . مجهول : أخبار مجموعة، ص١٤ . ابوالمحاسن ١ / ٢٣٥ . الحميرى ، ص٤ .

(٣) ابن الأثير٤/ ١١٢ . ابن خلدون٤/ ١٨٧ . السلاوى ١/ ٤٤ .

(٤) ابن الأثير ٤/ ١١٢ ابن عبدالحكم ، ص٢٠٣ . مجهول : أخبار مجموعة، ص١٤ . الرقيق، ص٦٨. ابن عذارى ١/ ٤٠ .

(٥) ابن الأثير ٤/ ٢٣ ـ ٣٣.

(٦) الرقيق، ص٦٨ . ابن عذارى١/ ٤١ .

(٧) ابن عذارى١/ ٤١.

(٨) محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ص٢٠

العراق في سنة (٧٥ هـ/٦٩٤م) أتهم موسى باختلاس أموال البصرة، ولم ينقذه من بطش الحجاج سوى تدخل عبدالعزيز بن مروان وكان قد وفد يومئذ على الشام بأموال مصر، وهرع إليه موسى مستجيراً به[١]، وقيل أن الخليفة عبد الملك بن مروان أمر موسى بدفع مائة ألف درهم[٢] ثم عاد موسى إلى مصر مع عبدالعزيز ولبث يتدرج في المناصب حتى عين حاكماً لإفريقية[٣].

٢- التدقيق التاريخي

أختلف المؤرخون في تاريخ ولاية موسى بن نصير لإفريقية فيحددها اليعقوبي بسنة ٧٧هـ/٦٩٦م[٤] وابن عبدالحكم[٥] وابن الأثير[٦] وابن الأبار[٧] بسنة ٧٨هـ/٦٩٧م بينما نجد ابن قتيبة الدينوري[٨] يحددها بسنة ٧٩هـ/٦٩٨م وابن ابى دينار[٩] بسنة ٨٨هـ/٧٠٦م. ويحددها كلاً من البلاذري[١٠] والنويري[١١] بسنة ٨٩هـ/٧٠٧م.

كما أنه للمؤرخين المحدثين رأياً في تاريخ ولاية موسى، فها هو العالم الجليل الدكتور السيد عبدالعزيز سالم يرى أنها كانت في أواخر سنة ٨٥هـ/٧٠٤م[١٢].

ويشير الأستاذ محمد عبدالله عنان إلى أن ولاية موسى على أرجح الأراء في سنة ٨٩هـ/٧٠٨م[١٣] ولكن الدكتور صابر دياب لا يوافق على هذا الرأى، ويحددها بسنة

---

(١) ابن قتيبة : الأمامة والسياسة، الجزء الثاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٥٩-٦٠. ابن عذارى ١/ ٣٩-٤٠. محمد عبدالله عنان، ص٢٠-٢١ . السيد عبدالعزيز سالم، ص ١٦٥، ١٦٦ .

(٢) ابن قتيبة ٢/ ٦٠.

(٣) محمد عبدالله عنان، ص٢١، ٢٠ . السيد عبدالعزيز سالم، ص١٦٥، ١٦٦

(٤) تاريخ اليعقوبي ٣/ ٢٧٧ .

(٥) فتوح مصر والمغرب، ص٢٠٣ .

(٦) الكامل ٤/ ١١٢ .

(٧) الحلة السيراء ٢/ ٣٣٢ .

(٨) الأمامة والسياسة ٢/ ٦١ .

(٩) المؤنس، ص٣٥ .

(١٠) فتوح البلدان ١/ ٢٧٢ .

(١١) نهاية الأرب ٢٤/ ٣٩ .

(١٢) تاريخ المغرب، ص١٦٥ .

(١٣) محمد عبدالله عنان ١/ ٢١ .

٨٦هـ/٧٠٥م [١] ويمكننا القول أن ولاية موسى كانت فى أواخر سنة ٨٥هـ/٧٠٤م وأوائل سنة ٨٦هـ/٧٠٥م لأن ذلك يتعاشى مع سير الأحداث فى الدولة الإسلامية فى ذلك الوقت.

٢- فتوح موسى بن نصير فى إفريقية

لما قدم موسى إلى إفريقية كانت البلاد تمر بأزمة اقتصادية حيث اشتد القحط وترتب عليه إرتفاع الأسعار وأمر الناس بالصلاة والصوم وخرج الناس إلى الصحراء للصلاة والدعاء وأقام الناس إلى منتصف الليل ثم صلى وخطب فى الناس[٢].

وكان أول عمل قام به موسى بن نصير فى إفريقية عزل أبى صالح مولى حسان بن النعمان وقبض عليه[٣]. وأغرمه عشرة آلاف دينار ووجهه فى الحديد إلى الخليفة عبدالملك بن مروان[٤].

وبلغه أن بأطراف البلاد قوما خارجين عن الطاعة[٥]. "وأن أكثر المدن خالية باختلاف أيدى البربر عليها"[٦] وعزم موسى على ملاحقة الثائرين فى كل جيوب المغرب ويتضح ذلك جلياً من بيانه السياسى الذى أدلى به عقب وصوله " أن كل من كان قبلى كان يعمد إلى العدو الأقصى ويترك عدوا منه أدنى وينتهز منه الفرصة، ويدل منه على العورة ويكون عوناً عليه عند النكبة وليم الله لا أريم هذه القلاع والجبال الممتنعة حتى يضع الله أرفعها ويذل أمنعها ويفتحها على المسلمين بعضها أو جمعها أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمي [٧]".

يكشف هذا الخطاب السياسة العامة لموسى بن نصير فى المغرب .قتال العدو القريب أولاً ثم مواصلة الزحف لقتال العدو البعيد[٨]. كما أن الخطاب الذى ذكره ابن قتيبة

---

(١) صابر محمد دياب، ص١١٠ حاشية(١)

(٢) ابن الأثير ٤/ ١١٢. السلاوى١/ ٤٤.

(٣) ابن عبدالحكم، ص٢٠٣. بن الأثير٤/ ١١٤. النويرى ٢٤/ ٣٩. ابن خلدون٤/ ١٨٧. القلقشندى٥/ ١١٨. السلاوى ١/ ٤٤.

(٤) ابن قتيبة ٢/ ٦٢.

(٥) ابن الأثير٤/ ١١٢.

(٦) الرقيق، ص٦٨. ابن عذارى١/ ٤١.

(٧) ابن قتيبة ٢/ ٦٣.

(٨) محمود شيت خطاب١/ ٢٢٩.

يحتاج من الباحث أن يكون حذر فى التعامل معه لأن هذه القطعة من الأخبار الواردة فى كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة مشكوك فيها لأن معظمها يرجع إلى حفيد له يسمى معارك الأنصارى والأغلب أنه من نسل موسى بن نصير وهو مصدر هذه الأخبار. كما أننا نتحفظ على بعض العبارات الواردة فى الخطاب عن ولاة المغرب السابقين[1]. ونشك فى صحة هذا الخبر أن يصدر عن موسى. ومن المحتمل أن يكون منحول.

وأشاد أحد الباحثين بخطاب موسى أن هذا الخطاب يكشف عن مواهب موسى العالية وخبرته السليمة بحقيقة الأوضاع فى شمال إفريقية وأرض الزاب قبل القيام بأى عمل حربى آخر[2]. ولقد استفاد موسى بن نصير من تجارب أسلافه السابقين قادة الفتح الإسلامى؛ لذا أراد تطبيق قاعدة جديدة تقوم على الربط بين طبيعة الجغرافية لشمال إفريقيا وبين أعماله الحربية. فقام بتأمين المنطقة التى تقع فيها القيروان قاعدة الفتوح، وفى هذه المنطقة كان الروم يحاولون فيها إفساد كل تقدم للمسلمين ينطلق منها إلى شمال إفريقيا[3].

أ- فتح قلعة زغوان

كان أول فتوح موسى بن نصير قلعة زغوان التى يسكنها قوم من البربر وزعيمهم يدعى "ورقطان" وكانوا يغيرون على المسلمين فوجه إليهم موسى عبدالملك الخشينى بسرية من جيشه حوالى خمسمائة فارس وفتحها بعد أن قطع دابرهم وبلغ سبيهم يومئذ عشرة آلاف رأس. يشير الدكتور حسين مؤنس إلى المبالغات فى أرقام السبى، ويقطع بأن هذا غير صحيح ويستند فى رأيه إلى أن هذه القلعة لم يكن بها ١٠,٠٠٠ إنسان فكيف يكون سبيها ١٠,٠٠٠ رأس؟ ومن أى جنس كان هذا السبى؟ من البربر وقد أسلموا أوصادقوا المسلمين فلا سبيل إلى السبى منهم أو من الروم ولم يكن منهم فى هذه الناحية هذا العدد ولا قريب منه[4] وهذا أول سبى دخل القيروان فى ولاية موسى[5].

---

١) حسين مؤنس ١/ ١١٤.

٢) إبراهيم أحمد العدوى : بلاد الجزائر تكوينها الإسلامى والعربى، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٠م، ص١١٦ .

٣) إبراهيم أحمد العدوى : موسى بن نصير، ص٣٤.

٤) حسين مؤنس : تاريخ المغرب ١/ ١١٨.

٥) ابن قتيبة ٢/ ٦٣. ابن عذارى ١/ ٤٠.

خريطة رقم (٩) خط سير حملة موسى بن نصير

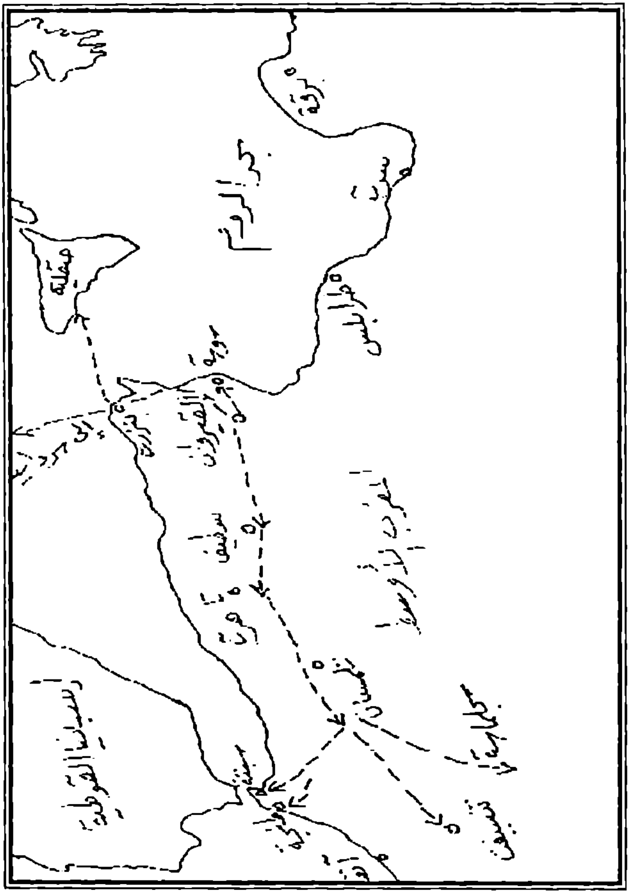

المصدر: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص ١٢١.

ب- فتح نواحي القيروان

أرسل موسى ابنه عبدالرحمن بحملة إلى بعض نواحي المغرب، فقدم عليه بمائة ألف رأس. ثم وجه ابنه مروان إلى مناطق أخرى وبلغ الخمس يومئذ ستين ألف رأس[1]. وكتب موسى إلى عبدالعزيز يخبره بالفتح - ويبدو أن الكاتب ذكر أن الخمس بلغ ثلاثين ألفا - . فلما قرأ عبدالعزيز بن مروان الكتاب وأن الخمس من السبي ثلاثون ألفا، أستكثر ذلك ورأى أنه وهم من الكاتب لكثرته فكتب إلى موسى "إنه قد بلغني كتابك تذكر أن الخمس ما أفاء الله عليك ثلاثون ألف رأس فأستكثر ذلك، وظننته وهما من الكاتب .فأكتب بالحقيقة "فكتب إليه موسى: "قد كان ذلك وهما من الكاتب على ما ظنه الأمير والخمس، أيها الأمير ستون ألف رأس ثابتا بلا وهم"[2].

٤- فتح المغرب الأوسط

أرسل موسى حملة إلى المغرب الأوسط بقيادة عياش بن أخيل إلى قبائل هوارة وزناته في ألف فارس وشن هجوماً عليهم وجنى من سبيهم نحو خمسة آلاف. وكان عليهم رجل منهم يقال له كمامون فبعث به موسى إلى عبدالعزيز في وجوه الأسرى[3].

وذكر الدكتور إبراهيم العدوى أن موسى أعطى تعليمات إلى عياش بن أخيل تنص على معاملة القبائل الراغبة في الصلح معاملة كريمة، وترك تدبير أمورها بيد أناس من أهلها في حين أصر موسى على أخذ رهائن من تلك القبائل ضماناً لاحترامها العهود والمواثيق. وجاءت هذه السياسة بنتائج هامة حيث أتاحت الفرصة لنفر من أهل تلك القبائل للإقامة بين الجند العرب ومعرفة نواياهم الحقيقية في الفتح، وهي أنهم جاءوا لنشر الإسلام على عكس ما كانت تصوره دعايات الروم المسمومة. ومن ثم بدأت تكثر أعداد الداخلين في الإسلام من أهل المغرب الأوسط[4].

كما أخبر الجواسيس موسى بن نصير بضرورة الهجوم على قبيلة صنهاجة البربرية على غرة وأن أبلهم تنتج ولا يستطيعون تركها في حالة المفاجئة. فأغار عليهم موسى بأربعة آلاف من أهل الديوان وألفين من المتطوعة. ومن قبائل البربر ولقي موسى

---

(١) ابن قتيبة ٢/ ٦٣. ابن الأثير٤/ ١١٢. ابن عذارى١/ ٤٠. النويرى٢٤/ ٣٩. السلاوى١/ ٤٤.

(٢) ابن قتيبة ٢/ ٦٤. ابن عذارى١/ ٤٠.

(٣) ابن قتيبة٢/ ٦٦.

(٤) إبراهيم أحمد العدوى: موسى بن نصير، ص٣٩.

صنهاجة في منطقة وادى ملوية بالمغرب الأوسط وسبى منهم نحو مائة ألف رأس ومن الأبل والبقر والغنم ما لا يحصى. ولما علم جنده بفتوح موسى رغبوا في الخروج بقيادة المغيرة بن بردة فبلغ سبيهم ستين ألف رأس[1].

وزحف موسى في سنة (٨٣هـ / ٧٠٢م) إلى سجوما وهي من مدن قبيلة أوربة في المغرب الأوسط على رأس حملة مكونة من عشرة آلاف من المسلمين بعد أن استخلف على القيروان ابنه عبدالله. وظفر بهم موسى وجنى من سبيها نحو من مائة ألف. وأثار هذا المقدار دهشة الخليفة الوليد بن عبدالملك لما علم به. وكتب إلى موسى: "ويحك أظنها إحدى كذباتك فإن كنت صادقا فلهذا حشر الأمم"[2].

وبعث موسى بن نصير إلى عياض وعثمان وأبى عبدة ابني عقبة بن نافع للأخذ بثأر أبيهم عقبة وكان بسقيوما بقية قتلة عقبة. وتمكن عياض من الفتك باعداداً كبيرة منهم[3].

٥- فتح طنجة

رغب موسى في توسيع عملياته العسكرية في بقية أنحاء المغرب الأقصى فبعث ابنه مروان على رأس حملة مكونة من خمسة آلاف رجل إلى السوس الأقصى وسبى منه ألف رأس[4]. وورد هذا الرقم أربعين ألفا عند خليفة بن خياط[5]. وابن قتيبة الدينورى[6].

وسير موسى ابنه عبدالله إلى الخارجين عن الطاعة فسبى منهم ألف رأس[7]. وطارد موسى فلول البربر الذين هربوا إلى المغرب الأقصى فلاحقهم حتى بلغ السوس الأدنى. فلما رأى البربر ما نزل بهم استأمنوا وأطاعوا فولى عليهم واليا[8]. وسار موسى إلى طنجة وهو أول من نزلها من المسلمين وبها من بطون البربر قبائل البتر والبرانس ممن لم يكونوا

---

(١) ابن قتيبة ٢/ ٦٧. محمود شيت خطاب ١/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

(٢) الرقيق، ص٧٧. البكرى، ص١١٧ ـ ١١٨.

(٣) ابن قتيبة ٢/ ٦٧ ـ ٦٨. الرقيق، ص٧٧. ابن عذارى ١/ ٤١.

(٤) ابن عبدالحكم، ص٢٠٤. النويرى ٢٤/ ٣٩.

(٥) تاريخ خليفة بن خياط، ص٣٠٢.

(٦) الأخبار الطوال ٢/ ٧١.

(٧) ابن الأثير ٤/ ١١٢. النويرى ٢٤/ ٣٩.

(٨) الرقيق، ص٦٩. ابن عذارى ١/ ٤٢.

قد دخلوا فى الطاعة واختط فيها موسى وعين على طنجة مولاه طارق بن زياد وترك تحت إمرته سبعة عشر ألفا من العرب واثنى عشر من البربر وأمر العرب أن يعلموا البربر القرآن الكريم وأن يفقهوهم فى الدين. واهتم موسى بن نصير بنشر الدين بين البربر وترك الدعاه يعلمون الناس القرآن الكريم واللغة العربية حيث ترك سبعة وعشرين رجلاً من العرب لهذا الهدف[1]. كما حرص على ترسيخ قواعد الإسلام فشيد المساجد وجعل المنابر ومنها مسجد أغمات هيلانة[2].

وحرص موسى على تأمين الساحل الشمالى للمغرب من خطر الروم، فوضع حماية للرباط مكونة من ألف وسبعمائة تحت قيادة ابنه مروان. ويبدو أن الوقت لم يكن مناسباً لمروان فعاد إلى القيروان[3]. وبعد أن اخضع موسى طنجة وما حولها قفل عائداً إلى القيروان وأرسل بسر بن أبى أرطاة إلى قلعة مجانة ففتحها وعاد بغنائم كثيرة وسميت بقلعة بسر[4].

٦ـ يليان حاكم سبتة

اخضع موسى بن نصير بلاد المغرب كلها إلى الإسلام فيماعدا مدينة سبتة[5] التى كان يحكمها يليان من قبل القوط فى الأندلس. وكان يليان يؤدى الطاعة إلى ملك الأندلس القوطى لذريق فراسل طارق يليان وبعث إليه بالهدايا[6] واستجاب يليان لدفع الجزية وكان نصرانيا فأقره موسى على حكم سبتة[7]. وقد اختلفت المصادر فى شخصية يليان، فيذكر البعض أنه قوطى، ويزعم أنه رومى، وبعضها ينسبه إلى بربر غمارة[8].

---

(١) الرقيق، ص٦٩. ابن عذارى١/ ٤٣.

(٢) ابن عذارى١/ ٤٣.

(٣) سعد زغلول عبدالحميد ١/ ٢٤٤.

(٤) الرقيق، ص٧٠ـ ٧١.

(٥) اختلفت الأراء فى تأسيس مدينة سبتة لقبل أنها فى العصر الرومانى، وربما يكون الأقرب إلى الصح أن يكون فى العهد الفينقى الأول أو الثانى. وقيل أيضا أن اسمها اشتق من أحد المعالم الرومانية وهو septem سبعة عدد التلال الواقعة حواليها من الزلاق. انظر:

محمد بن تاويت: مدينة سبتة عبر التاريخ، بحث ضمن محاضرات المهرجان الثقافى الثالث ـ جمعية الثقافة الإسلامية ـ المغرب، تطوان، ١٩٨٤م، ص١.

(٦) ابن عبدالحكم، ص٢٠٥. السيد عبدالعزيز سالم، ص١٧١. محمد عبدالله عنان، ص٢٣.

(٧) السلاوى١/ ٤٤.

(٨) السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين، ص٤٧.

٧ـ سبي موسى بن نصير في الميزان

اطلق المؤرخون العرب العنان في ذكر عدد سبي موسى بن نصير ووصل الأمر إلى حد الخيال وهذا يقودنا إلى إشكالية عدم الدقة في ذكر الأرقام ويستلزم ذلك من المؤرخ فحص وتمحيص الأرقام عموما وليس أخذها على علتها. ونخلص من تلك المبالغات في سبي موسى إلى أنه كان كثيراً مقارنة بغيره ونستند في ذلك إلى قول الفقهاء العدول والمشهود لهم وهو الليث بن سعد: "فبلغ الخمس يومئذ ستين ألفا رأس ولم يسمع بمثل هذا في الإسلام"[1]. ومما يؤكد على صدق هذا الرقم المكاتبات المتبادلة بين موسى وعبدالعزيز بن مروان والي مصر: "وكتب موسى إلى عبدالعزيز يخبره بالفتح ويعلمه أن الخمس أيها الأمير ستون ألف رأس ثابتا بلا وهم"[2]. وسوف أرصد بعض المبالغات الواردة في أمهات المصادر.

---

(١) النويري ٢٤/ ٣٩.

(٢) ابن قتيبة ٢/ ٦٤. ابن عذاري١/ ٤٠.

احصاء بسبى موسى بن نصير مرتب زمنيا من اشهر مؤرخى العرب

م	عدد السبى	خمس السبى	الحملات	المصدر	ملاحظات
١	١٠٠ ألف	-	-٦٠ الف من السوس الأقصى -٤٠ألف من حملة مروان بن موسى. -٢٠ألف جناها موسى من طبنة	خليفة بن خياط: (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) ص ٢٧٨ -٢٧٩، ٣٠٢	هذا الرقم لا يستقيم على ما أجمعت عليه المصادر من أن خمس السبى هو ستين ألفا
٢	٢٠٠ ألف	-	-١٠٠الف من حملة مروان بن موسى إلى السوس الأقصى -١٠٠ألف من حملة بعث بها موسى بقيادة ابن أخيه	ابن عبد الحكم: (ت ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م) ص ٢٠٤	-لم يشر ابن عبد الحكم إلى ذكر اسم ابن أخى موسى بن نصير ولا الجهة التى صار إليها. -يبدو ان ابن عبد الحكم أغفل مائة ألف لكى يستقيم العدد

م	عدد السبي	خمس السبي	الحملات	المصدر	ملاحظات
٣	٦١٥ ألف	-	-١١٠ألف من قلعة زغوان. -١٠٠ الف سبي عبد الرحمن. -١٠٠ألف من صنهاجة. -٦٠ ألف من صنهاجة. -٥ألف من هوارة وزناته -٢٠٠ ألف من سجوما. -٤٠ ألف من السوس الأقصى	ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) جـ٢، ص ٦٣، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٧١	-تحمل هذه الأرقام مبالغات كبيرة ويغلب عليها الاضطراب والتناقض ونستند إلى الأدلة التالية : ١- ذكر ابن قتيبة الدينوري أن موسى بعث كتابا إلى عبد العزيز والى مصر بمقدار الخمس الذى صححه موسى بستين ألف رأس. ٢-أن ابن قتيبة مؤرخ مشرقي ومنهج البحث يقتضي منا أن نأخذ معلوماته عن المغرب بحذر شديد في حالة نسبة كتاب الإمامة والسياسة له. لأن هناك فريق من المؤرخين ينكر على ابن قتيبة تأليف هذا الكتاب .

ملاحظات	المصدر	الحملات	خمس السبي	عدد السبي	م
من المحتمل ان كلمة مائة سقطت في الكتابة فبدلا من مائة ألف كتبت ألف رأس ونستند في ذلك إلى تأكيد ابن الأثير على مقدار الخمس بستين ألفا	ابن الأثير: (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) إلى جـ٤، ص ١١٢	ألف رأس من حملة عبد الله بن موسى إلى الخارجين عن الطاعة ألف رأس من حملة لهارون إلى طائفة من الخارجين عن الطاعة ألف رأس من حملة موسى إلى طائفة أخرى	٦٠ ألف	-	٤
تتميز أعداد النويري بدقة شديدة	النويري: (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٥م) نهاية الأرب، جـ ٢٤، ص ٣٩	-١٠٠ ألف ظفر بهم عبد الله بن موسى. -١٠٠ ألف ظفر بهم مروان بن موسى. -١٠٠ ألف ظفر بهم موسى بن نصير	٦٠ ألف	٣٠٠ ألف	٥
	ابن عذارى: (كان حياسنة ٧١٢هـ/ ١٣١٤م)	-١٠ ألف من قلعة زغوان. -١٠٠ ألف من حملة عبد الله ابن موسى. -١٠٠ ألف من حملة مروان ابن موسى. -٥ ألف من فتح موسى لهوارة وزناته .	٦٠ ألف	٢١٥ ألف	٦

م	عدد السبى	خمس السبى	الحملات	المصدر	ملاحظات
٧	–	٧٠ ألف	أشار ابن خلدون إلى حملات عبد الله، ومروان، وموسى بن نصير دون ذكر للأعداد التي جنوها	ابن خلدون: (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) جـ٤، ص ١٨٧	لا أوافق على مقدار الخمس الذى حدده ابن خلدون بسبعين ألفا لأن هناك شبه اجماع من المؤرخين على تحديده بستين ألفا.

٨ـ النشاط البحرى

لم يغفل موسى بن نصير الجهاد البحرى فأهتم بانشاء أسطول قوى ووسع دار الصناعة وشق قناة بطول اثنى عشر ميلاً بين الميناء (رادس) وبين المدينة فأصبحت المدينة وكأنها مشتى للسفن تقيها من العواصف وسوء الأحوال الجوية وصنع بها مائة مركب[١]. لصد هجمات البيزنطيين على طول سواحل المغرب وبعث أبنه عبدالله فى غزوة بحرية وشن هجوماً على جزر البليار وجزر ميورقة ومنورقة[٢]. وكانت هذه الجزر من أملاك ملك إسبانيا القوطى. وسارت حملة أخرى إلى صقلية حيث وجه موسى المغيرة ابن أبى بردة العبدى بحملة بحرية إليها فى سنة(٨٦هـ /٧٠٥م).ففتح مدينة أولية وهى أول مدائن صقلية من ناحية المغرب[٣]. وسير موسى حملة بقيادة ابنه عبدالله إلى جزيرة سردانية فى سنة (٨٧هـ /٧٠٦م) وغزاها أيضا عبدالله بن حذيفة الأزدى فى نفس العام[٤].

(١) ابن قتيبة٢/ ٧٠. سعد زغلول عبدالحميد١/ ٢٤٦. ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص٩٥.

(٢) ابن الأثير٤/ ١١٢. عصام الدين عبدالرؤف، ص٢٧.

(٣) خليفة بن خياط، ص٢٩٢.

(٤) ابن عذارى١/ ٤٣.

دور موسى بن نصير فى فتح الأندلس

كان يليان حاكم سبتة يدين بالطاعة للك الأندلس غيطشه وأبنائه. وقام بانقلاب أحد قادة الجيش ويدعى لذريق وأغتصب الملك من غيطشه ولم يغير يليان ولائه للملك غيطشه وأبنائه. أما لذريق فقد أحتفظ بولدى غيطشه الآخرين: وهما أرطباس والمند إلى جواره حتى يستوثق من إخلاصهما له. ويقضى بذلك على الثورات الموالية لبيت غيطشه. ونظم لذريق مطاردة لانصار وقلة، ففروا من إسبانيا وألتمسوا سبل النجاة إلى أقصى الشمال أو إلى سبتة. وطلبوا من يليان الحماية وبمساعدة يليان نجح هؤلاء الفارون فى الأتصال بالعرب وحثوهم على فتح الأندلس، أملا فى أسترداد العرش لأميرهم وقلة. أعتقادا منهم أن العرب لم يستمروا طويلاً فى الأندلس بعد فتحها بعد أن يجنوا منها الغنائم[1].

طلب يليان حاكم سبتة من قبل القوط من موسى بن نصير أن يمدهُ بقوة لفتح الأندلس مبيناً أهميتها وضعف أهلها[2]، فأرسل موسى بن نصير إلى الخليفة الوليد يستشيرهُ فى هذا الأمر فجاء رد الخليفة "أن خضها بالسرايا حتى تختبر ولاتغرر بالمسلمين فى بحر شديد الأهوال فأرسل إليه موسى أنه ليس ببحر، وإنما هو خليج يتبين للناظر ما وراءه".

ووافق الخليفة الوليد على فتح الأندلس بشرط إرسال حملة استطلاعية لاستكشاف الأمر وأرسل لموسى " وإن كان فلابد من اختباره بالسرايا[3] " .

أ - حملة طريف بن ملك

أرسل موسى بن نصير حملة استطلاعية بقيادة طريف بن مالك يُكنى بأبى زرعة فى رمضان سنة (٩١هـ / يوليه ٧١٠م) مكونة من أربعمائة رجل ومائة فارس، عبر مضيق الزقاق على متن أربع سفن قدمها يليان لهم. ونزل طريف فى جزيرة الأندلس بالقرب من الموضع الذى ستقوم فيه بلدة تحمل إسم طريف[4]. وقام المسلمون بشن سلسلة من الغارات

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٢) ابن القوطية : افتتاح الأندلس، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع، القاهرة (د . ت) ص٤٥ .

(٣) ابن الأثير ٤ / ١٢٢ .

(٤) تقع جزيرة طريف فى أول المجاز المسمى بالزقاق . أنظر الحميرى : صفة جزيرة الأندلس، نشر بروفنسال، الطبعة الثانية دار الجيل، بيروت ١٩٩٨م ص١٢٧ .

على الجزيرة الخضراء، وعادت الحملة بغنائم كثيرة[1] إلى المغرب، لذا تسابق المسلمين على الغزو[2].

ب - حملة طارق بن زياد

فأرسل موسى بن نصير حملة لفتح الأندلس، وأسند إلى طارق بن زياد والى طنجة القيام بتلك المهمة. فعبر طارق إلى الأندلس فى رمضان ٩٢هـ/٧١١م، بقوة إسلامية مكونة من سبعة آلالف مقاتل معظمهم من البربر والموالى وقلة من العرب [3].

ونزل طارق على الجبل المتصل بالبر فسمى جبل طارق[4]. وأقام هناك عدة أيام بنى خلالها سور أحاط بجيوشه سماه سور العرب[5].

وكانت قرطاجنة من أول المدن التى سقطت فى أيدى المسلمين [6] ومن حسن الحظ أن وقت عبور طارق إلى الأندلس كان مناسباً تماماً فكان القوطى لذريق مشغولا بالقضاء على بعض الأضطرابات الداخلية فى أقصى الشمال فى بنبلونة لقتال البشكنس[7].

ولما علم لذريق بنزول المسلمين إلى الأندلس عبأ جيشاً ضخماً وصل تعداده إلى مائة ألف[8]، وجعلها ابن قتيبة[9] سبعين ألفا، وابن خلدون[10] أربعين ألفا .

---

(١) " واصاب سبيا لم يرى موسى ولا اصحابه قبله حسنا، ومالا جسيما وأمتعة "

مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس، تحقيق ابراهيم الابيارى، الطبعة الأولى، دارالكتاب المصرى، القاهرة ١٩٨١م، ص١٧ . ـ المقرى ١ / ٢٤٢ .

(٢) مجهول : أخبار مجموعة، ص١٦، ١٧ . ابن الأثير ٤ / ٤٥ .

ـ ابن عذارى ٢ / ٥ . النورى ٢٤ / ٤٥ . الحميرى ، ص٨، ١٢٧ .

(٣) مجهول : أخبار مجموعة، ص١٧ . ابن الأثير ٤ / ١٢٢ .

ـ النويرى ٢٤ / ٤٥ . الحميرى : صفة جزيرة الأندلس، ص٩ .

ـ المقرى ١ / ٢٢١، ٢٤٣ . و ذكر ابن خلدون " أن عدد العرب قدر بحوالى ثلاثمائة " العبر، جـ٤، ص١١٧ .

(٤) ابن عبد الحكم، ص ٢٠٥ .

ـ ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية. مدريد ١٩٧١م، ص ٤٦ ـ ابن خلدون ٤ / ١١٧ .

(٥) أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس مؤسسة شباب الجامعة الأسكندرية، ص ٢٩.

(٦) ابن عبد الحكم، ص ٢٠٦ .

(٧) نفسه، ص ٢٠٦ .

(٨) مجهول : أخبار مجموعة، ص١٧ . ابن الكردبوس ، ص ٤٧ . النويرى ٢٤ / ٤٧ . المقرى ١ / ٢٢١ .

(٩) الإمامة والسياسة، جـ٢، ص٧٤ .

(١٠) العبر، جـ٤ ، ص١١٧ .

ولقد وصلت أنباء حشود لذريق للتصدى للمسلمين، فأرسل طارق بن زياد إلى موسى ابن نصير يطلب منه "المدد" إن الأمم قد تداعت علينا من كل ناحية فالغوث الغوث[1]

وأمدَّ موسى بخمسة آلاف جندى وأرسل معهم "يليان" يدلهم على العورات وتجسس لهم الأخبار[2] " .

وحدث اللقاء الفاصل بين المسلمين والقوط في يوم الأحد ٢٨من رمضان ٩٢هـ/١٩يوليو ٧١١م في وادى البرباط أو وادى لكة[3]، واستمر القتال بين الطرفين لمدة ثمانية أيام[4] وانتهى اللقاء بهزيمة ساحقة للقوط[5].

وجنى المسلمون غنائم كثيرة من الذهب والفضة والجواهر[6]، وواصل طارق زحفهُ إلى أستجة للقضاء على بقايا جند القوط الذين فروا إليها[7].

وأشار يليان على طارق أن يفرق جيشهُ إلى فرق لفتح مدن الأندلس الأخرى[8] فأرسل مغيث الرومى مولى عبدالملك بن مروان إلى قرطبة بقوة مكونة من سبعمائة فارس ودبر حيلة للإستيلاء على قرطبة ونجحت خطته وفر حاكم قرطبة إلى إحدى الكنائس بغرب المدينة وتحصن بها لمدة ثلاثة شهور ثم يأس من الحصار وفر إلى أحدى الجبال المحيطة بقرطبة ولكن مغيث قبض عليه وأخذهُ أسيراً[9].

كما أرسل طارق جيشاً لفتح مالقة وبلدان رية[10]، أما طارق فزحف بجيش إلى طليطلة ولم يجد فيه سوى اليهود وقلة من سكانها لأن غالبيتهم هربوا إلى مدينة خلف المحيط

---

(١) ابن قتيبة ٢ / ٧٤ .
(٢) النويرى ٢٤ / ٤٧ . المقرى ١ / ٢٢١ .
(٣) ابن القوطية، ص٣٣ . المقرى ١ / ٢٣٨ .
(٤) ابن الكردبوس : تاريخ ابن الكردبوس (مقدمة المحقق، ص٢٧) .
(٥) مجهول : أخبار مجموعة، ص١٨ .
(٦) ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق محمد شمام، الطبعة الثانية ، تونس ١٩٧٦م، ص ٣٦ .
(٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص١٩ . ابن الأثير ٤ / ١٢٢ . النويرى ٢٤ / ٤٧ .
(٨) مجهول : أخبار مجموعة، ص١٩ . ابن عذارى ٢ / ٩ .
(٩) مجهول : أخبار مجموعة، ص ٢٠، ٢١ . ابن عذارى ٢ / ١٠٧ . ـ المقرى ١ / ٢٤٩ – ٢٥١ .
(١٠) مجهول : أخبار مجموعة، ص٢١ . ابن عذارى ٢ / ١١ .

المحيط بطليطلة، وتتبع طارق فلولهم إلى وادى الحجارة وقطع الجبل من فج يطلق عليه الآن فج طارق[1]. وعاد طارق إلى طليطلة ليقضى فصل الشتاء[2].

ج – حملة موسى بن نصير

كما عبر موسى بن نصير إلى الأندلس في سنة ٩٣هـ، بحملة مكونة من ثمانية عشر ألفا[3] وبصحبته مجموعة من وجوه العرب نخص بالذكر منهم حبيب بن أبي عبدة الفهرى، وعلى بن رباح اللخمى، وحيوة بن رجاء التميمى، وحنش بن عبدالله الصنعاني، وبعض الموالى وعرفاء البربر [4].

ولقد نزل موسى في الجزيرة الخضراء وبنى فيها مسجداً عرف بالرايات نسبة إلى اكتمال رايات المسلمين[5]، وسلك طريقاً غير الذى فيه طارق[6] ليؤمن الأجزاء الأخرى من الأندلس.

وفتح موسى شذونة عنوة[7] ثم زحف إلى قرمونة ودخلها من وجهة باب قرطبة[8] ثم زحف إلى أشبيلية وحاصرها لمدة شهر، وكانت من أعظم مدن الأندلس تحصناً، وضم موسى يهودها إلى حامية المدينة .

وسار موسى إلى ماردة وأستولى في طريقه على لقنت التى سلم أهلها بدون مقاومة[9]، وفتحت ماردة صلحاً في آخر رمضان سنة ٩٤هـ وفي تلك الأثناء انتهز عجم اشبيلية

ـ ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة، المجلد الأول، حققه محمد عبدالله عنان، دار المعارف القاهرة ١٩٥٥م، ص١٠٧ . ـ المقرى : نفح الطيب، جـ١، ص٢٥٢ .

(١) مجهول : أخبار مجموعة، ص ٢٣، ٢٤ . ابن الأثير ٤ / ١٢٣ .
ـ ابن عذارى ٢ / ١٢ . المقرى : نفح الطيب، جـ١، ص٢٥٣ .

(٢) حسين مؤنس : فجر الأندلس، ص٧٩ .

(٣) ذكر ابن الشباط أن عدد جند موسى عشرة الألف (وصف الأندلس، ص١٤٥).

(٤) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٧ . مجهول : أخبار مجموعة، ص٢٤ . ابن خلدون ٤ / ١١٧ . المقرى ١ / ٢٥٧

(٥) حسين مؤنس، ص٩١ .

(٦) مجهول : أخبار المجموعة، ص٢٤ . ابن الأثير ٤ / ١٢٣ . ـ المقرى ١ / ٢٥٧ .

(٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص٢٤ . ابن القوطية، ص ٣٥ . ابن عذارى ٢ / ١٣ . المقرى ١ / ٢٥٧ .

(٨) مجهول : أخبار مجموعة، ص٢٤ . ابن الأثير ٤ / ١٢٣ . ابن عذارى ٢ / ١٢ .

(٩) حسين مؤنس ، ص ٩٢ .

فرصة انشغال طارق بحصار ماردة وثاروا على الحامية الإسلامية وقتلوا منهم نحو ثمانين رجلاً[1].

ولما علم موسى أرسل حملة بقيادة ابنه عبدالعزيز وأعاد فتحها ثم زحف عبدالعزيز إلى لبلة وعاد مرة ثانية إلى اشبيلية[2] وسار موسى إلى طليطلة وألتقى بطارق عند طلبيرة[3]

ولقد بالغ المؤرخون فيما حدث بين القائدين موسى وطارق عند لقائهما حيث ذكرو أن موسى وضع السوط على رأس طارق ووبخهُ [4] .

ولكن الثابت أن عتاباً رقيقاً أو اختلافاً في وجهات النظر في بعض الأمور التي كانت تحتاج إلى توضيح وانتهى الأمر باعتذار طارق بقوله "إنما أنا موالاك، وهذا الفتح لك"[5]

وبعد ذلك سار موسى وطارق صوب الشمال لفتح مدنه ففتحت سرقسطة سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م وأسس بها حنش بن عبدالله الصنعاني مسجدا، ثم غزا موسى لاردة وطركونة ووشقة [6].

ولما عزم موسى على اقتحام جليقية وفد عليه مغيث الرومي رسولاً من الخليفة الوليد ابن عبدالملك يأمرهُ بالخروج من الأندلس والتوجه إلى دمشق وماطل موسى حتى ينفذ خطته لغزو جليقية مقابل أن يكون شريكه في الأجر والغنيمة ثم أوفد الخليفة الوليد رسولاً آخر يطلب من موسى العودة إلى دمشق [7].

---

(١) مجهول : أخبار مجموعة، ص٢٦ . المقرى ١ / ٢٥٨ .

(٢) مجهول : أخبار مجموعة، ص٢٦ . ابن الأثير ٤ / ١٢٣ . ـ ابن عذارى ٢ / ١٥ . المقرى ١ / ٢٥٨ .

(٣) مجهول : أخبار مجموعة، ص٢٦ . المقرى ١ / ٢٥٨ .

(٤) مجهول : أخبار مجموعة، ص٢٦ . ابن الأثير ٤ / ١٢٣ . ـ ابن عذارى ٢ / ١٦ . النويرى ٢٤ / ٥١ .

(٥) ابن الرقيق ، ص ٧٨ .

ـ المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٤٩م، ص٣٤

(٦) حسين مؤنس، ص ١٠٣ السيد عبدالعزيز سالم، ص١٠١ .

(٧) المقرى ١ / ٢٦٣ .

على أية حال، عاد موسى وطارق من جليقية على الفج المعروف بفج موسى وساروا معاً إلى اشبيلية التى استخلف موسى عليها ابنه عبدالعزيز وأقره والياً على الأندلس وأختار موسى هذه المدينة لتكون مقر حكم الأندلس لاتصالها بالبحر[1].

ويشير أحد الباحثين إلى أن أصرار الخلافة الأموية بعودة موسى ضيع على المسلمين فرصة ذهبية للأمتداد فى قلب أوربا ليكون الوجود الإسلامى فى مأمن من تلك الغارات التى انطلقت على أسبانيا من الشمال [2].

وسار موسى بتلك الرجال والأموال والجوارى متوجها لدمشق يقول ابن قتيبة : " أن موسى لما قدم على الوليد، وكان قدومه عليه وهو فى آخر شكايته التى توفى فيها، وقد كان سليمان بن عبد الملك بعث إلى موسى من لقيه فى الطريق، قبل قدومه على الوليد، يأمره بالتثبط فى مسيره، وألا يعجل، فإن الوليد بآخر رمقه"[3]. ولم يركن موسى لطلب سليمان وسار حتى قدم على الوليد فى آخر أيامه وقدم له تلك الطرائف من الدر والياقوت والزبرجد، والوصفاء والوصائف والوشى ومائدة سليمان[4]. قبل موته بثلاثة أيام. فقال سليمان: "لئن ظفرت به لأصلبنه"[5]. ولما توفى الوليد وأفضت الخلافة إلى سليمان بعث إلى موسى فأتى به، وعنفه: "وأمر به سليمان أن يوقف فى يوم صائف شديد الحر على طريقه ... وكانت بموسى نسمة، فلما أصابه حر الشمس، وأتعبه الوقف، هاجت عليه ... حتى سقط ... ووقع مغشيا عليه"[6]. وندم الخليفة سليمان على ما فعله بموسى وقال من يضمه ؟ فقال يزيد بن المهلب: أنا أضمه وأفتدى موسى منه بثلاثة آلاف ألف دينار[7].

ويرى الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن توخي الحذر مطلوب فى تصديق هذه الروايات وليس من السهل التصديق أن سليمان يقوم بتعذيب تابعى جليل مثل موسى

---

(١) نفســـه، ص٢٦٣ .

(٢) محمد عبدالله عنان، ص ٥١ .

(٣) ابن قتيبة ٢ / ٨٣ . قارن السلاوى ١ / ٤٦ .

(٤) نفسه ٢ / ٨٤ . ابن عذارى ١ / ٤٥ .

(٥) ابن عذارى ١ / ٤٥ .

(٦) ابن قتيبة ٢ / ٨٤ . قارن ابن عذارى ١ / ٤٥ .

(٧) ابن قتيبة ٢ / ٨٥ . ابن عذارى ١ / ٤٦ .

الذى أسس ملكاً من عدمه ووقف حياته مجاهداً فى سبيل الله لمجرد وشاية ظالمة من خصومه .

ويسوق دليل على دحض تلك الروايات من ترك سليمان ولاية الأندلس لعبد العزيز بن موسى، وولاية أفريقية والمغرب لعبد الله[1].

عودة موسى بن نصير إلى الشرق

أختلفت الروايات التاريخية حول أسباب عودة موسى بن نصير إلى الشرق .

١ – خطة موسى بن نصير الطموحة بالزحف إلى قلب أوروبا ومنها إلى القسطنطنية حتى يصل إلى دمشق ونمى الخبر إلى الخليفة الوليد فأشتد قلقه على المسلمين ورأ أن ما همّ به موسى تغرير بالمسلمين فبعث إليه بالتوبيخ وأسر إلى سفيره أن يرجع بالمسلمين أن لم يرجع هو وكتب بذلك عهده ففت ذلك فى عزم موسى وقفل عن الأندلس[2].

٢ – حرص موسى بن نصير على مواصلة الجهاد فى فرنسا بعد أن فرغ من الأندلس وثبت سلطان الإسلام فيها. خشى الخليفة الوليد من أستقلال موسى بهذا القطر النائى . يقول ابن قتيبة: "ظن أنه يريد أن يخلعه، ويقيم فيها، ويمتنع بها، وقيل ذلك له، وأبطأت كتب موسى عليه، لأشتغاله بما هنالك من العدو وتوطينه لفتح البلاد . فأمر الوليد القاضى أن يدعو على موسى إذا قضى صلاته، وإن موسى لما دخل طليطلة، بعث على بن رباح بفتحها وأوفد معه وفداً، فسار حتى قدم دمشق صلاة العصر، فدخل المسجد فألفى القاضى يدعو على موسى. فقال: "أيها الناس، الله الله فى موسى، والدعاء عليه، والله ما نزع يدا من طاعة، ولا فارق جماعة، وأنه لفى طاعة أمير المؤمنين والذب عن حرمات المسلمين، والجهاد للمشركين، وإنى لأحدثكم عهداً به، وما قدمت الآن إلا من عنده، وإن عندى خبره، وما أفاء الله على يده لأمير المؤمنين، وما أمد به المسلمين، ما تقر به أعينكم ، ويسر به خليفتكم"[3].

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب، ص ١٩٨ .

(٢) السلاوى ١ / ٤٥ .

(٣) الإمامة والسياسة ٢ / ٧٥ – ٧٦ .

ولما علم الخليفة الوليد بخبر هذا الوفد أستدعاه وسلموه كتاب موسى[1].

وكنا نود من الخلافة الأموية تقديم يد العون لموسى لمواصلة سير الفتوحات فى أوروبا وضم أكبر جزء منها إلى دار السلام ولكن البلاط الأموى أخذ يرصد تحركات موسى ويصدق الوشاية ضده ومنها سوء تصرفه في الأموال، كذلك ما كان بينه وبين طارق بن زياد من الخلاف[2].

وظفر موسى بكل من حاربه: "فلم ترد له راية قط، ولا هزم له جمع قط، حتى مات" [3].

ولما وغل موسى إلى سرقسطة: "أشتد ذلك على الناس وقالوا: أين تذهب بنا؟ حسبنا ما فى أيدينا ... ثم أنصرف قافلا إلى الأندلس، فقال موسى يومئذ: أما والله لو أنقادوا إلىّ لقدتهم إلى رومية"[4].

وأستخلف موسى على الأندلس أبنه عبد العزيز، وجاز موسى البحر على الأندلس فغزا بالناس حتى بلغوا أربونة ثم قفل موسى إلى المغرب سنة (٩٣ هـ / ٧١٢ م) وأستخلف أبنه عبد الله على أفريقية وطنجة والسوس، وخرج معه ولده مرون وعبد الأعلى وعبد الملك، وخرج معه مائه رجل من أشراف الناس من قريش والأنصار وسائر العرب ومواليها منهم عياض بن عقبة، وعبد الجبار بن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، والمغيرة بن أبى بردة [5].

---

(١) ابن قتية ٢ / ٧٦ .

(٢) حسين مؤنس : تاريخ المغرب ١ / ١٢٢ .

(٣) ابن قتية ٢ / ٨٠ .

(٤) نفسه، ص ٨٠ – ٨١ .

(٥) نفسه، ص ٨١ – ٨٢ .

الباب الثانى

بلاد المغرب فى عصر الولاة

الفصل الأول : الولاة فى العصر الأموى

الفصل الثانى : الولاة فى العصر العباسى

الفصل الثالث : إنتشار الإسلام فى بلاد المغرب

الفصل الرابع : التعريب فى بلاد المغرب

الفصل الخامس : التنظيمات الإدارية والاقتصادية

الفصل الأول

الولاة فى العصر الأموى

يقصد بمصطلح عصر الولاة بالنسبة لكل بلد من البلاد التى فتحها العرب الفترة التى بين تمام الفتح وقيام أول الدول المحلية المستقلة فى القطر، أو فى ناحية منه. وتوقف دار الخلافة عن أرسال ولاتها إلى هذا القطر أو تلك الناحية المستقلة[1].

وتلعب ظروفاً عديدة فى أنهاء عصر الولاة. وتختلف من إقليم إلى آخر وغالبا ما كان عصر الولاة، ينتهى بتغلب شخصية طموحه على زمام الأمور فى البلاد البعيدة. فيبدأ بتأسيس كيان له يعتمد بالدرجة الأولى على قدراته الذاتية فى تنميته وحمايته، وقد يكون هذا الكيان مستقلاً تام الاستقلال. كما هو الحال بالنسبة للدولة الأموية فى الأندلس سنة (١٣٨ هـ / ٧٥٦ م) ودولة الادارسة فى المغرب الأقصى سنة (١٧٢ هـ / ٧٨٨ م) وقد يكون مرتبطاً بسياسة الدولة المركزية. مع تمتعه بأستقلال ذاتى واسع. وتحويل شامل فى إدارة كيانه. كدولة الأغالبة القائمة سنة (١٨٤ هـ / ٨٠٠ م) والذى يعتبر قيامها نهاية لعصر الولاة فى بلاد المغرب[2].

وفى بلاد المغرب لا تنتهى فترة الولاة فى تاريخ واحد معين نظراً لأن أجزاء المغرب لم تستقل عن دار الخلافة فى تاريخ واحد، فعصر الولاة ينتهى بالنسبة للمغرب الأوسط سنة (١٦٤ هـ / ٧٨١ م) وهى السنة التى قامت فيها دولة بنى رستم الأباضية فى تاهرت، وبالنسبة للمغرب الأقصى ينتهى سنة (١٧٢ هـ / ٧٨٨ م) وهو تاريخ قيام دولة الأدارسة. وبالنسبة إلى إفريقية تنتهى هذه الفترة سنة (١٨٤ هـ / ٨٠٠ م) وهى السنة التى قامت فيها دولة بنى الأغلب[3].

---

(١) حسين مونس : معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار مطابع المستقبل، القاهرة، ١٩٨٠ م، ص ٦٥.

ناطق صالح مطلوب وآخرين، ص ١٠٥.

(٢) ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص ١٠٥.

(٣) حسين مونس : تاريخ المغرب وحضارته، جـ ١، ص ١٣٣ - ١٣٤.

١ – محمد بن يزيد القرشي (٩٧ – ١٠٠ هـ / ٧١٦ – ٧١٨ م)

لما تولى الخليفة سليمان بن عبد الملك شئون الخلافة، أختار لولاية إفريقية محمد بن يزيد بمشورة رجاء بن حيوة سنة (٩٧ هـ / ٧١٦ م)[١] ونصحه سليمان بن عبد الملك: "يا محمد بن يزيد! أتق الله وحده لا شريك له! وقم فيما وليتك بالحق والعدل وقد وليتك إفريقية والمغرب كله!"[٢].

ولما جاء محمد بن يزيد إلى إفريقية أخذ موقفا عدائيا من أسرة موسى بن نصير وأنزل بهم أضرار بالغة يقول ابن عذارى[٣]: "وصله الأمر بأخذ عبد الله بن موسى بن نصير، وتعذيبه وإستئصال أموال بنى موسى فسجنه محمد وعذبه. ثم قتله بعد ذلك وكان سليمان قد أمره بأخذ أهل موسى وولده وكل من تلبس به، وإستئصال أموالهم وتعذيبهم، حتى يؤدوا ثلاثمائة ألف دينار. وتولى قتل عبد الله بن موسى خالد بن أبي حبيب القرشي".

وقد نوه ابن عذارى إلى ما حل بموسى وبنيه وعدها من هفوات سليمان التى لم تزل تنقم عليه[٤].

ولما علم عبد العزيز بن موسى بالكارثة التى حلت بأبيه وأخيه على يد الخليفة سليمان أراد الاستقلال بالأندلس وخلع طاعة الأمويين. ولكن الخليفة سليمان أرسل إلى حبيب بن أبى عبدة ووجوه العرب سراً بقتله فى أواخر سنة (٩٧ هـ/٧١٦م) أو (٩٨ هـ/ ٧١٧م)[٥].

وقد أشار الدكتور حسين مؤنس إلى أن سليمان قد فاته أن آل موسى كانوا قد تأصلوا فى المغرب والأندلس وأصبحوا من كبار رجال الدولة فى الجناح الغربى. وما نزل بهم قد ترك أثراً عميقا فى نفوس العرب البلديين جميعاً فلم يوفق محمد بن يزيد فى المغرب أو

---

(١) ابن عبد الحكم، ص ٢١٣. ابن عذارى ١ / ٤٧. النويرى ٢٤ / ٥٤.

(٢) الرقيق، ص ٩٣. ابن عذارى ١ / ٤٧.

(٣) البيان المغرب، جـ١، ص ٤٧. قارن. الرقيق، ص ٩٣ – ٩٤. الباجى المسعودى، ص ١٢. النويرى ٢٤ / ٥٤ – ٥٥.

(٤) ابن عذارى ١ / ٤٧.

(٥) الرقيق، ص ٩٥ – ٩٦. ابن عذارى ١ / ٤٧. النويرى ٢٤ / ٥٥. سعد زغلول عبد الحميد ١ / ٢٦٠.

أيوب بن حبيب اللخمي الذى ولى الأندلس بعد عبد العزيز بن موسى إلى عمل كثير[1].

وأبرز أعمال محمد بن يزيد هى :-

١ – عين على الأندلس الحر بن عبد الرحمن الثقفى، لأن الأندلس كانت تتبع إدارياً لوالى إفريقية.

٢ – أرسل بعض السرايا إلى مناطق الثغور فى المغرب لقتال الخارجين عن طاعته[2]

٣ – كان يقسم ما يصيبه من غنائم على جنوده دون أن يحجز لنفسه شيئاً منها، وقد كان لهذه السياسة الحكيمة أثرها العميق فى كسب أفواج جديدة من البربر إلى الإسلام[3].

٢ – إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر (١٠٠ – ١٠١ هـ / ٧١٨ – ٧١٩ م)

عم العدل فى دار الإسلام فى خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩ – ١٠١هـ / ٧١٧ – ٧١٩ م) وعاد بالأسلام سيرته الأولى زمن الراشدين[4].

واختار الخليفة عمر بن عبد العزيز لولاية أفريقية إسماعيل بن أبى المهاجر مولى بنى مخزوم سنة (١٠٠ هـ / ٧١٩ م) "على حربها وخراجها وصدقاتها"[5] وكان إسماعيل حسن السيرة[6]. فقد وصفه الرقيق[7] "وكان خير وال وخير أمير".

وقد امتاز عهده بنشر الإسلام بين البربر مما حدا ببعض المؤرخيين كابن عبد الحكم[8] إلى القول: "ولم يبق فى ولايته يومئذ من البربر أحد إلا أسلم". كما أكد خليفة ابن خياط[9] على نفس المعنى بقوله: "فأسلم عامة البربر فى ولايته".

---

(١) حسين مؤنس: مرجع سابق، جـ١، ص ١٤٥.

(٢) الرقيق، ص ٩٦. ابن عذارى ١ / ٤٧. السلاوى ١ / ٤٦.

(٣) السيد عبد العزيز سالم، ص ٢٠٣.

(٤) سعد زغلول عبد الحميد ١ / ٢٦١.

(٥) ابن عبد الحكم، ص ٢١٣.

(٦) خليفة بن خياط، ص ٢٣٢. البلاذرى ١ / ٢٧٣. ابن عبد الحكم، ص ٢١٣. ابن الأثير ٤ / ١٤٤.

(٧) تاريخ إفريقيا والمغرب، ص ٩٧. وأنظر أيضا المالكى ١ / ٧٥ – ٧٦. ابن عذارى ١ / ٤٨. السلاوى ١ / ٤٦.

(٨) ابن عبد الحكم، ص ٢١٣.

(٩) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٢٣. قارن البلاذرى ١ / ٢٧٣. المالكى ١ / ٧٥. ابن الأثير ٤ / ١٤٤. ابن خلدون ٤ / ١٨٨.

وأستقدم لهذه الغاية الشريفة طائفة من فقهاء التابعين انتهت إليهم الإمامة والرئاسة فى العلم وحفظ السنة واللغة أمده الخليفة عمر بن عبد العزيز بعشرة من العلماء[1] هم: أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافرى (المتوفى سنة ١٠٠ هـ) وأبو مسعود سعيد بن مسعود التجيبى، وإسماعيل بن عبيد الأنصارى المعروف بتاجر الله (المتوفى سنة١٠٧ هـ) وأبو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي (المتوفى سنة ١١٣ هـ)، وحيان بن أبي جبلة القرشى (المتوفى سنة ١٢٥ هـ) وموهب بن جنى المعافرى، وطلق بن حابان الفارسى، وبكر بن سوادة الجذامي (المتوفى سنة ١٢٨ هـ) وإسماعيل بن عبيد الله الأعور. وقد تولى إسماعيل بن أبى المهاجر توزيع هؤلاء التابعين فى ربوع المغرب وقد تحول البربر بفضل هؤلاء وبفضل الفقهاء الذين كان قد وزعهم حسان بن النعمان وموسى بن نصير من قبل فى بلاد البربر إلى أمة إسلامية. ولم يبق على غير الإسلام فى المغرب سوى جماعة من الروم، وطائفة من اليهود[2].

وقد تمكن هؤلاء الفقهاء التابعين من تعليم البربر حدود الإسلام من الحلال والحرام. فقد كانت الخمر "بأفريقية حلالاً حتى وصل هؤلاء التابعين فبينوا تحريمها"[3].

وأشار البلاذرى[4] إلى كتاب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى أهل المغرب يدعوهم فيها إلى الإسلام "فقرأها عليهم فى النواحى فغلب الإسلام على المغرب".

وكانت سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز المالية ناجحة إلى حد كبير فعزل الولاة الذين أساءوا السيرة فى أقاليم الدولة الإسلامية المختلفة سواء فى المشرق أو المغرب.

ولما شكا إليه بعض الولاة من كثرة الدخول فى الإسلام ونقص إيرادات المال وأستأذنوه فى فرض الجزية عمن أعتنق الإسلام وبخهم بشدة بقوله المشهور: "أن الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً". وأدت سياسة عمر الناجحة إلى إقبال الشعوب المفتوحة على الدخول فى الإسلام[5].

ونسوق دليل على نجاح سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز فى إفريقية من خلال ما

---

(١) عبد العزيز الثعالبى، ص ١١٨.

(٢) السيد عبد العزيز سالم، ص ٢٠٤. سعد زغلول عبد الحميد ١ / ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

(٣) أبو العرب : طبقات علماء أفريقية، ص ٨٧. ابن عذارى ١ / ٤٨. ناطق صالح مطلوب وآخرين، ص ١٠٨.

(٤) فتوح البلدان ١ / ٢٧٣.

(٥) عبد الحميد حسين حمودة : مرجع سابق، ص ٣٣ ـ ٣٤.

ذكره ابن عبد الحكم[1]: "قال يحيى بن سعيد: بعثنى عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقيا فاقتضتها وطلبت فقراء نعطيها فلم نجد بها فقيراً، ولم نجد من يأخذها منى، قد اغنى عمر بن عبد العزيز الناس فاشتريت بها رقاباً فاعتقتهم وولاؤهم للمسلمين ".

٢- يزيد بن أبى مسلم (١٠٢ هـ / ٧٢٠ م)

عندما توفى الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة (١٠١ هـ / ٧١٩ م) بدير سمعان، ولى الخلافة بعده يزيد بن عبد الملك[2]. وقام بتغيير عام فى سياسة الدولة فلم يسير على سياسة التسامح واللين التى أتصف بهما الخليفة عمر بن عبد العزيز وفى نفس الوقت لم يعمل بنصيحته[3]. وعادت الدولة إلى سيرتها الأولى من الأستبداد بأهل الأمصار وبدأت الأزمة فى المغرب عندما عزل الخليفة يزيد بن عبد الملك إسماعيل بن أبى المهاجر وعين مكانه يزيد بن أبى مسلم سنة (١٠٢ هـ / ٧٢٠ م) مولى الحجاج بن يوسف الثقفى وقد تقلد للحجاج بالعراق مناصب الشرطة[4] والكتابة[5].

وأبرز الأحداث فى ولاية يزيد بن أبى مسلم هى :

١- فرض الجزية على المسلمين الجدد :

عزم يزيد على أن يسير فى أهل إفريقية سيرة الحجاج فى أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار، ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة ودخل فى الإسلام بالعراق، قام بردهم إلى قراهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تأخذ منهم قبل اعتناقهم الإسلام. ولما أقدم يزيد على تطبيق نفس المنهج فى أفريقية أجمعوا على قتله[6].

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٩٨٧ م، ص ٤٩.

(٢) ابن عذارى ١ / ٤٨.

(٣) حسن على حسن، ص ٧٦.

(٤) البلاذرى ١ / ٢٧٣. الرقيق، ص ٩٨. ابن عذارى ١ / ٤٨. الباجى المسعودى، ص ١٣. السلاوى ١ / ٤٦. سعد زغلول عبد الحميد ١ / ٢٦٦.

(٥) ابن عبد الحكم، ص ٢١٣. ابن خلدون ٤ / ١٨٨.

(٦) ابن الأثير ٤ / ١٨٢. أبو المحاسن ١ / ٢٤٥. ابن خلدون ٤ / ١٨٨. السلاوى ١ / ٤٧.

٢ – تعذيب محمد بن يزيد :

لما تولى يزيد بن مسلم مقاليد الحكم في إفريقية أخذ محمد بن يزيد القرشي فعذبه وجلده جلداً وجيعاً فاستسقاه رماداً. وكان محمد بن يزيد قد ولى عذاب يزيد بالمشرق في زمان الحجاج. وكان قد بنى له في السجن بيتا ضيقا مثل الحبس الانفرادى وكساه جبة صوف غليظة وطبع عليها بخاتم من الرصاص[١].

٣ – التعسف مع حراسه :

كان حراس يزيد بن أبي مسلم حين قدم من البرانس ليس فيهم بترى وكانوا هم حرس الولاة قبله البتر ووصف ابن عبد الحكم[٢] سبب الكارثة التى حلت بيزيد: "فخطب يزيد بن أبي مسلم. فقال أني إن أصبحت صالحاً وشمت حرسي في ايديهم. كما تصنع الروم فاشم في يد الرجل اليمنى اسمه وفي اليسرى حرسي يتعرفوا بذلك من غيرهم فانفوا من ذلك ودب بعضهم إلى بعض في قتله". وقالوا: "جعلنا بمنزلة النصارى[٣]" وقتلوه بعد شهر من ولايته[٤].

٤ – تعين قائد الأسطول والياً :

ولما قتل يزيد أجتمع رأى أهل إفريقية على تعيين محمد بن أوس الأنصارى الذى عاد من غزو صقلية. لإدارة شئون البلاد[٥] وكتب أهل إفريقية إلى يزيد بن عبد الملك: "إنا لم نخلع أيدينا من طاعة ولكن محمد بن يزيد سأمنا ما لا يرضاه الله والمسلمون فقتلناه فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك إني لم أرض ما صنع يزيد بن مسلم[٦]". ولما عاد محمد بن أوس من صقلية قلده أهل إفريقية مقاليد الحكم ثم كتب إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك يخبره بما حدث ورضاء الناس به[٧].

---

(١) ابن عبد الحكم، ص ٢١٤.

(٢) فتوح مصر وأخبارها، ص ٢١٤. قارن البلاذرى ١ / ٢٧٤. الرقيق، ص ٩٩. ابن عذارى ١ / ٤٨. قدامة بن جعفر، ص ٣٤٦.

(٣) الرقيق، ص ٩٩. ابن عذارى ١ / ٤٨.

(٤) محمد محمد زيتون : المسلمون، ص ٦٥.

(٥) ابن عبد الحكم، ص ٢١٥. الرقيق، ص ١٠٠ ـ ١٠١. ابن عذارى ١ / ٤٩.

(٦) الرقيق، ص ١٠٠. ابن الأثير ٤ / ١٨٢. ابن عذارى ١ / ٤٩. ابن خلدون ٤ / ١٨٨. أبو المحاسن ١ / ٢٤٥.

(٧) الرقيق، ص ١٠٠. ابن عذارى ١ / ٤٩.

وقد تنبه الخليفة يزيد بن عبد الملك إلى سلبيات سياسة الشدة والعنف وحاول إصلاح الأمور. فأنتدب لولاية المغرب شخصية ذات كفاءة وقدرات عالية في الشئون الإدارية[1]. حيث اختار للمغرب بشر بن صفوان الكلبي والي مصر[2] في سنة (١٠٢ هـ / ٧٢١ م) واستخلف على مصر أخاه حنظلة[3].

٤ - بشر بن صفوان الكلبي (١٠٢ - ١٠٩ هـ / ٧٢١ - ٧٢٧ م)

حرص بشر بن صفوان على إزالة أسباب النقمة على السلطة المركزية فلما قدم إلى القيروان سلك مع البربر سياسة تقوم على المساواة بينهم وبين العرب وحسن المعاملة فعاد الأمن والسكينة لربوع البلاد[4].

وتتبع بشر قتلة يزيد بن أبي مسلم الوالي السابق وبلغه أن عبد الله بن موسى هو الذي دس لقتله بتأليب الناس عليه. فقبض بشر على عبد الله بن موسى وجماعة من أنصاره فأودعهم السجن وصادر أموالهم ثم أمر بأعدام عبد الله بن موسى[5].

ويبدو أن الخليفة يزيد بن عبد الملك استدعى بشر إلى دار الخلافة بدمشق فوفد على الخليفة يزيد[6] بأموال طائلة وفي أثناء الطريق علم بوفاته فدخل بها دمشق في خلافة هشام فأعادوه إلى عمله مرة ثانية[7].

النشاط البحري لبشر بن صفوان

كان لبشر بن صفوان نشاطاً بحرياً ملموساً في جزر البحر المتوسط في سنوات حكمه فقد أرسل عدة حملات هي:

١ - بعث في سنة (١٠٣ هـ / ٧٢١ م) يزيد بن مسروق على رأس حملة بحرية.

---

(١) ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص ١٥٩.

(٢) خليفة بن خياط، ص ٣٣٤. ابن عبد الحكم، ص ٢١٥. الرقيق، ص ١٠١. ابن عذاري ١ / ٤٩.

(٣) ابن عبد الحكم، ص ٢١٥. ابن عذاري ١ / ٤٩.

(٤) القلقشندي ٥ / ١١٨. السيد عبد العزيز سالم، ص ٢٠٩. ناطق صالح مطلوب وآخرين، ص ١١٠.

(٥) ابن عبد الحكم، ص ٢١٥. البلاذري ١ / ٢٧٤.

(٦) استخلف بشر على القيروان يحيى بن ماعصة الكلبي سنة (١٠٥ هـ / ٧٢٣ م) خليفة بن خياط، ص ٣٣٤.

(٧) ابن عبد الحكم، ص ٢١٥. البلاذري ١ / ٢٧٤. قارن السلاوي ١ / ٤٧.

٢ – أرسل في سنة (١٠٤ هـ / ٢٢ – ٧٢٣ م) عمرو بن فاتك الكلبي على رأس حملة بحرية فعادت بغنائم كثيرة[١].

٣ – أرسل في سنة (١٠٦ هـ / ٧٢٤ م) محمد بن أبي بكر مولى بني جمح إلى جزر كوريسكا وسردانية[٢].

٤ – بعث في سنة (١٠٨ هـ / ٧٢٦ م) قثم بن عوانة الكلبي فتمكن من مهاجمة الروم في البحر المتوسط وعاد سالماً[٣].

٥ – أرسل في سنة (١٠٩ هـ / ٧٢٧ م) حسان بن محمد بن إبي بكير إلى جزيرة سردانية فجنى منهم غنائم وعاد سالماً إلى القيروان[٤].

وقاد بشر بن صفوان حملة بحرية إلى جزيرة صقلية فأصاب منها سبياً كثيراً وعاد إلى القيروان[٥]. ولم يلبث أن توفي عقب عودته سنة (١٠٩ هـ / ٧٢٧ م)[٦] وأستخلف على القيروان نعاش بن قرط الكلبي[٧].

٥ – عبيدة بن عبد الرحمن السلمي (١١٠ – ١١٥ هـ / ٧٢٨ – ٧٢٣ م)

عين الخليفة هشام بن عبد الملك على ولاية إفريقية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي وقيل القيسي في سنة (١١٠ هـ / ٧٢٨ م)[٨] وهو ابن أخي الأعور السلمي صاحب خيل معاوية بصفين[٩].

---

(١) خليفة بن خياط، ص ٣٣٠.

(٢) نفسه، ص ٣٣٦.

(٣) نفسه، ص ٣٣٨.

(٤) نفسه، ص ٣٣٩.

(٥) ابن عذاري ١ / ٤٩. السلاوي ١ / ٤٧.

(٦) ابن عبد الحكم، ص ٢١٥ – ١٢٦. الرقيق، ص ١٠٢. ابن عذاري ١ / ٤٩. النويري ٢٤ / ٥٦ – ٥٧.
ابن خلدون ٤ / ١٨٨. الباجي المسعودي، ص ١٣. السلاوي ١ / ٤٧.

(٧) لين عبد الحكم، ص ٢١٦. ورد ذكره عند خليفة بن خياط ص ٣٣٩ " نعاس بن قرط الكلبي" وعند الرقيق، ص ١٠٢ " العباس بن ناصحة الكلبي " وعند ابن عذاري ١ / ٤٩ " العباس بن باضحة الكلبي ".

(٨) خليفة بن خياط، ص ٣٤٥. ابن عبد الحكم، ص ٢١٦. البلاذري ١ / ٢٧٤. الرقيق، ص ١٠٢.
ابن عذاري ١/ ٥٠ النويري ٢٤ / ٥٧. ابن الأبار ١ / ٦٤. ابن خلدون ٤ / ٨٨.
القلقشندي ٥ / ١١٨. السلاوي ١ / ٤٧.

(٩) ابن عذاري ١ / ٥٠. السلاوي ١ / ٤٧.

ومن أبرز أعمال عبيدة بن عبد الرحمن هي :

١ - تعين ولاة الأندلس :

بعث عبيدة من قبله على الأندلس أربعة ولاة هم: عثمان بن أبي نسعة سنة (١١٠ هـ/ ٧٢٨ م) والهيثم بن عبيد الكناني سنة (١١٣هـ/ ٧٣١ م) وكان آخرهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الذي غزا فرنسا، واستشهد مع جماعة من جنده سنة (١١٥هـ/ ٧٣٣م) بالموضع المعروف ببلاط الشهداء [١].

٢ - عودة العصبية القبلية بين القيسية واليمنية :

كان لوقعة مرج راهط التي دارت رحاها على مقربة من دمشق في خلافة مروان بن الحكم (٦٤ - ٦٥ هـ / ٦٨٣ - ٦٨٥ م) بين القيسية من ناحية والأمويين والكلبيين (اليمانية) من ناحية أخرى نتائج سلبية حيث أشعلت نار العصبية من جديد في بعض مناطق العالم الإسلامي في الشام، وخراسان، والمغرب، والأندلس في بعض الأحيان. وعادت الفتنة تطل برأسها من جديد في ولاية عبيدة فمنذ أن وطأة قدمه إلى القيروان وجدت اليمانية لذلك وشعروا بعدم الإرتياح وصدق ظنهم فقام عبيدة بصرف بشر بن حنظلة الكلبي الذي قد تهيأ لإمامة صلاة الجمعة فقيل له " هذا الأمير قد قدم[٢]".

كما قام عبيدة باضطهاد عمال بشر بن صفوان وضيق عليهم الخناق بالحبس والتعذيب، وممن نالهم سوء المعاملة أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي الذي وصفه ابن عذارى[٣] بقوله: "شريفاً في قومه... وكان ولي في إفريقية ولايات كثيرة في أيام بشر بن صفوان، فعزله عبيدة ونكل به".

وبعث أبو الخطار حسام إلى الخليفة هشام يخبره بما حل ببني بلدته على يد عبيدة في الأبيات التالية :

أقاتم بني مروان قيسا دمائنا   وفي الله إن لم يعدلوا حكم عدل

كأنكم لم تشهدوا لي وقعة   ولم تعلموا من كان قبل له الفضل

---

(١) ابن عذارى ١ / ٥١. محمد محمد زيتون : القيروان، ص ١٠٧ .

(٢) ابن الأبار ١ / ٦٥ .

(٣) البيان المغرب ١ / ٥٠ .

ولما وصلت تلك الأبيات إلى الخليفة هشام أمر بعزل عبيدة [1]. ولكن ابن عبد الحكم يذكر أن عبيدة قدم على الخليفة هشام حاملاً الهدايا والعبيد وطلب منه أن يستعفيه عن ولاية إفريقيا فوافق على طلبه [2].

٢ – النشاط البحرى لعبيدة بن عبد الرحمن :

١ – أعد حملة بحرية سنة (١١٠ هـ / ٧٢٨ م) قادها عثمان بن أبى عبيدة الفهرى نزلت جزيرة صقلية. وزحفت على عاصمتها سرقوسة. وتمكن الفهرى بعد معركة شديدة من تدمير معظم القوات الرومية، واقتياد قائدهم أسيراً[3].

٢ – عقوبة التشهير العلنى لقائد الأسطول المنستير بن الحارث الذى قاد الأسطول الإسلامى فى سنة (١١١ هـ / ٧٢٩ م) بمائة وثمانيين مركباً إلى جزيرة صقلية فى فصل الشتاء فهبت عليه رياح شديدة وغرقت مراكبهم[4]. ولم يسلم منها إلا سبعة عشر مركبا[5]. وقطع المركب الذى فيه المنستير إلى ساحل طرابلس.فلما علم عبيدة بما حدث كتب إلى عامله على طرابلس يزيد بن مسلم الكندى أن يشده وثاقاً وأن يبعث به وقام بجلده وطاف به القيروان على أثاث وكان يضربه كل جمعة بسبب أن المنستير أقام بأرض الروم حتى نزل عليه الشتاء واشتدت أمواج البحر وعواصفه[6].

٣ – بعث فى سنة (١١٢ هـ / ٧٣٠ م) ثابت بن خيثم وهو من أهل الأردن صقلية فأصاب سيبيا وعاد بغنائم كثيرة سالماً[7].

٤ – أرسل فى سنة (١١٤ هـ / ٧٣٢ م) عبد الله بن قطن إلى صقلية فغنم وعاد سالماً وأغزى أيضا عبد الله بن زياد الأنصارى سردانية فغنم وسلم [8].

٥ – سير فى سنة (١١٥ هـ / ٧٣٣ م) بكير بن سويد إلى صقلية ودربانة فلقيته الروم ورموا مراكبه بالنار [9].

---

(١) الرقيق، ص ١٠٥ – ١٠٦ . ابن عذارى ١ / ٥٠ – ٥١ . ابن الأثير ٤ / ٢٦٠ .
النويرى ٢٤ / ٥٧ – ٥٨ . سعد زغلول عبد الحميد ١ / ٢٧٥ . السيد عبد العزيز سالم، ص ٢١١ .

(٢) ابن عبد الحكم، ص ٢١٧ .

(٣) ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص ١١١ . سعد زغلول عبد الحميد ١ / ٢٧٦ .

(٤) خليفة بن خياط ، ص ٣٤١ . ابن عبد الحكم، ص ٢١٦ .

(٥) خليفة بن خياط ، ص ٣٤١.

(٦) ابن عبد الحكم، ص ٢١٦ .

(٧) خليفة بن خياط ، ص ٣٤٣.

(٨) نفسه، ص ٣٤٥.

(٩) نفسه ، ص ٣٤٦.

٦ – عبيد الله بن الحبحاب السلولى (١١٦ – ١٢٣ هـ / ٧٣٤ – ٧٤١ م)

ثورة البربر الكبرى

أسند الخليفة هشام بن عبد الملك ولاية إفريقية إلى عبيد الله بن الحبحاب مولى بنى سلول[١] الذى كان يلى مصر فى ربيع الأول سنة (١١٦[٢] هـ / ٧٣٤ م) وكان عبيد الله قد تدرج فى مناصب الدولة الإدارية فبدأ عهده كاتباً. ثم عامل خراج مصر سنة (١٠٩ هـ / ٧٢٧ م) ثم والياً عليها[٣]. وكان عبيد الله على دراية بفنون الكتابة وحفاظاً لأيام العرب وأشعارهم[٤].

وعين عبيد الله على مصر أبنه القاسم، وعلى السوس أبنه إسماعيل وعلى الأندلس عقبة بن الحجاج [٥].

النشاط البحرى

أهتم عبيد الله بن الحبحاب بالنشاط البحرى وأخرج المنستير بن الحارث من السجن وولاه تونس[٦] وربما يكون أسند إليه قيادة الأسطول أيضا. أو الإشراف عليه[٧]. كما قام بتجديد دار الصناعة فى تونس[٨] وزيادة تحصينها[٩].

وأهتم عبيد الله بزيادة عمران مدينة تونس، فبنى مسجدها الجامع الذى عرف فيما بعد بمسجد الزيتونة [١٠].

وسير عبيد الله عدة حملات بحرية إلى جزر البحر المتوسط كانت الحملة الأولى إلى

---

(١) البلاذرى ١ / ٢٧٤ . قدامة بن جعفر، ص ٣٤٧ . ابن عذارى ١ / ٥١ . ابن خلدون ٤ / ١٨٨ . السلاوى ١ / ٤٨ .

(٢) ابن عبد الحكم، ص ٢١٧ . خليفة بن خياط، ص ٣٤٧ . وردت عند ابن الأثير ٤/ ٢٢٢ . سنة "١١٧ هـ" .

(٣) الرقيق، ص ١٠٧ . ابن عذارى ١ / ٥١ . ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص ١١٣ .

(٤) الرقيق، ص ١٠٧ . ابن الأبار ١/ ٣٣٦ – ٣٣٧ . ابن عذارى ١ / ٥١ . النويرى ٢٤ / ٥٨ .

(٥) ابن عبد الحكم، ص ٢١٧ . الرقيق، ص ١٠٧ – ١٠٨ . ابن الأثير ٤ / ٢٢٢ . ابن عذارى ١ / ٥١ .

(٦) ابن عبد الحكم، ص ٢١٧ .

(٧) سعد زغلول عبد الحميد ١ / ٢٨٠ .

(٨) الرقيق، ص ١٠٧ . ابن عذارى ١ / ٥١ . ابن خلدون ٤ / ١٨٩ . القلقشندى ٥ / ١١٨ . السلاوى ١ / ٤٨ .

(٩) البكرى، ص ٣٩ . مجهول : الاستبصار، ص ١٢٠ .

(١٠) سعد زغلول عبد الحميد ١ / ٢٨٠ .

صقلية في سنة (١١٦ هـ / ٧٣٥ م) بقيادة عثمان بن أبي عبيدة الفهري. ونزلت في بعض مناطق جزيرة صقلية وجنوا بعض الغنائم. وفي طريق العودة إعتراضت بعض وحدات الأسطول البيزنطي مراكب عثمان. ودار بينهما قتال أنتهى بهزيمة الأسطول البيزنطي غير أن البيزنطيين تمكنوا من أسر عدد من أعيان المسلمين منهم: أبنا قائد الحملة عثمان بن أبي عبيدة وهما: عمرو أبو الربيع سليمان. وكذلك عبد الرحمن بن زياد بن أنعم رأخوه المغيرة بن زياد[١] وأرسل عبيد الله حملة ثانية سنة (١١٧هـ/٧٣٦م) بقيادة حبيب بن أبي عبدة إلى جزيرة سردانية وعاد منها بكثير من السبي[٢].

وفي سنة (١١٨ هـ/٧٣٧ م) بعث عبيد الله حملة بحرية بقيادة قثم بن عوانة الكلبي إلى صقلية ونزل في مدينة "أولية" ثم أمره عبيد الله في سنة (١١٩ هـ/٧٣٨ م) بغزو سردانية وهاجم بعض قلاع الجزيرة ولكنه غرق في طريق العودة في ظروف غير معروفة[٣].

وفي سنة (١٢٢ هـ/٧٤١ م) غزا حبيب بن أبي عبدة صقلية ووصل إلى سرقوسة وخشيه أهلها ووضع عليهم الجزية[٤].

ثورة البربر

١- أسباب الثورة

اشتعلت ثورة البربر في ولاية عبيد الله لعدة أسباب هي:

١ - سوء سياسة عمر بن عبد الله المرادي عامل طنجة الذي أراد تخميس البربر وزعم أنهم فئ للمسلمين. وهذا الأمر لم يفعله أحد من الولاة السابقين[٥]. وإنما كان الولاة قبله يخمسون من لم يجب إلى الإسلام ووصف تصرفه ابن عذارى[٦] بقوله: " فكان فعله

---

(١) خليفة بن خياط، ص ٣٤٧. سعد زغلول عبد الحميد ١ / ٢٨٠.

(٢) ابن الأثير ٤ / ٢٢٢. سعد زغلول عبد الحميد ١ / ٢٨٠.

(٣) سعد زغلول عبد الحميد ١ / ٢٨١.

(٤) الرقيق، ص ١٠٩.

(٥) الرقيق، ص ١٠٩. ابن الأثير ٤ / ٢٢٢. ابن عذارى ١ / ٥١ - ٥٢. النويري ٢٤ / ٥٩. ابن خلدون ٤ / ١٨٩. السلاوي ١ / ٤٨.

(٦) البيان المغرب ١ / ٥٢.

الذميم هذا سبباً لنقض البلاد ووقوع الفتن العظيمة المؤدية إلى كثير القتل فى العباد". ويضيف السلاوى[1]: "فنفرت قلوب البربر عنه وأحسوا بأنهم طعمة للعرب".

٢ – شغف الخلفاء بطرائف المغرب فكانوا يبعثون إلى عامل إفريقية ليرسل لهم البربريات السنيات. ويبدو أن عبيد الله مناهم بالكثير يقول ابن عذارى[2]: "فلما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب مناهم بالكثير، وتكلف لهم أو كلفوه أكثر مما كان. فأضطر إلى التعسف وسوء السيرة".

٣ – تلبية رغبة الخلفاء فى الجلود العسلية حيث كانت تذبح أعداد كبيرة من الأغنام. فلم يوجد فيها سوى جلد واحد الأمر الذى بث الحقد والكراهية فى نفوس أصحابها على هؤلاء العمال[3].

يقول صاحب أخبار[4] مجموعة: "وإن الخليفة وولده كانوا يكتبون إلى عمال طنجة فى جلود الخرافان العسلية، فتذبح مائة شاة، فربما لم يوجد فيها جلد واحد".

ظهور الخوارج فى المغرب

كانت موقعة صفين فى شهر صفر سنة (٣٧ هـ / ٦٥٧ م) التى دارت رحاها بين الخليفة على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان بمثابة شهادة ميلاد لظهور فئة جديدة فى التاريخ الإسلامى كانوا ضمن جيش على بن أبى طالب وعرفوا بأسم الخوارج فقد ألحوا عليه لقبول التحكيم ولما وافق على ذلك خرجوا عليه وأشتبك معهم فى عدة معارك كان النصر حليفه[5].

وتلقى الخوارج ضربات موجعة على يد المهلب بن أبى صفرة، والحجاج بن يوسف الثقفى؛ لذلك هرب الخوارج إلى أطراف الدولة الإسلامية إلى خراسان شرقاً، وأرض الجزيرة شمالاً وإلى سواحل الخليج الفارسى جنوباً وبلاد المغرب[6].

---

(١) الاستقصاء ١ / ٤٨.

(٢) البيان المغرب ١ / ٥٢.

(٣) السلاوى ١ / ٤٨. سعد زغلول عبد الحميد ١ / ٢٨٣. السيد عبد العزيز سالم، ص ٢١٣.

(٤) مجهول : أخبار مجموعة، ص ٣٧.

(٥) عبد الحميد حسين حودة : تاريخ الدولة العربية الإسلامية، الطبعة الأولى، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٥ م، ص ٣٠٢ – ٣٠٣.

(٦) سعد زغلول عبد الحميد ١ / ٢٨٥.

أما عن حال الخوارج في المغرب فيكتنف مجيئهم إليه الغموض والأبهام إلى حداً كبيراً. وذكر الدكتور محمود إسماعيل أن عكرمة رأس دعاة الصفرية حضر إلى إفريقية خلال السنوات الخمس الأولى من القرن الثاني الهجرى. وعهد إليه بنشر المذهب الصفرى بعد أتجاه الخوارج الصفرية إلى أتباع أسلوب التنظيم والدعوة. فقد نزل فى القيروان وأتصل برؤساء القبائل من أمثال ميسرة المطغرى الذى أخذ عنه أصول المذهب. وأشتغل ميسرة بالسقاية فى سوق القيروان حتى لا يكتشف أمره، وعاد لينشر تعاليمه بين قومه من بربر مطغرة[1].

ثورة الخوارج فى المغرب

بدأت مقدمات ثورة الخوارج عندما يأس الوفد الذى رحل مع ميسرة فى عرض شكواهم على الخليفة هشام؛ عن مسالب عماله فى التفرقة فى المعاملة وعدم المساواة فى تقسيم الغنائم التى اختص بها العرب دون البربر. ولقد طال مقامهم بباب الخليفة. ولم يجدوا أذن صاغية لسماع شكواهم[2].

وقد رصد لنا ابن الأثير[3] بداية هذه المقدمات بقوله: "فى زمان هشام بن عبد الملك دب إليهم دعاة أهل العراق فاستشاروهم وشقوا العصا وفرقوا بينهم إلى اليوم وكانوا يقولون: لا نخالف الأئمة بما يجنى العمال ولا نحمل ذلك عليهم. فقالوا لهم: إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك فقالوا: حتى نخبرهم فخرج ميسرة فى بضعة وعشرين رجلاً فقدموا على هشام فلم يؤذن لهم فدخلوا على الأبراش فقالوا: أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده... ".

وحدد ابن الأثير شكوى البربر من عمال الخلافة الأموية فى المغرب فى الأسباب التالية:-

١ – تقسيم الغنائم كان يقتصر على العرب دون البربر.

٢ – تقديم البربر على العرب عند محاصرة المدن.

٣ – بقر بطون كثير من الشياة من أجل الفراء الأبيض لأمير المؤمنين وكلفهم هذا الأمر بقتل ألف شاه من أجل العثور على جلد واحد.

٤ – سبى كل جميلة من بنات البربر [4].

---

(١) محمود إسماعيل عبد الرازق، ص ٤٧ .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد ١ / ٢١٧ – ٢١٨ . حسن على حسن، ص ٩٤ – ٩٥ .

(٣) الكامل فى التاريخ ٣ / ٤٧ .

(٤) نفسه ٣ / ٤٧ .

هذه الأسباب هي التي دفعت ميسرة وأعوانه للذهاب إلى الخليفة هشام وأختتموا رسالتهم: "فقلنا لم نجد هذا فى كتاب ولا سنة ونحن مسلمون فأجبنا أن نعلم أعن رأى أمير المؤمنيين هذا أم لا؟[1]" ولما يئسوا كما ذكرنا من قبل عادوا إلى المغرب.

وفند أحد الباحثين مزاعم ميسرة ورجاله الذين وفدوا بشكواهم إلى دار الخلافة بدمشق يحسن بنا أن نوجزه فى النقاط التالية:

١ — سطوة الخارجين على السلطة المركزية وقوتهم في تحريك الاحداث.

٢ — التقليل من أمر شكواهم بما حوته من حجج ملفقة تدل على بطلانها.

٣ — ليس من المعقول أن يحال بين الخليفة ووفد قادم من بلاد بعيدة كالمغرب، لتقديم شكوى مضمونها لا يحتمل التأجيل.

٤ — لم نسمع من قبل أن قائداً، أو والياً فى بلاد المغرب كان يؤخر جنوده ويقدم البربر للهجوم. إلا فى أكاذيب هذه الشكوى فمثل هذا العمل يدل على الدنية التى لم تقرها قيم المبادئ ولا قيم الرجولة[2].

أما عن بقية الأكاذيب فهي من صنع وترتيب دعاة الخوارج، الذين وجدوا في بلاد المغرب ومناطقها البعيدة عن قبضة السلطة المركزية. محطاً رحباً وتربة بكر لنشر بذور مبادئهم الداعية إلى التمرد والعصيان. واختلاق الأسباب لحجب الحقيقة وعملوا في الخفاء بالدعوة إلى مبادئ الاصلاح والمساواة والعمل بكتاب الله وسنة رسوله. وكما يقول أبن خلدون: "إلباس الحق بالباطل"[3].

ذكرنا أن عبيد الله بن الحبحاب استعمل ابنه إسماعيل على طنجة وما يليها من بلاد المغرب الأقصى ثم عمر بن عبدالله المرادى وبعث حبيب بن أبى عبدة بن عقبة بن نافع الفهرى غازيا إلى السوس الأقصى فى سنة (١١٦ هـ / ٧٣٤ م) فبلغ أرض السودان، ولم يقابله أحد إلا ظهر عليه ولم يدع بالمغرب قبيلة إلا داخلها وأصاب من السبى أمراً عظيماً [4].

---

(١) ابن الأثير ٣ / ٤٧.

(٢) ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص ١١٦.

(٣) ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص ١١٦ — ١١٧.

(٤) ابن عذارى ١ / ٥١. قارن خليفة بن خياط، ص ٣٤٧. ابن عبد الحكم، ص ٢١٧. السلاوى ١ / ٤٨. البلاذرى ١ / ٢٧٤. الرقيق، ص ١٠٩. ابن الأثير ٤ / ٢٢٢. ابن خلدون ٤ / ١٨٩.
قال ابن عبد الحكم، ص ٢١٧ " وكان فيما أصاب جارية أو جاريتان من جنس تسميه البربر إجان... ".

وبدأت الثورة فى سنة (١٢٢ هـ / ٧٤١ م) فى طنجة وأعلن البربر العصيان على عبيد الله بن الحبحاب وقدموا على أنفسهم ميسرة السقاء المدغرى وكان خارجيا صفريا وسقاء وقصدوا طنجة واستولوا عليها وقتلوا واليها عمر بن عبد الله من قبل عبيد الله بن الحبحاب وبايعوا ميسرة بالخلافة وخوطب بأمير المؤمنين. وكثر جمعه من البربر وأشتد نفوذه بنواحى طنجة[١].

وأستعمل ميسرة على طنجة عبد الأعلى بن جريج الأفريقى مولى موسى بن نصير ثم سار إلى السوس وعليها إسماعيل بن عبيد الله فقتله[٢]. وعد ذلك أول فتنة البربر بأرض إفريقية[٣]. وتلتها وقائع كثيرة بين أهل المغرب الأقصى وأهل أفريقية[٤].

وأختار البربر الوقت المناسب لإعلان الثورة عندما سير عبيد الله حملة إلى صقلية بقيادة حبيب بن أبى عبدة يقول ابن الرقيق[٥] القيروانى: "فلما بلغ الروم خروج حبيب ابن أبى عبدة إلى بلد الروم – صقلية – أنتفضوا على عبيد الله بن الحبحاب بطنجة وتداعت عليه بأسرها، وعظم البلاء، وذلك فى أثنين وعشرين ومائة، وهى أول فتن كانت بإفريقية فى الإسلام".

موقعة الأشراف

أراد عبيد الله بن الحبحاب أن يستأصل شأفة ثورة ميسرة زعيم البربر، فسير خالد ابن حبيب الفهرى بجيش وعبر وادى شلف على ساحل تيهرت، وألتقى مع ميسرة على مقربة من طنجة، واستدعى عبيد الله بن أبى عبدة من صقلية.

على أية حال، دار قتال عنيف بين خالد بن حبيب وميسرة ثم تحاجزوا وأنصرف ميسرة عائداً إلى طنجة فأنكر عليه البربر سوء سيرته مما أوغر صدور البربر فتخلصوا منه وولو أمرهم خالد بن حميد الزناتى والتقى مع خالد بن حبيب قائد جيش العرب فى

---

(١) ابن الأثير ٤ / ٢٢٢. السلاوى ١ / ٤٩.

(٢) ابن عبد الحكم، ص ٢١٨. قارن ابن عذارى ١ / ٥٢.

(٣) ابن عبد الحكم، ص ٢١٨.

(٤) ابن عذارى ١ / ٥٢.

(٥) تاريخ إفريقيا والمغرب، ص ١٠٩. قارن ابن عذارى ١ / ٥٧.

معركة عنيفة. وهب البربر من كل مكان لمؤازرة بنى جلدتهم حتى كثر جمعهم. وصمد خالد بمن معه حتى دارت الدائرة عليهم فقتل خالد بن أبى حبيب الفهرى وجمع من معه من وجوه العرب وفرسانهم فعرفت تلك الموقعة "بموقعة الأشراف"[1].

ومن أهم أعمال عبيد الله بن الحبحاب فى إفريقية :

أهتم بديوان العطاء فقد ذكر الرقيق القيروانى[2]: "قال عبد الله بن أبى حسان اليحصبى عن أبيه قال: رأيت عبيد الله بن الحبحاب يوما ينظر فى دفتر العطاء، وعلى رسالة ويأمر بحاجات من ناحية أخرى، ويأمر فى خلال ذلك بالحكم بين رجلين متنازعين".

٧ – كلثوم بن عياض القشيرى (رمضان ١٢٣ – ١٢٤ هـ / يوليو ٧٤١ – ٧٤٢ م)

ترتب على هزيمة العرب فى موقعة الأشراف، تمرد العرب بالقيروان على واليها عبيد الله بن الحبحاب وتنحيته عن الولاية. وصادف ذلك هوى فى نفس الخليفة هشام ابن عبد الملك فبعث فى إستدعائه، فعاد إليه فى جمادى الأول من عام (١٢٣هـ/٧٤١ م)[3].

وأراد الخليفة هشام بن عبد الملك أن يتغلب على كارثة موقعة الأشراف وعبر عن غضبه قائلاً: "لا غضبن للعرب غضبة وأسير جيشا يكون أولهم عندهم وأخرهم عندى"[4]. فجهز جيشاً ضخماً جعل على قيادته كلثوم بن عياض القشيرى فى سنة (١٢٣هـ/ ٧٤١ م) ويعاونه نخبة بارزة من الرجال هم: بلج بن بشر، وثعلبة العاملى، وهارون القرنى على الخيل، ومغيث الرومى على الرجالة. وتشكل هذا الجيش من عدة عناصر من مختلف الأمصار الإسلامية؛ من الأردن، وأهل الشام، وقنسرين، ومصر بالأضافة إلى أهل إفريقية [5]، وقدر صاحب أخبار مجموعة تعداد الجيش بحوالى سبعين

---

(١) الرقيق، ص ١٠٩ . ابن عذارى ١ / ٥٢ – ٥٤ . النويرى ٢٤ / ٥٩ – ٦٠ . ابن خلدون ٤ / ١٨٩ .
(٢) تاريخ إفريقيا والمغرب، ص ١٠٧ .
(٣) ابن عبد الحكم، ص ٢١٨ . ابن عذارى ١ / ٥٤ . ابن الأثير ٤ / ٢٢٣ . محمود إسماعيل، ص ٦٦ . ـ السلاوى ١ / ٤٩ .
(٤) الرقيق، ص ١١١ . ابن الأثير ٤ / ٢٢٣ .
(٥) خليفة بن خياط، ص ٣٥٤ . البلاذرى ١ / ٢٧٤ . ابن عبد الحكم، ص ٢٢٨ . ابن عذارى ١ / ٥٤ . ابن الأثير ٤ / ٢٢٣ . النويرى ٢٤ / ٦١ . ابن خلدون ٤ / ١٨٩ .

ألفاً[1]. وذكر ابن القوطية أن كلثوم كان معه ثلاثون، عشرة آلاف من موالى بنى أمية وعشرون ألفا من بيوتات العرب[2].

كما أمر الخليفة هشام عماله فى كلاً من مصر، وبرقة، وطرابلس بمساعدة كلثوم بن عياض فى مهمته[3].

وعلى الرغم من تلك الإستعدادات الهائلة التى أشرت إليها الا أن عوامل الضعف فى جيش كلثوم كانت تنذر بالفشل فقد إفتقر إلى النظام والتجانس بين عناصره من قيسية ويمنية ومتطوعة وأموية[4].

ولما وصل بلج بن بشر القشيرى وكان على طلائع جيش كلثوم قال لأهل إفريقية: "لا تغلقوا أبوابكم حتى يعرف أهل الشام منازلكم". كما تطاول بكلام كثير يغيظهم به. فكتبوا إلى حبيب بن أبى عبدة يعرفونه بمقالة بلج. فكتب إلى كلثوم بما حدث وحدده بتحويل من معه من جند العرب بتلمسان العودة إلى القيروان فكتب كلثوم يعتذر إليه ويأمره أن يقيم بشلف حتى يقدم إليه[5].

ومما لا ريب فيه أن تلك الأحداث كانت بداية الوهن بين قوات الدولة الأموية.

موقعة بقدورة*

لم يقم كلثوم بن عياض فى القيروان ولكنه نزل فى سبيبة على مقربة منها[6]. وأستخلف على القيروان عبد الرحمن بن عقبة الغفارى قاضيها[7].

وكتب كلثوم إلى حبيب بن أبى عبدة أن يبقى مكانه حتى يأتى إليه ثم رحلا جميعا بمن معهما إلى طنجة وكان كلثوم حين خرج إلى البربر قد قدم بلج بن بشر القيسى على مقدمته فى الخيل. فلما قدم على حبيب رفضه وأستهان به[8] كما أستهان به كلثوم

---

(١) مجهول : أخبار مجموعة، ص ٣٦ – ٣٧.

(٢) ابن القوطية : إفتتاح الأندلس، ص ٤٠.

(٣) الرقيق، ص ١١٢ . النويرى ٢٤ / ٦١.

(٤) محمود إسماعيل، ص ٦٧.

(٥) الرقيق، ص ١١٣ . ابن عذارى ١ / ٥٤. قارن ابن الأثير ٤ / ٢٢٣. ابن خلدون ٤ / ١٨٩.

* وردت نقدورة عند ابن القوطية، ص ٤.

(٦) ابن عبد الحكم، ص ٢١٩. الرقيق، ص ١١٢. النويرى ٢٤ / ٦١.

(٧) الرقيق، ص ١١٣ . ابن عذارى ١ / ٥٥. النويرى ٢٤ / ٦٠. ابن خلدون ٤ / ١٨٩.

(٨) ابن عبد الحكم، ص ٢٢٠. ابن عذارى ١ / ٥٥. ابن الأثير ٤ / ٢٢٣.

وسخر منه[1] وتنقصه، وقال: "هذا الذى يحول أعنة الخيل إلينا ! " فقام إليه عبد الرحمن بن حبيب، وقال: "يا بلج! هذا حبيب! فإذا شئت، فأعرض له للمقابلة!" وصاح الناس: "السلاح السلاح! فمال أهل إفريقية إلى ناحية، ومعهم أهل مصر". ثم سعى بينهم فى الصلح وكان هذا الخلاف بادرة سيئة كانت سبباً فى هزيمتهم مع سوء رأى كلثوم وبلج[2].

وأنتهى الخلاف بين كلثوم بن عياض وحبيب إلى الصلح وواصلوا زحفهم لقتال البربر بزعامة خالد بن حبيب الزناتى عند وادى سبو فى طنجة[3] عند موضع يقال له بقدورة[4]. ولم يصغ كلثوم إلى نصيحة حبيب بن أبى عبدة أن يقاتلهم: "الرجالة بالرجالة والخيل بالخيل" وتقدم كلثوم بالخيل فقاتله رجالة البربر وهزموه وأسفر هذا اللقاء عن هزيمة ساحقة للجيش الإسلامى ومقتل كلثوم وحبيب وسليمان بن أبى المهاجر[5]. واستباحوا جند كلثوم وسبوا الذرية وانسحب بلج بن بشر واتبعهم أبو يوسف ابن حميد وأشتبك مع قوات بلج فقاتلهم وهزمهم وقتل أبو يوسف ونفراً كثير من الصفرية[6].

فرار بلج بن بشر إلى سبتة وعبوره الأندلس

فر بلج بن بشر عندما هزم العرب فى بقدورة على رأس عشرة آلاف من أهل الشام ولكنهم وقعوا فى مصيدة البربر، ولم يجدوا مخرجاً سوى طلب النجدة من عبد الملك بن قطن الفهرى والى الأندلس للسماح لهم بالعبور، ولكنه خشى من منافستهم له وأراد أن يستفيد منهم فى نزاعه مع البربر فشرط عليهم ألا تزيد إقامتهم عن عام واحد[7].

وكان بلج قد طلب من عبد الملك أن يرسل إليه مراكب ليعبر إلى الأندلس ومن معه

---

(١) ابن عبد الحكم، ص ٢٢٠.

(٢) ابن عذارى ١ / ٥٥.

(٣) ابن عبد الحكم، ص ٢٢٠.

(٤) مجهول : أخبار مجموعة، ص ٣٧.

(٥) ابن عبد الحكم، ص ٢١٩. ابن عذارى ١ / ٥٥. ابن الأثير ٤ / ٢٢٣. النويرى ٢٤ / ٦١. ابن خلدون ٤ / ١٨٩

(٦) خليفة بن خياط، ص ٣٥٤ - ٣٥٥.

(٧) ابن عبد الحكم، ص ١١٩ - ٢٢٠. ابن عذارى ١ / ٥٥ - ٥٦. ابن الأثير ٤ / ٢٥٠. ابن خلدون ٤ / ١٨٩.

حيث حلت بهم الشدة وأكلوا دوابهم، فامتنع عبد الملك من ادخالهم الأندلس، ووعدهم بإرسال المدد إليهم فلم يفعل وانذاك اشتد نفوذ البربر هناك فاضطر عبد الملك إلى السماح لبلج ومن معه بدخول الأندلس[1].

ولما وصلوا إليه رأى سوء حالهم، لشدة الحصار فكسوهم وأحسنوا إليهم وقصدوا جمعاً من البربر بشذونه فظفروا بالبربر وغنم أعوان بلج منهم الأموال والدواب والسلاح. وصلحت أحوالهم. ولما انتهت المدة المحددة لأصحاب بلج طالبه عبد الملك بالخروج فأجابوه إلى ذلك أن يهيأ لهم مراكب ويخرجون بطريق غير طريق الجزيرة الخضراء لئلا يلقوا البربر الذين حصروهم فأمتنع عبد الملك متعللا أنه ليس له مراكب إلا في الجزيرة وتمسك عبد الملك بموقفه. فلما رأوا ذلك ثاروا عليه وقتلوه وأخرجوه من القصر في أوائل ذى القعدة سنة (١٢٣ هـ / ٧٤١ م) وولى الأندلس بلج بن بشر[2].

وترتب على موقعة بقدورة انفصال المغرب الأقصى والأوسط عن سلطة القيروان وأصبح هم الولاة بعد ذلك هو المحافظة على إفريقية وحاضرتها القيروان[3] .

٨ – حنظلة بن صفوان الكلبى (ربيع الثانى ١٢٤ – جمادى الأولى ١٢٧ هـ / فبراير ٧٤٢ – ٧٤٥ م)

لما علم الخليفة هشام بن عبد الملك بقتل كلثوم بن عياض والى إفريقية في موقعة بقدورة عين على إفريقية والمغرب في سنة (١٢٤هـ/٧٤٢م) حنظلة بن صفوان الذى كان والياً على مصر [4].

موقعة القرن

عندما وصل حنظلة إلى القيروان لم يمكث بها وقتا طويلا وزحف لملاقات عكاشة الصفرى فى جمع عظيم من البربر. وزحف أيضا إلى حنظلة أيضا عبد الواحد بن يزيد الهوارى فى حشد عظيم. وكانا افترقا من الزاب فاخذ عكاشة على طريق مجانة فنزل

---

(١) ابن الأثير ٤ / ٢٥٠.

(٢) ابن الأثير ٤ / ٢٥١.

(٣) محمد محمد زيتون : القيروان، ص ١١٠.

(٤) ابن عذارى ١ / ٥٨. ابن الأثير ٤ / ٢٢٣. النويرى ٢٤ / ٦٢. السلاوى ١ / ٥١.

بالقيروان. وأخذ عبد الواحد على طريق الجبال. ورأى حنظلة أن يعجل قتال عكاشة قبل أن يجتمعا عليه. فزحف إليه بجماعة أهل القيروان. ودار القتال بين حنظلة وعكاشة عند القرن هزم فيها عكاشة "وقتل من البربر ما لا يحصى كثرة"[1] وفر عكاشة من ميدان القتال[2] .

موقعة الأصنام

كان اللقاء الثاني لحنظلة بالثائر عبد الواحد بن يزيد الهوارى على ثلاثة أميال من القيروان بموضع يعرف بالأصنام وقد اجتمع معه ثلاثمائة ألف مقاتل. وتهيأ حنظلة للقتال وحشد كل من بالقيروان وفرق عليهم السلاح والمال فكثر جمعه. ولما اصطفوا للقتال. قام العلماء بدور كبير فى حث أهل القيروان على الجهاد وقتال الخوارج وذكروهم بما يفعلونه بالنساء من السبى وبالأبناء من الاسترقاق، وبالرجال من القتل فكسر الرجال أجفان سيوفهم. وخرجت النساء تحث الرجال على الصمود فى ميدان القتال وبعد قتال مرير بين الطرفين انهزم البربر وطاردهم العرب إلى جلولاء وقتل من البربر أعداد كبيرة. ولكثرة القتلى أمر حنظلة بإحصاء القتلى فعجز الناس عن ذلك حتى عدوهم بالقصب فكانت عدة القتلى مائة وثمانين ألفا وقتل عبد الواحد وأسر عكاشة وحمل إلى حنظلة فقتله. وكتب حنظلة إلى الخليفة هشام بالفتح. وكان الليث بن سعد يقول: ما غزوة إلى الآن أشد بعد غزوة بدر من غزوة العرب بالأصنام[3]".

واهتم حنظلة بتنظيم إدارة البلاد وبعث إليه الخليفة هشام بتعين أبو الخطار حسام ابن ضرار الكلبى على الأندلس فولاه وسيره إليها، وأحسن أبو الخطار السيرة وأعاد النظام والاستقرار إلى الأندلس فعفا عن الأسرى من البربر الذين أثاروا الفتنة كما أهتم بتوطين أهل الشام فى أقاليم الأندلس المختلفة[4].

---

(١) الرقيق، ص ١١٥ – ١١٧ . ابن عذارى ١ / ٥٨ . قارن ابن الأثير ٤ / ٢٢٣ . النويرى ٢٤ / ٦٢ . السلاوى ١ / ٥١

(٢) ابن الأثير ٤ / ٢٢٤ .

(٣) ابن الأثير ٤ / ٢٢٣ – ٢٢٤ . قارن ابن عذارى ١ / ٥٩ . الرقيق، ص ١٢٠ – ١٢٢ . النويرى ٢٤ / ٦٣ .

(٤) ابن الأثير ٤ / ٢٦٠ .

فترة الانتقال من الأمويين إلى العباسين

٩- استيلاء عبد الرحمن بن حبيب الفهرى على إفريقية (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٥-٧٤٩م)

انتزع عبد الرحمن بن حبيب الفهرى ولاية إفريقية من حنظلة بالقوة وكان عبد الرحمن أول ثائر يتغلب على إفريقية[1]. وكان عبد الرحمن قد فر إلى الأندلس عقب هزيمة الجيش الإسلامي في بقدورة على يد الخوارج ثم عاد إلى تونس في جمادى الأولى سنة (١٢٧ هـ / ٧٤٤ م) بعد أن فشل في تحقيق أهدافه هناك[2].

ولما قتل أصحاب بلج عبد الملك بن قطن الفهرى وصلبوه فارقهم عبد الرحمن بن حبيب لما صنعوا بابن عمه وأصر على الطلب بدمه فاجتمع إليه نحو مائة ألف من عرب الأندلس وبربرها وعمد إلى بلج فقتله. وحاول عبد الرحمن التغلب على الأندلس. ولكن لما قدم أبو الخطار واليا عليها من قبل حنظلة بن صفوان فضل ترك الأندلس وأبحر إلى تونس في جمادى الأولى سنة (١٢٦ هـ / ٧٤٣ م)[3].

وكان عبد الرحمن يتمتع بشعبية كبيرة في بلاد المغرب، بسبب السمعة الطيبة التى تركها جده عقبة بن نافع[4]. الذى قام بفتوح وجهاد العدو واختطاطه بناء مدينة القيروان[5].

ورغب أصحاب حنظلة الزحف لقتال عبد الرحمن. ولكن حنظلة آثر السلامة وكره القتال لما فيه إرهاق لدماء المسلمين، وكان حنظلة رجلاً تقياً ورعاً ولا يحبذ القتال بين المسلمين وضحى بمنصبه من أجل حقن الدماء بين المسلمين. وأرسل حنظلة جماعة من أعيان إفريقية يدعونه إلى مراجعة الطاعة وعدم الخروج عن وحدة الصف الإسلامى. ولكن عبد الرحمن بن حبيب رفض نصائح حنظلة وأوثق أولئك الرجال الذين أرسلهم حنظلة في الحديد. ودخل بهم القيروان وهدد أهلها قائلاً: "إن رمانى أحد من أوليائهم بحجر قتلتهم". وغضب أهل القيروان وعم السخط بينهم لما نزل بأعيانهم من هذه المهانة.

---

(١) ابن عذارى ١ / ٦٨.

(٢) الرقيق، ص ١٢٣. ابن عذارى ١ / ٦٠. ابن الأثير ٤ / ٢٧٩. النويرى ٢٤ / ٦٤. ابن خلدون ٤ / ١٩٠. السلاوى ١ / ٥٢.

(٣) السلاوى ١ / ٥٢.

(٤) البلاذرى ١ / ٢٧٤.

(٥) السلاوى ١ / ٥٢.

وفضل حنظلة ترك المسرح الإفريقي ودعا القاضي وجماعة من أهل الفضل وبحضورهم فتح بيت المال وأخذ منه ألف دينار وترك الباقي وغادر إفريقية عائداً إلى الشرق في جمادى الأولى سنة (١٢٩ هـ / ٧٤٦ م)(١). وأقبل عبد الرحمن حتى دخل القيروان، ونادى مناديه: "لا يخرجن أحد مع حنظلة، و لا يشيعه أحد!" فرجع عنه الناس خوفاً من عبد الرحمن(٢).

ولم يكن بوسع الخليفة مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين أن يفعل شئ سوى الإعتراف بولاية عبد الرحمن(٣). الذى أظهر الطاعة للخليفة مروان بن محمد وبعث إليه بالهدايا(٤).

وتعد ولاية عبد الرحمن بن حبيب هي إمارة استيلاء التي يضطر الخليفة إلى الاعتراف به عن اضطرار حيث يستولى الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليقة إمارتها ويفوض إليه تدبيرها وسياستها(٥).

وثار في وجه عبد الرحمن جماعة من الخوارج والعرب ونذكرهم بإيجاز :

١ - عروة بن الوليد في تونس.

٢ - ثابت الصنهاجي في باجة(٦).

٣ - عرب الساحل(٧).

٤ - الصفر بن أيوب الفزارى سنة (١٣٠ هـ / ٧٤٧ م) في تلمسان وخرج إليه عبد الرحمن وقتله(٨).

٥ - عبد الجبار بن الحارث بطرابلس على رأى الأباضية وقتله عبد الرحمن سنة (١٣١ هـ / ٧٤٨ م)(٩).

---

(١) الرقيق، ص ١٢٣ - ١٢٤. ابن عذارى ١ / ٦٠. قارن ابن الأثير ٤ / ٢٧٨. السلاوى ١ / ٥٣.

(٢) الرقيق، ص ١٢٤. ابن عذارى ١ / ٦٠.

(٣) الرقيق، ص ١٢٩. ابن عذارى ١ / ٦٠. النويرى ٢٤ / ٦٦. ابن خلدون ٤ / ١٩٠.

(٤) البلاذرى ١ / ٢٧٤.

(٥) الماوردى. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت) ص ٣٩.

(٦) الرقيق، ص ٢٥ - ١٢٦. ابن عذارى ١ / ٦٠ - ٦١. ابن الأثير ٤ / ٢٧٦. النويرى ٢٤ / ٢٥. ابن خلدون ٤ / ١٩٠

(٧) الرقيق، ص ١٢٥. ابن عذارى ١ / ٦١.

(٨) خليفة بن خياط، ص ٣٩٥.

(٩) ابن خلدون ٤ / ١٩٠.

٦ – ابن عطاف الأسدى بطساس ثم هرب إلى الجبال وكانت نهايته وكثير من أتباعه على يد إلياس[1] في سنة (١٣٥ هـ / ٧٥٢ م) بنواحى تلمسان[2].

وتمكن عبد الرحمن من أخماد حركات الخوارج والمناوئين بكل عنف يقول الرقيق[3]: "ودوخ المغرب كله وأذل من به من القبائل، لم يهزم له عسكر ولا ردت له رأيه".

ظهور الخوارج الأباضية

ثار الخوارج الأباضية في طرابلس لقتل رئيسهم عبد الله بن مسعود التجيبى على يد حبيب أخو عبد الرحمن الذى أرسله والياً على طرابلس، وأراد عبد الرحمن أن يتغلب على الأباضية عزل حبيب عن طرابلس وولى حميد بن عبد الله العكى فثار عليه عبد الجبار بن قيس المرادى والحارث بن تليد الحضرمى وحاصروا حميد بن عبد الله في بعض قرى طرابلس وأخذوا أحد أعوانه وقتلوه، وطالبوا بدم عبد الله بن مسعود، وبعد سلسلة من المعارك بين حميد بن عبد الله وعبد الجبار بن قيس أنتهى الأمر بسيطرة عبد الجبار على طرابلس كلها.

ولم يلبث أن دب الخلاف بين عبد الجبار بن قيس والحارث بن تليد. وتطور الأمر إلى نزاع مسلح بين الطرفين أنتهى بمقتلهما. وولى البربر عليهم إسماعيل بن زياد النفوسى الذى أستفحل أمره فأرسل إليه عبد الرحمن أبن عمه شعيب بن عثمان والتقى مع إسماعيل في لقاء فاصل أسفر عن قتل إسماعيل وأصحابه وأسر عدد كبير من البربر، وأمر عبد الرحمن بضرب أعناقهم وعين على طرابلس عمرو بن سويد المرادى[4].

---

(١) الرقيق، ص ١٢٦ – ١٢٧.

(٢) ابن خلدون ٤ / ١٩٠.

(٣) الرقيق، ص ١٣٠ . ابن عذارى ١ / ٦١.

(٤) ابن عبد الحكم، ص ٢٢٤ – ٢٢٥.

الفصل الثانى

الولاة فى العصر العباسى

١ - عبد الرحمن بن حبيب الفهرى (١٣٢-١٣٨هـ/٧٤٩-٧٥٥م)

لما قامت الدولة العباسية أقر الخليفة أبو العباس على إفريقية عبد الرحمن بن حبيب[١]. الذى بعث بطاعته إلى أبى العباس ثم إلى أبى جعفر المنصور بعده[٢]. ولم تلبث أن توترت العلاقات بين عبد الرحمن وأبو جعفر المنصور؛ لأن عبد الرحمن أرسل إليه هدية وكتب إليه: "إن إفريقية اليوم إسلامية كلها وقد إنقطع السبى منها"[٣].

وغضب أبو جعفر المنصور وكتب إليه يتوعده. ولم يرضخ عبد الرحمن للتهديد فخلع طاعة العباسيين من إفريقية، وأمر بتمزيق السواد شعارهم[٤]. وكان عبد الرحمن أول ثائر تغلب على بلاد إفريقية[٥]. ويبدو أن خلع المنصور أغضب جماعة من أهل القيروان وأوغروا صدر أخوه الياس على ولاية إفريقية مقابل التخلص من عبد الرحمن. وعودة الدعاء للمنصور على منابر إفريقية. ووجد هذا الأمر هوى فى نفس إلياس وبمعاونة أخوه عبد الوارث[٦].

وكانت نهاية عبد الرحمن بن حبيب على يد أخيه إلياس الذى شعر بإنكار عبد الرحمن لجهوده الحربية التى ظفر بها فى قتال منافسيه، ويبدو أن عبد الرحمن كان يؤهل ابنه حبيب ليخلفه. وكان ينسب هذا الظفر إلى ابنه حبيب ثم حول ولاية العهد لابنه حبيب وكان إلياس يظن أن العهد له من بعده. ففسدت نيته عليه.

كما كانت زوجة الياس الأموية تغريه وتحرضه عليه مما أوغر صدر الياس وعبد الوارث على قتل أخيهما عبد الرحمن[٧].

---

(١) ابن عذارى ١ / ٦٤. ابن الأثير ٤ / ٢٨٠. النويرى ٢٤ / ٦٦.

(٢) ابن خلدون ٤ / ١٩٠.

(٣) الرقيق، ص ١٣٣ - ١٣٤. ابن عذارى ١/ ٦٧. النويرى ٢٤ / ٦٦. ابن خلدون ٤ / ١٩٠. السلاوى ١ / ٥٤.

(٤) الرقيق، ص ١٣٣ - ١٣٤. ابن عذارى ١ / ٦٧. النويرى ٢٤ / ٦٦. ابن خلدون ٤ / ١٩٠. السلاوى ١ / ٥٤.

(٥) ابن عذارى ١ / ٦٨.

(٦) ابن الأثير ٤ / ٢٨٠.

(٧) الرقيق، ص ١٣٤. ابن عذارى ١ / ٦٨ - ٧٠.

٢- إلياس بن حبيب (١٢٨هـ/٧٥٥م)

ويبدو أن للعباسين يد في تدبير تلك المؤامرة ثم تولى إلياس حكم إفريقية. ولم يلبث أن ثار عليه حبيب بن عبد الرحمن الذى فر إلى تونس فاجتمع مع عمه عمران بن حبيب. ولحق بهما موالى عبد الرحمن من كل ناحية. وخرج إلياس إلى سمنجة فوافاه حبيب وعمران ومن معهما فهموا بالقتال ثم اصطلحوا على تقسيم ولاية إفريقية بينهم على النحو التالى:

١ - تونس وصطفورة والجزيرة لعمران بن حبيب.

٢ - قفصة وقسطيلية ونفزاوة لحبيب بن عبد الرحمن.

٣ - سائر البلاد بإفريقية والمغرب إضافة إلى احتفاظه بمنصب الولاية[١].

ولم يلتزم إلياس طويلاً بهذا الاتفاق، ويبدو أنه قصد من وراءه فض قوات منافسيه أولاً. ثم الإنقلاب عليهم. ودخل إلياس مدينة تونس مع أخيه عمران ثم قبض عليه وعلى آخريين من الفهريين فأخرجهم إلى الأندلس.

كما أجبر حبيب على مغادرة البلاد إلى الأندلس. وتظاهر حبيب بتنفيذ الأمر وفى ذهنه خطة لاستعادة الولاية من عمه إلياس. فأرست مراكبه في طبرقة وقيل أن الرياح أجبرته على ذلك.. وتمكن حبيب من تطويق عامل المدينة والقبض عليه وإيداعه بالسجن. وزحف حبيب بمن تجمع حوله من الأنصار والمؤيدين فدخل مدينة الأربس وحاول إلياس إيقاف زحفه. ولكن حبيب زحف إلى جلولاء فسيطر عليها ومنها نفذ إلى القيروان فدخلها بعد القضاء على حاميتها. وشعر إلياس بخطورة موقفه وعلى الأخص بعد استيلاء حبيب على القيروان.

وبدأت عوامل التخاذل على قوة إلياس فتخلى عنه قواد جيشه وانقض معظم مؤيدوه وزاد الموقف اضطرابا عندما طلب حبيب من عمه إلياس المبارزة كوسيلة لأنهاء النزاع بينهما. ووافق إلياس. وتبارزا فقتل حبيب عمه إلياس فى رجب سنة (١٣٨ هـ /٧٥٨ م)[٢].

---

(١) الرقيق، ص ١٣٧ . ابن عذارى ١ / ٦٨ . ابن الأثير ٤ / ٢٨٠ . السلاوى ١ / ٥٤ .

(٢) الرقيق، ص ١٣٩ . ابن عذارى ١/ ٦٨ - ٦٩ . ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص ١٣١ - ١٣٢ .

٣ - حبيب بن عبد الرحمن ودخول ورفجومة القيروان (١٣٨ - ١٤٠هـ / ٧٥٥ - ٧٥٧م)

تمكن حبيب بن عبد الرحمن من قتل عمه إلياس ودخل القيروان وتولى مقاليد الحكم. وهرب عبد الوارث بن حبيب وأتباعه إلى قبيلة ورفجومة البربرية. وهي بطن من قبيلة نفزة. وكان أميرهم عاصم بن جميل وأرسل إليه حبيب بن عبد الرحمن يطلب منه ردهم إليه. فلم يفعل فزحف إليه حبيب ودار بينهما قتال هزم حبيب. واعتاد حبيب عند خروجه لقتال ورفجومة ترك على ولاية القيروان أبا كريب القاضي. وظن أهل القيروان خيراً في ورفجومة فأرسلوا إليها يدعوها لدخول القيروان. وحاول أبو كريب التصدى بمن معه لمنع دخول ورفجومة. ولكنه فشل ودخلت ورفجومة القيروان: "فاستحلوا المحارم وأرتكبوا الكبائر". ولم يلبث أن رحل عاصم عن القيروان.

- ولاية عبد الملك بن إبى الجعد اليفرانى (١٤٠هـ / ٧٥٧م)

واستخلف عليها عبد الملك بن أبي الجعد اليفراني وسار عاصم لمطاردة حبيب بن عبد الرحمن في قابس فهزم حبيب وفر إلى جبل الأوراس وسار إليه عاصم فهزم وقتل على يد حبيب مما شجع حبيب على العودة إلى القيروان، لطرد ورفجومة. وخرج إليه عبد الملك بن أبي الجعد وقتله في المحرم سنة (١٤٠ هـ / ٧٥٧ م) وعمت الفوضى بلاد إفريقية وتغلب عليها بعض القبائل الصفرية ودخلوا القيروان وربطوا دوابهم في المسجد الجامع وقتلوا كل من بها من قريش وعذبوا أهلها. وأساءت ورفجومة وشعر أهل القيروان بالندم ؛ لسوء تقديرهم في ورفجومة. ودامت سيطرة ورفجومة للقيروان أربعة عشر شهراً [١].

لقد خاب ظن أهل القيروان في ورفجومة ؛ فلم تحسن السيرة في القيروان وأرتكبوا عدة جرائم. مما جعل أهل القيروان يستنجدون بالأباضية في طرابلس [٢].

- استيلاء عبد الأعلى بن السمح المعافرى الأباضى على القيروان (١٤١ - ١٤٤هـ / ٧٥٨ - ٧٦١م)

تمكن عبد الأعلى بن السمح المعافرى من أرسال حملة بقيادة الخطاب بن عبد الأعلى

---

(١) الرقيق، ص ١٤٠ - ١٤١ . ابن عذارى ١ / ٧٠ .

(٢) الرقيق، ص ١٤٠ . ابن عذارى ١/ ٧٠ . ابن خلدون ٤ / ١٩١ . السلاوى ١ / ٥٥ .

فأنزل هزيمة ساحقة بقبيلة ورفجومة وطردها من القيروان وعين عليها عبد الرحمن بن رستم وعاد أبو الخطاب إلى طرابلس لملاقاة محمد بن الأشعث قائد جند الخلافة العباسية القادم من مصر للمغرب[١].

٤- محمد بن الأشعث الخزاعي (١٤٤-١٤٨هـ/٧٦١-٧٦٥م)

لما تفشى نفوذ الصفرية في إفريقيا وعاثوا فساداً في البلاد خرج وفداً من أهلها إلى الخليفة أبو جعفر المنصور يطلبون نجدتهم "ويصفون له ما نالهم منهم"[٢] ووجدت تلك الأستغاثة قبولاً من الخليفة المنصور فأرسل محمد بن الأشعث الخزاعي والياً على مصر وإفريقية أبا الأحوص عمرو بن الأحوص العجلي على رأس جيش التقى مع أبي الخطاب في سرت سنة (١٤٢ هـ / ٧٥٩ م) فهزمه أبو الخطاب وأجبره على العودة لمصر[٣].

ولما علم الخليفة أبو جعفر المنصور بهزيمة أبا الأحوص طلب من محمد بن الأشعث أن يسير بنفسه إلى المغرب. وكان أول من دخل إفريقية من عمال بني العباس[٤]. فخرج إلى إفريقية بأربعين ألفا[٥] وقيل سبعين ألفا[٦] ومعه ثمانية وعشرون قائداً. وحشد أبو الخطاب جمعاً عظيماً من البربر فخشي لقاءه ابن الأشعث لما بلغته كثرة جيوشه. ومن حسن حظ محمد بن الأشعث أن دب الخلاف بين صفوف جند أبو الخطاب يقول ابن عذارى[٧]: "إن زناته وهوارة تنازعت فيما بينها، وأتهمت زناته أبا الخطاب في ميله مع هوارة. ففارقه جماعة منهم. وبلغ ذلك ابن الأشعث فسر به ورحل إليه فتقاتلوا قتالاً شديداً فانهزم البربر. وقتل أصحاب أبي الخطاب وأبو الخطاب".

ونهض أهل القيروان على عاملها من قبل أبي الخطاب ودلوا عليهم عمرو بن عثمان

---

(١) الرقيق، ص ١٤١ - ١٤٢. ابن عذارى ١ /٧١. ابن الأثير ٤ /١٩١. النويرى ٢٤ /٧٢ - ٧٣. ابن خلدون ٤ / ١٩١

(٢) ابن عذارى ١ / ٧٢.

(٣) ابن عذارى ١ / ٧٢. النويرى ٢٤ / ٧٥. الباجي المسعودي، ص ١٨. السلاوي ١ / ٥٧.

(٤) ابن عذارى ١ / ٧٢.

(٥) ابن وادران : تاريخ العباسين، تحقيق / المنجي الكعبي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣ م، ص ٦٢٩.

(٦) البلاذرى ١ / ٢٧٥. قدامة بن جعفر، ص ٣٤٧.

(٧) البيان المغرب ١ / ٧٢.

القرشي إلى أن وفد عليهم محمد بن الأشعث ودخل القيروان في غرة جمادى الأولى سنة (١٤٤ هـ/٧٦١ م)(١).

ولما علم عبد الرحمن بن رستم الذى استخلفه أبوالخطاب على القيروان بما حدث فر إلى المغرب الأوسط ونزل على لماية أحد بطون البربر البتر لحلف قديم بينهما وبايعوه بالخلافة وشرع في بناء مدينة تاهرت سنة (١٤٤ هـ / ٧٦١ م) لتكون حاضرة للإمارة الأباضية فاتسعت خطتهم وتوارثها بنو رستم.

وكان يسلم عليهم بالخلافة وأستمرت تلك الدولة تؤدى دورها على الخريطة السياسية للمغرب العربى شأن الدول الأخرى المعاصرة لها حتى تمكن الفاطميين من وضع نهاية له ولغيرهم من الدول الأخرى في نهاية القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى(٢).

وخرج على محمد بن الأشعث رجلاً يدعى أبو حريرة الزناتي في ستة عشر ألفا في ربيع الأول سنة (١٤٤ هـ / ٧٦١ م) فهزمهم ابن الأشعث(٣) ونجح ابن الأشعث في إخماد حركات الخوارج وأباد كل من خالفه من البربر. وأرسل ابن الأشعث الولاة من قبله على طرابلس فعين عليها المخارق غفار الطائي. وولى على طبنة والزاب الأغلب بن سالم.

وفي سنة (١٤٥ هـ / ٧٦٢ م) وجه ابن الأشعث إسماعيل بن عكرمة الخزاعي إلى زويلة وودان لحرب الأباضية وقتل زعيمهم بزويلة هو عبد الله بن حيان الأباضي(٤).

وبدأ ابن الأشعث في بناء سور القيروان سنة (١٤٤ هـ / ٧٦١ م) واستغرق بناء السور سنة (١٤٥ هـ / ٧٦٢ م) وأتم بناءه سنة (١٤٦ هـ / ٧٦٣ م)(٥).

وبعد أن أذعن أهل إفريقية بالطاعة إلى محمد بن الأشعث ثار عليه جند المضرية بقيادة عيسى بن موسى بن عجلان لاعتقادهم مساعدته اليمنية وأخرجوا ابن الأشعث من القيروان فعاد إلى الشرق(٦).

---

(١) ابن عذارى ١ / ٧٢. النويرى ٢٤ / ٧٥.

(٢) ابن خلدون ٤ / ١٩٢. انظر أيضا سليمان البارونى : الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية، ٢ / ٤٥ - ٤٦.

(٣) ابن عذارى ١ / ٧٢.

(٤) ابن عذارى ١ / ٧٢. النويرى ٢٤ / ٧٥ - ٧٦.

(٥) ابن عذارى ١ / ٧٢ - ٧٣.

(٦) البلاذرى ١ / ٢٧٥. ابن عذارى ١ / ٧٣. النويرى ٢٤ / ٧٥ - ٧٦. ابن خلدون ٤ / ١٩٢.

٥ - الأغلب بن سالم التميمي (١٤٨-١٥٠هـ/٧٦٥-٧٦٧م)

أرسل أبوجعفر المنصور بدلاً من محمد بن الأشعث الأغلب بن سالم التميمي[١] واليا عليها في أواخر جمادى الأخرة سنة (١٤٨ هـ / ٧٦٥ م)[٢]. الذى وصله كتاب المنصور بعد كتاب التولية يأمره بالعدل في الرعية وحسن السيرة في الجند وتحصين مدينة القيروان وخندقها وترتيب حرسها ومن يترك إذا رحل إلى عدوه[٣].

وعاد الخوارج الصفرية إلى الظهور في ولايته حين أعلن أبو قرة بن دوناس اليفرني الثورة وألتف حوله زناته بنواحي تلمسان وبايعوه بالخلافة. وأراد الأغلب أستئصال شأفته فزحف إليه. ولكن أبو قرة فر إلى المغرب الأقصى[٤].

وأراد الأغلب ملاحقة أبو قرة ولكن كره الجند المسير معه وتسللوا عنه إلى القيروان ولم يبق معه إلا نفر يسير وانتهز تلك الفرصة الحسن بن حرب الكندى ثار بتونس ودع الجند لنفسه وألتف حوله وزحف إلى القيروان ودخلها بدون عناء وقدم الأغلب لحربه في معركة شديدة فانهزم الحسن وانسحب عائداً إلى تونس في جمادى الأخر سنة (١٥٠ هـ / ٧٦٧ م) ودخل الأغلب القيروان ثم عاد الحسن بعد أن حشد عدد هائل من الجند للقاء الأغلب في القيروان فخرج إليه الأغلب من القيروان فألتقوا وأصيب الأغلب بسهم فقتل وثبت أصحابه فتقدم عليهم المخارق بن غفار ونظم صفوفه وفرق جند الحسن فمضى منهزماً إلى تونس في شعبان سنة (١٥٠ هـ / ٧٦٧ م).

وولى المخارق إفريقية ووجه الخيل في طلب الحسن فهرب الحسن من تونس إلى كتامة ثم رجع إلى تونس وخرج إليه من بها من الجند فقتلوه[٥].

---

(١) كان الأغلب بن سالم من الذين سعوا في القيام بدعوة بنى العباس مع أبي مسلم وحارب معه عبد الله بن على وكان مع أبي جعفر المنصور في حصار أبي هبيرة وولى قتل أبي مسلم. ابن الأبار ١ / ٦٨.

(٢) ابن الأثير ٤ / ٢٦. ابن عذارى ١ / ٧٤.

(٣) ابن عذارى ١ / ٧٤.

(٤) ابن الأثير ٤ / ٢٦.

(٥) ابن الأثير ٤ / ٢٦. قارن خليفة بن خياط ص ٤٣٤. ابن خلدون ٤ / ١٩٢.

٦ - المهالبة فى المغرب

أ - عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة المهلبى (١٥١ - ١٥٤هـ / ٧٦٨ - ٧٧١م)

لما قتل الأغلب بن سالم أختار الخليفة المنصور لولاية إفريقية عمر بن حفص المهلبى[١] (١٥١ - ١٥٤ هـ / ٧٦٨ - ٧٧٠ م) ولقب بهزار مراد ومعناه ألف رجل لقبه الفرس بذلك لأنه كان يقوم مقام ألف فارس فى الحرب. وكان بطلاً شجاعاً. وكان من المقربين إلى المنصور ولاه السند، وهمدان وفارس[٢].

والمهالبة من الأسر التى نالت مكانة مرموقة فى التاريخ الإسلامى فى عصرى الأمويين والعباسيين. وقد أرسى دعائم شهرتهم زعيمهم المهلب بن أبى صفرة الذى عرف بالحكمة والمهارة الفائقة فى كبح جماح الخوارج فى المشرق[٣].

واستقام الأمر لعمر بن حفص لمدة ثلاث سنوات واستخلف على القيروان حبيب بن حبيب المهلبى[٤] وسار إلى الزاب وبنى سور طبنة قاعدة إقليم الزاب[٥]. وكان يهدف من ذلك تحصينها وجعلها مركزاً للانطلاق باتجاه مجاور للمتمردين فى المغرب الأوسط حيث يتواجد عبد الرحمن بن رستم وأتباعه الأباضية فى منطقة تاهرت. والخوارج الصفرية فى إقليم تلمسان والمغرب الأقصى[٦].

وأنتهز الخوارج الأباضية تلك الفرصة وأعلنوا الثورة وزحفوا إلى القيروان وقتلوا حبيب ابن حبيب المهلبى وشهد المغرب إنتفاضة عارمة.

وكان عمر بن حفص فى موقف لا يحسد عليه فهو أمام قوة من الخوارج الصفرية والأباضية لا يستهان بها فها هو أبو قرة اليعقوبى فى أربعين ألفا من الصفرية ومن الأباضية المسور الزناتى فى عشرة آلاف وعبد الرحمن بن رستم فى خمسة عشر ألفا وعاصم السدراتى الأباضى فى ستة آلاف فضلاً عن فرق أخرى من صنهاجة وزناته وهوارة.

---

(١) ابن عذارى ١ / ٧٧. الباجى المسعودى، ص ١٩.

(٢) ابن وادران، ص ٣٦٠. الباجى المسعودى، ص ١٩. ابن أبى دينار، ص ٤٦.

(٣) محمد بركات البيلى : المهالبة من المشرق إلى المغرب، مجلة المؤرخ المصرى، العدد الثالث عشر، ١٩٩٤ م، ص ١٥٩

(٤) ابن خلدون ٤ / ١٩٢.

(٥) ابن خلدون ٤ / ١٩٢.

(٦) السيد عبد العزيز سالم، ص ٢٦٧. ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص ١٣٧.

وفكر عمر بن حفص في حيلة لتفريق شملهم فبذل الأموال لأصحاب أبي قرة فانصرف جمعهم ثم أرسل جيشاً تمكن من هزيمة عبد الرحمن بن رستم عند تهودة.

وزحف عمر إلى القيروان لفك الحصار المفروض عليها من قبل أبو حاتم ولما علم الخليفة المنصور بالمأزق الخطير لوليه عمر في القيروان أرسل نجدة بقيادة يزيد بن حاتم المهلبي لمعاونة عمر بن حفص ولكن الأخير بذل قصارى جهده حتى لقي حتفه سنة (١٥٤ هـ / ٧٧٠ م) فولي الجند عليهم أخوه حميد بن صخر الذي خطب ود أبا حاتم على الصلح مقابل إقامة الدعوة للعباسين في القيروان وخرج معظم الجند إلى طنجة وأحرق أبو حاتم أبواب القيروان وثلم سورها[1].

ب- يزيد بن حاتم بن قبيصة المهلبي (١٥٤-١٧٠/٧٧١-٧٨٧ م)

عين الخليفة أبو جعفر المنصور يزيد بن حاتم الذي وصفه الرقيق[2] بقوله: "حسن السيرة بإفريقية منذ جاء تقد الشعراء عليه لطلب صلته وإحسانه". واضاف ابن وادران[3]: "كان ذا حزم يباشر الحروب بنفسه مع ما فيه من الجود والكرم والعقل". وقد تولى يزيد ولايات كثيرة قبل مجيئه المغرب منها أرمينية، والسند، ومصر، وأذربيجان. واستمرت ولايته على مصر من سنة (١٤٤ - ١٥٢ هـ / ٧٦١ - ٧٦٩[4] م).

ووصل يزيد بن حاتم إلى المغرب بقوة تتألف من ستين ألف مقاتل[5]. وفي رواية أخرى خمسين ألفا[6]. وتمكن من قتل أبو حاتم وفرق جمعه وثأر لأبن عمه عمر بن حفص ورحل إلى القيروان في سنة (١٥٥ هـ / ٧٧١ م). ومن أهم أعمال يزيد هي:

١ - أعاد تنظيم الأسواق في القيروان وجعل لكل صناعة مكان خاص بها.

٢ - أمر بتجديد المسجد الجامع سنة (١٥٧ هـ / ٧٧٣ م).

ودامت ولاية يزيد للمغرب حتى سنة (١٧٠ هـ / ٧٨٦ م) في خلافة الرشيد[7].

---

(١) الرقيق، ص١٤٧. ابن عذارى ١/ ٧٥ - ٧٧. ابن الأثير٥ / ٣٢. النويري٢٤/ ٧٩ - ٨٤. ابن خلدون٤/ ١٩٢-١٩٣

(٢) تاريخ افريقيا والمغرب، ص ١٥٢.

(٣) تاريخ العباسين، ص ٦٣١.

(٤) الرقيق، ص ١٥٠. ابن عذارى ١ / ٨١. ابن الأبار ١ / ٧٣.

(٥) الرقيق، ص ١٤٩. ابن عذارى ١ / ٧٨. ابن الأثير ٥ / ٣٣. النويري ٢٤ / ٨٥. ابن خلدون ٤ / ١٩٣.

(٦) ابن وادرلن، ص ٦٣٠. الباجي المسعودي، ص ٢٠. ابن أبي دينار، ص ٤٦.

(٧) الرقيق، ص ١٤٩. ابن عذارى ١ / ٧٨ - ٧٩. ابن وادران، ص ٦٣٠ - ٦٣١. ابن الأثير ٥ / ٧٨ - ٧٩. النويري ٢٤ / ٨٥ - ٨٦. ابن خلدون ٤ / ١٩٣ - ١٩٤. السلاوي ١ / ٥٨ - ٥٩. الباجي المسعودي، ص ٢٠. ابن أبي دينار، ص ٤٧.

ج – داود بن يزيد بن حاتم (١٧١هـ/٧٨٨م)

خلف يزيد أبنه داود الذى ثار عليه الخوارج الأباضية بزعامة صالح بن نصير النفرى بجبال باجة وخرج لقتالهم فهزموه وقتلوا نفراً من أصحابه وعزم داود على القضاء عليهم فأرسل له جيشاً بقيادة سليمان بن الصمة تمكن من هزيمتهم. وقتل منهم أعداداً كثيرة. وعين داود على شرطته خالد بن بشير[١].

وكانت ولاية داود على إفريقية حوالى تسعة شهور ونصف[٢]، ثم تنازل لعمه روح بن حاتم[٣]. وعاد داود إلى المشرق ورحب بقدومه الخليفة هارون الرشيد ثم ولاه على مصر ثم السند[٤].

د – روح بن حاتم (١٧١–١٧٤هـ/٧٨٧–٧٩٠م)

عين الخليفة هارون الرشيد على إفريقية روح بن حاتم. وكان من الكرماء الأجواد، وولى لخلفاء العباسين بداء من أبى العباس إلى هارون الرشيد[٥].

وقد تقلد روح عدة ولايات هى السند، وطبرستان، وفلسطين وولايات أخرى قبل مجيئه للمغرب[٦]. ومال روح بن حاتم إلى مهادنة الخوارج فهدأت ثورتهم فى ولايته. وذكر الرقيق[٧] حال البلاد يومذاك: "ولم تزل البلاد معه هادئة والسبل آمنة، ورغب فى موادعة عبد الوهاب بن رستم الأباضى صاحب تاهرت".

واستعان روح بن حاتم ببعض الولاة هم :–

١ – العلاء بن سعيد على طرابلس.

٢ – الفضل بن روح على طبنه.

٣ – الجنيد بن سيار ثم اسحاق بن يزيد بن حاتم على تونس.

٤ – العلاء بن عقبة على خطة القضاء.

وانفصلت برقة عن إفريقية فى ولايته[٨].

---

(١) الرقيق، ص ١٦٩. قارن الباجى المسعودى، ص ٢٠ – ٢١.
(٢) ذكر الرقيق، ص ١٧٠ أن ولاية داود كانت سبعة أشهر ونصف.
(٣) الرقيق، ص ١٦٩. ابن عذارى ١ / ٨٢. ابن الأبار ٢ / ٣٦٠.
(٤) النويرى ٢٤ / ٨٨
(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان، المجلد الثانى، حققه / إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٧م، ص ٣٠٥.
(٦) الرقيق، ص ١٧١. ابن عذارى ١ / ٨٤. ابن الأبار ٢ / ٣٥٨.
(٧) تاريخ إفريقيا والمغرب، ص ١٧٣. ابن الخطيب، ص ١٠.
(٨) الرقيق، ص ١٧٣ – ١٧٤.

هـ- نصر بن حبيب المهلبي (١٧٤-١٧٧هـ/ ٧٩١-٧٩٢م)

كان روح بن حاتم قد أسن وكبر، وإذا جلس للناس يغلب عليه النوم من الضعف. وكاتبا صاحب البريد وأبو العنبر القائد إلى الرشيد في جملة من كتب إليه من القواد يخبرونه بضعف روح بن حاتم وتقدم سنه. وإن إفريقية ثغر كبير لا يستقيم أمره بدون حاكم قوى. وكان نصر بن حبيب على شرطة يزيد بن حاتم بمصر وإفريقية. وكان محمود السيرة فكتب الرشيد عهده وبعث به سراً إليه. وكان ذلك في أواخر رمضان سنة (١٧٤هـ /٧٩١م)[١].

استجاب هارون الرشيد لهذه الرغبة التي تدل على وعى كبير بمجريات الأمور على الساحة الإفريقية وحرصه على استقرار المنطقة وحمايتها من الخلل والاضطراب[٢].

ولما مات روح بويع ابنه قبيصة في المسجد الجامع، ونال البيعة من جميع الناس. وتوجه أبو العنبر وصاحب البريد بعهد أمير المؤمنين هارون الرشيد إلى نصر بن حبيب وأعطوه إليه، وسلما عليه بالإمارة. وأخذوه إلى المسجد فيمن معهما، حتى أتيا قبيصة، وهو جالس على الفراش فأقاماه وأقعدا نصر بن حبيب، وأعلما الناس بأمره، وقرءوا الكتاب الواصل من الخليفة هارون إلى نصر بن حبيب على الناس، فسمعوا وأطاعوا[٣].

وفسر أحد الباحثين مبايعة نصر بأنها محاولة من الخلافة وكبار موظفيها للحيلوله، لكى لا تصبح إفريقية مملكة للمهلبين يتوارثها الأبناء عن الأباء[٤].

واستمرت ولاية نصر بن حبيب إلى المحرم من سنة (١٧٧ هـ / ابريل ٧٩٣ م) بعد ولاية دامت سنتين وثلاثة أشهر وفيها "حسنت سيرته وعدل في أحكامه"[٥].

ومن أعمال نصر تعيين بعض الولاة، فعزل العلاء بن سعيد عن طرابلس بعد ولاية دامت عشر سنيين وتسعة أشهر، وعينه على الزاب، واستعمل على طرابلس النصر بن سدوس المرادى[٦].

---

(١) الرقيق، ص ١٨٢. ابن عذارى ١ / ٨٤ - ٨٥. النويرى ٢٤ / ٨٩ - ٩٠. الباجي المسعودى، ص ٢١.
(٢) حسن على حسن، ص ١٧٩.
(٣) الرقيق، ١٨٣. ابن عذارى ١ / ٨٥. النويرى ٢٤ / ٩٠. قارن الباجي المسعودى، ص ٢١.
(٤) سعد زغلول عبد الحميد ١ / ٣٧٦.
(٥) ابن عذارى ١ / ٨٥. الرقيق، ص ١٨٣. النويرى ٢٤ / ٩٠. الباجي المسعودى، ص ٢١. سعد زغلول عبد الحميد ١ / ٣٧٧.
(٦) الرقيق، ص ١٨٣.

و- الفضل بن روح بن حاتم (١٧٧-١٧٩هـ/٧٩٢-٧٩٥م)

كـان الفضـل يلي إمارة الزاب إبان ولاية روح بن حاتم. ولما ظهر كتاب الرشيد بولاية نصـر بـن سـيار إلى الرشيد ولزم بابه حتى ولاه المغرب[1] سنة (١٧٧ هـ / ٧٩٣ م) وكتب بعزل نصر بن حبيب.

ولـما قـدم الفضـل ولى ابـن أخـيه المغيرة بن بشر. وكان أهوج ولم تكن له خبرة بشئون الإدارة فاسـتخف بالجـند[2]، بسـبب ميلهم إلى نصر[3]. وسار بهم سيرة قبيحة فاجتمعوا وكتـبوا إلى عمه الفضـل يخبرونه بسوء سيرة المغيرة فيهم. فتثاقل الفضـل عن جوابهم، مما أثار حفيظة الجند فولوا عليهم عبد الله بن الجارود في تونس.

وطردوا المغيرة من دار الإمارة وكتبوا إلى الفضل بطاعتهم وأن يرسـل لهم والياً من قبله. فعـين علـيهم عـبد الله بـن محمـد. ولـما وصل إلى تونس خشى أولئك الجند على أنفسهم حتـى لا يكونـوا فريسـة يقعـون فى الصـيدة واحداً تلو الأخر. وتصدوا لعبد الله بن محمد ووقعـت الحـرب بـين ابن الجارود والوالى الجديد عبد الله بن محمد وهزمهم ابن الجارود وطـاردهم إلى القـيروان. واضطرب أمر الفضـل بن روح ودخل ابن الجارود القيروان وحاصر الفضل فى دار الإمارة وتمكن عبد الله بن الجارود من وضع نهاية لحكم الفضـل الذى قتل فـى شـعبان سـنة (١٧٨ هـ / ٧٩٤ م) بعد ولاية دامت سـنة وخمسـة أشـهر لأسـرة المهالبة التى حكمت مدة ثلاث وعشرين سـنة[4].

ز- هرثمة بن أعين (١٧٩-١٨٠هـ/٧٩٥-٧٩٦م)

غضـب الرشـيد لمقـتل الفضـل وأرسـل هرثمة بن أعين والياً على إفريقية ليقوم بإصلاح أمـرها فـدخل القـيروان فـى غـرة ربيع الأخر سنة (١٧٩ هـ / ٧٩٥ م) وتمكن من القضاء علـى الفتـنة حـيث سـار إلى عبد الله بن الجارود بتاهرت وهزمه ثم دان له البربر بالولاء والطاعة "فأنس الناس، وسكنهم وأحسـن إليهم".

وأنصرف عائداً إلى القيروان ومن أهم أعماله:

---

(١) النويرى ٢٤ / ٩٠. قارن ابن الأثير ٥ / ٩٤. ابن الخطيب، ص ١١.

(٢) ابن عذارى ١ / ٨٦. الباجى المسعودى، ص ٢١ - ٢٢.

(٣) ابن الأثير ٥ / ٩٥.

(٤) ابن عذارى ١ / ٨٦ - ٨٨. ابن الأثير ٥ / ٩٥. النويرى ٢٤ / ٩٠ - ٩٢.

١ – أعطى جند طرابلس أرزاقهم المتأخرة.

٢ – بناء سور طرابلس من ناحية البحر.

٣ – بناء القصر الكبير المعروف بالمنستير سنة (١٨٠ هـ / ٧٩٦ م)[١] والمنستير بمثابة رباطا كبيرا يرابط فيه المسلمون لحماية الثغور المغربية من غارات البيزنطيين البحرية. وشرع الناس في البناء حول هذا القصر حتى أصبح مدينة آهلة بالسكان أواخر السادس الهجري. ويشتمل المنستير على البيوت والطواحين ومواجل الماء وهو حصن عالي البناء متقن العمل وفي الطبقة الثانية منه مسجد. وفي داخل المنستير ربض واسع وفي وسط الربض حصن ثان كبير كثير المساكن والمساجد. وفي القبلة (الجنوب) صحن فسيح فيه قباب عالية متقنة ينزل حولها النساء المرابطات[٢].

وفي ولاية هرثمة توطدت العلاقة بينه وبين إبراهيم بن الأغلب والى الزاب "فأكثر الهدايا إلى هرثمة ولاطفه فولاه هرثمة ناحية من الزاب فحسن أثره فيها"[٣].

وعادت الفوضى على المسرح السياسي في إفريقية مرة أخرى حيث خرج عياض بن وهب الهواري. وكليب بن جميع الكلبي وجمع جموعاً وتوجها لقتال هرثمة فأرسل إليهما يحيى بن موسى على رأس جيش كبير ففرق جموعهما. وعاد إلى القيروان. ولما رأى هرثمة أن الخلاف عم بإفريقية طلب الاستعفاء من الرشيد فوافق وأمره بالرحيل إلى العراق في رمضان سنة (١٨١ هـ / ٧٩٧ م)[٤].

٧- محمد بن مقاتل العكي (١٨١-١٨٣هـ ٧٩٧-٧٩٩م)

ولى أمير المؤمنيين هارون الرشيد على إفريقية محمد بن مقاتل بن حكيم العكي في رمضان عام (١٨١ هـ / ٧٩٧ م) أخو هارون الرشيد في الرضاعة. كما كان أبوه من كبار رجال الدولة العباسية[٥]. وكان مقاتل من الذين ساندوا الدعوة العباسية حيث كان مع

---

(١) الرقيق، ص ٢٠٤. ابن عذارى ١ / ٨٩. ابن الأثير ٥ / ٩٦. النويرى ٢٤ / ٩٥ – ٩٦. ابن الخطيب، ص ١١. ابن أبي دينار، ص ٤٨. الباجي المسعودي، ص ٢٢. محمد محمد زيتون : المسلمون، ص ٧٩.

(٢) البكرى، ص ٣٦. ابن الخطيب، ص ١١ هامش (٢).

(٣) ابن الأثير ٥ / ٩٦.

(٤) ابن الأثير ٥ / ٩٦. قارن ابن أبي دينار، ص ٤٨.

(٥) الرقيق، ص ٢٠٣. ابن عذارى ١ / ٨٩. النويرى ٢٤ / ٩٦. قارن ابن الأثير ٥ / ١٠٤.

ابن الابار ١ / ٨٨ – ٨٩. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، الجزء الثالث المنشور بأسم " تاريخ المغرب في العصر الوسيط " تحقيق / أحمد مختار العبادي وآخرين، الدار البيضاء، ١٩٦٤ م، ص ١٢. الباجي المسعودي، ص ٢٣.

قحطبة بن شبيب فى حروبه حتى ظهر أمر العباسيين. كما كان مع ابنى جعفر لا يفارقه فولاه حران. وكان جعفر بن يحيى شديد العناية بمحمد بن مقاتل[1] الذى وصف من قبل المؤرخين[2] بأنه: "غير محمود السيرة فاضطرب أمره وأختلف عليه جنده".

وسلك مع الرعية سيرة الجور والعنف ظنا منه أن الخليفة أقطعه البلاد لقرابته منه فتوغرت عليه الصدور واختلت لدية الأمور[3].

وأما عن أسباب اختلال ميزان الأمور فى ولاية محمد بن مقاتل هى:

١ – ضرب البهلول بن راشد أحد فقهاء القيروان الكبار بالسياط وحبسه مما أدى إلى وفاته[4].

٢ – اقتطع من أرزاق الجند وأساء السيرة فيهم وفى الرعية[5]. مما أدى إلى تمردهم واتفقوا على تقديم مخلد بن مرة الأزدى واجتمع كثير من الجند والبربر فسير إليه محمد ابن مقاتل جيشا تمكن من هزيمة مخلد وقتله[6].

ثورة تمام بن تميم التميمى:

لما اساء محمد بن مقاتل السيرة خرج عليه تمام عامل تونس وبايعه جماعة من القواد وأهل الشام وأهل خراسان فى رمضان سنة (١٨٣ هـ / ٧٩٩ م) وزحف صوب القيروان وتصدى له محمد بن مقاتل فى موضع منية الخيل فانهزم محمد بن مقاتل وعاد إلى القيروان وتحصن فى داره وترك دار الإمارة. وواصل تمام سيره إلى القيروان ونزل بمن معه من جنده خلف باب أبى الربيع ثم فتحت أبواب القيروان فى اليوم التالى ودخل القيروان فى يوم الأربعاء أواخر رمضان سنة (١٨٣ هـ / ٧٩٩ م) وأمن تمام محمد بن مقاتل على نفسه وأهله وماله. وبذلك تقلد تمام عرش إفريقية دون عهد من هارون الرشيد. وضاق محمد بن مقاتل من المقام فى القيروان وخرج منها بأمانه متوجهاً نحو الشرق ونزل بطرابلس.

---

(١) الرقيق، ص ٢٠٣. ابن الابار ١ / ٨٩.

(٢) الرقيق، ص ٢٠٣. ابن عذارى ١ / ٨٩. النويرى ٢٤ / ٩٦.

(٣) حسن حسنى عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، تونس (د. ت)، ص ٧٤.

(٤) الرقيق، ص ٢٠٣. ابن عذارى ١ / ٨٩. ابن الخطيب، ص ١٢.

(٥) الرقيق، ص ٢٠٥. ابن عذارى ١ / ٨٩. النويرى ٢٤ / ٩٦.

(٦) ابن الأثير ٥ / ١٠٤.

ظهور إبراهيم بن الأغلب على المسرح السياسي

لم يهنأ تمام طويلا بتغلبه على القيروان حتى ظهر على مسرح الأحداث إبراهيم بن الأغلب والى إقليم الزاب الذى خرج ثائراً على التطورات التى حدثت فى القيروان وطرد الوالى الشرعى للبلاد المعين من قبل أمير المؤمنين. وقدم إبراهيم بن الأغلب على رأس جيش ودخل المسجد وخطب خطبة بليغة أعلن فيها حقيقة موقفه أنه جاء لنصرة محمد ابن مقاتل الوالى الشرعى وكتب إليه يطلب منه العودة إلى مقر حكمه فى القيروان[1]

ولاية محمد بن مقاتل الثانية (١٨٤هـ/٨٠٠م)

لبى محمد بن مقاتل دعوة إبراهيم وعاد إلى القيروان. ولكن أهل القيروان كانوا ساخطين على عودته. ويبدو ذلك بوضوح أن امرأة نادته من طاقتها أثناء تجوله مع إبراهيم بن الأغلب فى شوارع القيروان تقول له: "أشكر إبراهيم بن الأغلب! فهو الذى رد عليك ملك إفريقية!" فكبر ذلك عليه[2].

كما كره أهل تونس عودة محمد بن مقاتل فكان الناس يقولون: "استرحنا من العكى، فرده إبراهيم علينا! فالموت خير لنا من الحياة فى سلطان العكى![3]".

وانتهز تمام حالة السخط على عودة محمد بن مقاتل العكى والتفاف الناس حوله وطابت نفسه لقتال العكى. كما حاول تمام الايقاع بين إبراهيم بين الأغلب ومحمد بن مقاتل ولكنهما أيقنا وفطنا لتلك الخدعة.

وبعد ذلك زحف تمام من تونس على رأس جيش وسير محمد بن مقاتل إليه إبراهيم ابن الأغلب على رأس جيش فألتقى مع تمام فى قتال عنيف أسفر عن هزيمة تمام ثم قفل عائداً إلى تونس وأنصرف محمد بن مقاتل إلى القيروان وأمر إبراهيم بن الأغلب بالمسير إلى تونس. وفى سنة (١٨٤ هـ / ٨٠٠ م) خرج إبراهيم لقتال تمام وحصاره فى تونس. فلما بلغ تمام إقباله طلب منه الأمان فأمنه إبراهيم وأقبل به إلى القيروان[4].

---

(١) الرقيق، ٢٠٥ - ٢٠٦. ابن عذارى ١ / ٩٠. النويرى ٢٤ / ٩٧. ابن الأبار ١ / ٨٩. قارن ابن الأثير ٥ / ١٠٤. الباجى المسعودى، ص ٢٣.

(٢) الرقيق، ص ٢٠٦. ابن عذارى ١ / ٩٠.

(٣) الرقيق، ص ٢٠٧. ابن عذارى ١ / ٩١.

(٤) الرقيق، ص ١٠٨ - ٢١٠. ابن عذارى ١ / ٩١ - ٩٢. ابن الابار ١ / ٩٠.

تعيين إبراهيم بن الأغلب

لما استقر الأمر لمحمد بن مقاتل العكى ببلاد إفريقية وأطاعه تمام. كره أهل البلاد ذلك وحثوا إبراهيم بن الأغلب على مناشدة الخليفة هارون الرشيد لطلب تعينه على ولاية إفريقية[1] وكان من الطبيعى أن يقدر الرشيد لإبراهيم بن الأغلب حسن بلائه فى إقرار الأمور وحرصه على حفظ هيبة الخلافة فى إفريقية. وليس من الغريب أن يعهد إليه بالولاية بدلا من ابن مقاتل وذلك فى منتصف جمادى الأخرة سنة (١٨٤ هـ / يولية ٨٠٠ م)[2]. بعد أن استشار معاونيه فى من يوليه إفريقية فأشار عليه هرثمة بن أعين حيث أشاد برجحة عقل إبراهيم وتدينه.

وتعهد إبراهيم بن الأغلب بالتنازل عن المعونة المصرية السنوية إلى إفريقية ومقدارها مائة ألف دينار والتزم بدفع أربعين ألف دينار سنويا إلى دار الخلافة[3].

---

(١) ابن الأثير ٥ / ١٠٤. السلاوى ١ / ٦٠.

(٢) سعد زغلول عبد الحميد ١ / ٣٩٦.

(٣) ابن الأثير ٥ / ١٠٤.

الفصل الثالث

انتشار الإسلام في بلاد المغرب

١- دور الولاة فى نشر الإسلام

حمل العرب رسالة الإسلام إلى الأمم والشعوب المجاورة لهم ، للتبليغ بنور الحق واليقين الذى أنزل على النبى الكريم محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين. وأسلوب الدعوة للإسلام هو الخيار الوحيد للمسلمين قبل التحركات العسكرية فى كل البلدان المفتوحة. وعندما زحف عمرو بن العاص إلى برقة سنة (٢٢ هـ / ٦٤٣ م) عرض على أهلها الخصال المعروفة عند المسلمين وهى: الإسلام أو الجزية أو القتال. فاختارت قبيلة لواتة الساكنة ببرقة يومذاك الجزية. ثم واصل عمرو بن العاص زحفه إلى طرابلس والمناطق المجاورة وبعث حملة إلى جوف الصحراء بقيادة عقبة بن نافع إلى فزان ففتحها وواصل زحفه حتى بلغ زويلة[1]. وخضعت تلك المنطقة للحكم الإسلامى. يقول ابن عبد الحكم[2]: "وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين" وصاحبت عملية الفتح نشر الإسلام فى تلك المناطق يتضح مما أورده البلاذرى[3] من خلال كتاب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب: "وإن من بين زويلة وبرقة سلم كلهم حسنة طاعتهم. وقد أدى مسلمهم الصدقة وأقر معاهدهم بالجزية، وأنه قد وضع على أهل زويلة ومن بينه وبينها ما رأى أنهم يطيقونه. وأمر عماله جميعا أن يأخذوا الصدقة من الأغنياء فيردوها فى الفقراء، ويأخذوا الجزية من أهل الذمة فتحمل إليه بمصر، وأن يؤخذ من أرض المسلمين العشر ونصف العشر، ومن أهل الصلح صلحهم...".

أن دراسة هذا الكتاب تحمل فى طياتها دلالات عظيمة نستنبط منها ما يلى :

١ – انتشار الإسلام فى بقعة شاسعة امتدت من برقة شمالاً إلى زويلة الواقعة فى جوف الصحراء على الحدود بين بلادى المغرب والسودان فى شهور قليلة.

---

(١) السيد عبد العزيز سالم، ص ٥٨ . سعد زغلول عبد الحميد ١ / ١٣٦ . محمد على دبوز ٢ / ٤ .

(٢) فتوح مصر وأخبارها، ص ١٧١ . الطبرى ٢ / ٥٣٤ . ابن غلبون، ص ١٣ .

محمد فتحى عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية، الكتاب الثانى، دار الكتاب العربى، القاهرة (د. ت) ص ٤٨ .

(٣) فتوح البلدان ١ / ٢٦٤ – ٢٦٥ . انظر أيضا . ابن سعد ٨ / ٥٤٢ . قدامة بن جعفر، ص ٣٤٢ .

عبد الرحمن بن محمد الجيلالى : تاريخ الجزائر العام، الطبعة الثانية، دار الحياة، بيروت، ١٩٩٦ م، ص ١٨٧ .

٢ – أدى الذين دخلوا فى الإسلام الصدقة والتزم أهل الذمة بدفع الجزية مقابل ضمانات كثيرة لهم وردت فى كتب الفقه الإسلامى تمتعوا بها فى ظل سلطان المسلمين.

٣ – عم التكافل الإجتماعى بتحصيل الصدقات من الأغنياء ودفعها للفقراء.

٤ – تحصيل الضرائب المقررة شرعاً على الذين دخلوا فى الإسلام من أهالى تلك المناطق.

ومن الجدير بالذكر أن الدعوة الإسلامية كانت أهم مايشغل قادة فتح المغرب فها هو عبد الله بن سعد قبل أن يشتبك مع جرجير القائد البيزنطى فى سبيطلة يدعوه إلى الإسلام أو الجزية وجرت المفاوضات وتبادلت الرسل بين عبد الله بن سعد وجرجير يدعوه إلى الإسلام فرفض متكبرا وقال: "لا أقبل هذا أبداً" ثم طلب منه دفع الجزية فرفض قائلاً: "لو سألتمونى درهما واحدا لم أفعل". ولما رفض جرجير تلك الشروط تأهب عبد الله بن سعد للقتال الذى أسفر عن قتل جرجير وهزيمة الروم[١].

وأكد عبد الله بن الزبير فى خطبته فى المسجد فى المدينة المنورة الذى نقل من الجبهة الأفريقية خبر انتصار المسلمين فى سبيطلة على أسلوب الدعوة قبل الحرب: "دعوناهم إلى الإسلام والدخول فيه، فابعدوا منه، فسألناهم الجزية عن صغار، فكانت هذه أبعد، فأقمنا عليهم ثلاث عشرة ليلة نختلف إليهم رسلنا، فلما يأسنا قام أميرنا خطيبا فينا نحمد الله وذكر فضل الجهاد وما لصاحبه إذا صبر وأحتسب. ثم نهض بنا إلى عدونا، فقاتلناهم أشد القتال يومنا، وصبر فيه الفريقان، فكانت بيننا وبينهم قتلى كثيرة[٢].

وكان من نتائج موقعة سبيطلة أن دخل فى الإسلام عدداً من زعماء القبائل البربرية ومنهم وزمان أو وز مار بن صقلاب أمير قبائل مغراوة وسائر زناتة. وقد أرسل الزعيم المذكور إلى الخليفة عثمان بن عفان ليرى أمره فيه فأسلم على يديه وأمره على قومه للجهاد فى سبيل نشر الإسلام[٣] .

---

(١) المالكى ١ / ١٠ – ١١. ابن الأثير ٣ / ٤٥. النويرى ٢٤ / ١٢.

لجيلة خاش : الإدارة فى العصر الأموى، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠ م، ص ١٣٥.

(٢) ابن أبى الضياف : إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الجزء الأول، تونس ١٩٦٣ م، ص ٧٩.

(٣) ناطق صالح مطلوب و آخرون، ص ١٤٥.

وحرص معاوية بن حديج الكندى (٤٥ – ٥٠ هـ / ٦٦٦ – ٦٧٠ م) على نشر الإسلام بين البربر[١]. وسار عقبة بن نافع على نفس الدرب فشيد مدينة القيروان سنة (٥٠ هـ / ٦٧٠ م) لتكون أول حاضرة للمسلمين فى إفريقية حيث علم بنوايا أهلها من خلال أقامته بينهم: "إن أهل إفريقية إذ دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله فأرى يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزاً للإسلام إلى آخر الدهر"[٢].

وكان إنشاء القيروان علامة بارزة فى تاريخ الفتوح الإسلامية حيث ستصبح مركز لنشر الإسلام والثقافة العربية يتدفق منها العلماء والفقهاء إلى ربوع المغرب الفسيحة[٣].
ولقد ترتب على بناء القيروان إعتناق كثير من البربر للإسلام يقول ابن الأثير[٤]: "ودخل كثير من البربر فى الإسلام وأتسعت خطة المسلمين وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وأمنوا وأطمأنوا على المقام فثبت الإسلام فيها".

وكانت ولاية عقبة بن نافع ذات أثر قوى على نشر الإسلام حيث عبر عن ذلك صاحب كتاب أثار البلاد وأخبار العباد[٥] بقوله: "وأسلم على يده كثير من البربر".

وحرص أبو المهاجر على نشر الإسلام وتعريب البربر[٦]. وذكر المؤرخون أن أبا المهاجر أول من أقام فى إفريقية الشتاء والصيف واتخذها منزلاً[٧].

وبلغ من حرص أبى المهاجر كسب أنصار جدد للإسلام. فبعد أن انتصر على كسيلة فى تلمسان أستماله أبو المهاجر إلى الإسلام وأظهر إسلامه[٨].

وفى هذا الصدد قال ابن الأثير[٩]: "كسيلة بن كمرم البربرى كان قد أسلم لما ولى أبو المهاجر إفريقية وحسن إسلامه وهو من أكابر البربر وأبعدهم صيتاً وصاحب أبا المهاجر".

---

(١) السلاوى ١ / ٣٦.

(٢) ابن عذارى ١ / ١٩. النويرى ٢٤ / ٢٢.

(٣) حسن أحمد محمود ١ / ٩٣.

(٤) الكامل، جـ٣، ص ٢٣٠.

(٥) القزوينى، ص ٢٤٢.

(٦) محمود إسماعيل: الخوارج، ص ٣٨.

(٧) ابن عبد الحكم، ص ١٩٧. المالكى ١ / ٢١. ابن الأبار ١ / ٣٢٦.

(٨) أبو العرب: كتاب المحن، ص٢٧٦. الباجى المسعودى، ص ٦. السلاوى ١/ ٣٧. سعد زغلول ١/ ١٩١. نجدة خماش، ص ١٣٩.

(٩) الكامل ٣ / ٣٠٨. قارن ابن عذارى ١ / ٢٩.

وأكد الدكتور حسين مؤنس على مغزى إسلام كسيلة حيث تبعه نفر كبير من قومه[1].

وفي ولاية عقبة بن نافع الثانية انتشر الإسلام في مناطق واسعة من بلاد المغرب وكان هذا الانتشار مرافقا لخط سير حملة عقبة بن نافع الكبرى. فعقبة خلال حملته هذه لم يكتف بتحرير البلاد عسكرياً. وإنما حررها معنوياً. فدخلت قبائل كثيرة في الإسلام[2]. يقول ابن عذاري[3]: "وحرص عقبة على دعوة أهالي البلاد التي مر بها على نشر الإسلام كبلاد دكالة وهكسورة". وشيد عقبة عدد من المساجد في درعة، والسوس الأقصى، ووادي نفيس، وإيجلي[4].

وترك عقبة بعض أصحابه يعلمون أهل المغرب الأقصى في حملته شرائع الدين الإسلامي الحنيف منهم شاكر الذي أقام رباطاً حمل أسمه[5]. وصالح بن منصور الحميري الذي نزل في منطقة الريف ونشر الإسلام في صفوف قبائله من غمارة وبعض فروع صنهاجة. وكان يعرف بالعبد الصالح فاستخلص نكور لنفسه وأقطعه إياها الوليد بن عبد الملك[6].

ومما لا ريب فيه أن إستشهاد عقبة كان ذا أثر بعيد في نفوس الأهلين لما قام به من أعمال الشجاعة والإيمان والمعجزات والكرامات والاستهانة بالموت وهذا التصور أبلغ دليل على مدى التقدير والأعجاب بعقبة[7].

وعندما حوصر عقبة في جبل درن من قبائل المصامدة نهضت قبائل زناتة المسلمة وفك الحصار عن عقبة وقاتلوا المصامدة حتى أجبروهم على الارتداد أمامهم[8].

وعلى الرغم من أن حملة عقبة بن نافع انتهت باستشهاده في حدود سنة (٦٤ هـ / ٨٣ – ٦٨٤ م) فهذا لا يعني أبدا إرتداد القبائل التي دخلت الإسلام. وإنما

---

(١) حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب، ص ١٧٥ – ١٧٦ . حسين مؤنس، ص ٤٠ .

(٢) ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص ١٤٦ .

(٣) البيان المغرب ١ / ٢٨ .

(٤) نفسه، ص ٢٧

(٥) نفسه، ص ٤٢ . شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٣ م ، ص ١٧٧ . ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص ١٤٦ .

(٦) مجهول : الاستبصار، ص ١٣٦ .

(٧) حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب، ص ٢٨٦ .

(٨) ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص ١٤٦ .

نقف على خلاف ذلك فسعى ابن مصاد صاحب قفصة على فك أسرى المسلمين الذين كانوا بيد كسيلة وأرسلهم إلى زهير بن قيس البلوى فى القيروان[1].

وعندما زحف كسيلة إلى القيروان رحل عنها زهير بن قيس الذى تركه عقبة نائباً عنه فى القيروان وبرغم ذلك بقى فى القيروان جماعة من المسلمين يقول الرقيق[2]: "وبقى بها أصحاب الذرارى والأثقال فأرسلوا إلى كسيلة: يسألونه الأمان فأمنهم وأجابهم وأقام كسيلة حتى نزل بالقيروان وأقام أميراً على إفريقية. وقد بقى من بقى من المسلمين تحت يده... ".

ولما أستولى كسيلة على القيروان انقلبت إفريقية ناراً[3] وفى رواية ابن سعد: "اشتعلت إفريقية حرباً"[4].

وفسر أحد الباحثين هذه الثورة العارمة بوجود كثير من البربر المسلمين أو أنصار للمسلمين وخاصة بعد إنصراف جند العرب الذين عادوا مع زهير بن قيس إلى برقة. فكان أولى بإفريقية أن يهدأ حالها بعد عودة المسلمين عنها وخلاصها للبربر والروم[5].

وكان كسيلة يخشى من وجود المسلمين في القيروان فلما علم بمجئ زهير بن قيس البلوى جمع حشداً كبيراً من البربر والروم واستشار أصحابه قائلاً: "قد رأيت أن أرحل إلى ممش فأنزلها فإن بالقيروان خلقاً كثيراً من المسلمين ولهم علينا عهد فلا نغدر بهم. ونخاف إن قاتلنا زهير أن يثبت هؤلاء من ورائنا فإذا نزلنا ممش أمناهم وقاتلنا زهيراً"[6].

وأهتم حسان بن النعمان الغسانى بالمؤاخاة بين العرب والبربر ودمجهما معاً تحت لواء واحد. فلما وصل حسان بجيشه إلى إفريقية أنضم إليه عدد آخر من المسلمين البربر يقودهم هلال بن ثروان اللواتى[7]. ومن المحتمل أن يكون هلال قد أسلم وأنضم للعرب أو أنه ناصرهم وأخذ جانبهم فوثقوا فيه وهذا دليل قاطع على أن المسلمين كسبوا أعوانا جدد من أهل البلاد[8].

---

(١) ابن الأثير ٣ / ٣٠٩. ناطق صالح مطلوب وآخرين، ص ١٤٦.

(٢) تاريخ إفريقية والمغرب، ص ٤٦.

(٣) المالكى ١ / ٢٨.

(٤) الطبقات الكبرى ٨ / ٥٤٤.

(٥) محمود شيت خطاب، ص ١٤٩.

(٦) الرقيق، ص ٥٠. ابن الأثير ٣ / ٣٠٩.

(٧) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ١٥٦.

(٨) حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص ٢٣٨.

ولما انتصر حسان على الكاهنة أرسلت ولديها إلى حسان بطلب الأمان فأمنهم[1]. وأسند قيادة جيش البربر لأكبرهما[2]. كما أنضم إلى الجيش الإسلامي من البربر أثنا عشر ألفا للعمل في سلك الجندية مع جيش المسلمين. مما ساعد على نشر الإسلام[3]. ومصداقا لذلك قول ابن الأثير[4]: "فشا الإسلام في البربر بعد أن أشرك البربر في سلك الجندية" ثم عقد حسان لولدى الكاهنة لكل واحد منهما على ستة آلاف فارس من البربر وخرجوا مع جيش المسلمين لفتح المدن الإفريقية يقاتلون الروم ومن كفر من البربر. كما قسم الفئ بينهم وحسنت طاعتهم فدانت له إفريقية[5].

وكسب حسان ثقة قبائل زناته التي اجتمعت لقتاله في جبل الأوراس ودعاهم إلى الإسلام. واسلمت قبائل زناته كلها في سنة (٨٠ هـ / ٦٩٩ م) بعد أن كانوا أهل أحواء مختلفة وأديان متفرقة. ومن حسن الحظ أن ابن أبي زرع[6] ذكر لنا نصاً هاماً للحوار الذى دار بين حسان وقبائل زناته هو: "وقال لهم يا معشر زناته أنتم إخواننا في النسب.فلم تخالفونا وتعينون علينا أعداءنا؟ أليس أبوكم بر بن قيس بن عيلان؟ قالوا بلى: و لا كنكم معشر العرب تنكرون لنا ذلك وتدفعوننا عنه. فإذا أقررتم بالحق ورجعتم إليه فإشهدوا لنا به على أنفسكم فإجتمعت وجوه قيس وأشرافها وأشراف زناته وأقيالها وأشهدوا على أنفسكم من حضرهم من وجوه العرب ورؤساء أهل إفريقية من البربر والعرب وكتبوا بينهم كتاباً فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما شهد به انجاد قيس عيلان لإخوانهم زناته بنى بر بن قيس عيلان أنا أقررنا لكم وشهدنا على أنفسنا وعلى أبنائنا وأجدادنا أنكم معشر زناته من ولد بر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان... ".

وأهتم حسان بتوطيد أركان الإسلام والعروبة في المغرب وأدخل كثير من النظم والإصلاحات الإدارية والمالية فدون الدواوين وصالح عجم إفريقية على الخراج وعلى من أقام معهم على دين النصرانية[7].

---

(١) المالكي ١ / ٣٥. ابن الرقيق، ص ٦٣. ابن الأثير ٤ / ٣٢. ابن الدباغ ١ / ٥٦.
(٢) المالكي ١ / ٣٧.
(٣) الرقيق، ص ٦٤. ابن الأثير ٤ / ٣٢. ابن عذارى ١ / ٣٨. النويرى ٢٤ / ٣٧. ابن خلدون ٤ / ١٨٧
(٤) الكامل ٤ / ٣٢.
(٥) المالكي ١ / ٣٦. ابن الرقيق، ص ٦٤. ابن عذارى ١ / ٣٨.
(٦) الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢ م، ص ١٧.
(٧) ابن عذارى ١ / ٣٨.

ورتب حسان الأعطيات للبربر التى تصرف لهم من بيت المال. ووزع حسان مسئولية الحكم على القبائل المختلفة تتصرف فيها وتؤدى مالها[١]. وعهد حسان إلى ثلاثة عشر فقيها من كبار التابعين بتعليمهم القرآن وأصول الإسلام واللغة العربية[٢].

وحرص حسان على نشر العقيدة الإسلامية بما أعده من رباطات ومن مساجد لتعليم اللغة العربية وأدابها وتحفيظ القرآن الكريم[٣].

ويعد بناء مدينة تونس سنة (٨٤ هـ / ٧٠٣ م) من أهم الأعمال التى قام بها حسان فى بلاد المغرب. فقد أكملت مدينة تونس مهمة القيروان فى نشر الإسلام. وأمنت سواحل البلاد ضد هجمات الروم البيزنطيين[٤].

وقد عمرت تونس بالعمائر المهمة وقامت بها المساجد وسكنها العديد من المسلمين. وقامت بدور كبير فى نشر الإسلام والثقافة العربية لا يقل عن دور مدينة القيروان خلال هذه الفترة[٥]. وكان علماؤها ومحدثوها ومسجدها الزيتونة يمثلون مركز ثقافة وعلم وفيها برزت شهرة رجلين هما خالد بن أبى عمران وعلى بن زياد[٦].

وبذل موسى بنى نصير أقصى جهده فى سبيل نشر الإسلام فقد ترك الدعاه يعلمون الناس القرآن الكريم واللغة العربية لغة القرآن وفى هذا الصدد يقول الرقيق[٧]: "استعمل موسى بن نصير على طنجة طارق بن زياد مولاه وتركه بها فى سبعة وعشرين رجلاً من العرب وأثنى عشر ألف فارس وهى العدة التى جعلها عليهم حسان بن النعمان. وكانوا قد دخلوا الإسلام، وحسن إسلامهم، فتركهم موسى بأمر السبعة والعشرين الذين ترك عند طارق أن يعلموا البرابر القرآن الكريم وأن يفقهوهم فى الدين".

كما حرص موسى على بناء المساجد التى امتدت على أطراف الصحراء الكبرى وكانت بمثابة مراكز لتحصيل العلوم الدينية[٨].

---

(١) حسين مؤنس، ص ٢٧٥ – ٢٧٦.

(٢) محمود إسماعيل، ص ٣٨. محمد محمود أدريس، ص ٧١.

(٣) نجيب زبيب : الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، الجزء الثانى، تقديم / أحمد بن سودة دار الأمير، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٥ م، ص ٤٢.

(٤) ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص ١٤٧.

(٥) نفسه، ص ١٤٨.

(٦) هشام جعيط، ص ١٦٦.

(٧) تاريخ افريقيا والمغرب، ص ٦٩ – ٧٠.

(٨) حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب، ص ٢٨٨. حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين، ص ٦٤. محمد عيسى الحريرى : مقدمات البناء السياسى للمغرب العربى، الطبعة الأولى، مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٧٩ م، ص ٣٥. محمد على دبوز ٢ / ١٣١. إبراهيم أحمد العدوى : موسى بن نصير، ص ٥٨ – ٥٩.

وقال ابن عذاري[1]: "وفي سنة (٨٥ هـ) تم إسلام أهل المغرب الأقصى وحولوا المساجد التي بناها المشركون إلى القبلة وجعلوا المنابر في مساجد الجماعات وفيها مسجد أغمات هيلانه".

وأقر الجزنائي[2] بأنتشار الإسلام في ربوع المغرب على يد موسى: "حتى لم يبق منه موضع إلا وعبد الله".

وترك موسى بن نصير في المغرب الأقصى الفقهاء لتعليم البربر القرآن الكريم وفرائض الإسلام[3]. ودخل البربر في الإسلام عن يقين وإقتناع[4]. وأظهر موسى حماسه نحو إعلاء شأن الإسلام، بأن خصص جزءاً كبيراً من المال الذى كان يعطيه إياه الخليفة عبد الملك، ليشترى بهم أسرى إذا لمس فيهم أنهم جديرون بأن يكونوا أبناء أوفياء للإسلام وإذا أظهروا مواهب طيبة أعتقهم في الحال وعينهم في مراكز هامة في جيشه وسمح لهم بالتدريج في الوظائف حسب كفاياتهم[5].

٢ - أثر فتح الأندلس

كان لفتح الأندلس أثراً عظيما في نشر الإسلام بين صفوف البربر، وقد وفق موسى بن نصير في اختياره طارق بن زياد لقيادة الجيش وفي ذلك دلالة قوية على رسوخ الإسلام عند البربر وقيامهم بحمل رسالته إلى أوروبا في أواخر القرن الأول الهجرى[6]. وكان جيش طارق يتألف من سبعة آلاف من البربر قد دخلوا في الإسلام عن يقين ثابت. وقد اختير العلماء والفقهاء من العرب ليقرءو ويفسروا لهم آيات القرآن الكريم ويعلموهم شرائع الدين الإسلامي[7].

وكان البربر من أول العناصر الغير عربية التي تشارك في الفتح الإسلامي للأندلس ويقع على كاهلها العبء الأكبر في هذا الفتح.

---

(١) البيان المغرب ١ / ٤٣.

(٢) زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص ٧.

(٣) ابن مفديش، ص ٢٣٢.

(٤) ارنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (د.ت) ص ٣٥٠.

(٥) ارنولد، ص ٣٦٦.

(٦) حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص ٢٩٢. حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٦٥.
حسن أحمد محمود: الإسلام في حوض البحر المتوسط، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٩٦.
محمود إسماعيل، ص ٣٩. محمد بن تاويت وآخرون: الأدب المغربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٦٠ م، ص ٢٣.

(٧) ارنولد، ص ٣٦٦.

كما كان النصر السريع الذى أحرزه العرب فى وادى لكه حافزاً لمن تخلف من البربر للمساهمة فى الحرب وجنى الغنائم حافزاً لمن بقى على دينه إلى الدخول فى الإسلام[1].

٢ - دورالفقهاء والوعاظ

وشهد المغرب فى عصر الولاة نقلة هامة فى نشر الإسلام فى ربوع المغرب وبدأت بجهود محمد بن يزيد القرشى الذى أهتم بنشر الإسلام بين البربر[2].

ولم يشذ عن هذه السياسة العامة فى أفريقية الا بعض الولاة فقد أعاد خلفاء بنى أمية ضريبة الجزية على من أسلم من أهل الذمة وأبقوا على ضريبة الخراج بدلا من تعديلها إلى ضريبة العشر بعد أعتناق ملاكها للإسلام[3].

وأبطل الخليفة عمر بن عبد العزيز تلك السياسة فى أرجاء الدولة الإسلامية. مما جعل أهالى البلاد المفتوحة يقبلون على الدخول فى الإسلام أفواجاً وفيما يرتبط بالمغرب فقد عين إسماعيل بن أبى المهاجر فى سنة (١٠٠ هـ / ٧١٨ م) الذى بذل أقصى جهده فى سبيل نشر الإسلام[4]. ومصداقاً لذلك قول ابن عذارى[5]: "فكان خير أمير وخير وال ومازال حريصا على دعاء البربر إلى الإسلام حتى أسلم بقية البربر بإفريقية على يديه...وهو الذى علم أهل أفريقية الحلال والحرام وبعث معه الخليفة عمر عشرة من التابعين أهل علم وفضل... وكانت الخمر بإفريقية حلالا حتى وصل هؤلاء التابعون فبينوا تحريمها... ".

ولقد أنساح هؤلاء الفقهاء فى أرجاء المغرب الفسيح لتعليم أهل البلاد شرائع الإسلام من الحلال والحرام[6] و نذكر من هؤلاء الفقهاء: موهب بن جنى المعافرى وحيان بن

---

(١) حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب، ص ٢٩٢. حسن أحمد محمود : الإسلام فى حوض البحر المتوسط، ص ٩٦.

(٢) محمد على دبوز ٢ / ١٧١.

(٣) عبد العزيز فيلالى : المظاهر الكبرى فى عصر الولاة فى بلاد المغرب والأندلس، تونس، ١٩٩١ م، ص ٣٨.

(٤) خليفة بن خياط، ص ٣٢٣. ابن عبد الحكم، ص ٢١٣. الرقيق، ص ٩٧. ابن عذارى ١ / ٤٨.
النويرى ٢٤ / ٥٦. ابن خلدون ٤ / ١٨٨.
الذهبى : تاريخ الإسلام حوادث سنة ٨١ - ١٠٠ هـ تحقيق / عمر عبد السلام تدمرى، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٩٠ م، ص ٢٧٤. القلقشندى ١ / ١٤٥. الباجى المسعودى، ص ١٣. أرنولد، ص ٣٥١.

(٥) البيان المغرب ١ / ٥١.

(٦) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية وتونس، ص ٨٤ - ٧٨. ابن عذارى ١ / ٤٨. السلاوى ١ / ٤٦.
محمود شيت خطاب ٢ / ١٦٦. حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين، ص ٦٦.
الحسن السائح : الحضارة الإسلامية فى المغرب، الطبعة الثانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٦ م، ص ١٢٨.

جبلة القرشي (ت ١٢٥ هـ / ٧٤٢ م) وإسماعيل بن عبيد الله الأنصاري (ت ١٣٢ هـ / ٤٩ — ٧٥٠ م) وطلق بن خابان. وبكر بن سواد الجذامي (ت ١٢٨ هـ / ٤٥ — ٧٤٦ م) وعبد الرحمن بن رافع التنوخي (ت١١٣هـ/٣١ — ٧٣٢م) ومسعود بن سعيد التجيبي[١]

وبنى هؤلاء التابعين مساجد يعلمون فيها الإسلام. ويبدو أن الأهلين كانوا يفدون على هذه المساجد فيستمعون إلى هذه الدروس التي كانت تلقى بها. ومن المساجد التي بنيت على يد هؤلاء التابعين مسجد الرباطي بناه عبد الرحمن بن عبد الله بن يزيد المعافري وجامع الزيتونة الذى بناه إسماعيل بن عبيد الله المعروف بتاجر الله[٢]

ومن المعروف أن الجيش الإسلامي الذى دخل المغرب كان معظمه من القبائل العربية وكان من بين رجاله عدداً ليس بالقليل من الصحابة والتابعين ولم يكن دور هؤلاء المجاهدين مقصوراً على القتال فحسب وأنما كانوا دعاة للإسلام. وعلماء في العلوم الشرعية. منذ البداية فقد استقر العديد منهم بإفريقية وسكنوا القيروان وعمروا الدور والمساجد نذكر منهم الفقيه حنش بن عبد الله الصنعاني سنة (١٠٠ هـ / ٧١٨ م) وأبو يحيى عياض بن عقبة بن نافع الفهرى المتوفى سنة (١٠٠ هـ / ٧١٨ م)[٣]

وقد عم الإسلام في إفريقية في ولاية عبد الرحمن بن حبيب الفهرى الذى عاصر أواخر أيام الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية أرسل إلى الخليفة المنصور حدية وكتب إليه: "أن أفريقية اليوم إسلامية كلها وقد أنقطع السبى منها"[٤]

ولنا ملاحظة على الشق الثاني من قول عبد الرحمن: "وقد أنقطع السبى منها" في الواقع أن هذا القول يجافي الحقيقة لأن السبى استمر في المغرب حتى عصر المرابطين.

٤- دعاة الخوارج

كان لدعاة الخوارج في بلاد المغرب أثر عظيما في انتشار الإسلام بين أهل البلاد، فهؤلاء الدعاة الذين أنسابوا بين القبائل كانوا يعملون على نشر الإسلام بينها، وربما كان وجودهم بين هذه القبائل حافزا لها على تعلم العربية ومحاولة معرفتها حتى نستطيع التعرف على ما يدعون إليه[٥]".

---

(١) أبو العرب، ص ٨٤ – ٨٧.

(٢) حسين مؤنس، ص ٢٩٦

(٣) ناطق صالح مطلوب وآخرين، ص ١٥٠ - ١٥١

(٤) الرقيق، ص ١٣٣ - ١٣٤ النويرى ٢٤ / ٦٦. السلاوى ١ / ٥٤. رابح بونار، ص ٢٨

(٥) حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب، ص ٢٩٤

ومن المعتقد أن فهم البربر لفكر الخوارج كان مقصوراً على الدعاة فقط، فمن المعلوم أن ثلاثة من حملة العلم للخوارج الاباضية كانوا ممثلين لبعض القبائل هم وغيرهم من الصفرية قادوا الجموع. فتذكر المصادر "إن أبا حاتم الملزوزى كان معه من عوام البربر من لم يعود النظر فى أمور الدين غير أنهم أسلموا لأمر المسلمين وأحكامهم"[1].

٥ - المساجد

ومن الوسائل التى ساعدت على نشر الإسلام بعمق بين البربر المسجد وهى من أهم مراكز العلم فى المغرب الإسلامى، حيث كان يموج بالفقهاء والعلماء والطلاب وكان الشيوخ يجلسون عند أحد الأعمدة ويتحلق الطلاب حولهم ثم يتولى هؤلاء الشيوخ تدريس العلوم الدينية والشرعية والنحو واللغة[2]. ولعل السبب فى جعل المسجد مركزا ثقافيا هو أن الدراسات فى سنى الإسلام الأولى كانت دراسات دينية تشرح تعاليم الدين الجديد وتوضح أسسه وأحكامه وأهدافه وهذا يتصل بالمسجد أوثق اتصال ثم أن المسلمين فى عصورهم الأولى توسعوا فى مهمة المسجد فاتخذوه مكانا للعبادة ومعهد للتعليم ودار للقضاء وساحة تتجمع فيها الجيوش[3].

وكانت المساجد الأولى التى بناها المسلمين مراكز علمية هامة. ومعاهد للدرس والتحصيل قبل أن تظهر الجامعات والمدارس ففيه كان يسمع التلاميذ على اساتذتهم فى الفقه واللغة والحديث والقراءات وغيرها من الدراسات العلمية دينية وأدبية ولغوية [4].

ومن أولى المساجد جامع الأنصار بموقع القيروان الأولى سنة (٣١هـ/٦٥١ م)[5] ثم جامع عقبة الكبير الذى أنشأه سنة (٥١ هـ / ٦٧١ م) وانشئت عدة مساجد داخل بلاد البربر والسوس ثم تأسيس مساجد خاصة بقصد الأعمال الخيرية وأشهرها بالقيروان مسجد الرباطى أو الحبلى ومسجد أبى ميسرة. ومسجد محمد خيرون الأندلسى[6].

---

(١) نريمان عبد الكريم أحمد : مجتمع أفريقية فى عصر الولاة، ص ٣٠٠ – ٣٠١.

(٢) كمال السيد أبو مصطفى : جوانب من الحياة الإجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية فى المغرب الإسلامى من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب، للونشريسى، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ١٩٩٦ م، ص ١١٥.

(٣) أحمد شلبى : تاريخ التربية الإسلامية. ، ص ١٠٢.

(٤) السيد عبد العزيز سالم، ص ٣٠٦ – ٣٠٧. ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص ١٤٩ – ١٥٠.

(٥) عثمان الكعاك : مركز الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٩٥٨ م، ص ١٣.

(٦) عثمان الكعاك، ص ١٤. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب، ص ٢٠٧.

وساهم جامع الزيتونة في حركة التعليم في هذه الفترة والذى اختطه حسان بن النعمان الغساني حوالى سنة (٨٠ هـ / ٦٩٩ م) وكان تخطيطه بسيطا في أول الأمر. وأعاد بناءه عبيد الله بن الحبحاب سنة (١١٦ هـ / ٧٣٤ م)[١].

كما ساهم في تلك الحركة العلمية المسجدان اللذان أسستهما مريم بنت محمد بن عبد الله الفهرى وأختها فاطمة القروية أم البنين بربضى الأندلسيين والقرويين بفاس[٢].

وكانت المساجد تحفل بحلقات الدرس فكان مجلس عكرمة مولى ابن عباس كان في مؤخرة المسجد الجامع غربي المنارة في الموضع المعروف بالركبية وظلت حلقات الدرس تقام بالمسجد طول عصر الولاة[٣].

وشهدت مدينة تونس في أواخر عصر الولاة بداية جديدة لظهور دور الفقهاء من خلال حلقات الدروس في المساجد الصغيرة وحضور كثير من التلاميذ للسماع من هؤلاء الفقهاء[٤].

٦ - الكتاتيب

أهتم العرب بإنشاء الكتاتيب؛ لتعليم الصبيان القراءة والكتابة عقب تأسيس القيروان، وكان ذلك سبباً في سرعة انتشار اللغة العربية بين سكانها الأصليين[٥]. وكانوا يدرسون في تلك الكتاتيب القرآن الكريم والحديث والدين واللغة[٦].

وانتشرت الكتاتيب في أحياء القيروان وحذا حذوها في هذا الميدان سائر مدن المغرب[٧].

---

(١) حسن حسنى عبد الوهاب ١ / ١١٥ - ١١٦.

(٢) الجزنائى، ٣٤ - ٣٥. السيد عبد العزيز سالم، ص ٢٠٧.

(٣) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ٣٠١.

(٤) نفسه، ص ٣٠١.

(٥) حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب، ص ٢٩٧.

(٦) إبراهيم أحمد العدوى : موسى بن نصير، ص ٥٩.

(٧) حسن حسنى عبد الوهاب : كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، المجلد الأول، مراجعة / محمد العروسى المطوى وآخرين، الطبعة الأولى، بيت الحكمة، تونس، ١٩٩٠ م، ص ٤٧.

وكـان المـؤدب يعلـم الأطفـال القـراءة والكـتابة وترتيل بعض السـور[1] وحفظ أجزاء من القرآن وتجويده علاوة على الإلمام ببعض علم اللغة والنحو والفقه[2].

ولقـد ترك أولئك المدرسـون أثراً طيبا فى نفوس البربر الذين ظلوا يرددون المآثر الجليلة التـى شـاهدوها فـى أولـئك المدرسـين. فقـال أحـد رجـال البربـر: "كان سفيان بن وهب صـاحب الرسـول ﷺ يمر بنا ونحن غلمة بالقيروان فيسلم علينا فى الكتاب وعليه عمامته قد أرخاها من خلفه"[3].

وكان أهل القيروان يتبعون دراسة ابنائهم فى تلك الكتاتيب فيروى لنا الرقيق[4]: "أن عـبد الله بـن غـانم – قاضـى القيروان فى أواخر عصر الولاة وبداية دولة الأغالبة – جاءه ابـنه مـن عـند المعلـم فسـأله عـن سـورته وحفظه فقرأ عليه أم القرآن فأحسـن فى قراءته. فدفـع لـه عشـرين ديـناراً، فلمـا جـاء بها الصبى إلى المؤدب أنكر ذلك وظن بالصبى ظنا فأخـذها وجـاء بهـا إلى ابن غانم، فقال له: "لم رددتها هل استقللتها؟" فقال المعلم: "ما أتـيت لهذا؟ إنما ظننت بالصبى ظنا" فقال له: "لحرف واحد مما علمته يعدل الدنيا وما فيها".

٧- الأربطة

الـرباط[5] مـن المنشـآت الدينية والعسـكرية التى يقيم بها المحاربون للتعبد والاسـتعداد للجهـاد والتربص لأعداء الإسـلام الذين يغيرون على بلادهم[6]، وقد اشتق اسـمها من الآية الكريمة:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾[7].

---

(١) برنشفيك: تاريخ افريقية فى العهد الحفصى، الجزء الثانى، ترجمة / حمادى الساحلى، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٨٨ م، ص ٣٧٥.

(٢) كمال السيد أبو مصطفى، ص ١١٣.

(٣) المالكى ١ / ٥٩. إبراهيم أحمد العدوى، ص ٥٩. حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات ١ / ٧٩.

(٤) تاريخ أفريقيا والمغرب، ص ٢٣١.

(٥) الرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو. المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الجزء الثانى دار صادر، بيروت (د. ت) ص ٤٢٧.

(٦) حسن الباشا: الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٩٠ م، ص ١٣٣.

(٧) سورة الأنفال (الآية ٦).

وأيضا في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1].

وأول الأربطة التى شيدت فى المغرب فى عصر الولاة رباط المنستير الذى بناه هرثمة ابن أعين سنة (١٨٠ هـ / ٧٩٦ م) وهو من طابقين، وذو تخطيط مربع، طول ضلعه حوالى ٣٢ متر، ويحيط بالطابق الأرضى سور خارجى فى زواياه أبراج دائرية ما عدا البرج الشرقى فهو مربع تقريباً.

أما الطابق العلوى فيشتمل على مسجد يقع محرابه فوق مدخل الرباط مباشرة، ويتألف من سبع بلاطات مسقوفة بأقبية طولية تتعامد على جدار القبلة[2].

---

(١) سورة آل عمران (الآية ٢٠٠)

(٢) حسن الباشا، ص ١٣٤. البكرى، ص ٣٦. بالوت ٥ / ٢٠٩ - ٢١٠.

الفصل الرابع

التعريب فى بلاد المغرب

أولاً : التعريب اللغوى

التعريب هو استعمال لفظ غير عربي في كلام العرب وإجراء أحكام وقواعد اللفظ العربي عليه ووزنه[1]. وقال صاحب لسان العرب[2]: "تعرب أى تشبه بالعرب وتعرب بعد هجرته أى صار أعرابيا... والتعرب الرجوع إلى البادية بعد ما كان ميقيما فى الحضر فيلحق بالأعراب ويكون التعرب المقام بالبادية وتعرب عن نفسها أى تفصح. والأعراب واتعرب معناهما واحد وهو الإبانه...".

والتعريب صبغ الكلمة بصبغة عربية عند نقلها بلفظ أجنبى إلى اللغة العربية[3]. وظاهرة التعريب صورة من صور التبادل بين اللغات ومظهر من مظاهر التلاقح الناتج عما يوجد بينها من قرابة لغوية أو جوار ومتاخمة أو رحلة انتقال أو غزو وفتح وهجرة واختلاط أو تجارة ومعاملة[4].

وترجع جذور حركة التعريب إلى عصر الراشدين. ودب الخليفة عبد الملك بن مروان وأبنه الوليد النشاط فى تلك الحركة. حين جعلا اللغة العربية اللغة الرسمية فى دواوين الدولة ومراسلاتها. فما لبث أن أكتسحت لغات الشعوب المفتوحة من فارسية، وروميه، وقبطية، وبربرية، ويونانية، وسريانية، وعبرية وأصبحت وحدها شائعة فى دار الإسلام لأنها لغة الفاتح ولغة الدين[5].

وأثرت حركة الفتح الإسلامى للعراق وفارس والشام ومصر وبلاد المغرب تأثيراً كبيراً

---

(١) الموسوعة العربية العالمية، الجزء السابع، الطبعة الثانية، السعودية، ١٩٩٩ م، ص ٥.

(٢) ابن منظور : لسان العرب، المجلد التاسع، تعليق / على شيرى، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٩٢ م، ص ١١٣ – ١١٤ (مادة عرب).

(٣) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط، الجزء التاسع، دار أحياء التراث الإسلامى، قطر (د. ت) ص ١١٥.

(٤) الموسوعة العربية العالمية، جـ ٧، ص ٥.

(٥) توفيق سلطان اليوزبكى : التعريب فى العصرين الأموى والعباسى، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٢٤ لسنة ١٩٧٢ م، ص ٣.

فـي حـياة المجتمع الإسـلامي، لأن التوسـع الإسلامي بمظاهره الكبرى العسـكرية والبشرية والفكـرية أحـدث توسعاً ثقافيا وحركة علمية نابعة من الإسـلام وهدفها الدعوة إلى العقيدة الإسـلامية فأقبل سـكان البلاد المفتوحة على تعلم العربية وأدابها وعلى دراسـة المصادر الإسـلامية للقرآن والحديث والفقه[1].

وكـان هـدف عبد الملك بـن مـروان مـن تعريب العملة أن يصبغ الدولة بصبغة عربية نتـيجة لسياسـة رسمهـا بدقـة ومهـارة وقـام بتنفـيذها فـي جمـيع المـيادين الإداريـة والاقتصادية. ولذ كان تعريب النقود جزءاً من سـياسة عبد الملك بن مروان التي استهدفت تعـريب مؤسسـات الدولـة وكـان مـن أهدافـه إرضـاء الشـعور الدينـي والسـياسـي للشعوب العربية والإسـلامية ويعنى ذلك تحويل عبارات التوحيد والبسـملة[2].

وأراد عبد الملك بن مروان ضبط ومراقبة شئون الدواوين، وعلى الأخص بيت المال لمنع أى غـش أو تزويـر يمكـن أن يحدث. ويترتب على سك النقود ضبط الوارد والصادر لبيت المال[3].

وفـي المغـرب لم تسـاير اللغـة العربية التي أنتشر بها الإسـلام هناك واحتاج التعريب اللغـوى إلى فـترة طـويلة؛ لتغـيير اللغـة والجـنس بمعنـى أن تسـود اللغة العربية في كل المعـاملات وكذا التعريب الجنسـي من خلال المصاهرات. وأن البربر لم يتقنوا اللغة العربية إلا في وقت متأخر[4].

وقـبل أن نمضي قدما في التعريب اللغوى لبلاد المغرب، ينبغى علينا أن نتعرف على اللغات السـائدة أثناء الفتح العربي للمغرب وموقف اللغة العربية من كل منها على حدة.

كانـت اللغـة اليونانـية الرسـمية لسـكان الشـريط السـاحلي من البيزنطين وكانت لغة الإدارة والسياسـة والطبقات العليا في مجتمع إفريقية.

---

(١) نفسـه، ص ٣.

(٢) حسـان على حلاق : تعريب النقود والدواوين في العصر الأموى، دار الكتاب المصرى، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٧٨ م، ص ٤٢.

(٣) شحادة على الناطور : تجديد الدولة الأموية في عهد عبد الملك بن مروان، الطبعة الأولى، دار الكندى، الأردن، ١٩٩٦ م، ص ٢٦٥.

(٤) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ٣٠٣.

ولم تصمد طويلا أمام اللغة العربية لأن اليونانية قد هجرها أصحابها عندما فروا أمام الزحف الإسلامي إلى إسبانيا وصقلية والبلدان الأخرى التابعة للأمبراطورية البيزنطية. بعد أن تمكن حسان بن النعمان وموسى بن نصير من ترسيخ أقدام المسلمين في بلاد المغرب.

ولم تجد اللغة اليونانية ملجأ لها في الدواوين وإدارة الحكومة كما هو الحال في مصر و الشام(1).

أما عن اللغة البربرية فهي اللغة المحلية الأم لساكن المغرب. وكانت من أكبر اللغات مقاومة للغة العربية بفضل انتشارها في مساحة شاسعة من الأراضي التي كانت تعيش عليها. وتوغلت اللغة العربية إلى مناطقها وإن كانت لم تقض عليها تماما حيث أصبحت لغة العامة. أضف إلى ذلك أن الإهمال قد تطرق إلى اللغة البربرية لفقرها فلم يظهر للغة البربرية أى أثر أدبي طريف حرروه بلغتهم ولا يتعدى أثارهم في هذا المجال الأغاني والحكايات الشعبية.

وانتشرت اللغة العربية بين صفوف البربر حيث ظهر في القرن الثاني الهجرى العديد من العلماء والمحدثين(2).

وكانت اللغة العبرية لغة لطائفة اليهود المبعثرة في أنحاء متفرقة من المغرب ولم تصمد أمام اللغة العربية التي طغت على العبرية وأصبحت اللغة العربية هي المألوفة بينهم في النصف الأول من القرن الرابع الهجرى(3).

كما رحل علماء اليهود إلى بغداد لتلقى العلم فيها هو دوناش بن لبراط اليهودى من علماء القرن الرابع الهجرى الفاسي المولد يرحل إلى بغداد ليتلقى العلم فيها على يد بعض اساتذة النحو العربي.

وكان اليهود يستعملون اللغة العربية في كتاباتهم وتأليفهم ويعد كتاب سيبويه أساس تجديد النحو العبرى في فاس في القرن الرابع الهجرى.

---

(1) شكرى فيصل : المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجرى، ص ١٨٠ – ١٨٢ .

(2) شكرى فيصل، ص ١٨٣ – ١٨٤ .

(3) Goitein : Jews and Arabs Their conatacs Through The Ages , New york , 1955 , p.131.

وكانت لغة الأفارقة [1] لغة سكان المدن هي مزيجا من كل لغات الشعوب التي تعاقبت على الساحل. وتمكنت اللغة العربية من التغلب عليها بفضل هجرات العرب واستقرارهم في المدن فضلاً عن انتشار الإسلام بينهم وتعلم اللغة العربية[2].

اللغة العربية هي لغة الدين الذي آمنوا به والقرآن الكريم الذي يرددون بعض سورة وآياته في عبادتهم. وبذل العرب نشاطاً ملموساً في تعليم اللغة العربية وفتح الكتاتيب قبل اتمام الفتح الإسلامي[3].

وفي هذا الصدد يقول أحد الباحثين[4]: "أن الفاتحين حملوا معهم اللغة والدين ممثلين في القرآن الكريم الذي هو قوام دين ودستور سياسة وبحر أخلاق وقاموس لغة وديوان ثقافة... ".

وكان من الضروري أن يحرص البربر الذين شرح الله قلبهم إلى الإسلام على تعلم اللغة العربية، لدراسة ما جاء في القرآن الكريم من آيات بينات[5].

وكان المغرب بمثابة حقل بكر لا تطغى عليه أية ديانة سماوية تعتز بكتاب مقدس، الأمر الذي سهل دخول عدد كبير في الإسلام منذ الحملات الأولى للفتح وأصبح المغرب دار إسلام بكل معنى الكلمة وبدون منازع[6].

ووجد البربر في اللغة العربية أداة تمكنهم من التفاهم فيما بينهم إذ تعددت لهجاتهم وعن طريق اللغة العربية يستطيعون تسجيل تراثهم[7].

---

(١) عرفوا بالأفارقة لأنهم من ولد فارق بن بيصر الذي حاز لنفسه المنطقة الممتدة من الأرض ما بين برقة إلى إفريقية. ابن عبد الحكم، ص ١٨٥.

(٢) شكري فيصل، ص ١٨٢.

(٣) حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص ٢٩٨. محمد محمد زيتون: القيروان، ص ٢١٥.

(٤) عثمان الكعاك، ص ١٢. السيد عبد العزيز سالم، ص ٢٠٦.

(٥) السيد عبد العزيز سالم، ص ٢٠٦. حسن علي حسن: تاريخ المغرب العربي، ص ٢٧٧.

هوادس: محاولة في الخط المغربي، تعريب / عبد المجيد التركي، حوليات، الجامعة التونسية، العدد الثالث، تونس، ١٩٦٦ م، ص ١٧٧.

(٦) محمد رزوق: الاندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين ١٦ – ١٧، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩١ م، ص ٢٦.

(٧) محمود شيت خطاب: قادة فتح المغرب العربي ٢ / ١٧٣.

وأهتم حسان بن النعمان بتعليم البربر اللغة العربية فجعلها لسان الحكومة الرسمى تحرر بها الرسائل للعمال ويكتب بها فى الدواوين ويخطب فى الجمع والأعياد. فأقبل البربر على اللغة العربية التى هى مفتاح دينهم ولغة نبيهم فانتشرت العربية فى البربر[1].

ثانيا :التعريب الجنسى

كان التعريب الجنسى يحتاج إلى وقت أطول من التعريب اللغوى حتى ينشأ جيل جديد يحمل صفات العرب جنسا ولغة. ولقد اسهمت فى ذلك الهجرات المتتالية الفردية والجماعية مع الفتوحات واستقرار العرب الذى أدى إلى الاحتكاك بين العرب والبربر وما ترتب عليه من الاندماج من خلال المصاهرات التى تمت منذ وقت مبكر[2].

وشكل السبى والرقيق لوناً من الهجرة من بلاد المغرب إلى البلاد العربية الأخرى[3]. والسبى فى الأصطلاح الشرعى هم النساء والأطفال الذين يقعون فى قبضة المسلمين أحياء أثناء القتال [4].

وذيل المؤرخون حديثهم عن الحملات الإسلامية المتتالية على المغرب بذكر السبى المرسل إلى الشرق بعد المعارك الطاحنة التى دارت بين المسلمين وبين الروم والبربر. ونستهل حديثنا عن السبى بعد لقاء سبيطلة بين عبد الله بن سعد وجرجير القائد البيزنطى فقد أشار ابن خلدون [5] إلى السبى بعد هذا اللقاء بقوله : "واستبيحت أموالهم وسبيت نساؤهم وبناتهم".

وأفاض المؤرخون العرب فى وصف سبى المغرب وجمالهن فى ولاية عقبة بن نافع الثانية على إفريقية (٦٠ – ٦٣ هـ / ٦٧٩ – ٦٨٢ م) حيث جنى من بلاد السوس سبياً كثيراً[6]: "أصاب منهم نساء لم يرى الناس فى الدنيا مثلهن، قيل أن الجارية منهن

---

(١) محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير ٢ / ١١٨.

(٢) شكرى فيصل، ص ١٨٥ – ١٨٦ . نريمان عبد الكريم أحمد، ص ٣٠٤ – ٣٠٥.

(٣) شكرى فيصل، ص ١٨٧.

(٤) الماوردى، ص ١٧٠.

(٥) تاريخ ابن خلدون ٤ / ١٨٥.

(٦) ابن الأثير ٣ / ٢٠٨.

كانت تبلغ بالمشرق ألف دينار أو نحوها[1]".

ولما عاد حسان بن النعمان من المغرب متوجها إلى دمشق رصدت لنا المصادر عدد سبي حسان بنحو خمسة وثلاثين ألف رأس من البربر وصفاء ووصائف على قدر كبير من الجمال[2].

أما سبي موسى بن نصير فقد فاق غيره من الفاتحين فقد قال عنه الليث بن سعد: "لم يسمع قط بمثل سبايا موسى بن نصير في الإسلام[3]".

ولقد سبق أن ناقشت إسراف الكتاب في سبي موسى عند حديثي عن ولاية موسى ابن نصير.

وفي ولاية عبيد الله بن الحبحاب تدفق السبي إلى دار الخلافة بدمشق: "وكان الخلفاء بالمشرق يستحبون طرائف المغرب، ويبعثون فيها إلى عامل إفريقية، فيبعثون لهم البربريات السنيات[4]".

ومن الثابت أن عملية التعريب للسبي قد اقتصرت على البربريات الوافدة للشرق ولايؤثر في تعريب البربر المقيمين في البلاد لأن هؤلاء السبايا لا يعدن ثانية حتى يؤثرن في حركة التعريب الجنسي في إفريقية[5].

(١) المالكي ١ / ٢٤. الرقيق، ص ٤٦. النويري ٢٤ / ٢٨. ابن عذاري ١ / ٢٧. ابن أبي دينار، ص ٣١.

(٢) المالكي ١ / ٣٨. الرقيق، ص ٦٧.

(٣) ابن عذاري ١ / ٤٣.

(٤) ابن عذاري ١ / ٥٢.

(٥) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ٣٠٥.

الفصل الخامس

التنظيمات الإدارية والاقتصادية

أولاً: النظام الإدارى

١ - الوالى أو الأمير

شهد عصر الولاة في المغرب مجموعة من الولاة المعينين من قبل الخلافة وأحيانا من قبل والى مصر. وكان أختيار الوالى يرجع إلى شخصية الخليفة نفسه والأوضاع القائمة والتى يختار فى ظلها الوالى الجديد(١).

وكان اختيار الخلافة لعمالها فى المغرب يقوم على أساس الثقة الكاملة فى إخلاص وولاء هؤلاء العمال للخلفاء فى دمشق أو بغداد، وترتب على هذه الثقة أن تمتع هؤلاء الولاة بسلطات واسعة جعلتهم يديرون شئون البلاد بحرية فى تصريف أمور الإقليم دون الرجوع إلى الخلافة إلا فى حالة الضرورة(٢).

وكانت الإمارة فى إفريقية فى عصر الولاة إمارة عامة حيث احتفظ الوالى بكل السلطات فهو يتحمل المسئولية الحربية للولاية بوصفه القائد العام، يقوم بإدارة الحرب وتعبئة الجيش وإعلان الحرب وتوزيع العطاء. كما أقترنت سلطة الوالى الحربية بولاية الصلاة. فهو يقوم بإمامة المسلمين فى الجمع والأعياد علاوة على إشرافه التام على النظام المالى(٣).

وكذلك كان والى المغرب مسئول عن الديوان وتعيين عمال الأقاليم وعزلهم سواء فى إفريقية أو المغرب والأندلس قبل إنفصالها عن الولاية. لكن بالنسبة إلى الأندلس كان أحيانا يرجع إلى الخليفة عند تولية والى الأندلس أو عزله(٤).

وكان الوالى يعين من قبل الخلافة من خلال سجل أوعهد مكتوب يؤكد حقه فى الولاية وأحيانا يأتى العهد مع البريد. أو مع الوالى الذى يصل فجأة إلى القيروان(٥). كما

---

(١) حسن على حسن، ص ٢١٣.

(٢) حسن على حسن، ص ٢٢٣.

(٣) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ١٠٥ - ١٠٦. هشام جعيط، ص ٦٢ - ٦٤.

(٤) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ١٠٦.

(٥) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ١٠٦. هشام جعيط، ص ٦١.

كان الوالي يعزل من قبل الخليفة بكتاب[1]. وأحيانا يطلب الوالي الاستعفاء من الخليفة.

وكان الأمير ينتقل في موكب ويقف الحضور عند دخوله في مكان ما ويستقبل الوافدين عليه تماماً مثل الخليفة بالذات، وعندما يريد أن يشرف أحداً، فيجلسه بجانبه.

وكان الأمير محاط بالحرس الشخصي أو حرس الشرف والحرس هو المسؤول على أمن الأمير في القصر وخارجه[2].

٢ - الدواوين

الديوان كلمة معربة من الفارسية يقصد بها الدفتر أو السجل الذي يدون فيه أسماء الجند وأهل العطاء[3].

وأصل تسمية الديوان بهذا الأسم "أن كسرى نظر يوماً إلى كتاب ديوانه وهم يحسبون على أنفسهم، كأنهم يحادثون فقال ديوانه أي مجانين بلغة الفرس، فسمي موضعهم لذلك، وحذفت الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفا فقيل ديوان... ".

وأطلقت أسم الديوان على الكتاب الذين يقومون بالعمل بسرعة نفوذهم في فهم الأمور الدقيقة، ثم أطلقت على المكان الذي يعمل به هؤلاء الكتاب والذي يحفظ فيه السجل أو الدفتر[4].

وكان الخليفة عمر بن الخطاب أول من دون الدواوين في الإسلام[5]، وكان ديوان العراق يكتب بالفارسية، وديوان الشام يكتب بالرومية، وديوان مصر يكتب بالقبطية. واستمر العمل بتلك الدواوين على هذا المنوال حتى عصر الخليفة عبد الملك بن مروان الذي أمر بتعريب تلك الدواوين إلى العربية فنقل ديوان الشام إلى العربية في سنة (٨١ هـ / ٧٠٠ م) على يد سليمان بن سعد[6]. ونقل ديوان العراق من الفارسية إلى العربية في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على يد صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم[7].

---

(١) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ١٠٧.

(٢) هشام جعيط، ص ٦٠.

(٣) ابن منظور : لسان العرب " مادة دونه ".

(٤) الماوردي، ص ٢٤٩. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، الجزء الأول، دار الفكر، بيروت (د. ت) ص ٢٠٣.

(٥) الماوردي، ص ٢٤٩. ابن خلدون ١ / ٢٠٣.

(٦) الماوردي، ص ٢٥٣.

(٧) البلاذري ٢ / ٢٦٨. الماوردي، ص ٢٥٣. ابن خلدون ١ / ٢٠٣ – ٢٠٤.

أما ديوان مصر فنقل من القبطية إلى العربية على يد أمير مصر عبد الله بن عبد الملك ابن مروان في خلافة الوليد بن عبد الملك في سنة (٨٧ هـ / ٧٠٥ – ٧٠٦ م)[١].

وكان حسان بن النعمان أول من دون الدواوين بإفريقية: "الذى دون الدواوين ووضع الخراج على عجم إفريقية وعلى من أقام معهم على النصرانية من البربر"[٢].

ووجدت بإفريقية بعض الدواوين في عصر الولاة وهي :

أ- ديوان الجباية

يقوم هذا الديوان بتحصيل الموارد المالية المختلفة من أجل انفاقها فى المصالح العامة. وكان العمل فى هذا الديوان يتطلب المعرفة بالحساب[٣] واسند إلى أبى زكريا الحفرى الذى كان عالما بالفرائض والحساب العمل فى هذا الديوان عام (١٥٥ هـ / ٧٧٢ م) خلال ولاية يزيد بن حاتم[٤].

وكان بيت المال يختص بتحصيل الزكاة والصدقات وتوزيعها على مستحقيها من خلال عامل الصدقات. لذلك نجد حسان بن النعمان يسند إلى حنش بن عبد الله الصنعانى مهمة تنظيم الإدارة وتدوين الدواوين على صدقات الناس والسعى عليهم[٥]. وكان يدير بيت المال موظف مسؤول مغاير لصاحب الخراج، لكن تحت المراقبة المباشرة للأمير الذى كان يتصرف فيه كما يشاء ونستشهد فى هذا المقام بتصرف حنظلة بن صفوان الذى فتح بيت المال وأخذ منه المقدار اللازم لعودته إلى الشرق بحضور القاضى والعدول[٦].

ب - ديوان الرسائل

يتلقى الرسائل القادمة من الخلافة أو تحرير المراسلات الصادرة عن الوالى سواء للخلافة أو لعمال الأقاليم. ومن أبرز كتاب هذا الديوان خالد بن ربيعة الأفريقى كاتب عبد الرحمن بن حبيب[٧].

---

(١) عمر أبو النصر : عبد الملك بن مروان، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٦٢ م، ص ٢٣٨.

(٢) ابن عبد الحكم، ص

(٣) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ١١٢ – ١١٣.

(٤) نفسه، ص ١١٢.

(٥) نفسه، ص ١١٢ – ١١٣.

(٦) هشام جعيط، ص ١٠٠ – ١٠١.

(٧) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ١١٤.

ج - ديوان الجند

كانت مهمته أحصاء الجند وتدوين أسمائهم في سجلات وتقدير رواتبهم وأرزاقهم. وكان الجند المسجلون فيه يعرفون بأهل الديوان، تميزا لهم عن المتطوعة، وكان رئيس هذا الديوان يسمى بصاحب السيف[1].

هذه الدواوين تمثل النواة الأساسية لهيكل الإدارة وتصدرها هياكل أخرى :

دار الضرب، ودار الرزق، وبيت المال، وديوان الصدقات والأعشار، وديوان الطراز. ومن المحتمل وجود دواوين أخرى مثل المكوس، والنفقات، والمستغلات، والخاتم على الرغم من صمت المصادر ومن المرجح وجودها بإفريقية على الأقل في عهد المهلبيين الذين طبعوا الإدارة الإفريقية بتجربتهم الشرقية ولأنهم كانوا طموحيين وراغبين في التأكيد على مرتبة عالية لسطات الوالى وهيبته[2].

٣- صاحب البريد

عرفت إفريقية وظيفة صاحب البريد. وكانت الخلافة العباسية تقف على دقائق الأمور في إفريقية من خلال عمال البريد. لذا كان يختار من ذوى الدراية والكفاءة.

وعندما عجز روح بن حاتم عن القيام بمسئوليات الولاية كتب صاحب البريد وأبو العنبر القائد بذلك سراً إلى الخليفة. كما قام بإبلاغ نصر بن حبيب المهلبى بعهد الولاية بعد وفاة روح بن حاتم. وخلال ثورة تمام بن تمام على محمد بن مقاتل العكى كان يحيى ابن الفضل صاحب البريد يكتب إلى الرشيد بما يجرى بينهما[3]. ومن المحتمل أن يكون صاحب البريد معيناً مباشرة من الخليفة وليس من الوالى وإلا فقد استقلالية رأيه[4].

٤ - النظام الإدارى

يتبع الإدارة المركزية في القيروان عمال الأقاليم الذين كانوا في أغلب الأحيان من عصبية الوالى أو مواليه. بداية من ولاية موسى بن نصير الذى ولى أولاده جميع أعمال أفريقية والمغرب والأندلس وعبيد الله بن الحبحاب الذى استعمل أقاربه على كل الأعمال[5].

---

(١) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ١١٤.

(٢) هشام جعيط، ص ٨٩ - ٩٠.

(٣) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ١١٤ - ١١٥.

(٤) هشام جعيط، ص ١٠٢.

(٥) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ١١٥ - ١١٦.

أما المهالبة فقد حرصوا أيضا على تعيين أقاربهم فى الولايات المهمة. وكانت كل من طرابلس والزاب من الولايات المهمة وكان يسند إليهما أبرع الرجال من أصحاب الكفاءة[1].

كما كان عمال الأقاليم يعينون من الجند المشهورين إلى جانب أقارب الوالى[2]. وكانت حدود اختصاصات عمال الأقاليم مدنية وعسكرية. ومن الراجح أن هؤلاء كانوا يتمتعون بصلاحيات والى القيروان لكن بصورة مصغرة كل فى حدود عمالته[3].

التقسيم الإدارى لولاية إفريقية

يواجه مؤرخ المغرب الإسلامى صعوبة كبرى فى معرفة النظام الإدارى الذى وضعه العرب لهذا القطر الفسيح بعد تمام فتحه. ويستتبع ذلك صعوبة تتبع الأحداث السياسية وتطوراتها، لأننا لا نعرف الوضع الإدارى للناحية التى وقعت فيها هذه الأحداث ونوع علاقتها بالحكومة المحلية[4].

وكانت ولاية المغرب في أوج قوة السلطة المركزية مقسمة إلى أقسام أربعة هي:

١ - برقة وطرابلس

كان إقليم برقة يتبع والى مصر فى أكثر الأحيان. وكان إقليم طرابلس يشمل مناطق واسعة، ويضم مدناً مهمة منها سرت وصبرة إضافة إلى جبل نفوسة وقصباته وإقليم فزان. وجزءاً من كوار فى الجنوب. وقاعدة هذا الإقليم مدينة طرابلس[5].

٢ - المغرب الأدنى "أفريقية"

يشتمل المغرب الأدنى " أفريقية " النواحى أو الأقسام الإدارية القيروان ورقادة وسوسة وصطفورة وباجة والأربس ومجانة، وجزيرة شريك وما جاورها، وبلاد قمودة، وقفصة وتونس، ومدائن قسطيلية ومدائن نفزاوة، ومما يلى القبلة من القيروان بلد الساحل. وبلاد الزاب ومدنه [6].

---

(١) نفسه، ص ١١٥.

(٢) نفسه، ص ١١٦.

(٣) نفسه، ص ١١٦.

(٤) حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، جـ١، ص ١٨٩.

(٥) ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص ١٥٧.

(٦) حسين مؤنس ١ / ٢٠٥ - ٢٠٦.

٣ - المغرب الأوسط

يشمل المساحة الواقعة بين نهرى شلف وملوية [1]. وكانت قاعدته مدينة تلمسان ويشمل على عدداً من المدن المهمة. وعندما قامت الدولة الرستمية. تمكن عبد الرحمن بن رستم من مد نفوذه على عموم المغرب الأوسط وانتقلت قاعدة الإقليم من تلمسان إلى مدينة تاهرت[2].

٤ - المغرب الأقصى

ويشمل شمال المغرب الأقصى إلى مجرى نبر تانسيفت وكانت قاعدته مدينة طنجة.
ثم قام عبيد الله بن الحبحاب بتقسيم المغرب الأقصى إلى قسمين:

أ - **السوس الأدنى** وهو طنجة وما يلحق بها وكان عليه ولده إسماعيل ثم عمر بن عبد الله المرادى بعده.

ب - **السوس الأقصى** حيث بعث حبيب بن إبى عبيدة الفهرى على رأس جيش تمكن فى سنة (١١٦ هـ / ٧٣٤ - ٧٣٥ م) من اخضاع القبائل المتمردة[3].

ولم يستقر هذا التقسيم على حاله. فقد تقلبت الأحوال ببلاد المغرب وتقلصت مناطق نفوذ الولاة كثيراً نتيجة الاضطرابات والتمردات. وما نتج عنها من قيام الكيانات المستقلة حتى أصبحت سلطات الولاة لا تتعدى المغرب الأدنى "إفريقية"[4].

٥ - النظام القضائي

عرف ابن خلدون[5] القضاء بقوله: "وأما القضاء فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة، لأنه منصب الفصل بين الناس فى الخصومات حسما للتداعى وقطعا للتنازع الا أنه بالأحكام الشرعية المنتقاة من الكتاب والسنة".

وكان متولى خطة القضاء من المناصب الهامة في الدولة الإسلامية منذ عهد الرسول ﷺ وتأتى فى المرتبة الثانية بعد الإمارة. و أول من شغل منصب القضاء فى القيروان هو أبو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخى ولاه موسى بن نصير سنة(٨٠ هـ/ ٦٩٩-٧٠٠ م)[6]

(١) حسين مؤنس، ص ٢١٥.
(٢) ناطق صالح وآخرون، ص ١٥٧.
(٣) ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص ١٥٨.
(٤) ناطق صالح مطلوب وآخرون، ص ١٥٨.
(٥) المقدمة، ص ١٨٤.
(٦) المالكى ١ / ٧٢.

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز عين عبد الله بن المغيرة[1].

ومن قضاة إفريقية أبو سعد جعثل بن هاعان بن عمير ولى قضاء الجند بإفريقية للخليفة هشام بن عبد الملك[2].

وعين مروان بن محمد عبد الرحمن بن زياد في المرة الأولى وقضائه وعينه أبو جعفر المنصور في فترته الثانية[3].

وعين حبيب بن عبد الرحمن على قضاء القيروان سنة (١٣٨هـ / ٧٥٥ - ٧٥٦ م) أبا كريب وهو من الذين شاركوا في قتال ورفجومة عندما عاثوا فساداً في القيروان[4].

وتقلد خطة القضاء في ولاية يزيد بن حاتم القاضي عبد الرحمن بن زياد بن أنعم سنة (١٦٢ هـ / ٧٧٨ -٧٧٩ م)[5].

وتولى القضاء بإفريقية في خلافة مروان بن محمد القاضي عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وهو من جلة المحدثين والعلماء النابغين. وفي العصر العباسي ولاه أبو جعفر المنصور على القضاء وبقي إلى نهاية ولاية يزيد بن حاتم[6]. وتقلد القضاء ابن طفيل التجيبي وكان يسكن في سوق اليهود في الدرب المعروف اليوم بأبن الطفيل ثم عزله يزيد بن حاتم بسبب وضع كتبه عند رجل من البزازين، فقال له: "لم فعلت هذا؟" فقال له: "إنها مختومة وأنا أحفظ ما فيها" فقال له: "وإن كان، فليس هذا من سير القضاء فعزله"[7].

وتولى القضاء لروح بن حاتم رجل من أهل تونس يدعى العلاء بن عقبة فحكم لرجل من أهل باجة بحكم فقصه روح ووقف عليه. مما جعل العلاء يتخلى عن منصبه طواعية[8].

وبعث روح إلى عبد الله بن فروخ ليوليه القضاء فأبى وامتنع وأجبره على الجلوس في المسجد للفصل في الخصومات فتقدم إليه خصمان فقال لهما : " أنا شا كما الله أن تكونا اشام رجلين على " فقاما وأمام إصرار عبد الله بن فروخ على رفضه شغل القضاء

---

(١) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ١٤٤.
(٢) المالكي ١ / ٧٥.
(٣) هشام جعيط، ص ١٢١.
(٤) ابن عذارى ١ / ٧٠.
(٥) ابن عذارى ١ / ٨٠.
(٦) الرقيق، ص ١٦٣.
(٧) الرقيق، ص ١٦٦ - ١٦٧.
(٨) الرقيق، ص ١٧٤.

أشار عليهم بتولية عبد الله بن عمر بن غانم وكان فقيها ورعا فصيح اللسان وكان رواية للشعر وهو أحد القضاه الذين يفخر بهم أهل إفريقية شغل منصب القضاء نحو عشرين سنة وكان قد رحل إلى مالك بن أنس وسفيان الثورى وأبى يوسف القاضى[1].

ومن الظواهر التى اتسم بها القضاة فى إفريقية خلال العصر العباسى هى هروب البعض من تولى القضاة مثل أبى كريب الذى رفض تولى القضاء لعبد الرحمن بن حبيب فى أول الأمر. ثم عبد الله بن فروخ لروح بن حاتم، وكذلك رفض على بن زياد القضاة لروح بن حاتم أو ترشيح أحد له.

وتكمن أسباب هذا الرفض فى أن هؤلاء الفقهاء كانوا من المالكية ومن المعلوم أن العباسيين أضطهدوا الأمام مالك، هذا فضلا عن تأثرهم خاصة ابن فروخ بأبى حنيفة الذى رفض تولى القضاة للخليفة المنصور هروبا من تدخل الخلفاء فى شئون القضاة فى العصر العباسى[2].

وتميز قضاة عصر الولاة بالنزاهة والعفة وخرج عن هذه الدائرة القاضى مانع بن عبد الرحمن الذى تولى القضاء ليزيد بن حاتم. وكان مانع إذا سجل القضية وختم أسفلها يكتب تحت الطابع "بقى شيئا" يعنى الرشوة، كما أنه كان يسمح بالوساطة فى أحكامه[3].

وكان القاضى يعين بسجل من قبل الخليفة أو الوالى وكان السجل يأتى أحيانا مع البريد بعد اختيار القاضى فى مقر الخلافة[4].

وكان القاضى يجلس فى المسجد الجامع بالقيروان يفض المنازعات فى الخصومات أو فى أى مكان آخر حتى فى الطريق العام ولم يكن للقاضى مكان مخصص بالمسجد الجامع لحفظ أوراق القاضى وقضاياه فكان فى الغالب يحملها إلى منزله. كما كان يحمل الودائع فى بيته، وظل ذلك الحال حتى ولاية سحنون القضاء فى العصر الأغلبى[5].

وكان للقاضى خاتم يختم به القضايا التى يفصل فيها. وتبدو أهمية هذا الخاتم عند إقامة الدعوة عند القاضى، يطلب القضية طابعا بمعنى أنه يطلب ورقة مختومة من

---

(١) الرقيق، ص ١٧٥.

(٢) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ١٤٦.

(٣) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ١٤٧.

(٤) نفسه، ص ١٤٨.

(٥) نفسه، ص ١٤٨.

وكـان يتـبع صـاحب الشـرطة الحرس الذين كانوا يقومون بحراسة الوالى وأول من أحتم بـتكوين حرس شـخصى له، هو موسـى بن نصير فكان له حشـد من الموالى[1]، أما يزيد بن أبـى مسـلم فقـد أقتفـى أثـر الـروم فى رسـم ايدى حرسـه من البربر وكانوا جميعا من البتر وليس فيهم أحد من البرانس[2].

وهـناك تشـابه بـين الشـرطة والحـرس لكـن يبدو دور هذا الأخير أضيق نجد فى هذا الجهـاز حـرس الشـرف الـذى يـبرز هيبة السلطة، فمن مهامه الأسـاسـية الـسهر على أمن الوالى الذى يصاحبـه فى تنقلاته ويحيط به فى الجامع[3].

(١) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ١٥١ . هشام جعيط، ص ٨٨.

(٢) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ١٥١ . هشام جعيط، ص ٨٨.

(٣) هشام جعيط، ص ٨٨.

القاضي. وكانت القضايا تحفظ مختومة، وكان للقاضي هيئة من الكتاب والحجاب خاصة ابن غانم آخر قضاة عصر الولاة[1].

٦ - الشرطة

اختلفت الأراء حول نشأة الشرطة في الإسلام، فيقال أنها اشتقت من نظام العسس، أي الطواف بالليل؛ لتتبع أهل الريب، ويقال عس يعس وأول من عس بالليل عبد الله ابن مسعود في عهد الخليفة أبو بكر الصديق[2]. ثم نظمت الشرطة في عهد عمر بن الخطاب.

وفي المغرب استعان الولاة بالشرطة في صيانة الأمن وحفظ النظام، فحين أزدحم الناس على نعش أحد الصالحين بالقيروان وهو العابد أبو يزيد رباح بن يزيد اللخمي أمر يزيد بن حاتم شرطته بتفريق الناس وحمل النعش إلى مقره الأخير[3].

وكان والي الشرطة يعد الشخصية الثانية بعد الوالي، لأنه رقي إلى وظيفة الوالي ويقصد به نصر بن حبيب المهلبي صاحب الشرطة في عهد يزيد بن حاتم[4]. وكان هذا أمر طبيعي لأنه أحد المهالبة، كما أننا لم نسمع عن غيره من أصحاب الشرطة قد رقي إلى هذا المنصب، كذلك كان نصر بن حبيب محمود السيرة[5].

وكان أصحاب الشرطة في الغالب من العرب، ومع ذلك عين ابن الجارود خلال الفتنة التي قام بها ودخوله القيروان صاحب شرطة. فمن الغالب أنه كان من الخراسانيين[6]. وفي أثناء ثورة ابن الجارود في سنة (١٧٨ هـ /٧٩٤ م) سمع الأمير الفضل بن روح دق طبول صاحب شرطته وقد جاء في هيئة عسكرية[7]. وكان يلي شرطة داود بن يزيد رجلا يدعى خالد بن بشير[8]. وتقلد طرحون الشرطة في ولاية محمد بن مقاتل سنة (١٨٣ هـ / ٧٧٩ م)[9].

---

(١) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ١٤٨.
(٢) المقريزي ٢/ ١٠٤ - ١٠٥.
(٣) حسن علي حسن، ص ٢٢٨.
(٤) الرقيق، ص ١٨٣. هشام جعيط، ص ٨٧.
(٥) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ١٥١.
(٦) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ١٥١.
(٧) هشام جعيط، ص ٨٨.
(٨) حسن علي حسن، ص ٢٢٨.
(٩) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ١٥١.

ثانياً: التنظيمات الاقتصادية

١- الزراعة

أختلف العلماء فى أرض المغرب هل فتحا عنوة أو صلحاً أو غير ذلك ؟ قال الشيخ أبو الحسن القابسى فى شرح الموطأ فى كتاب الجهاد حناك ثلاثة أقوال الأول أنها فتحت عنوة والثانى أنها فتحت صلحاً، والثالث أنها مختلطة هرب بعضهم عن بعض وتركوها فمن بقى بيده شئ كان له[1] والثابت أن أرض المغرب فتحت عنوة وتعامل المسلمين مع أهل المغرب معاملة أرض الصلح.

ووردت أول أشارة عن تقسيم الأرض في أفريقية في ولاية عقبة بن نافع الأولى حين شرع في تخطيط مدينة القيروان، فقد أمر عقبة خططاً ودوراً. كما قام حسان بن النعمان بعد انتصاره على الكاهنة الأرض بين العرب والبربر.

وعرفت الملكيات الكبيرة فى العصر الأموى فامتلك مسروق الزاهد ضياعاً كثيرة كما أمتلك موسى بن معاوية الصمادحى ضياعاً من خلال الشراء.

وفى العصر العباسى وجدت الضياع بشكل ملحوظ من خلال الملكيات الكبيرة التى شملت الولاة والعمال والقضاة فكان لعبد الرحمن بن حبيب ضياع كثيرة[2] وأمتلك المهالبة ضياعاً كبيرة ومن أبرزهم يزيد بن حاتم الذى امتلك ضياعاً كثيرة فى أحواز القيروان وكان أحد أبنائه يمتلك مراعى شاسعة[3].

أما عن مصادر المياه فى بلاد المغرب خلال عصر الولاة هى:

أ- الأنهار: من أشهرها نهر ملوية وهو بين تلمسان ورباط تازا ويصب فى البحر المتوسط. ونهر سبو وهو محيط بمدينة فاس من شرقيها وغربها وينبع نهر سبو من الأطلس المتوسط ويجرى فى سهول تكثر فيها الرواسب، ويشترك مع وادى فاس فى جعل هذه المنطقة خصبة صالحة للزراعة(٤). وإذا أنتقلنا إلى منطقة إفريقية فيوجد بها نهر بجردة الذى يجرى من الجبل وينتهى إلى البحر المتوسط.

---

(١) السلاوى ١ / ٤١. حسين مؤنس: تاريخ المغرب ١ / ٢٣٢.

(٢) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ٢٠١ - ٢٠٢.

(٣) نفسه، ص ٢٠٢.

(٤) حسن على حسن، ص ٢٤٥ - ٢٤٦. قارن المراكشى: المعجب، ص ٣٦٤.

٢-**الأمطار:** من المعلوم أن الساحل الشمالي لبلاد المغرب تكثر أمطاره في فصل الشتاء ويقل سقوط الأمطار تدريجيا كلما أتجهنا جنوبا في بلاد الجريد لذلك تعتمد هذه المنطقة بصورة أساسية على الآبار والعيون[1].

٣- **المواجل :** أعتمد أهل القيروان في السقاية على المواجل وكان بخارجها خمسة عشر ماجلا بعضها من بناء الخليفة هشام بن عبد الملك[2].

وكانت الفلاحة العمود الفقري للاقتصاد أنتشرت زراعة الحبوب من القمح والشعير والحمص والفول والعدس والذرة[3]. وأشجار الزيتون التي كانت سبباً في ثراء أهل إفريقية[4]. وأشهر مناطق زراعته قابس يقول الأدريسي[5]: "يستعمل منه زيت كثير يتجهز به إلى سائر النواحي".

وزرع الموز في قابس بكثرة "وليس بإفريقية موز إلا فيها[6]". والتمر من محاصيل المغرب الهامة وزرع بوفرة في بلاد الجريد "سميت بلاد الجريد لكثرة النخيل بها" وفي قفصة نوع من التمر يسمى الكسبا "ليس مثله في بلد وهو أكثر تمرهم"[7]، ومن أشهر حاصلات المغرب التفاح[8]، والعنب[9]، والرمان، والكمثرى، والترج، والفستق[10]، والتين، والكروم[11].

الرعى

اشتغل أهل المغرب برعى الماشية والأغنام ؛ لوفرة الأعشاب والحشائش ومما ساعد

---

(١) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ٢٠٤.
(٢) البكرى، ص ٢٦. مجهول : الاستبصار، ص ١١٥.
(٣) العمرى : مسالك الابصار، ص ٨٢.
(٤) هشام جعيط، ص ١٤٦.
(٥) نزهة المشتاق ١ / ٢٨٠.
(٦) مجهول : الاستبصار، ص ١١٣.
(٧) مجهول : الاستبصار، ص ١٥٠ – ١٥٣.
(٨) نفسه، ص ١٢٧ – ١٢٨.
(٩) نفسه، ص ١٢٨. الإدريسى ١ / ٢٧٩.
(١٠) نفسه، ص ١٣٦ – ١٥٣.
(١١) الإدريسى ١ / ٢٧٩.

على ذلك أختلاف السطح والمناخ مما نتج عنه أقاليم رعوية كثيرة[1].

ومن أشهر مناطق الرعى في المغرب:-

جبل فازاز: اشتغل سكانه بالرعى وهم: "أهل كسب من الغنم والبقر والخيل"[2].

٢ - الصناعة

وجدت المعادن بوفرة في المغرب فوجد الحديد بين سبتة ووهران في موضع يسمى تمسامان[3] وبين سلا و مراكش في موضع يسمى ابسنتار[4] وفي بجاية[5] ووجد معدن النحاس في السوس وفيه معدنان للنحاس ومعدن توتيا التي يصبغ بها النحاس الأحمر فيصير أصفر[6]. ومعدن الفضة بالقرب من مكناس[7]. وفي مجانة معدن الفضة والكحل والحديد والمرتك والرصاص[8].

وراجت صناعة المنسوجات في المغرب فصنع في قفصة أردية وطيالس وعمائم الصوف[9] واشتهرت سوسة بجودة الثياب يقول صاحب الاستبصار[10]: "والثياب السوسية معلومة لا يوجد لها نظير لها بياض رائق وبصيص لا يوجد في غيرها. ومنها تجلب الثياب الرفيعة مثل عمائم المعمور وغيرها تساوى منها العمامة ١٠٠ دينار".

وأشتهرت قابس بزراعة شجر التوت الذى يربي عليه دودة القز " ويربى بها الحرير وحريرها أطيب الحرير وأرقه وليس يعمل بإفريقية حرير إلا بها "[11].

وترجع صناعة الأبسطة في المغرب إلى آخر عهد الولاة وهي صناعة محلية تأثرت بالمؤثرات الشرقية[12]. وصنع بتونس أواني من الخزف تستعمل للماء تعرف بالريحية

---

(١) حسن على حسن، ص ٢٤٩.

(٢) نفسه، ص ٢٤٩.

(٣) المراكشي، ص ٣٦٢.

(٤) نفسه، ص ٣٦٢.

(٥) حسن على حسن، ص ٢٥١. نريمان أحمد عبد الكريم، ص ٢٠٩.

(٦) المراكشي، ص ٣٦٢.

(٧) نفسه، ص ٣٦٢.

(٨) اليعقوبي، ص ٣٤٩.

(٩) مجهول : الاستبصار، ص ١٥٤.

(١٠) الاستبصار، ص ١١٩.

(١١) البكرى، ص ١٧. مجهول : الاستبصار، ص ١١٣.

(١٢) هشام جعيط، ص ١٤٩.

ناصعة البياض [1]. ومن الصناعات التي تخضع للأشراف الحكومي فمنها ضرب العملة وصناعة الأثقال والمكاييل وصناعة الأسلحة والطراز[2].

أما عن صناعة الزيوت فقامت في المغرب على زراعة الزيتون وكان لابد من الاشراف عليها من قبل حكومة القيروان بإعتبارها سلعة تجارية تصدر إلى بلاد كثيرة[3].

وقامت بعض الصناعات الخشبية نتيجة لتوافر الأخشاب مثل المحفاة التي تنقل النساء كوسيلة من وسائل النقل[4]. وكانت الجلود تصنع في زويلة[5].

٢ - التجارة

قامت علاقات تجارية بين إفريقية ومصر والشرق من ناحية وبين القيروان والمدن والمناطق الريفية المحيطة بها. وكانت الأسواق مركزا للنشاط الداخلي ففي أوج القرن الثاني وجدت بتونس سوق مجاور لجامع الزيتونة.

وكذلك نشأت الأسواق وتطورت في القيروان ومنها سوق إسماعيل الانصاري الذي أنشئ سنة (٧١ هـ) وسوق ابن المغيرة وسوق بني هاشم[6]. وسوف نفرد حديثنا بالتفصيل عن أسواق القيروان في الباب الثالث. وكان التبادل التجاري بين المغرب والمشرق يقوم على بعض السلع الهامة فصدر المغرب العبيد، والحبوب، والزيتون، والسجاد، وأقمشة الطراز. وفي المقابل كانت بلاد المغرب تستورد منتجات رفيعة مثل الأقمشة، والأسلحة، والتوابل[7]. وكان التبادل التجاري في الحاصلات الزراعية والفواكه وغيرها من المنتجات كان دائم الحركة بين المدن المغربية وخاصة في الفترات التي حرص الولاة على تنشيط حركة التعامل الداخلية وخير دليل على ذلك ما فعله عبد الرحمن بن حبيب حين حفر

---

(١) البكري، ص ٤٠.

(٢) نريمان عبد الكريم أحمد، ص ٢١٠.

(٣) نفسه، ص ٢١٠.

(٤) نفسه، ص ٢١٠.

(٥) اليعقوبي، ص ٣٤٥.

(٦) هشام جعيط، ص ١٤٩.

(٧) نفسه، ص ١٥١.

عـدة آبار لتزويد المسافرين والتجار بما يحتاجونه من الماء. ووصف البكرى[1] ذلك بقوله: "مـن تامدلـت إلى بـير الحمـالين مـرحلة وهـذة الـبير عمقهـا أربـع قاعات من إنباط عبد الرحمن بن حبيب.. ".

(١) المغرب، ص ١٥٦ - ١٥٧. حسن على حسن، ص ٢٥٥.

الباب الثالث

دولة الأغالبة

(١٨٤ – ٢٩٦ هـ/٨٠٠ – ٩٠٨م)

الفصل الأول : التاريخ السياسى

الفصل الثانى : الزراعة والصناعة والأسواق

الفصل الثالث : النظم التجارية فى أسواق القيروان

الفصل الرابع : النظم المالية والرقابة على الأسواق

الفصل الخامس : التجار فى أسواق القيروان

الفصل السادس : القضاء والمظالم والسجون

الفصل السابع : الحياة الاجتماعية والثقافية

الفصل الأول

التاريخ السياسى

لأمراء الأغالبة ودورهم فى فتح صقلية

١- إبراهيم بن الأغلب (١٨٤-١٩٦هـ/٨٠٠-٨١١م)

أرادت الخلافة العباسية أن تضع حداً للمأساة التى شهدتها بلاد المغرب، أبان عصر الولاة حيث لم تفلح جهودها لمدة نصف قرن من الزمان على أخماد الفتن. وكاد المغرب يفقد هويته العباسية[١].

وكان قيام دولة الأغالبة فى إفريقية، تجربة جديدة فى نظم الحكم الإسلامية حيث تخلت الدولة العباسية عن سياسة المركزية إلى اللامركزية فى أقاليم الدولة المختلفة سواء فى الشرق أو الغرب.

وأختار الخليفة هارون الرشيد على إفريقية إبراهيم بن الأغلب ليحكمها حكماً شبه مستقل فى نظير مبلغ من المال بمثابة جزية تدفع إلى خزانة الخلافة، إلى جانب التعهد بالبقاء على الطاعة والولاء للدولة العباسية[٢].

أما عن السيرة الذاتية لإبراهيم بن الأغلب مؤسس دولة الأغالبة كان أبوه الأغلب بن سالم التميمى من كبار رجال العرب الذين دخلوا إفريقية فى حملة محمد بن الأشعث ثم قلده الأخير على ولاية إقليم الزاب وبعد أن رحل أبن الأشعث إلى الشرق أرسل الخليفة أبو جعفر المنصور مرسوماً بتولية الأغلب على إفريقية وأستمرت ولايته سنة واحدة وثمانية شهور حيث قتل فى حربه مع أحد الثائرين ويدعى الحسن بن حرب الكندى[٣].

وكان أبنه إبراهيم [٤] مقيماً فى إقليم الزاب مع قومه من بنى تميم، فلما قتل أبوه أصبح هو والياً على الزاب، وكان شاباً نشيطاً توطدت صلته بوالى إفريقية هرثمة بن أعين

---

(١) حسن أحمد محمود وأحمد الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى، الطبعة الخامسة دار الفكر العربى، القاهرة د.ت، ص٤١٤.

(٢) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٨٣.

(٣) ابن عذارى ١/ ٧٤، ٧٥.

(٤) البلاذرى ١/ ٢٧٦. الرقيق، ص٢٢٠. سعد زغلول عبدالحميد ١/ ٢٧.

الـذى أعجب بذكاء إبراهيم وفصاحته. ويبدو أن هرثمة هو الذى توسـط بين هارون الرشـيد وإبراهيم بن الأغلب.

وكـان إبـراهيم بـن الأغلـب شغوفا بتحصـيل العلم فرحل كثيراً إلى الليث بن سـعد فى مصـر الـذى رأى فـى إبـراهيم علامة النبوغ فوهب اليه "جلاجل "التى انجبت له زيادة الله[1]. وقـد قـال عـنه الـليث بـن سـعد: "لـيكونن لهذا الفتى شأن"[2]. ووصفه الرقيق[3] بقـولـه: "كان إبراهيم بن الأغلب فقيها دينا عالما شاعراً خطيباً ذا رأى وبأس وحزم وعلم بالحروب ومكائدها قوى الجنان طويل اللسـان حسن السـيرة".

ومـن الأسـباب التـى جعلت إبراهيم بن الأغلب يفوز بولاية إفريقية نجاحه فى الكيد للأدارسـة العـدو التقلـيدى للعباسـيين[4]، فضـلاً عن موقفه إلى جانب الوالى العباسـى محمد ابـن مقاتـل العكى الذى طرده الثوار من القيروان ونجح إبراهيم فى إخماد حركتهم وأعاد محمـد بـن مقاتل إلى القيروان ولذلك يقول النويرى[5] أن الرشـيد قلده إياها على أثر علمه بما فعله من نصرة العكى".

وأراد إبراهيم بن الأغلب أن يرد الجميل للخلافة العباسـية فتنازل عن الإعانة السنوية التـى تدفعها خزانة مصر ومقدارها مائة ألف دينار لإفريقية وتعهد بأن يدفع أربعين ألف دينار سنوياً للخلافة العباسـية[6].

وكـان إبراهيم بن الأغلب من أعظم ولاة إفريقية حيث تمكن فى خلال وقت وجيز من أعـادة الأمن إلى البلاد يقول ابن عذارى[7] "لم يل إفريقيـــة أحسـن سـيرة منه ولا أحسـن سـياسـة، ولا أرف بـرعية، ولا أوفى بعهد ولا أرعى لحرمة منه. فطاعت له قبائل البربر وتمهدت إفريقية فى أيامه".

---

(١) ابن الأبار١/ ٩٣.

(٢) الرقيق، ص٢١٢. ابن عذارى١/ ٩٢.

(٣) الرقيق، ص٢١٢. ابن الأبار ١/ ٩٣. أنظر أيضا. الدواداری : كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السـادس المسـمى بـ الدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية "تحقيق/ صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٦١م، ص٢٤

(٤) ابن الأبار ١/ ١٠٠. الرقيق، ص٢١٨ ــ٢١٩. marcais p.58.

(٥) نهاية الأرب ٢٤/ ١٠١.

(٦) ابن خلدون٤/ ١٩٦. الباجى المسـعودى، ص٢٤. عبد الوهاب بن منصـور ١/ ١٥٩.
إسماعيل سـرهنك : تاريخ دول المغرب، ص٢٩. دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٣٧ marcais p.58

(٧) البيان١/ ٩٢. النويرى ٢٤/ ١٠٥. قارن الرقيق، ص٢١٢. ابن الأبار ١/ ٩٣.

ولم يخلو عهد إبراهيم من بعض الثورات الداخلية ونجح في التغلب عليها كثورة حمديس[1] بن عبدالرحمن الكندى وهو أحد العرب النازلين في تونس سنة (١٨٦هـ/٨٠٢ م)[2]، وثورة أهل طرابلس[3]، وثورة عمران بن مجالد سنة (١٩٤هـ/٩ - ٨١٠)[4] التي كانت من أخطر تلك الثورات حيث أستمرت لمدة عام بسبب تأخير دفع رواتب الجند[5]، وسيطر عمران على معظم بلاد إفريقية وبدأت مخاوف الخلافة العباسية من ضياع المغرب. فأرسلت الأموال الكافية لشد أزر إبراهيم ونادى في الجند لأخذ العطاء فتفرق جمع عمران وسار إلى الزاب[6].

٢- أبو العباس عبدالله بن إبراهيم (١٩٦-٢٠١هـ/٨١١-٨١٦م)

تولى أبو العباس مقاليد الحكم عقب وفاة والده في سنة (١٩٦هـ/٨١١م) وتصفه المصادر العربية بالجور والأستبداد، حيث أثقل كاهل الرعية بالضرائب الباهظة، ورفض تحصيل العشر، وفرض على الأهالى ثمانية دنانير على كل قفيز، ولم يضع في حسبانه حالة المحصول[7]. أصابوا أو لم يصيبوا فاشتد ذلك على الناس وقدم إليه وفد من الفقهاء على رأسهم حفص بن حميد الجزرى من أهل الجزيرة طالبوه بالتخلى عن تلك الضريبة والعودة إلى العشر فرفض. مما أثار حفيظة هؤلاء الفقهاء وشعروا باليأس وفي أثناء عودتهم في الطريق قالوا :"قد يئسنا من المخلوق ولن نيأس من الخالق " وصلى بهم حفص ركعتين ودعوا على أبو العباس عبد الله وأن يمنعه الله من إذية المسلمين ويكف

---

(١) ورد خريش عند ابن الأبار١ / ١٠١.

(٢) ابن الرقيق، ص٢٢٤ .ابن الأثير٥/ ١٠٤ . ابن خلدون ٤/ ١٩٦ .

(٣) سبب أهل طرابلس متاعب كثيرة إلى إبراهيم بن الأغلب، فكانوا كثير الشكوى من الولاة وأجبروا والى طرابلس سفيان بن المضاء على ترك المدينة بعد شهر من. لمزيد من التفاصيل أنظر : ابن الأثير٥/ ١٥٦، ١٥٧.

ابن خلدون٥ / ١٩٦، ١٩٧. حسن إبراهيم حسن٢/ ٢١٣. عفيفى محمود إبراهيم: ثورات الجند في عصر الأغالبة، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٢.

(٤) وردت سنة ١٩٥هـ عند ابن خلدون ٥ / ١٩٦.

(٥) سعد زغلول عبد الحميد ٢ / ٣٧.

(٦) ابن الأثير ٥ / ١٠٥.

(٧) ابن الأثير ٥/ ١٨٤، ١٠٥. ابن عذارى١ / ٩٥. النويرى ٢٤/ ١٠٥ - ١٠٦. الدواداري ٦/ ٢٧. التجاني، ص١١-١٢. الباجي المسعودي، ص٢٦. حسن إبراهيم حسن ٢ / ٢١٥-٢١٦. محمود إسماعيل، ص٣٦

عـنهم جوره. وبعد خمسة أيام خرجت له قرحة فى أذنه فقتلته فى اليوم السابع[1]. ومن أعمال أبو العباس عبدالله بن إبراهيم بناء سـورى القيروان وسـوسـة[2].

٢- زيادة الله (٢٠١-٢٢٣هـ/٨١٦-٢٧-٨٢٨م)

لـما توفـى أبـو العـباس تـولى مكانـه زيـادة الله، وجاءه من الخليفة المأمون يطلب منه الـدعاء لـوالى مصـر عـبدالله بـن طاهـر علـى منابر إفريقية ويعد هذا المطلب أختبار شـديد اللهجـة لأمـراء الأغالـبة لفقـد هويـتهم الأسـتقلالية فـبدلاً مـن أن يكونوا تابعين للخلافة مباشـرة علـيهم أن يصـغوا لإرادة والى مصـر فيما بعد مثلما كان الحال فى عصـر الولاة. ولم يوافـق زيـادة الله علـى ذلـك وجـاء رده محـذراً الخلافـة العباسية من مغبة هذا التصرف بفقـدان المغـرب حيث أرسـل بعض دنانير من سـكة الأدارسـة للخليفة المأمون فعدل الأخير عن رأيه[3].

ومن أهم أعمال زيادة الله هى :

١ - بـناء المسـجد الجامـع بـالقيروان من جديد فيما عدا المحراب بتكلفة بلغت نحو سـتة وثمانين ألف دينار.

٢ - بناء قنطرة بباب أبى الربيع.

٣ - بناء حصـن الرباط بـسوسـة[4].

وقامت عدة ثورات فى عهد زيادة الله ولكنه تمكن من التغلب عليهم وهى:

زيادة بن سـهل المعروف بابن الصقلية فى سـنة (٢٠٧هـ/٨٢٢ م) بباجة.

عمـر بـن معاويـة القيسـى فـى سـنة (٢٠٨هـ/٨٢٣ م). ومنصـور الطنـبذى فـى سـنة (٢٠٩هـ/٨٢٤ م) فى تونس وأشـتدت شـوكته، وهزم القوة التى أرسـلها زيادة الله، وتطاول على أحد أفراد البيت الأغلبى، فقتل إسـماعيل بن سـفيان بن سـالم عامل تونس.

---

(١) ابن عذارى ١/ ٩٥ ـ ٩٦. التجانى، ص١٢. النويرى ٢٤/ ١٠٦ ـ١٠٧.

(٢) السـراج: الحلل السـندسـية فى الأخبار التونسـية، تقديم وتحقيق / محمد الحبيب الهيلة، للمجلد الثانى، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامى، ١٩٨٤م، ص٧.

(٣) ابن الأبار ١/ ١٦٥. ابن خلدون ١/ ١٩٧. ابن الخطيب ٣/ ١٧. الباجى المسعودى، ص٢٧ ـ ٢٨. عبد الوهاب بن منصور ١/ ١٥٩.

(٤) ابن واردان: تاريخ العباسين، ص ٦٣٤. المالكى ١/ ٣٠٨.

وتمكن منصور من السيطرة على باجة والجزيرة وصطفورة والأربس وزحف إلى القيروان وحدثت مناوشات كثيرة بين زيادة الله ومنصور الطنبذى أنتهت بهزيمة الأخير[1].

٤- أبو عقال الأغلب بن إبراهيم (٢٢٣-٢٢٦هـ/٨٣٨-٨٤١م)

لم تطل فترة حكم أبى عقال الأغلب المعروف بخزر[2]، وبرغم ذلك قام بعدة إصلاحات فاهتم بتحسين أوضاع الجند وزاد فى أجور العمال وحرم دخول النبيذ والخمر إلى مدينة القيروان[3] وعم العدل فى عهده ربوع إفريقية[4]. وتوفى أبو عقال فى سنة (٢٢٦هـ / ٨٤٠ م). وتولى ابنه العباس يوم موته[5]

٥- أبو العباس محمد بن الأغلب (٢٢٦-٢٤٢هـ/٨٤٠-٨٥٦م)

ساد الأمن والأستقرار بلاد إفريقيا فى أول ولايته، لمدة خمس سنوات، وقام خلالها بتوسيع دائرة نفوذه فى المغرب الأدنى فأسس مدينة بالقرب من تاهرت سماها العباسية فى سنة (٢٢٧هـ / ٨٤١ م)، ولكن الإمام أفلح بن عبدالوهاب بن رستم قام بتخريبها، وقد منحه أمير الأندلس عبدالرحمن الأوسط مكافأة على ذلك فبعث إليه مائة ألف درهم[6].

٦- أبو إبراهيم أحمد بن محمد (٢٤٢-٢٤٩هـ/٨٥٦-٨٦٣م)

لما تولى أبو إبراهيم أحمد حكم إفريقية قام ببعض الأصلاحات فى البلاد؛ فاستحوذ على حب الرعية وأجزل العطاء للجند، وجلب العبيد من بلاد السودان بكثرة للخدمة فى الجيش. وأهتم بتشييد الحصون فبنى حوالى عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس ووضع عليها أبواب من حديد[7].

---

(١) ابن الأثير ٥/ ١٨٥، ١٨٦. ابن عذارى ١/ ٩٩ ـ١٠٢. النويرى ٢٤/ ١٠٨ ـ١١٢. ابن خلدون ٤/ ١٩٨. الدواداري ٦/ ٢٨. Pellegrin :histoire de la tunisie tunus 1944 , p. 138.

(٢) عرف ابو عقال بلقب خزر، وهذا اللقب من الأسماء المغربية المشهورة عند الزناتيين والتى تعرف عندهم فى شكل " خزرون ". أنظر : سعد زغلول عبدالحميد ٢ / ٧٦.

(٣) ابن الأبار ١ / ١٦٨. ابن الأثير ٥ / ٢٥٣. ابن عذارى ١/ ١٠٧. ابن خلدون ٤/ ٢٠٠. النويرى ٢٤ / ١١٧

(٤) ابن الأبار ١/ ١٦٨. الباجى المسعودى، ص ٢٨.

(٥) ابن عذارى ١/ ١٠٧.

(٦) السيد عبدالعزيز سالم، ص٣٠٨. وأنظر كذلك : ابن الأثير ٥/ ٢٦٣. ابن خلدون ٤/ ٢٠٠. القلقشندى ٥/ ١٢١.

(٧) ابن الأثير ٥/ ٢٦٣. ابن خلدون ٤ / ٢٠٠. قارن الباجى المسعودى، ص٢٩.

٧- زيادة الله بن أبي إبراهيم (٢٤٩-٢٥٠هـ/٨٦٣-٨٦٤م)

تولى شئون الحكم لمدة عام واحد[١] ولم يذكر لنا المؤرخين عنه شيئاً سوى أنهُ كان عالماً عاقلاً ذا رأى ونجدة[٢].

٨- أبو الغرانيق محمد بن أحمد (٢٥٠-٢٦١هـ/٨٦٤-٨٧٤م)

كان أبو الغرانيق جواداً سخياً يصفه النويرى[٣] بقوله: "غاية فى الجود سرفاً فى العطاء حسن السيرة فى الرعية رفيقاً بهم".

وعرف الأمير محمد بن أحمد بأبى الغرانيق لأنه كان مغرماً بصيد الغرانيق. ومما يذكر عنه أنه شيد قصراً لصيدها أنفق عليه ثلاثين ألف مثقال من الذهب[٤]. ومن أهم أعمال أبو الغرانيق فتح جزيرة صقلية سنة (٢٥٥هـ / ٨ — ٨٦٩ م)[٥]، وشيد الحصون والمحارس على ساحل البحر[٦]. وتمكن أبو الغرانيق من أخماد الفتن الداخلية فى ثغر الزاب وطبنة[٧].

٩- إبراهيم بن أحمد (٢٦١-٢٨٩هـ/٨٧٤-٩٠٢م)

يحدثنا ابن الأثير[٨] عن إبراهيم بقوله: "كان عادلاً حازماً فى أموره آمن البلاد وقتل أهل البغى والفساد، وكان يجلس للعدل فى جامع القيروان يوم الخميس والأثنين يسمع شكوى الخصوم ويصبر عليهم وينصف بينهم، وكان القوافل والتجار يسيرون فى الطرق آمنين وبنى الحصون والمحارس على سواحل البحر....".

وكانت النار توقد على ساحل سبتة للتنوير بالعدو فيصل ايقادها بالإسكندرية فى الليلة الواحدة[٩] ومن أعمال إبراهيم شيد سور سوسة واستكثر من العبيد السودان واستركب العبيد السودان واستكثر منهم فبلغوا ثلاثة آلاف[١٠].

---

(١) ابن الأثير٥ / ٢٦٣ . ابن عذارى١/ ١١٤ . ابن خلدون ٤ / ٢٠١ . القلقشندى ٥/ ١٢١ .

(٢) ابن عذارى ١/ ١١٤ . النويرى ٢٤ / ١٢٥ . ابن الخطيب، ص٢٤-٢٥ . الدواداري ٦/ ٣٦ .

(٣) نهاية الأرب، جـ٢٤، ص١٢٧ . ابن عذارى ١/ ١١٤ . الدواداري٦/ ٣٧ .

(٤) ابن عذارى١/ ١١٤ . النويرى ٢٤ / ٢٠٠ . ابن الخطيب، ص٢٥ . ابن ملد يش١/ ٣٢٤ .

(٥) النويرى٢٤ / ١٢٧ . ابن خلدون ٤ / ٢٠٠ . ابن الخطيب ، ص٢٦ . القلقشندى٥/ ١٢١ .

(٦) ابن الأثير ٥ / ٢٦٣ . ابن خلدون ٤ / ٢٠٠ . القلقشندى٥/ ١٢١ .

(٧) النويرى ٢٤ / ١٢٦ .

(٨) الكامل ٦/ ٥ . قارن القلقشندى ٥/ ١٢١ . ابن خلدون ٤/ ٢٠٣ . الكامل، جـ٦، ص٥ .

(٩) ابن خلدون٤/ ٢٠٣ .

(١٠) ابن خلدون٤/ ٢٠٣ .

وفـى ولاية إبراهيم خرج العباس بن أحمد بن طولون على والده وزحف صوب المغرب ليقيم لنفسـه دولة وتغلب على برقة وطرد الوالى الأغلبى محمد بن قهرب وواصل العباس زحفـه إلى لـبدة وطـرابلس وأسـتنجد ابـن قهـرب بقبائل نفوسـة فأمدوه بالقوات الكافية واشـتبك مـع العـباس عـند مكان يعرف بقصر حاتم سنة (٢٦٧هـ) فهزم العباس وعاد إلى مصر[١].

وطـرأ على شخصية إبراهيم بن أحمد فى أواخر أيامه تغيراً جديداً حيث أصبح سـفاكاً للدماء وغدر بابنائه وأقاربه ورعيته[٢].

١٠ - أبو العباس عبدالله بن إبراهيم (٢٨٩-٢٩٠هـ/٩٠٢-٩٠٣م)

لم تـسـتمر ولاية أبو العباس سـوى عام واحد. وكان من أعدل حكام الأغالبة[٣]. جلس للنظـر فـى المظـالم وتـزهد فارتـدى الصـوف[٤] ونـزل تـونس لـا علم باسـتيلاء أبو عبدالله الشيعى وتحالفه مع قبيلة كتامة القوية[٥].

١١- زيادة الله بن أبى العباس(٢٩٠-٢٩٦هـ/٩٠٣-٩٠٩م)

تـولى حكـم إفـريقية بعـد أن دبـر مؤامرة لقتل والده ثم أمر بقتل الخصيان الذين قاموا بـتلك المهمـة البشـعة. واسـند زيادة الله الوزارة والبريد إلى عبدالله بن الصائغ والخراج إلى أبا مسلم[٦].

وأشـتد خطـر الشـيعة فـى عهـده فهرب زيادة الله إلى تونس، فسـقطت فى يدهم ميلة وسـطيف والأربـس، وحاول زيادة الله أن يسـتعيد الموقف، ولكن جيشـه منى بهزيمة على يد الشيعة فى جمادى الأخرة سـنة ٢٩٦هـ[٧].

---

(١) ابن الأثير٦ / ٢١. ابن عذارى ١ / ١١٨. النويرى ٢٤ / ١٣٠، ١٢٩. ـ ابن خلدون ٤ / ٢٠٣.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، جـ١، ص ٣١ لمعرفة المزيد عن هذه الجرائم أنظر : ابن الخطيب أعمال الأعلام، ص٢٩ـ٣٤

(٣) ابن الأبار١ / ١٧٥. أبن خلدون ٤ / ٢٠٥.

(٤) النويرى ٢٤ / ١٤٣. ابن الخطيب، ص٣٦.

(٥) ابن خلدون ٤ / ٢٠٥.

(٦) ابن عذارى ١ / ١٣٥. النويرى ٢٤ / ١٤٥.

(٧) النويرى ٢٤ / ١٤٦. ابن الخطيب، ص٣٩ـ٤٢.

وهكذا أنقرضت دولة بنى الأغلب وأنطوت صفحتها من التاريخ بدخول الشيعى رقادة[1]. ورحل زيادة الله إلى الشرق ونزل فى مدينة الرقة وطلب منه الخليفة المقتدر العباسى أن يعود إلى المغرب لقتال الشيعى وكتب المقتدر إلى النوشرى والى مصر أن يمد زيادة الله بالأموال الكافية والرجال لإستعادة إفريقية من الشيعة. ولكن زيادة الله لم يلب هذا المطلب[2]. ولما وصل إلى مصر أصابته علة سقط منها شعره وعاد إلى القدس فمات بها[3]. وقيل أن زيادة الله توفى بالرملة سنة (٣٠٤هـ/ ٩١٦م) ودفن بها. وقيل توفى بالرقة وحمل تابوته إلى القدس[4].

دور الأغالبة فى صقلية

تشغل جزيرة صقلية[5] موقعاً جغرافياً ممتازاً بفضل وجودها بين ذراع شبه جزيرة إيطاليا الممتد من وسط أوربا جنوباً فى قلب البحر المتوسط، وبين ذراع القارة الإفريقية الشمالى الذى يمثل قلب ولاية إفريقية. والذى يمتد شمالاً فى مقابل إيطاليا وبفضل هذا الموقع تكاد جزيرة صقلية تربط بين سواحل أوربا وسواحل المغرب[6].

وكانت جذور المجتمع الصقلى تستمد من العصر البيزنطى الذى بدأ فى الجزيرة حينما استولى بلزاريوس قائد جستنيان على الجزيرة من يد القوط سنة (٥٣٥م) ليخلصها من حكم القوط، وظلت تخضع للبيزنطيين حتى كانت أحداث الفتح الإسلامى[7].

وبدأت الطلائع الإسلامية تتجه إلى صقلية منذ حملة معاوية بن حديج الكندى سنة (٤٦هـ / ٦٦٦ م)[8]. وفى ولاية موسى بن نصير سير عياش بن أخيل بحملة بحرية إلى صقلية ونزل سرقوسة وعاد بغنائم كثيرة[9].

---

(١) النويرى ٢٤ / ١٥٠.

(٢) ابو الفداء : للختصر في أخبار البشر، جـ٢، ص٨٠. ابن خلدون ٤ / ١٠٦، ١٠٧.

(٣) القلقشندى ٥/ ١٢٢.

(٤) ابن خلكان ٢/ ١٩٣.

(٥) إحدى جزر البحر المتوسط، وهى مثلثة الشكل تشتهر بكثرة المواشى والمعادن المختلفة. . أنظر - ياقوت ٣ / ٤١٦.

(٦) سعد زغلول عبدالحميد ٢ / ١٩٨.

(٧) محمد محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والأندلس، ص١١٣.

(٨) ابن عذارى ١ / ١٧. ابن ابى دينار، ص٢٩.

(٩) ابن عذارى ١ / ٤٢.

وقام بشر بن صفوان بغزو جزيرة صقلية سنة (١٠٩هـ/ ٧٢٧م)[١] كما غزاها حبيب ابن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع سنة (١٢٢هـ/٣٩-٧٤٠م) في ولاية عبيد الله بن الحبحاب على إفريقية[٢] ولم تنقطع الحملات الإسلامية على صقلية إبان عصر الولاة بالرغم من الإضطرابات الداخلية التي شهدتها بلاد المغرب في ذلك العصر.

واستغل البيزنطيون هذه الفرصة وأخذوا يحصنون بلادهم وسواحلهم. وأخذوا يشنون غاراتهم على التجار المسلمين وأسروهم وشنوا غاراتهم على السواحل الإفريقية[٣].

مما دعا والي إفريقية هرثمة بن أعين يهتم بتشييد المحارس والقلاع في سنة (١٧٩هـ / ٧٩٥ م) بعد أن فزع الناس من هجمات الروم وشيد القصر الكبير المعروف بالمنستير وبني سور مدينة طرابلس من ناحية البحر لحمايتها من هجوم الروم[٤].

وأهتم الأغالبة بجزيرة صقلية فعقد الأمير العباس بن إبراهيم صلحاً مع أهلها من بنوده: "أن من دخل من المسلمين إليهم وأراد الخروج من عندهم لا يمنعونه". ويبدو أن أهل صقلية لم يلتزموا بهذا الصلح فقد نمى إلى الأمير زيادة الله ثالث أمراء الأغالبة خرق أهل صقلية للصلح وأحتجزوا أسرى من المسلمين ومنعوهم من الخروج[٥]. وشرع زيادة الله في تجهيز حملة بقيادة القاضي أسد بن الفرات مع إبقائه على القضاء وبلغت عدة هذا الجيش عشرة الآف وخرج معه أشراف إفريقية من العرب والبربر والأندلسيين في حشد عظيم وخرج في شهر ربيع الأول سنة (٢١٢ هـ / ٨٢٧ م) من ميناء سوسة. ونزل بصقلية وأحتل عدة مدن ونزل سرقوسة وفرض عليها الحصار من البر والبحر وأحرق مراكبها[٦]. وتوفي أسد بن الفرات في سنة (٢١٣هـ / ٨٢٨ م) وهو محاصر لسرقوسة، وأغتنم الروم تلك الفرصة وكادت الدائرة تدور على المسلمين ولكنهم أعادوا تنظيم صفوفهم

---

(١) ابن الرقيق، ص١٠٢. ابن عذارى ١ / ٤٩. النويرى ٢٤ / ٥٦، ٥٧. السلاوى ١ / ٤٧.

(٢) ابن عبدالحكم، ص٢١٧. الرقيق، ص ١٠٨. ابن الأثير ٤ / ٢١٩. ابن عذارى ١ / ٥١.
أبو المحاسن ١ / ٢٢٦. ابن خلدون ٤ / ١٨٩.

(٣) أحمد مختار العبادي وآخرون: البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط، الجزء الثاني، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية د.ت ص٩٧.

(٤) ابن الأثير : الكامل ٥ / ٩٥، ٩٦. ابن عذارى ١ / ٨٨، ٨٩.

(٥) الدوادارى ٦ / ٢٩.

(٦) ابن عذارى ١ / ١٠٢، ١٠٣. الدوادارى ٦ / ٢٩.

فولوا عليهم ابن الجواري[1]. وشن الأغالبة هجوماً على صقلية سنة (٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م) بقيادة محمد بن عبد الله بن الأغلب واشتبك في عدة معارك مع الروم براً وبحراً وواصل محمد بن عبد الله سيره إلى بلرم قاعدة صقلية. ولم يكن وصوله إلى بلرم مفروشا بالورود وإنما خاض غمار عدة حروب[2]. وفي سنة (٢٢٢هـ/٣٦-٨٣٧ م) غزا الفضل بن يعقوب صقلية ونزل إلى ناحية جبل النار وفتح بعض حصونها[3]. وقام عبد السلام بن عبد الوهاب بغزوة على صقلية. ولكن المسلمين هزموا في هذه الغزوة وأصيب منهم جماعة وأسر عبد السلام ثم فدى بعد ذلك[4]. ولما توفي أبو الأغلب إبراهيم بن عبد الله والي صقلية من قبل الأغالبة أختار أهلها العباس بن الفضل وكتبوا بذلك إلى الأمير محمد بن الأغلب بهذا الخبر فوافق رأيهم وأقر العباس وكتب إليه عهداً بولاية صقلية وخاض العباس عدة معارك على أرض صقلية. ففي سنة (٢٣٧ هـ / ٨٥١ م) شن هجوماً من صقلية على أرض الروم وعاد بغنائم كثيرة وسبى سبياً كثيراً. كما شن هجوماً في سنة (٢٣٨ هـ / ٨٥٢ م) على الروم وقتل خلق كثير منهم ثم عاد إلى صقلية. وفي سنة (٢٣٩ هـ / ٨٥٣ م) خرج العباس بحملة وزحف إلى قصر يانه، وقطانية وسرقوسة وحاصر مدينة بنيرة ستة أشهر حتى صالحوه ثم قفل عائداً إلى بلرم[5].

---

(١) ابن عذارى ١ / ١٠٤.

(٢) ابن عذارى ١ / ١٠٥ـ١٠٦.

(٣) ابن عذارى ١ / ١٠٦.

(٤) ابن عذارى ١ / ١٠٦.

(٥) ابن عذارى ١ / ١١١ـ١١٢.

الفصل الثانى

الزراعة والصناعة والأسواق

ا - الزراعة

أشتهرت إفريقية فى عهد الأغالبة بزراعة عدة محاصيل زراعية كقصب السكر[1] والقطن[2] والقمح والشعير[3] والنخيل[4] والكتان[5] والفول[6] والحناء[7] فضلاً عن شهرتها بالفواكه كالرمان[8] والعنب[9] والتفاح[10].

وحرص الأغالبة منذ توليهم حكم إفريقية على إعادة الأمن والهدوء إلى البلاد فشعر المزارعون بنوع من الأستقرار النسبى الذى كانوا يفتقدونه منذ عهود طويلة[11].

وكان جل هم الأغالبة زيادة مساحة الأراضى الزراعية حيث أشار اليعقوبى (ت٢٨٤هـ/٨٩٧) وهو جغرافى عاصر الأغالبة وزار إفريقية وأبدى دهشته لمظهر الخضرة وكثافة الأشجار فى المنطقة الممتدة ما بين قمودة[12].

---

(١) كان يزرع قصب السكر بوفرة فى جبل نفوسه. الأدريسى١/ ٢٣)، وقابس (ياقوت ٤/ ٢٨٩) وبسكرة (ياقوت ١/ ٤٢٢).

(٢) كان القطن يزرع بكثرة فى قفصة (الأدريسى ١/ ٢٧٨).

(٣) ابن حوقل، ص٧٦.

(٤) أنتشرت زراعة النخيل فى قفصة (الأدريسى١ / ٢٧٨). الدمشقى: نخبة الدهر، ص٢٣٨. وجربة (الدمشقى، ص٢٣٤). وبلاد الجريد (مجهول : الأستبصار، ص١٥٧).

(٥) ابو الفداء : تقويم البلدان، ص١٤١ .

(٦) ياقوت ١/ ٣١٥.

(٧) مجهول : الأستبصار، ص٢٠٦، ٢٠٧ .

(٨) ياقوت٢ / ٦١. مجهول : الأستبصار، ص١٢١ . القزوينى : أثار البلاد، ص١٧٣ .

(٩) المقدسى ، ص٢٣٤. المراكشى : المعجب، ص٣٤٩. العمرى : مسالك الأبصار، ص٨٢.

(١٠) المقدسى، ص٢٢٤. الدمشقى ، ص٢٣٤ . العمرى، ص٨٢.

(١١) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب، ص٣٢١.

Marais: la berberie Muslmaine et L'arient au Mauen Age paris 1947 P.77.

(١٢) اليعقوبى : البلدان، ص٣٤٩. السيد عبدالعزيز سالم ، ص٣٢١.

٢ - الصناعة

وفي ميدان الصناعة أشتهرت إفريقية بصناعة كافة المنسوجات القطنية في تونس[١] والكتانية بسوسة[٢] والحريرية في قابس[٣] والصوفية في سوسة[٤] وقابس[٥] و القيروان[٦].

كما أزدهرت صناعة العسل في طرابلس[٧] وبونه[٨] والزيوت[٩]، وصناعة الجلود التي برع فيها أهل المغرب[١٠]، وذاعت شهرة قابس بدابغ الجلود التي تتميز بنعومة ملمسها[١١]. كما أشتهرت بالصناعات الحديدية المختلفة لوفرة مناجم الفضة والحديد والنحاس والرصاص[١٢].

٣ـ التجارة

تعريف السوق

السُوق بضم السين وهي موضع البياعات التي يتعامل فيها. وهي تُذكّر وتُؤنث والجمع أسواق. وأصل اشتقاق السوق من سوق الناس إليها بضائعهم[١٣].

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾[١٤].

---

(١) القلقشندي ٥ / ١٠٢.

(٢) جواتباين: دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ترجمة عطية القوصي، الطبعة الأولى: الكويت ١٩٨٥م، ص٢٣٩. Gaitien : Amediterranean Socity V.I lay Angeles 1967.p.107.

(٣) ابن حوقل، ص٧٠.

(٤) البكري، ص٣٦. ياقوت٣ / ٢٨٢. المراكشي، ص٣٥٠. إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار، جـ١، ص٣٨٨.

(٥) ابن حوقل، ص٧٠. محمد محمد زيتون : القيروان، ص١٥٨.

(٦) عثمان الكعاك : الحضارة العربية، ص٧٣.

(٧) المقدسي، ص٢٢٤.

(٨) ابن حوقل، ص٧٦.

(٩) البكري، ص٢٠.

(١٠) إحسان حقي : المغرب العربي، دار اليقظة، بيروت، ص٢٠٧.

(١١) ابن حوقل، ص٧٠.

(١٢) الزهري : كتاب الجغرافيا، ص١٠٨.

(١٣) ابن منظور : لسان العرب، المجلد العاشر، دار صادر، بيروت د. ت (مادة سوق).

(١٤) سورة الفرقان، الآية (٢٠).

وتطلق كلمة السوق على كل مكان يتم فيه البيع والشراء بين الناس[١] في الأماكن التي تتجمع فيها الحوانيت والمتاجر ويكثر فيها الباعة والتجار وأصحاب الحرف[٢].

وتمثل الأسواق مراكز النشاط التجاري[٣]، والصناعي[٤]. وترجع نشأتها إلى قدم الإنسانية.

وتتبلور أهمية دراسة الأسواق، بوصفها مدخلاً حقيقياً لمعرفة الأوضاع السياسية والاجتماعية[٥]، والعمرانية[٦] في المجتمعات بصفة عامة.

أ. موقع الاسواق وتنظيمها

كانت أسواق القيروان تقع في وسط المدينة حول المسجد الجامع[٧]. على غرار أسواق المدن الإسلامية الأخرى كالفسطاط[٨]. ومن المحتمل أن هذا النظام اقتبسه العرب من الرومان حيث كانت أسواقهم تقام في المدن حول الميادين والمعابد والكنائس، ثم أُنشئت الدكاكين على جانبي الشوارع المختلفة. وجُعل لكل صنف من أصناف التجارة موضع خاص[٩]. وأُطلق على موضع أسواق القيروان السماط الكبير[١٠]، وهو عبارة عن شارع اصطُفت الحوانيت على جانبيه[١١].

---

(١) أحمد بن يوسف الدرويش: أحكام السوق في الإسلام، الطبعة الأولى، عالم الكتب، الرياض، ١٩٨٩م، ص٢٢، ٢٥

(٢) كمال عناني إسماعيل: عمران سبته كما شاهده ووصفه السبتي، مجلة المؤرخ العربي لاتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، العدد السابع، المجلد الأول، ١٩٩٩م، ص٣٧٢.

(٣) محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة رقم(١٢٨)، الكويت، ١٩٨٨م، ص٢٥٢.

آدم متز: الحضارة الإسلامية، الجزء الثاني، ترجمة / محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٤١م، ص٣٢٥.

(٤) ديمويين: النظم الاسلامية، ترجمة / صالح الشماع وآخرين، بغداد، ١٩٥٢م، ص٢٥٠.

(٥) قاسم عبده قاسم: الأسواق بمصر في عصر سلاطين المماليك، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة، المجلدان السادس والسابع والثلاثون، ١٩٧٤-١٩٧٥م، ص١٥٧.

(٦) آمال أحمد العمري: المنشآت التجارية في القاهرة في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة، ١٩٧٤م، ص٤٧.

(٧) المقدسي، ص٢٢٥.

(٨) اليعقوبي، ص٣٣١.

(٩) الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق ونشر / السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٤٦م، ص١١ (حاشية١).

(١٠) المقدسي، ص٢٢٥.

(١١) Marcais : La Berberie Musulmane et L'orient, Paris, 1946, p. 84.

ومن حسن الحظ أن البكرى[1] (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م). أعطانا وصفاً لسماط سوق القيروان بقوله: "كان سماط سوق القيروان. قبل نقله إلى المنصورية[2] متصلاً من القبلة إلى الجوف، وطوله، من باب أبى الرُبيع إلى الجامع، ميلان غير ثلث. ومن الجامع إلى باب تونس ثلث ميل. وكان سطحاً متصلاً فيه جميع المتاجر والصناعات".

ونستنتج من هذا النص أن امتداد سماط القيروان كان من الجنوب (القبلة) إلى الشمال (الجوف) بطول المدينة بدءاً من باب أبى الربيع فى الجنوب الشرقى، مروراً بالجامع إلى باب تونس فى الشمال، ويشغل مساحة إجمالية تقدر بحوالى ميلين، بما يعادل (٣٦٩٦) متراً. وكان ترتيب أسواق القيروان على هذا الشكل؛ وفقاً لتعليمات الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك[3] (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م).

وفى العصر العباسى حاول والى أفريقية يزيد بن حاتم (١٥٥-١٧٠هـ/ ٧٧٣-٧٨٦م) إدخال بعض الإصلاحات لتنظيم أسواق القيروان[4]؛ تماشياً مع تزايد الحركة التجارية وللتغلب على مشكلة تكدس الأسواق بالناس؛ فأمر بترتيب أسواق القيروان، بوضع كل صنعة من الصناعات فى مكان معلوم[5]. وجعل الدكاكين صفاً متصلاً بعضها ببعض يقابله صف مثله. وجعل لكل سوق مكاناً خاصاً مستقلاً. وعين عريفاً لكل صنف اختاره من بين وجوه تلك الصناعة[6].

وفى عصر الأغالبة حدث تنظيم جديد لأسواق القيروان؛ لمواكبة حركة الازدهار التجارى التى شهدتها المدينة. فأنشأ زيادة الله الأول (٢٠١-٢٢٣هـ/ ٨١٧- ٨٣٨م) الحوانيت الجديدة، ونقل الناس من أسواقهم إليها.

---

(١) المغرب، ص٢٥-٢٦. منجى الكعبى: القيروان، الطبعة الأولى، دار الغرب الاسلامى، بيروت، ١٩٩٠م، ص٢٣-٢٤.

(٢) شيدها الخليفة المنصور بن القائم سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٨-٩٤٩م. انظر ياقوت ٥ / ٢١١-٢١٢.

(٣) البكرى، ص٢٦.

(٤) محمد عبد الستار عثمان، ص٢٥٦.

(٥) الرقيق، ص١٤٩. ابن الأثير ٥ / ٣٣. ابن عذارى١ / ٧٨. النويرى ٢٤ / ٨٥-٨٦. ابن خلدون ٤/ ١٩٣-١٩٤.

(٦) حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات، ج١، ص٥٨.

- موسى لقبال: الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب، الطبعة الأولى، الجزائر، ١٩٧١م، ص٣٩.

يقول المالكي[1]: "إن الصف القبلي من الرهادرة[2] والرفائيين وبعض حوانيت الكتانيين وما وراء ذلك كانت دُوراً القوم، فبنيت حوانيت وسميت الحوانيت الجدد. ونقل الناس من أسواقهم إليها وأخذوا بسكناها وعمارتها للأمير".

وكانت الحوانيتُ تقع في أقصى الجانب الشرقي من سوق الرهادنة – الرهادرة وفي آخر سوق الكتانيين[3].

ولأغرو في أن تلك الحوانيت الجدد كانت ملكاً للأمير الأغلبي. وهي بمنزلة السوق المركزية المعروفة بالقيساريات وجمعها قياسر[4]. وعرف هذا النوع في جميع المدن الإسلامية. ونقله العرب عن البيزنطيين. وهي بمنزلة دكاكين كانت الدولة تتكفل ببنائها على نفقتها[5].

وقد سخط فقهاء القيروان على هذه الحوانيت وعلى ساكنيها، لما فرض عليهم من مغارم ثقيلة من قبل أمراء الأغالبة، يتضح ذلك مما أورده المالكي[6] ونقله عنه ابن الدباغ[7]: "وكان صديقاً لأبي محرز أخذ سكن حانوت منها، فأقبل يوماً يدخل على أبي محرز على عادته فلما رآه أبو محرز صاح به: ارجع وراءك" :فقال له "أصلح الله القاضي!! إني مجبور على سكاناها، ومع هذا فإني اشتريت الحانوت "فقال له أبو محرز " هب أنك اشتريت الحانوت من أصحابه، فما تفعل بطريقك إلى الحانوت ممن تشتريه" ؟!

---

(١) رياض النفوس ١/ ١٩٦. ابن الدباغ : معالم الإيمان، الجزء الثاني، تحقيق / محمد الأحمدي أبو النور وآخرين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٢م، ص٣٧.

(٢) الرهادنه أو الرهادرة هم باعة الامتعة القديمة والرهادنة جمع رهدن ورهدن بفتح الراء في الأول، وضمها في الثاني. والرهدون في الأصل طائر العصفور بمكة، والرهدون الكذاب ولعلهم سموا بهذا الاسم لأنهم كانوا يتوسلون إلى رواج سلعهم بالكذب... انظر ابن الدباغ ٢ / ٣٨ (حاشية ١).

(٣) ابن الدباغ ٢ / ٣٧.

(٤) شتريك : القيسارية، ترجمة / حسن حبشي، موجز دائرة المعارف الاسلامية، المجلد ٢٧، الطبعة الأولى، الشارقة، ١٩٩٨م، ص٨٤٦٠-٨٤٦١.

(٥) حسن حسني عبد الوهاب ١ / ٧٢. السيد عبد العزيز سالم : في تاريخ وحضارة الإسلام في الاندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٨٥م، ص٢١٨.

محمد أحمد زيود : التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للعالم العربي الاسلامي، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٤م، ص٢٢٠.

(٦) رياض النفوس ١ / ١٩٥-١٩٦.

(٧) معالم الإيمان ٢ / ٣٧.

وكان يباع في تلك الحوانيت، السلع النفيسة في مقدمتها الذهب والفضة، والتحف التي لا تتوفر بالأسواق الصغيرة[1].

ولقد وردت لنا إشارات متفرقة في المصادر عن بعض حوانيت القطانين[2]، والصباغين[3]، والسراجين[4]، والبزازين[5]، والخياطين[6].

ب- أنواع الأسواق

عرفت أسواق القيروان ثلاثة أنواع من الأسواق هي:

الأسواق الدورية، أو الأسبوعية، والأسواق المتخصصة، والأسواق التي تنسب إلى مؤسسيها. وسوف نلقي كلمة عن كل واحده منها.

١- الأسواق الدورية أو الأسبوعية

هي التي كانت تعقد في يوم معلوم من كل أسبوع كسوق الخميس، وسوق الأحد الذى كان[7] يقع في غربي القيروان[8]، بالقرب من ماجل مهرية[9]. وهو من أكبر أسواق القيروان؛ كانت تُباع فيه الأقمشة والفخار[10]. وذكر الخشني (ت٣٦١هـ/٩٧١-٩٧٢م)

---

(١) كمال السيد أبو مصطفى : تاريخ الأندلس الاقتصادى في عصر دولتي المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية د.ت، ص٣٠٦.

- حسين مؤنس : تاريخ المغرب١/ ٢٩٣ . - كمال عنانى إسماعيل، ص٣٧٣.

(٢) ابن الدباغ : معالم الإيمان، الجزء الثالث، تحقيق/ محمد ماضور، مكتبة الخانجى، القاهرة د. ت، ص٢٤.

(٣) نفسه، ص٣٨.

(٤) المالكى : رياض النفوس، الجزء الثانى، حققه بشير البكوش وراجعه/ محمد العروسى المطوى،الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٩٤م، ص١٠٩.

(٥) المالكى٢/ ٢٤٣.

(٦) نفسه، ص٢٤٣.

(٧) المقدسى، ص٢٢٥-٢٢٦. المالكى ٢ / ٣١٢.

الزبيدى : طبقات النحويين واللغويين، تحقيق / محمد أبو الفضل ابراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م، ص٢٣١. آدم متز٢/ ٣٢٦.

(٨) الهادى روجى إدريس ٢ / ٢٠.

(٩) المالكى ٢ / ٣١٢. الزبيدى، ص٢٣١.

(١٠) الهادى روجى إدريس٢ / ٢٠.

أن أبا محمد الغنيمى ت ٣١٦هـ/ ٩٢٨م كان يبيع الفخار بحانوته فى سوق الأحد[١]. كما ذكر القاضى عياض (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩-١١٥٠م) أن بسوق الأحد كانت توجد شراكة فى القطن بين عبد الجبار بن خالد الدين عمران السرتى من أصحاب سحنون، وحمديس القطان [٢].

٢- الأسواق المتخصصة

كان يباع فى الأسواق المتخصصة سلع معينة. يقول الشيزرى[٣]: "ويجعل - المحتسب - لأهل كل صنعة منهم سوقاً يختص بهم، وتعرف صناعتهم فيه، فإن ذلك لقصادهم أرفق ولصنعائهم أنفق". حتى لا تختلط البضائع الرديئة مع الجيدة"[٤].

ولقد كثرت الأسواق المتخصصة فى القيروان؛ ووردت لنا إشارات متفرقة فى المصادر عن بعض هذه الأسواق. فى حين أن البعض الآخر لم نعرف عنه سوى الاسم أو الاسم والموقع معاً ومن أشهر أسواق القيروان:-

سوق الزجاجيين حمل أحد أحياء القيروان اسم حى الزجاجين[٥]، مما يدل على رواج صناعة الزجاج، الذى امتاز برقته وجودته[٦].

وسوق الجزارين كان هذا السوق من أكبر أسواق القيروان. يقول الزهرى[٧]: "أما الجزارون فكان لهم خمسة آلاف وضم، أشتمل كل حانوت على عشرين أو أقل..."، وذكر البكرى أن عدد الابقار التى ذبحت فى أيام المناسبات الدينية كيوم عاشوراء كان حوالى (٩٥٠) رأساً[٨].

---

(١) الخشنى : قضاة قرطبة وعلماء أفريقية، عنى بنشره / السيد عزت العطار، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٣٧٢هـ، ص٢٣٢.

(٢) عياض : ترتيب المدارك، الجزء الرابع، الرباط، د.ت، ص٣٨٥.

(٣) نهاية الرتبة، ص١١.

(٤) حمدان عبد المجيد الكبيسى : أسواق بغداد حتى نهاية العصر البويهى، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٩م، ص١٦٦.

(٥) حسين مؤنس ١ / ١٩٤. السيد عبد العزيز سالم، ص٣٢٣. جورج مارسيه : بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامى فى العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل. ومراجعة / مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف، الإسكندرية د.ت، ص٩٢.

(٦) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ترجمة/ أحمد محمد عيسى، مراجعة/ محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة د.ت، ص٢٥٣.

(٧) الجغرافيا، ص١٠٩.

(٨) المغرب، ص٢٦.

وسوق البزازين والبزنوع من الثياب[1]، وكان يباع في هذا السوق مختلف المنسوجات[2].

ومن الذين عملوا في هذا السوق رجل من أهل العراق[3]، وأحد الزهاد ويدعى أبو محمد عبد الرحيم بن عبد ربه الربعي[4]. وأشار الرقيق إلى سوق البزازين في أثناء إشارته إلى وصول ركب الأمير إبراهيم بن الأغلب ومعه قاضي القيروان ابن غانم[5].

ويبدو أن الدلاليين كانوا يلحقون أضراراً جسيمة بأصحاب هذا السوق، لأن المشترى، كان يقوم بتقليب السلعة في حوانيتهم. وبعد ذلك يتأكد أن السلعة في المناداة أقل منها، فيتركها بدون تردد، متوجهاً إلى المناداة[6].

ومن أسواق القيروان سوق الرهادنة وكان تُباع فيه الثياب الخلقة والملابس المستعملة. وكان ملاصقاً لدكاكين الرفائين[7]. وذكر القاضي عياض[8]: "أن رجلاً من الرهادنه بينما هو جالس في دكانه، طلعت عليه امرأة. فقالت له: بع هذا المتاع، وهو جبة، ووشي، وطيلسان[9]، ونعل طائفي[10]، وقلنسوة[11]. فأخذها وقال: هذا لا يصلح

---

(١) الفراهيدي : كتاب العين، الجزء السابع، تحقيق / مهدي المخزومي وآخرين، دار الهلال، القاهرة د. ت، ص٣٥٣.

(٢) الهادي روجي ادريس ٢ / ٢١.

(٣) أبو العرب، ص١٢١. إبراهيم حركات: النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط أفريقيا الشمالية، ١٩٩٦م، ص١٢٩.

(٤) المالكي ١ / ٣٢٧. مصطفى أحمد أبو ضيف، ص١٢١.

(٥) الرقيق، ص٢٢٦.

(٦) الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب، الجزء الخامس، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م، ص١٧٩.

كمال السيد أبو مصطفى : جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ١٩٩٦م، ص٧٠.

(٧) يحيى بن عمر : النظر والأحكام في جميع أحوال السوق، تحقيق/ حسن حسني عبد الوهاب. راجعه/ فرحات الدشراوي، تونس، ١٩٧٥م، ص٣٣ (حاشية ٣).

(٨) ترتيب المدارك ٣ / ٣١٨.

(٩) نوع بسيط من الخمار الذي يطرح على الرأس والكتفين. أو يلقى أحياناً على الكتفين.

(دوزي : المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة / أكرم فاضل، دار الحرية، بغداد ١٩٧١م، ص٢٢٩).

(١٠) تشتهر مدينة الطائف بدباغة الاديم. (ياقوت : ٣/ ٩).

(١١) الطاقية التي توضع تحت العمامة. (دوزي، ص ٢٩٦).

إلا لابن طالب قاضي القيروان – فمضى بها إليه – وأخذه فقال له : استقضي وادفع إليها الثمن ".

ويرى بعض الدارسين أن اليهود الرهادنة كانوا يملكون هذا السوق في القيروان. وضربوا بسهم وافر في تجارة الأقمشة والمنسوجات الحريرية[1].

ولم يلبث أن امتدت يد الخراب لسوق الرهادنة. وتم تشييد حوانيت على أنقاضه، وأجبر أصحابه على الانتقال إليها[2].

وأما سوق البركة كان يباع فيه الجواري والرقيق، ويشير أحد الباحثين إلى أن هذه التسمية حملها جند مصر الوافدين على أفريقية في القرن الثاني الهجري إلى القيروان. واطلقوها على السوق الذي يباع فيه الرقيق. كما عرفوها في الفسطاط. ثم نقلت التسمية إلى أسواق المغرب والأندلس [3].

ومن أبرز الذين عملوا في تجارة الرقيق أحد الفقهاء ويدعى إسماعيل بن عبيد الله [4] وهو من الذين أرسلهم الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/ ٧١٧-٧١٩م). لتعليم أهل أفريقية شرائع الدين الإسلامي الحنيف.يقول أبو العرب [5] " وكان إسماعيل بن عبيد الله المعروف بتاجر الله يوجه المولدات والأحمال إلى المشرق، قال: فوجه رفقه كلها له فخرج يشيعهم إلى قصر الماء، فسمع بكاء فقال "ما هذا" فقيل له: هؤلاء المولدات اللائي وجهت يبكين مع آبائهن وأمهاتهن وأخواتهن، فبكى إسماعيل وقال "إن دنيا بلغت بي أن أفرق بين الأحبة إنها لدنيا سوء أشهدكم أن كل من لها أب أو أم أو أخ وأخت في هذه الرفقة فهي حرة فأنزل من المحاسن سبعين مولدة".

ولقد شهدت تجارة الرقيق رواجاً عظيماً في عصر الأغالبة، بدليل أن إبراهيم بن الأغلب (١٨٤-١٩٦هـ/٨٠٠-٨١١م) أشترى منهم حوالي خمسة آلاف وجعلهم حرسه

---

(١) ابتسام مرعي خلف : العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥م، ص٢٦٣.

(٢) ابن الدباغ ٢ / ٣٧ـ٣٨.

(٣) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات، ١ / ٥٩ـ٦٠.

(٤) أبو العرب، ص٨٤ـ٨٧.

(٥) طبقات علماء أفريقية وتونس، ص٨٥ـ٨٦ وانظر.ـ المالكي ١ / ٧٠.

ـ محمد الطالبي : الدولة الأغلبية التاريخ السياسي، ترجمة / المنجي الصيادي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م، ص٣٩.

الخاص وأسكنهم في مدينة العباسية[1] ويقال إن إبراهيم بن أحمد تاسع أمراء الأغالبة (٢٦١-٢٨٩هـ/٨٧٤-٩٠٢م) اشترى من العبيد حوالى مائة ألف في سنة (٢٧٨هـ/٨٩١-٨٩٢م)[2].

ومن المعروف أن أكبر مراكز تصدير الرقيق إلى القيروان في ذلك الوقت مدينتي سجلماسة[3] وزويلة[4] التي حدثنا عنها صاحب (الاستبصار)[5] بقوله: "وهي مجتمع الرفاق وإليها يجلب الرقيق[6]، ومنها يخرج إلى بلاد إفريقية وغيرها من البلاد ".

ومن أسواق القيروان المتخصصة الأخرى التي لم يصل إلينا عنها سوى أسمائها الذى يحمل نشاطها التجارى أو موقعها. سوق اللحاميين، وسوق الرماحين، وسوق الحذائين[7]، وسوق النساجين، وسوق النجارين، وسوق العلافين[8]، وسوق النخاسيين. وسوق الجمال[9] بالقرب من باب سلم[10]، وسوق الغنم الكائن بباب الغنم[11]. وسوق الطعام لبيع سائر المأكولات والقمح[12]. وكان الخبز يباع في سوق إيلان[13] وسوق

---

(١) البلاذرى١ / ٢٢٧ . الرقيق، ص٢٢٢ . ابن عذارى١ / ١٢٣ . النويرى ٢٤ / ١٠٢ .
ـ السيد عبد العزيز سالم، ص٣٣٤ . سعد زغلول عبد الحميد١/ ٣٤ .

(٢) النويرى ٢٤ / ١٢٩-١٣١ .

(٣) ابن حوقل، ص٩٩ .

(٤) اليعقوبى، ص٣٤٥ . ـ البكرى، ص١١ .
Brett : IFR kaiya As A Market for saharan Trade Frome the tenth to the twelfth century A. Drin A.D in Journal of A Frican History, X.3 (1969) p.355.

(٥) مجهول : الاستبصار، ص١٤٦ .

(٦) وصف ابن بطلان طبائع الرقيق بقوله : " من أراد الجارية للذة فليتخلها بربرية، ومن أرادها خازنة وحافظة فرومية، ومن أرادها للولد ففارسية، ومن أرادها للرضاع فزنجية " . ـ ابن بطلان : رسالة في شرى الرقيق وتقلب العبيد، نوادر المخطوطات، تحقيق / عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٥٤م، ص٣٥٢ .

(٧) المقدسى، ص٢٢٥-٢٢٦ .

(٨) حسين مؤنس١ / ٢٩٣ .

(٩) المالكى١ / ١٩٠ . الخشنى ، ص٢٣٨ . ابن الدباغ ٢ / ٣٥ .

(١٠) المالكى ١ / ١٩٠ . ابن الدباغ ٢ / ٣٥ .

(١١) الهادى روجى إدريس٢ / ٢٠ .

(١٢) الزبيدى ، ص٢٣٢ .

(١٣) المالكى ١ / ٢٤٣ .

الكعك[1]. وسوق الدجاج[2] لبيع سائر أنواع الطيور[3]، وسوق الصيارفة لتبديل العملة وصرف الدنانير إلى دراهم[4]. وسوق الكتانين، وسوق الغزل الذى كانت النساء يقمن فيه ببيع ما تغزلنه من الصوف[5]. وسوق الخزازين[6] وهم باعة أقمشة الحرير، وسوق الصوافين[7]، والسوق الكبير الذى وجد به بعض الطباخين[8]. وسوق الوراقين لبيع مستلزمات الكتابة. وكان موقعه على مقربة من الجامع الكبير[9]. وسوق الصباغيين الذى اختص بصباغة الأقمشة والملابس[10] ومن محاسن الأسواق المتخصصة أن التاجر كان يلتزم بالسعر تماشياً مع جيرانه، لأن منافسيه على مقربة منه.كما أن المشترى يمكنه تفقد السلع ومعرفة ثمنها بدون مشقة من خلال تنقله من متجر لآخر.

غير أن هذا النظام لا يخلو من عيوب، تكمن فى أن المشترى إذا رغب فى شراء عدة أصناف مختلفة من البضائع، فينبغي عليه أن يتنقل بين تلك الأسواق لشراء حاجته، لأنه لن يجد فى السوق الواحد سوى نوع معين من البضائع[11].

---

(١) المالكى ٢ / ١٥١. الهادى روجى إدريس٢ / ٢١.

(٢) المالكى ٢ / ١٤٦.

(٣) المقريزى : الخطط، الجزء الثانى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة د.ت، ص٩٦.

(٤) المالكى ١ / ٢٤٣.

(٥) المالكى ٢ / ١٤٦. حسن حسنى عبد الوهاب : بساط العقيق، ص١٦.

(٦) المالكى ١ / ٣٠١.

(٧) الخشنى، ص٢٥٣.

(٨) الهادى روجى إدريس٢ / ٢١.

(٩) حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات، ١ / ١٥٤.

(١٠) حسنى إسماعيل مبارك : التطور الاقتصادي لولاية أفريقية فى عصر الأغالبة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة القاهرة، ١٩٨٩م، ص١٣٥.

(١١) سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام، الطبعة الثانية، الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٣٠٦ـ٣٠٧.

ـ محمود محمد الحويرى :أسوان فى العصور الوسطى،الطبعة الاولى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، ص١٣١ ـ محمود محمد الحويرى : الأوضاع الحضارية فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر من الميلاد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م، ص١٤٣ـ١٤٤.

ـ صفى على محمد عبد الله : مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامي، سلسلة تاريخ المصريين رقم (١٦٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص٢٨٥.

٢- أسواق تنسب إلى مؤسسيها

وهى الأسواق التى تنسب إلى مؤسسيها. وكان يباع فيها كافة السلع ومعلوماتنا عنها نادرة إلى حدٍ كبير.

وهى سوق دار الإمارة[١]، وسوق بنى هاشم المنسوب إلى صالح بن حاجب بن هاشم[٢]، وسوق إسماعيل الذى ينسب إلى إسماعيل بن عبيد الله الأنصاري المتوفى بالقيروان سنة (١٠٧هـ/٧٢٥م)، وهو الذى تكفل ببناء المسجد الكبير بالقيروان الذى يعرف الآن بمسجد الزيتونة[٣]. وسويقة ابن المغيرة التى تنسب إلى عبد الله بن المغيرة الكوفى أحد كبار المحدثين الوافدين إلى القيروان[٤]. وسوق اليهود[٥] الذى كان يقع فى الدرب الصغير المعروف بابن الطفيل[٦].

ولا نستبعد أن يكون ترتيب الأسواق فى القيروان. له تأثيره على الأسواق الأخرى فى المغرب، كتونس، وصفاقس، وسوسة، وتاهرت، وسجلماسة، وفاس، ثم انتقل هذا التأثير بعد ذلك إلى الأندلس[٧].

أما عن وسائل النقل بين الباعة وأهل السوق فكانوا يستخدمون الدواب فى ذهابهم وعودتهم من البيوت إلى السوق[٨].

وكان العمل فى هذه الأسواق يمتد إلى فترة متأخرة من النهار، إذ كانوا يمكثون إلى ما بعد الظهر، حيث يأكلون فى أحد المطابخ. أو يحضرون الطعام، ليتناولوه فى دكاكينهم، ولا يذهبون إلى بيوتهم إلا فى المساء، بعد أن ينتهوا من العمل بالعشى[٩].

---

(١) أبو العرب، ص١٣٥. ـ تقع دار الإمارة فى رحبة التمر. ـ انظر الرقيق، ص١٦٢

(٢) أبو العرب، ص١٨٠. المالكى٢ / ٤٨٨.

(٣) المالكى١ / ٧٠. ابن الدباغ ١ / ١٩٢.

(٤) أبو العرب، ص١٦١ـ١٦٢.

(٥) أبو العرب، ص١٣٠، ١٦٧. المالكى١ / ١٣٩. الرقيق، ص١٦٧، ٢٠٦ـ٢٠٧.

(٦) الحبيب الجنحانى، ص١٣٧.

(٧) حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات، ج١، ص٥٨ـ٥٩.

(٨) ناصر خسرو : سفرنامة، ترجمة / يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ص١٢٠.
ـ فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية، الجزء الثانى، سلسلة تاريخ المصريين رقم (١٧٣) الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠م، ص١٣١. ـ صفى على محمد عبد الله، ص٢٩.

(٩) آدم متز٢ / ٣٢٥. عفيفى محمود إبراهيم : مظاهر الحضارة فى بلاد المغرب منذ انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر حتى منتصف القرن السادس الهجرى، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة، ١٩٨٠م، ص١٧٢. ـ يحيى أبو المعاطى محمد : الحواضر الإسلامية فى المغرب والأندلس فى القرنين الرابع والخامس الهجريين، المجلد الأول، رسالة ماجستير غير منشورة كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ١٩٩٤م، ص٥٤.

وجـرت العادة حينئذ أن تضـرب الأبواق فى المساء بأسـواق القيروان بعد إغلاقها فيمنع التجول خلال الطرقات.وإذا مشى أحد يتعرض لعقوبة شديدة[1].

ج- العاملون فى الأسواق

عمـل فى أسواق القيروان بعض الموظفين والعمال لتلبية حاجات الناس فى السوق وهم: كاتب الوثائق، والدلال، والسقاة، والحمالون، والأمناء، والجلاس.

١- كاتب الوثائق

كانت مهمة كاتب الوثائق، هى تحرير وثائق التجار والعقود[2] ويشترط فيه أن يتميز بحسن الخط وترتيب اللفظ ودراية واسعة فى العلم.[3]

٢- الدلاّل

وهو الذى يتوسط بين البائع والمشترى، ويحاول التوفيق بينهما حيث يقوم بالتدليل على البضاعة[4]، و "يصف البضاعة وجودتها"[5].

يقول الونشريسى[6]: "هم الذين ينادون على السلع فى السوق. وكان الباعة يرون فى السلعة التى يروج إليها الدلال أقل ثمناً من التى فى الحوانيت. وأرخص سعراً فيميل إلى الشراء من الدلاّل". وعرف الدلاّل فى أسواق بلاد الشام فيذكر ابن بطوطة[7]: "وينادى سماسرتهم بالأسواق على السلع". وقد شهدت الأسواق المصرية أيضاً هذه الطريقة فى العصور الوسطى وعلى الأخص فى عصر سلاطين المماليك.[8]

---

(١) عفيفى محمود إبراهيم ، ص١٧٣.

(٢) ابن عبدون : رسالة ابن عبدون فى القضاء والحسبة، تحقيق / ليفى بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٥٥م، ص١٣.

(٣) الونشريسى٥ / ٢٢٠. كمال السيد ابو مصطفى، ص٨٤.

(٤) الشيزرى، ص٦٤ (حاشية١) حسن الباشا : الفنون الإسلامية، الجزء الثانى، دار النهضة العربية، القاهرة د.ت، ص٥١٤. عفيفى محمود إبراهيم : أحوال بلاد المغرب الاقتصادية فى ظل السيادة الفاطمية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٧م، ص١٤٤.

(٥) الدمشقى : كتاب الإشارة إلى محاسن التجارة، مطبعة المؤيد، مصر ١٣١٨هـ، ص٤٤.

(٦) المعيار المعرب ٥ / ١٩٧.

(٧) مهذب رحلة ابن بطوطة، الجزء الأول، تهذيب وتحقيق/ أحمد العوامرى، ومحمد أحمد جاد، مطبعة بولاق، القاهرة ١٩٣٤م، ص٥٥. عبد الحافظ عبد الخالق يوسف: الأسواق فى المناطق الصليبية فى بلاد الشام، الزقازيق د.ت، ص١٠٣.

(٨) عبد الحافظ عبد الخالق يوسف، ص١٠٣.

٣- السقاة

وكانوا يحملون الماء في قرب مصنوعة من الجلد، ويصبون الماء في أكواب، ويسيرون بها في الأماكن العامة والأسواق يقدمون الماء للمارة والمشترين لارواء عطشهم.[١] وحرصاً من المحتسب على نظافة المياه التي يتناولها الناس وضع السقاة تحت رقابة شديدة.[٢] وأدى السُقاة دوراً بارزاً في الحياة الاجتماعية؛ حيث كانوا وسيلة لنقل الأخبار ونشرها بين الناس[٣]. ومن أبرز من عمل بهذه المهنة ميسرة المطغرى: "بائع الماء بسوق القيروان"[٤]. الذى قاد ثورة الخوارج الصفرية في المغرب سنة (١٢٢هـ/٧٣٩م).

ويشير أحد الباحثين الثقاة إلى أن هدف ميسرة كان التستر والتمويه على الخصوم. في الوقت الذى كان يتلقى فيه أصول المذهب الصفرى على عكرمة مولى ابن عباس في القيروان، لما تتيحه مهنة السقاية من سهولة الاتصال بالاتباع والأنصار، دون إثارة لشكوك الخصوم[٥].

٤. الحمالون

كانوا يقومون بنقل البضائع من مكان إلى آخر فوق أكتافهم أو على دابة تحمل المنقولات. واستخدموا الأكياس لحماية ثيابهم والحبال لربط المنقولات[٦].

٥. الأمناء

كان الأمناء يتولون جباية مكوس الأسواق، ويضبطون المخازن ويعهد اليهم بتوزيع الوظائف أى الضرائب على الناس[٧]. كما كانوا أعواناً للمحتسب[٨].

---

(١) حسن علي حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية في المغرب الأقصى، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، ١٩٧٢م، ص١٤٦ . - عفيفى محمود إبراهيم، ص١٤٦ .

(٢) ابن عبدون، ص٣٢ .

(٣) محمد عبد الستار عثمان، ص٢٠١ .

(٤) ابن القوطية : افتتاح الأندلس، ص٣٩.

(٥) محمود إسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب، ص٤٧ .

(٦) ابن عبدون، ص٤١ .

(٧) كمال السيد أبو مصطفى، ص٨٤.

(٨) عبد المنعم سلطان : الأسواق في العصر الفاطمى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٧، ص٥٥ .

٦ـ الجلاس

هـو الـذى ينـزل التاجـر عـنده فيـتولى ضبط ما جلب وينظر فى جميع ما يوظف عليه المخـزن – بـيت المـال – ويأخـذ بـه سـلعاً، فيبـيعها ويدفـع ثمنها للوالى وكان الجلاس يتقاضى راتبه من الوالى[١].

٧ـ وكلاء التجار

عـرفت الـنظم التجارية فى القيروان الوكلاء الذين ينوبون عن بعض التجـارمن أرباب الخطـط الـرسمية، فقـد اسـتأجروا وكلاء للقيام بأعمالهم[٢]، وأطلق على الواحد منهم اسم المتضمن.[٣]

وكـان الوكـيل يعمـل بمقتضـى اتفاق مكتوب فى عقد لا يتعداه وفى حدود هذا الاتفاق يقوم التعامل بين التاجر والوكيل، على الثقة[٤].

وكان الوكلاء يقيمون فى أسـواق المدن الكبرى، لإتمام العملية التجارية من بيع وشـراء لصالح موكليهم[٥]. مقابـل نسبـة معينـه من أثمان السـلع التى يبيعونهـا أو يشـترونها[٦].

ومـن الـوكلاء الـذين عملوا لصالح أحد التجار فى أسـواق القيروان عبد الرحمن بن عبد الله بن يزيد أحد الوافدين الى أفريقية سـنة (١٥٦هـ/٧٧٢- ٧٧٣م)[٧].

---

(١) كمال السـيد أبو مصـطفى، ص٨٥.

(٢) عز الدين احمد موسى، ص ٢٨١.

(٣) الدمشقى، ص٤٠.

(٤) عز الدين احمد موسى، ص٢٨١.

(٥) مالك بن انس: المدونة الكبرى، برواية الامام سحنون بن سعيد، الجزء الثالث عشر، مطبعة السعادة، مصر ١٣٢٣هـ، ص ٩٣.

ـ صبحى الصالح: النظم الإسلامية، الطبعة السابعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٩م، ص ٣٧٩.

ـ عفيفى محمود إبراهيم، ص ١٤٥.

(٦) توفيق سلطان اليوزبكى: النظم العربية الإسلامية، الطبعة الثالثة، بغداد، ١٩٨٨م، ص٢٥٦.

(٧) أبو العرب، ص١٦٣.

الفصل الثالث

النظم التجارية فى أسواق القيروان

يتناول هذا الموضوع النظم التجارية المختلفة فى القيروان من حيث السلع الواردة عليها من مدن المغرب الأخرى. والسلع المحظورة، وأسعار السلع، والعوامل المؤثرة عليها. ثم مقاييس التجارة من موازين ومكاييل، وطرق البيع والشراء، والمنشآت التجارية، والصادرات والواردات، وطرق التجارة الداخلية والخارجية التى تربط القيروان بغيرها من البلدان.

(١) السلع :

ارتبطت القيروان بعلاقات تجارية مع أسواق المغرب الأخرى، فكان تجار القيروان يخرجون إلى سجلماسة[١] وبلاد السودان[٢] من أجل التجارة وكانت السلع التجارية تفد إلى القيروان من كافة البلاد، فكانت صفاقس تمد القيروان بحاجتها الكافية من الزيت[٣]. ومن المعروف أن صفاقس حازت على شهرة كبيرة فى إنتاج الزيت وتصديره؛ ويرجع ذلك لموقعها وسط مزارع الزيتون[٤]. ومما ساعد على ازدهار زراعة الزيتون فى صفاقس نجاح الأغالبة، فى الاستفادة من كميات الأمطار وتخزينها، وحسن استخدامها فى زراعة الأراضى الصحراوية[٥].

وكان الفستق يجلب إلى أسواق القيروان من قفصة، كما صدر إلى بقية بلدان أفريقية، ومصر، وسجلماسة، والأندلس[٦].

---

(١) حسين سيد عبد الله : دولة بنى مدرار فى سجلماسة بالمغرب الأقصى، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة ١٩٨٦م، ص٢٠٤.

(٢) أحمد إلياس حسين : العلاقات بين مملكة غانة والمغرب العربى فيما بين القرنين الثانى والخامس الهجريين، رسالة دكتوراه معهد الدراسات الافريقية - جامعة القاهرة ١٩٨٢م، ص٩٨.

(٣) البكرى، ص٢٠. مجهول :الأستبصار، ص١١٦-١١٧.

(٤) ياقوت ٣ / ٢٢٣.

(٥) أحمد الطريقى :شجرة الزيتون بتونس ودورها الحضارى والاقتصادى، بحث ضمن (دائرة المعارف التونسية) كراس، تونس ١٩٩٠م، ص١٠٤.

(٦) البكرى ، ص٤٧. ياقوت ٤/ ٣٨٢.

- ابن سعيد المغربى : كتاب الجغرافيا، تحقيق وتعليق / إسماعيل العربى، الطبعة الأولى، المكتب التجارى، بيروت ١٩٧٠م، ص١٢٦.

وكان التمر يُحمل إلى أسواق القيروان من بسكرة[1]، وقفصة[2]. وبلاد الجريد[3]، وتوزر: "إحدى مدن بلاد قسطيلية أكثر بلاد أفريقية تمراً، ويخرج منها في أكثر الأيام ألف بعير موقورة تمراً".[4]

وكانت المدن الساحلية تمد القيروان بحاجتها من القمح[5]. أما عن الفواكه في أسواق القيروان فترد إليها من قفصة[6]، وجلولاء[7]، ومن مدينة مذكود من أكبر مدن أقاليم قمونية تستورد التين: "وهو يفوق تين أفريقيا طيبا، ومنها يحمل التين زبيبا إلى القيروان فيكون أعلى من سائر التين ثمناً وطلباً"[8].

كما استوردت القيروان التين الأخضر من قلشانة التي تبعد عن القيروان أثنى عشر ميلاً[9]. وكانت قابس تُمدُّ القيروان بالفواكه، وعلى الأخص التمور.[10]

واشتهرت تونس[11] والمسيلة[12] بزراعة السفرجل الذي وجد رواجاً عظيماً في أسواق القيروان.[13]

وأشاد المقدسي[14] إلى تنوع أصناف الفواكه في أسواق القيروان بقوله: "قد جمع أضداد الفواكه، والسهل والجبل، والبحر والنعم".

ومما لا ريب فيه أن السكر من السلع التي لا غنى عنها لسكان القيروان ؛ لسد حاجتهم من الاستهلاك اليومي، لذلك تم استيراد قصب السكر من جلولاء[15]، والسكر

---

(١) مجهول : الأستبصار، ص١٧٣.

(٢) البكري، ص٤٧. ياقوت ٤ / ٣٨٢.

(٣) مجهول : الأستبصار، ص١٥٥.

- عرفت بلاد الجريد بهذا الاسم لكثرة النخيل بها، وهي مدن كثيرة ومتصلة العمارة. انظر مجهول، ص١٥٠.

(٤) البكري، ص٤٧. ياقوت ٤ / ٥٨.

(٥) الوزان، ص٤٦٤.

(٦) البكري، ص٤٧. ياقوت ٤ / ٣٨٢.

(٧) ياقوت ٢ / ١٥٦. مجهول :الأستبصار، ص١١٩.

(٨) البكري، ص٧٥.

(٩) البكري، ص٢٩.

(١٠) البكري، ص١٧. ياقوت ٤ / ٢٨٩. مجهول :الأستبصار، ص١١٣. ابن سعيد المغربي، ص١٤٤.

(١١) برنشفيك : تاريخ افريقيا في العهد الحفصي، ترجمة / حمادي الساحلي، الجزء الثاني الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٨م، ص٢٦٥.

(١٢) شيدها علي بن الأندلسي أحد رجال آل عبد الله (ابن حوقل : مصدر سابق، ص٢٨٥).

(١٣) ابن حوقل، ص٨٥. الحبيب الجنحاني، ص١٣١.

(١٤) أحسن التقاسيم، ص٢٢٥.

(١٥) حسن علي حسن، ص٢٥٦.

من صقلية[١]، وتارودانت إحدى مدن السوس الأقصى.[٢] وكان يرد للقيروان الزيت من الساحل[٣]. والعسل من جلولاء، لكثرة ياسمينها يقول ياقوت[٤]: "وبها بريب أهل القيروان المسمم بالياسمين لدهن الزئبق". وكانت جزائر بني مزغناى تصدر العسل والسمن والتين للقيروان[٥] وفيما يختص بالمنسوجات بأسواق القيروان فكانت تأتي إليها من سوسة التي اشتهرت بالثياب السوسية[٦]، والحرير من قابس يقول ياقوت[٧]: "وحريرها أجود الحرير وأرقه وليس في عمل أفريقية حرير إلا في قابس".

وكانت القيروان تستورد من قفصة المنسوجات الصوفية من أردية وطيالس وعمائم.[٨]

وكان القطن يرد للقيروان من تونس[٩]، وتادله التي تميز قطنها بجودته.[١٠]

واستوردت القيروان من قفصة المصنوعات الخزفية والزجاجية والأواني المذهبة.[١١]

وكان النحاس يجلب إلى القيروان من مدينة داى الواقعة في أسفل جبل درن.[١٢]

---

(١) تقى الدين عارف الدورى : علاقات صقلية بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربي حتى الغزو النورماندى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب – جامعة القاهرة ١٩٧٩م، ص٢٢٤.

(٢) مجهول :الاستبصار، ص٢١١-٢١٢. الزهرى، ص١١٧.

(٣) برنشفيك٢ / ٢٦٥.

(٤) معجم البلدان، ٢ / ١٥٦. مجهول :الاستبصار، ص١١٩.

(٥) ابن حوقل، ص٧٦.

(٦) البكرى، ص٣٦. اشتهرت سوسة بالمنسوجات السوسية الرفيعة الفائقة الجودة.

- (ياقوت ٣ / ٢٨٢) وصنع في سوسة الثياب الرفيعة مثل العمائم التي يساوى ثمن العمامة الواحدة مائة دينار. (مجهول : الأستبصار، ص١١٩).

(٧) معجم البلدان ٤ / ٢٨٩. مجهول : الاستبصار، ص١١٣.

- أمين الطيبي : جوانب من النشاط الاقتصادى في المغرب في القرن السادس الهجرى من خلال رسائل جنيزة القاهرة، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، السنة الأولى، مركز جهاد الليبيين ١٩٨٤م، ص٤٥٣.

(٨) مجهول : الاستبصار، ص١٥٤.

(٩) ابن حوقل، ص٧٤.

(١٠) الإدريسى ١ / ٢٤١.

(١١) مجهول :الاستبصار، ص١٥٤.

(١٢) الإدريسى ١ / ٢٤١.

ب- السلع المحظورة

وكـان يباع في أسواق القيروان النبيذ وهو السلعة المحظورة التي فشي بيعه بكثرة بين الناس. كما كان يقبل عليه أمراء القيروان[1].

وراجـت تجـارة النبيذ على يد أهل الذمة، نستدل على ذلك من شكوى صاحب سوق القيروان إلى يحيى بن عمر، يسأله عن اليهودى والنصرانى الذى يتشبه بالمسلمين، وليس عليه رقاع ولا زنار ويحمل الخمر الذى يعصره.

وجـاء جـواب يحيى بن عمر بوجوب معاقبته بالضرب والسجن ويطاف به في موضع اليهود والنصارى ليكون رادعاً لمن يراه[2].

ولقـد تـرتب على كثرة بيع النبيذ بكثرة في أسواق القيروان حينئذ سُخطُ الفقهاء على هـذه الظاهـرة ومطالبـتُهم الحكـومة الأغلبـية بالتصـدى لهـا بحـزم. وجـاء ردهـا مشجعاً ومسـانداً لموقـف الفقهـاء. فقـد أصـدر الأمير أبو عقال بن الأغلب إبراهيم (٢٢٣-٢٢٦هـ/ ٨٣٧-٨٤٠م) أوامر صارمة بمطاردة بائع النبيذ ومشتريه ومعاقبتهما.[3]

(٢) الأسعـار

إن مسـألة الأسـعار مـن المسـائل الجوهـرية التـى لا غنى عنها؛ لمعرفة أصناف السلع المخـتلفـة وأسـعـارها من حين لآخـر، وإن أهمية معرفة أسـعار السـلع مرتبطة. في حقيقة الأمـر. بمعـرفة دخـل الفـرد علـى مخـتلف مسـتوياتـه، حتـى نسـتطيع أن نتعرف على مستوى المعيشة الذى بلغته الفئات الاجتماعية المختلفة في القيروان، في عصر الأغالبة[4]

ومـن الصـعب علـى الباحث في موضوع الأسـعار أن يصل إلى بيانات دقيقة عن حالة الأسـعار وتطـورها؛ لندرة المعلومات الواردة في المصادر. وكانت أسـعار السـلع في القيروان متأثرة بفعل عاملين هما:

أ- الاضطرابات السياسية

ممـا لا ريب فيه، أن الاضطرابات السـياسـية أثرت بصـورة سلبية على أسـواق القيروان. وتـرجع جـذورها إلى زمـن الفتح العربى للمغرب، حيث قامت حروب طاحنة بين العرب

---

(١) ابن عذارى ١ / ٩٦-٩٨. جورج مارسيه، ص٨٩.

(٢) يحيى بن عمر، ص٩٦-٩٧.

(٣) ابن عذارى ١ / ١٠٧.

(٤) الحبيب الجنحانى: المغرب الإسلامى، تونس، ١٩٧٨م، ص٧١.

وأهالى البلاد الأصليين. ومن أخطرها على الإطلاق ثورة الكاهنة التى أضرت بالنشاط الاقتصادي للمغرب ككل. فقامت بتدمير شامل لثروة البلاد الزراعية، وأحرقت منطقة الأشجار الكثيفة، التى كانت تمتد من طرابلس شرقاً إلى طنجة غرباً.[1]

وتوالت المحن الاقتصادية على بلاد المغرب فى عصر الولاة حيث كانت البلاد مسرحاً للفوضى والاضطرابات التى امتد تأثيرها بشدة على منطقة القيروان، مما أثر على السلع الغذائية التى كانت تجلب إلى أسواق القيروان.[2]

ويبدو أثر الاضطرابات السياسية بوضوح. فيما أقدم عليه الثوار حينئذ من فرض الحصار على القيروان. كما فعل أبو حاتم أحد الثائرين، الذين حاصروا القيروان فى ولاية عمرو بن حفص (١٥١-١٥٤هـ/٧٦٨-٧٧٠-٧٧١م) حتى نفذت خزانة البلاد من الأموال، والأهراء[3] من القمح، ولم يجد الجند حاجتهم الكافية من الطعام، فلجأوا إلى أكل لحوم الدواب والكلاب. على حد قول الرقيق.[4]

ولقد أسفر هذا الحصار على ارتفاع الأسعار ارتفاعاً ملحوظاً. فقد وصل سعر أوقية الملح إلى درهم.[5]

وسوف نكتفى بذكر ثورتين هامتين كان لهما أثر خطير على النشاط الاقتصادى.

الأولى: ثورة عمران بن مجالد الربيعى فى سنة ١٩٤هـ/٨١٠م، وهى التى كلفت الأغالبة أموالاً طائلة من أجل قمعها لدرجة أن ابن الأثير يعترف بخطورة تلك الثورة بقوله: "إنه لما هُزم عمران سكن الشر بأفريقية وأمن الناس"[6].

---

(١) الرقيق، ص٦١. ابن الأثير ٤ / ٣٢. ابن عذارى١ / ٣٦. ابن الدباغ ١ / ٥٩.

- التجانى : رحلة التجانى، تحقيق/ حسن حسنى عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب،تونس،١٩٨١م، ص٥٨.

الباجى المسعودى ، ص١١.

(٢) ابن مقديش ١ / ١١٦-١١٧.

(٣) الأهراء مخازن للقمح الفائض عن حاجة الاستهلاك، لوقت الحاجة.

- عبد الحميد حسين حموده : تجارة القمح فى مصر فى العصر الفاطمى، بحث بمجلة المؤرخ المصرى، العدد الثالث عشر، يوليو ١٩٩٤م، ص١٧٠.

(٤) الرقيق ، ص١٤٣-١٤٤ . - ابن عذارى١ / ٧٦.

(٥) ابن عذارى١ / ٧٦.

(٦) ابن الاثير٥ / ١٠٥، ١٤١.

A bdallah Laroui : The History of the Maghrib, New Jersey, 1973, p.118.

الثانية: ثورة منصور الطنبذى ؛ وهو أحد الثائرين العرب على حكومة الأغالبة. ويتجلى أثرها بوضوح على النشاط التجارى فى القيروان. فقد قام بضرب عملة جديدة على غرار عملة الأغالبة وبطبيعة الحال فإن هذا الأمر قد أنزل بالاقتصاد الأغلبى أضراراً جسيمة. لذا سعى الأغالبة بكل الوسائل الممكنة لإخماد هذه الثورة، بعد قتال دام أربعين يوماً.[1]

ب- الكوارث الطبيعية

أدت الكوارث الطبيعية التى اجتاحت أفريقية إلى غلاء شديد، وإزهاق أرواح كثير من الناس، مثلما حدث فى سنة (٢٦٠هـ/٨٧٣-٨٧٤م)[2]. ولم تمض سوى ست سنوات على الغلاء السابق حتى عانت البلاد فى سنة (٢٦٦هـ/٨٧٩م)[3] من قحط وغلاء ترك أسوأ الآثار على الحياة الاقتصادية[4] كما حدث غلاء آخر فى سنة (٢٦٨هـ/٨٨١م)، وترتب عليه رفع سعر القفيز من القمح إلى ثمانية دنانير؛ بسبب القحط والوباء.[5]

وتظهر هذه القائمة لنا ؛ أسعار بعض السلع فى القيروان زمن حكم الأغالبة:

---

(١) ابن عذارى ١ / ١٠٠.

(٢) ابن الأثير ٥ / ٣٧٣. - ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢م، ص٩٦.

(٣) ابن عذارى١ / ١١٧.

(٤) ابن الأثير ٦ / ٢٥.

- محمد بركات البيلى: الغلاء والمجاعات فى بلاد المغرب الإسلامى حتى القرن الخامس الهجرى، بحث بمجلة (المؤرخ المصرى) يصدرها قسم التاريخ بكلية الآداب - جامعة القاهرة، العدد الحادى عشر، يوليو ١٩٩٣م، ص٣٢٥.

(٥) النويرى٢٤ / ١٣٠.

السلعة	المقدار	الثمن
(١) كمية من اللحوم	ـ	عشرة دنانير [1]
(٢) كبش		درهم [2]
(٣) خبز		درهم [3]
(٤) الملح	أوقية	درهم [4]
(٥) زيت		درهم [5]
(٦) شعير		درهم [6]
(٧) تينا		درهم [7]
(٨) بغل		ستة عشر مثقالا [8]
(٩) القمح	قفيز	دنانير كثيرة [9]
(١٠) قميص وغلالة وسراويل ومنديل		درهم فضة [10]
(١١) جارية		٨٠ ديناراً [11]
(١٢) جارية		٤٠ ديناراً [12]
(١٣) غلام		١٠ دنانير [13]

---

(١) الزبيدى، ص٢٣١-٢٣٢.

(٢) المالكي ٢ / ٤٠.

(٣) عياض ٤ / ٣١٩.

(٤) ابن الرقيق، ص١٤٥. الشماخي: كتاب السير، تحقيق ودراسة/ محمد حسن، تونس، ١٩٩٥م، ص٣٩.

(٥) المالكي١ / ٢٤٢.

(٦) نفسه، ص٢٤٢.

(٧) نفسه، ص٢٤٢.

(٨) الخشنى، ص٢٣٩.

(٩) المالكى ١ / ٣١٤.

(١٠) المالكى٢ / ٣٣.

(١١) عياض ٤ / ٣١٦.

(١٢) نفسه، ص٣١٤.

(١٣) نفسه، ص٣١٩.

ونستنتج من هذا الجدول أن المصادر التاريخية أغفلت مقادير الأشياء المباعة فى كثير من الأحيان الأمر الذى يوقع الباحث فى حيرة شديدة للتعرف على مقدرها كما أن الأختلاف فى أسعار الرقيق راجعاً إلى الخصائص والميزات فى العبد أو الجارية وهى تختلف من عصر إلى آخر[1]

ولقد عبر المقدسى[2] (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م) عن مدى الدهشة من رخص أسعار القيروان بقوله: "القيروان مصرّ الأقليم بهى عظيم الأخباز، جيد اللحوم، قد جمع أضداد الفواكه، والسهل والجبل، والبحر والنعم مع علم كثير، مع رخص عجيب. اللحم خمسة أمناء بدرهم والتين عشرة، ولا تسال عن الزبيب والتمر والأعناب والزيت".

وعلى الرغم من صدق المقدسى فى كتاباته ومشاهداته، لكننا لا نأخذ قوله أساساً ثابتاً لحالة الأسعار، لأنها تتغير من وقت إلى آخر فى البلد الواحد.

وعلى أية حال، فإن قوائم الأسعار للسلع المختلفة فى وقت الأزمات الاقتصادية، والمجاعات حيث ترتفع الأسعار أو فى زمن السلم حيث يسود الأستقرار، ويعم الرخاء، وتنخفض الأسعار. فإن تلك القوائم فى كلتا الحالتين لا تعبر تعبير سليماً عن الحالة الاقتصادية حينذاك بدقة. ولكن لفهمها حق الفهم ينبغى علينا التعرف على القيمة الشرائية للعملة المتداولة فى أوقات مختلفة.[3]

٣- الموازين والمكاييل

تعدُّ الموازين والمكاييل عنصراً أساسياً من عناصر تنظيم التعامل التجارى فى الأسواق[4]. ولقد اختلفت الموازين والمكاييل فى أرجاء الدولة الإسلامية[5] من إقليم لآخر فى مقاديرها، ومصداقا لذلك قول الشيزرى[6]: "وقد اصطلح أهل كل إقليم وبلد فى المعاملة على أرطال، تتفاضل فى الزيادة والنقصان".

ومن هذا المنطق حرص التُّجار على ذكر نوع الكيل أو الوزن فى وثائق البيع أو الشراء[7]

---

(١) الحبيب الجنحانى، ص٦٦.
(٢) أحسن التقاسيم، ص٢٢٤-٢٢٥.
(٣) عبد المنعم سلطان، ص٨٣.
(٤) برنشفيك، ص٢٥٩.
(٥) ابن الأخوة، ص١٣٨.
(٦) نهاية الرتبة، ص١٥.
(٧) عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادى فى المغرب الاسلامى، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٢٩٧.

وعرفت أسواق القيروان عدة أنواع من الموازين والمكاييل المختلفة وسوف نتعرف على كل منهما على حدة.

أ- الموازين

تعامل أهل المغرب في العصر الأموى بالموازين المصنوعة من الرصاص والزجاج. ومن أقدمها صنج بلورى أخضر اللون كشفت عنه الحفريات الأثرية في منطقة القيروان نقش على وجهه العبارة التالية: "بسم الله أمر عبيد الله بن الحبحاب مثقال نصف أوقية[1] واف". كما عثر على قطعة أخرى مكتوب عليها: "بسم الله مما أمر به حنظلة بن صفوان، مثقال دراهم واف[2]".

ولقد أشار المقدسى إلى أن صنج القيروان كانت من زجاج مطبوع[3]. ونال الرطل البغدادى شهرة واسعة في التعامل التجارى في أسواق القيروان في عصر الأغالبة على حد قول المقدسى[4]: "أما الأرطال فكانت بغدادية في الإقليم كله، إلا الذى يوزن به الفلفل فإنه يشف على البغدادى بعشرة دراهم" وعد الفقهاء الرطل البغدادى أساساً لقياس جميع الموزونات والمكاييل الداخلة في الحقوق الشرعية والمعاملات الدارجة في الأسواق[5]. واختلف الفقهاء في تقدير وزن الرطل البغدادى. فقيل إنه (١٢٨) درهماً، وقيل (١٣٠) درهماً[6] بما يعادل (٢٥,٤٠٦) غراماً.[7] وقدر البكرى زنة رطل اللحم والتين في القيروان بعشرة أرطال فلفلية[8].

---

(١) المثقال اسم لما له ثقل سواء أكان صغيراً أم كبيراً. وهذا يدل عليه ما ورد في القرآن الكريم في سور يونس وسبأ والأنبياء. ومن هذا المعنى اشتق استعماله كأسم آلة من الوزن. فأطلق على كل صنجة يوزن بها.

- ابن الرفعة: الايضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، حققه / محمد أحمد إسماعيل جامعة الملك عبد العزيز، السعودية (د.ت) ص٤٦، حاشية (٨).

(٢) يحيى بن عمر، ص١٠٠، حاشية (٥٥). - حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات، ج١، ص٤٢٠-٤٢١.

(٣) المقدسى، ص٢٤٠.

(٤) المقدسى، ص٢٤٠.

(٥) ابن الرفعة، ص٥٥، حاشية (٥).

(٦) ابن الرفعة، ص٦٥. ابن الأخوة، ص١٣٨.

- هنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة / كامل العسلى، منشورات الجامعة الأردنية د.ت، ص١٨.

- بدر عبد الرحمن محمد: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامى، الطبعة الأولى، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٢٨٦.

(٧) هنتس، ص٣٦.

(٨) البكرى، ص٢٧

ب- المكاييل

ساد فى أسواق القيروان عدة أنواع من المكاييل وهى المستعملة فى عمليات البيع والشراء.

(١) القفيز

القفيـز فـى اللغـة ثمانـية مكاكيك وجمعه أقفزة وقُفْزان، وكان معروفاً عند العرب قبل الإسـلام، وهـو مـن أصـل آرامى من كلمة قفيزا[١]، وحدد البكرى مقدار القفيز السائد فى أسـواق القيروان وأعمالها بثماني ويبات. أو (٢٠٤) أمداد بمد النبى ﷺ.[٢]

واعـتاد أهـالى القـيروان علـى كـيل الحـبوب والـمواد الجافة بالقفيز الذى يقدر بـ (٨) ويبات، و(٣٢) ثمنة، وستة أمداد.[٣] وكان قفيز الزيت يقدر بحوالى ثلاثة أرطال فلفلية[٤]

(٢) الويبة

كانـت الويـبة مـن وحدات الكيل المعروفة فى أسـواق القيروان؛ وحـدد البكرى مقدارها بأربعة أثمان.[٥] وتقدر الويبة بنحو خمسـة عشر مناً[٦]. أو (٢٤) مداً.[٧]

(٣) الثُمنة

الثمـنة مـن المكايـيل التى اسـتخدمت فى كيل القمح[٨] والشـعير[٩] بكثرة وأشـار المالكى إلى أن ثُمـن القمـح يكفـى لإطعام الفرد سـتين يوماً[١٠]. وقدرت الثُمنة بنحو سـتة أمداد بمد أوفى من مد النبى ﷺ.[١١]

---

(١) سامح عبد الرحمن فهمى : المكاييل الإسلامية فى صدر الإسلام، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة١٩٨١م، ص٣٧.

(٢) البكرى، ص٢٦ـ٢٧.

(٣) المقدسى، ص٢٤٠. ـ الهادى روجى إدريس٢ / ٢٦٥.

(٤) البكرى، ص٢٧.

(٥) البكرى، ص٢٦.

(٦) المقدسى، ص٢٠٤.

Goitien:A Mediterrean socity of the High midle Ages, V.1, Las Angelos, 1987,p.361.

(٧) محمد ضياء الريس : الخراج والنظم المالية، الطبعة الخامسة، دار التراث، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٣٣١

(٨) المالكى ٢ / ٢٣٥.

(٩) المالكى٢ / ٣١.

(١٠) المالكى ٢ / ٢٣٥.

(١١) المقدسى، ص٢٤٠. المالكى٢/ ٢١٧. البكرى، ص٢٦.

(٤) المد

المد مشتقة من الكلمة اللاتينية Modius أو Modiun وهو مكيال كان يستخدم عند الرومان للسوائل والجوامد، ويختلف عندهم باختلاف البلدان.[١] وزنة المد رطل وثلث[٢]. والمد القروى يساوى (٧٧٨٨، ٥ لتراً)[٣]. وكان أهل المغرب يخرجون زكاة الفطر بالمد القروى.[٤]

(٥) المطر

المطر كيل يسع خمسة أقفزة من الزيت[٥].

(٦) الصنجة أو الصفحة

تعادل الوسق الذى يقدر بحوالى (٦٠) صاعاً نبوياً.[٦]

(٧) القسط

القسط[٧] من المكاييل الإسلامية قدره ابن سلام بنصف صاع[٨]. وكان مألوفا فى التعامل عند أهل القيروان. وتستخدم لكيل الزيت. وثمة دليل على ذلك مما ذكره المالكى[٩]: من أن رباح بن يزيد مر بعبد الله بن غانم، وبيد رباح قسط زيت فقال له ابن غانم أحمله لك يا أبا يزيد ؟ فقال رباح "شأنك به" وابن غانم إذ ذاك على القضاء فدفع إليه القسط ".

(٤) طرق البيع والشراء

تعددت طرق البيع والشراء فى أسواق القيروان. ومن الوسائل التى كان التجار يتبعونها أنه إذا دخل المشترى السوق، أو مر على دكان فإن من التجار من يناديه

(١) سامح عبد الرحمن فهمى، ص٣٠.

(٢) ابن سلام : الأموال، مؤسسة ناصر للثقافة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨١م، ص٢١٠.

(٣) الهادى روجى ادريس ٢ / ٢٦٤. هامش (١٠).

(٤) كمال السيد أبو مصطفى، ص٨١.

(٥) البكرى، ٢٧.

(٦) يحيى بن أدم : كتاب الخراج، صححه وشرحه/ أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، دار التراث. القاهرة د.ت، ص١٣٣ ابن منظور : لسان العرب، مادة (وسق). ابراهيم حركات، ص١٥١.

(٧) القسط مكيال إسلامى أصله من اليونانية Xests وباللاتينية Sextarius. ـ سامح عبد الرحمن فهمى، ص٣٣.

(٨) ابن سلام، ص٢٠٧.

(٩) رياض النفوس، ج١، ص١٤٥. عياض ٣ / ٧٣.

ويغريه ببضاعته. بينما يكون واقفاً أمام دكان آخر[1]، وفي هذا الصدد يقول ابن الحاج (ت ٨٣٧هـ/١٤٣٣م) أن المساومة والمرابحة هما: الوسيلتان المتبعتان بين البائع والمشترى[2] حيث يضع أحدهما يمينه في يمين الآخر فإذا قال البائع: بعت وقال الشارى اشتريت ترك كل يد صاحبه وتم البيع والشراء.[3]

أ- الباعة الجائلون

وعرفت أسواق القيروان الباعة الجائلين الذين ينادون على بضاعتهم في الشوارع. وكانت أسعارهم أقل مما يباع في الدكاكين. يقول عياض[4]: "قال أبو الحسن بن الخلاف، لما جعل على الملح القبالة[5] بالقيروان، أرسلني أبو الفضل لأشترى ملحاً من فرن نقض تحريا. ووجهه مرة، ليشترى له سلعة من السوق. فقالا: "لا تشترها من صاحب دكان، فيلزمنا الكراء[6] بمقدار مقامها عنده، لكن اشترها في المناداة".

ومما لاريب فيه أن هؤلاء الباعة كانوا مصدر إزعاج لأصحاب الحوانيت التي يقفون أمامها، أو قريباً منها.[7]

وينقسم الباعة الجائلون قسمين: قسم يفترش الأرض، وعرف باسم أرباب المقاعد. وهم أولئك الذين كانوا يبيعون شتى أنواع المأكولات والمشروبات والفواكه. والقسم الآخر هو الذي يسير في الطرقات وأفراده ينادون على بضائعهم، ويصلون إلى المنازل. ليعرضوا سلعهم على أربابها.[8]

---

(١) ابن الحاج: المدخل إلى الشريف، الجزء الثالث، القاهرة، ١٩٢٩م، ص٤٩.

(٢) نفسه ٣ / ٥١.

(٣) آدم متز ٢ / ٣٢٨.

(٤) ترتيب المدارك ٥ / ٣٠٠.

(٥) هو الذى عرف بنظام الالتزام، والقبالة الضريبة، التى تدفع لبيت المال. كما كان يقصد بها الضرائب غير الشرعية. وفرضت في المغرب والأندلس على أصحاب الحرف والصناعات والباعة والتجار في الأسواق. كمال السيد أبو مصطفى، ص٩٢.

(٦) الكراء لا يجار أو أجرة المستأجر. انظر: ابن منظور لسان العرب مادة (كرا).

(٧) عبد المنعم سلطان، ص١٩.

(٨) قاسم عبده قاسم، ص١٦٨-١٦٩. محمد عبد الستار عثمان، ص٢٩٠.

عبد الحافظ عبد الخالق يوسف، ص١٠٣.

ب- المقايضة

كانت المقايضة من أقدم أساليب التعامل التجاري السائدة في المجتمعات الإنسانية قبل اكتشاف العملة وبعدها.

وعرف تجار القيروان المقايضة فى تعاملتهم التجارية. فكانوا يقايضون الشعير بالبقل فى طنجة.[1]

وأشار المالكى إلى مقايضة إسماعيل بن رباح أحد فقهاء القيروان (ت٢١٢هـ/٨٢٧-٨٢٨م) ثوبه الجديد بآخر قديم لرجل من أهل الساحل شفقة بحاله.[2]

ج- المضاربة

وتقوم على أساس عقد بين طرفين على أن يدفع أحدهما (وهو صاحب رأس المال) مبلغاً من المال للشخص الآخر (وهو المضارب) ليتجر فيه. على أن يكون الربح بينهما مناصفة، أو بحسب ما تم الاتفاق عليه[3]. بواقع (الثلث) أو (النصف) أو (الثلثين).[4] وقد أقر الإسلام هذا النظام من التعامل التجارى، وحكمة الإسلام فى إقرارها هى فتح مجال العمل والاستثمار أمام الناس، ويتحقق التعاون بين المال والعمل على الإنتاج، ويعود النفع على الطرفين[5] وثمة دليل على معرفة أهالى القيروان للمضاربة مما ذكره الخشنى[6]: "أن خادم جبلة بن حمود الصدفى أحد رجال سحنون أتاه رجل جزار، فسأله أن يعطيه دنانير قراضاً فدفع إليه نحو الثمانية مثاقيل، فأكلها الجزار، واستهلكها...".

---

(١) المالكى ٢/ ١١٩.

(٢) المالكى ١/ ٢٤٢.

(٣) محمد الصادق عفيفى : المجتمع الإسلامي وفلسفته المالية والاقتصادية، الجزء الثانى، مكتبة الخانجى، القاهرة ١٩٨٠م، ص٢٣٧. ـ أحمد عبد الهادى طلخان : مالية الدولة الإسلامية، مكتبة وهبه، القاهرة د.ت، ص٨٦.

ـ الهادى السعيد عرفه : أصول المضاربة الإسلامية، مكتبة الجلاء، المنصورة ١٩٨٩م، ص١٧.

(٤) أحمد عبد الهادى طلخان، ص٨٦.

(٥) محمد الصادق عفيفى، ص٢٣٧.

(٦) قضاة قرطبة وعلماء أفريقية وتونس، ص١٩٦.

وكان أهل القيروان يضاربون بأموالهم لكي يستثمروها. ولو بدينار واحد يعهد به واحد لصديقه مقابل تحصيل دنانير كثيرة كنصيب في الربح فيما بعد.[1]

د- السلف

عرف أهل القيروان نظام (السلف) في تعاملهم التجاري، حيث كانوا يقومون بشراء حاجتهم من البائعين إلى أجل، نستدل على ذلك مما ذكره الزبيدي[2] والمالكي[3] في ترجمة عبد الملك بن قطن المهري (ت ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م). أحد علماء القيروان: "ومشيت مع أبي الوليد المهري إلى أن مررنا بالجزارين، فقام إليه رجل منهم. فقال يا أبا الوليد، أضررت بي. لأن بضاعتي كلها عندك. ولابد من قبض مالي قِبلك، فاعتذر إليه، وسأله الصبرَ عليه فأبى ومر بنا رجل فقال للجزار : كم لك على الشيخ فقال : عشرة دنانيير. فقال هي عليَّ، مرحتي أدفعها إليك...".

كما ذكر المالكي أنه كان لقوم من النخَّاسين عند البهلول بن راشد عشرون ديناراً[4] وتشير إحدى وثائق الجنيزة إلى أن أحد تجار القيروان اقترض ثلاثمائة دينار من تاجر فارسي في الطريق على أن يقوم بسداده لدى وصولهما إلى القيروان.[5] كما اقترض إسحاق بن ابرهام مبلغاً من المال من أحد التجار، وتعهد بسداده له في القيروان[6]

هـ- الاحتكار

عرفُ ابن تيمية[7] المحتكر بقوله: "هو الذي يعمد إلى شراء ما يحتاج إليه الناس من الطعام فيحبسه عنهم، ويريد إغلاءه عليهم وهو ظالم للخلق المشترين ".

---

(١) Marcais : op cit., p.84. جورج مرسيه، ص٩٧.

- ذكر القاضي عياض : ترتيب المدارك، ج٦، ص٢٢٣، ٢٢٨ : " أن أحد أصحاب ابي بكر أحمد بن علي الذي تولى للأغالبة الخراج ثم أرتقى للوزارة.. أتاه صبي بدينار فقال له شيخ من أصحابه أعطني هذا الدينار أعمل لك فيه عملاً. فلم ازل أتجر به سنين كثيرة حتى حصل به من الزيت ما يساوي ستين ديناراً وعلا الزيت ".

(٢) طبقات اللغويين والنحويين، ص٢٣٢.

(٣) رياض النفوس ١ / ٣١٢.

(٤) نفسه، ١ / ١٣٧.

(٥) Goitein : Op Cit. VI., p. 60.

(٦) Mann: Txtes and studies in Jewish History and Literature, V.I, New York. 1972,.360.

(٧) الحسبة ومسئولية الحكومة الإسلامية، تحقيق صلاح عزام، الطبعة الأولى، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٢٤

ولا يجوز احتكار الطعام من سائر الأقوات، بشرائه وقت رخصه. وبيعه عندما يرتفع سعره.[1]

ويبدو أن بعض التجار في القيروان لجأوا إلى احتكار بعض السلع وثمة دليل على ذلك ما نقله الدباغ[2] عن أبي بكر اللباد قائلاً: "أدركت رجالاً بالقيروان أمليا افتقروا ما دخلوا فتنا ولا أغرمهم سلطان إلا أبحروا في الحنطة أيام الشدائد. يريد أنهم اشتروا الطعام في الرخاء، ليبيعوه في أيام الشدائد".

ويشير أحد الباحثين إلى أن نظام الاحتكار يمثل منعطفاً فائق الحساسية في تاريخ أسواق القيروان نظراً لسنوات القحط التي كانت تصيب أفريقية ومنطقة القيروان من فترة لأخرى.[3]

و- الشراكة

عرف نظام (الشراكة) بين التجار في القيروان. فقد ذكر القاضي عياض أنه كانت توجد شراكة في القطن بسوق الأحد بين عبد الجبار بن خالد بن عمران من أصحاب سحنون وحمديس القطان.[4] وكذلك قامت شراكة بين سيدات البلاط الأغلبي، وفي مقدمتهن والدة الأمير إبراهيم بن احمد بن محمد بن الأغلب تاسع أمراء الأغالبة (٢٦١-٢٨٩هـ/٨٧٤-٩٠٢م). وبعض التجار يتضح ذلك مما أورده النويري بقوله: "ووقف له رجلان من أهل القيروان، وهو بالقصورة في جامع رقادة فادناهما إليه وسألهما عن حالهما. فقالا له: "كنا شريكين للسيدة. (يعنيان أمه) في جمال وغيرها. فاحتبست لنا ستمائة دينار".فأرسل إليها خادماً فقالت:" نعم هو كما ذكر إلا أن بيني وبينهم حساباً. وإنما احتبست هذا المال حتى أحاسبهما. فإن بقي عليهما شيء، وإلا دفعت ما لهما إليهما". فقال للخادم: "ارجع إليها وقل لها: والله، لئن لم توجي بالمال وإلا أوقفتك الساعة معهما بين يدى عيسى بن مسكين – قاضي القيروان – فوجهت بالمال إليه فدفعه إليهما ".[5]

---

(١) الشيزري، ص١٢.

(٢) معالم الإيمان ٣/ ٢٣-٢٤.

(٣) الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص٥٩.

(٤) عياض٤/ ٣٨٥.

(٥) النويري٢٤/ ١٤. محمد الطالبي، ص٣١١. جورج مارسيه، ص٩٨

(٥) المنشآت التجارية

أ- الفنادق

رحبت حكومة الأغالبة بتدفق حركة النشاط التجارى على القيروان؛ من سائر البلاد. وقدمت كافة التسهيلات للتجار لممارسة نشاطهم التجارى. وتطلب الأمر توفير فنادق لنزولهم[١]. وقد خصصت الفنادق لنزول التجار الأوربيين والفندق كلمة معربة ترجع أصولها إلى اللاتينية أو اليونانية. Fondaca أو pandokion[٢].

ومما يثير الدهشة حقاً، أن أحد الأثرياء من التجار الأندلسيين ويدعى أبا جعفر بن خيرون امتلك بعض الفنادق بالقيروان[٣]. وكان موقع فنادق القيروان على مقربة من الجامع[٤]. ولا نستطيع أن نجزم لمن كانت تؤول ملكية باقى الفنادق، هل كانت ملكاً للدولة أم التجار؟

وكان الفندق يتألف من بهو مستطيل أو مربع تدور به مجنبات أو ممرات تطل على هذا البهو، وتتوزع غرف الفندق وراء هذه الممرات ويخصص الطابق الأراضى من الفندق للمخازن، التى تخزن فيها بضائع التجار الأوربيين.

أما الطابق العلوى، فيحتوى على حجرات النزلاء، ومخازن البضائع المعدة للبيع[٥].

ب- القياسر

كلمة قياسر من أصل يونانى معناه السوق الامبراطورية، ويقصد بها البناء الملكى، أو الإمبراطوري وهى أسواق ملك للدولة[٦]. وهى عبارة عن منشآت تجارية فى شكل مبان، كانت داخل الأسواق بالمدينة، تضم داخلها عدة حوانيت للتجارة، وتختلف عن السوق فى أنها مسقوفة. [٧]

---

(١) آدم متز ٢ / ٣٢٧. محمد محمد زيتون، ص١٦٤.

(٢) محمد أحمد زبود، ص٢١٩.

(٣) ابن عذارى ١ / ١٦٩.

(٤) أبو العرب، ص١٤٣.

(٥) السيد عبد العزيز سالم ، ص٢١٦.

ـ وانظر : عطية القوصى : تجارة مصر فى البحر الأحمر ، القاهرة ١٩٧٦م، ص١٩٩ـ٢٠٢.

(٦) السيد عبد العزيز سالم ، ص٢١٨. محمد أحمد زبود، ص٢٢٠. ـم. شتريك، ص٨٤٦٠ـ٨٤٦١.

(٧) محمد محمود أبو زيد : النيل ومصر ، دار الهداية، القاهرة د.ت، ص١١٣.

وكانت تلك القياسر تضم مجموعة كبيرة من الحوانيت الجديدة، التى شيدها زيادة الله الأول (٢٠١-٢٢٣هـ/٨١٧-٨٣٨م) وكانت تباع فيها السلع النفيسة[١]. وكانت توجد فى بعض القياسر مساجد لتجار المسلمين، ويعلوها رباع ذات مساكن، يقيم فيها الصناع والتجار الأجانب.[٢]

أما عن تخطيط القيساريات فكانت تحتوى على دكاكين، لم تكن مبنية على جانبى الشارع، مثل الأسواق بل إن كل قيسارية كانت قائمة بذاتها. وكانت إما مستطيلة أو مربعة تصطف الدكاكين بداخلها، وكانت لها أبواب خارجية تبلغ أحياناً سبعة أبواب تغلق أثناء الليل، ويشرف على حراستها حارس أو حارسان. وكان يعلو هذه المحلات ربع يسكنه الأجانب وغيرهم.[٣]

وهذا النوع من المنشآت التجارية كان يلبى حاجات التجار حيث يوفر لهم الحوانيت الآمنة والمساكن التى تعلو حوانيتهم للتجار الغرباء. كما أنه يحفظ البضائع من الشمس والمطر.[٤]

(٦) الصادرات والواردات

أ- الصادرات

كانت القيروان تصدر إلى الإسكندرية القمح[٥] وإلى مصر الثياب الكتانية، والذهب والفضة، والحرير، والمعادن كالنحاس والرصاص والزئبق، وزيت الزيتون، والعسل، والصابون، والشمع، والزعفران.[٦]

وشاركت القيروان مدن المغرب الأخرى فى تصدير التمور، والقرظ، واللبود، والبزاة السود إلى العراق.[٧]

(١) حسين مؤنس ١ / ٢٩٣.
(٢) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق، دار الفكر العربى، القاهرة د.ت، ص١٦٠ـ١٦١.
ـ صفاء أحمد حافظ : الموانى والثغور المصرية، دار الفكر العربى، القاهرة د.ت ص ١٩٣ـ١٩٤.
(٣) آمال العمرى، ص١١٨.
(٤) محمد عبد الستار عثمان : مرجع سابق، ص٢٥٧.
(٥) أرشبالد، ص٢٥٣. جورج مارسيه، ص٩٧.
(٦) أمين الطيبى ، ص ٤٥٧ ـ ٤٥٨.
(٧) الجاحظ : التبصر بالتجارة، الطبعة الثانية، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٣٥م، ص٢٧.

وعلى الرغم من تعكر صفو العلاقات السياسة بين القيروان وبعض البلدان الأوربية. فقد نجح أمراء الأغالبة فى عقد صفقات تجارية ناجحة بين القيروان، وصقلية[1]، وامالفى[2]، والأندلس.[3]

ب. الواردات

ارتبطت القيروان بعلاقات تجارية وطيدة مع العراق بحكم التبعية السياسية للخلافة العباسية. وتم تبادل السلع الهامة بين القيروان وبغداد فاستوردت القيروان القاشانى. وهو نوع من الأجر المفخور الذى تزين به قبب المساجد المشهورة بالعراق.[4]

كما استوردت القيروان من مصر الكتان[5]، وقماش البوقلمون الذى اشتهرت به مدينة تنيس. وهو قماش فاخر يندر وجوده فى غيرها. ومن مميزاته أنه يتغير لونه بتغير ساعات النهار[6]. إضافة إلى التوابل والمنتجات الهندية التى جلبت للقيروان عن طريق مصر.[7]

أما عن وارادات أفريقية من الأندلس فهى الأسلحة والحرير الخام والمشغول والثياب الصوفية.[8] والصباغ التى اختصت بها الأندلس لصبغ اللبود المغربية المرتفعة الثمن والحريرية[9] بالإضافة إلى الجوارى الأندلسية[10].

---

(١) أرشيبالد، ص٢٥٣.

(٢) هايد : تاريخ التجارة فى العصور الوسطى، الجزء الأول، ترجمة/ أحمد رضا محمد، مراجعة/ عز الدين فوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م، ص١١٥.

- بيرين : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى، ترجمة وتحقيق / عطية القوصى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١١.

(٣) ابن حوقل، ص٨١. أرشيبالد، ص٢٥٣.

(٤) بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة / نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكى، الطبعة الحادية عشرة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٨م، ص٢٤٨. - حمدان عبد المجيد الكبيسى، ص٢١٩.

(٥) هايد : تاريخ التجارة فى العصور الوسطى، الجزء الرابع، ترجمة / أحمد رضا محمد، مراجعة / عز الدين فودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤م، ص١٣٦.

- اشتور : التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط فى العصور الوسطى، ترجمة / عبد الهادى عبلة، مراجعة/ أحمد غسان سباتو، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٥م، ص٢٤٨.

(٦) ناصر خسرو، ص٩٢.

(٧) اشتور، ص٢٤٨.

(٨) عفيفى محمود إبراهيم : مظاهر الحضارة فى بلاد المغرب، ص١٩٣.

(٩) ابن حوقل، ص١١٤.

(١٠) ابن خرداذبة : المسالك والممالك، ص٩٣.

ومن جزيرة يابسة يجلب الملح والخشب[١]. ومن صقلية الجوز واللوز والقسطل والفستق والبندق.[٢]

(٧) طرق التجارة

لقد أمدتنا كتب الجغرافية والرحالة بمعلومات وافية عن طرق التجارة في المغرب والمسافات بين كل مدينة وأخرى والمدن الواقعة عليها. ومن الضروري أن نشير إلى جهود الأغالبة في توفير الأمن عليها وتطهيرها من قطاع الطرق واللصوص ببناء المحارس، ونقاط التفتيش؛ لحماية القوافل الواردة إلى القيروان والصادرة منها.[٣]

ويتجلى أثر ذلك، بوضوح، في نشاط حركة القوافل التجارية بين القيروان وسائر مدن المغرب الأخرى ومصر وبلاد السودان. فقد تدفقت السلع من تلك البلدان. وهي تنعم بالأمن والطمأنينة، قادمة إلى القيروان.

ومن هذا المنطلق تبدو أهمية دراسة تلك الطرق التجارية ومسالكها المعبدة بين القيروان والبلدان الأخرى.

وبادئ ذي بدء سوف نقسم طرق التجارة الداخلية قسمين هما :

(١) الطرق التجارية التي تربط القيروان بالمدن الساحلية

ارتبطت القيروان بشبكة واسعة من الطرق البرية التي تربطها بمدن الساحل وهي: طرابلس[٤]. وسوسة[٥]، وتونس[٦]. وقابس[٧]، وطبرقة[٨].

---

(١) الزهرى، ص١٢٨.

(٢) الزهرى، ١٣١.

(٣) ابن الأثير ٦ / ٥. ـ آدم متز، ٢ / ٣٥٤. ـ السيد عبد العزيز سالم، ص٣٢٧.

ـ سيديو : تاريخ العرب العام، ترجمة/ عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٤٨م، ص٢٧٩.

Hirchberg : A History of the Jews in North AFrics, V.I, Liden, 1974.p.259. ـ

(٤) يبدأ هذا الطريق من طرابلس ماراً ببئر الحمالين، وقصر الدورق، وبارحت والفوارة، وقابس، والزيتونة، وكتامة، والكبس ثم القيروان. ـ المقدسي، ص٢٤٦.

(٥) يبدأ هذا الطريق من القيروان وتسير فيه قوافل التجارة حتى تصل إلى سوسة ويبلغ ستة وثلاثين ميلا.

ـ البكري، ص٣٤ـ٣٥.

(٦) ترتبط تونس بالقيروان بطريق يبلغ طوله مائة ميل ويمر بالبلدان التالية فندني، ومنستير عثمان، حتى يصل إلى القيروان. ـ البكرى، ص٣٧.

(٧) يربط قابس بالقيروان طريق يمر بمنطقة، وغرنة، وسبيبة، ومدينة القصر، ثم المهدية.

(٨) يربط طبرقة بالقيروان طريق يمر بمنستير عثمان، ومدينة باجة، وباسلي وطبرقة حتى تصل إلى قلاع بنزرت من طبرقة إلى مرسى تونس. ـ البكرى، ص٥٥ـ٥٨.

وبونـة[١]، ومرسـى الزيتونة[٢]، ومرسـى الدجاج[٣]، وتنس[٤]، ووهران[٥]

(٢) الطرق التجارية البرية التي تربط القيروان بمدن الظهير الصحراوى

كانـت القـيروان بمـثابة حلقـة وصـل بـين السـاحل والظهير الصحراوى. وقد سـبقت الإشـارة إلى الطرق التى تربط القيروان بالسـاحل.

ونـنتقل إلى إلقـاء بعـض الضـوء علـى طرق الظهـير الصـحراوى، فلقد ارتبطت القيروان بعـدة طـرق بـرية بكـل مـن نكـور[٦]، وقلعـة ابـى طـويل[٧]، وأرشـقول[٨]، وفـاس[٩]، والسـوس[١٠] الأقصى، وسـجلماسة[١١]، وزويلة[١٢]، ونهر النيجر[١٣]

---

(١) يربط بونة بالقيروان طريق يمر بجلولا، ولجر، والفهمين، وجزيرة أبى حامة، والأنصاريين. ـ البكرى، ص٥٥.

(٢) بربط مرسى الزيتونة بالقيروان طريق يمر بمجانة، وتبجس، ولسطنطينة، وميلة. ـ البكرى، ص٦٣ـ٦٤.

(٣) بربط مرسى الدجاج بالقيروان طريق يمر بالمسيلة، واوزلور، وسوق ماكس، وسوق حمزة. ـ البكرى، ص٦٥.

(٤) يربط تنس بالقيروان طريق يمر بالغزة، وتاجنة. البكرى ، ص٦٦.

(٥) يربط وهران بالقيروان طريق يبدأ من وهران إلى تانسالمت، وجراءة، وقصر بن سنان، والجادة، وهناك طريق آخر يربط وهران بالقيروان ماراً على بلاد قسطيلية. البكرى، ص٧١.

(٦) بربط نكور بالقيروان طريق يمر بيصليتن على نهر لمامان، ونهر كرط، وفلوع جارة إلى وادى ملوية، إلى مدينة جراوة. البكرى، ص٩٩.

(٧) يبدأ الطريق الذى يربط القيروان بقلعة ابى طويل بوادى الرمل، وسبية، وقلعة الديك، والسكة، ومحانة المطاحن، ونهر ملاق. البكرى، ص٤٩.

ـ ومسيكانة، وباغاية، ومامسلس، وبلزمة لمزاتة، واللوز، ونقاوس، وطبنة ومعزة حتى يصل إلى قلعة ابىطويل.

ـ وهناك طريق آخر من القيروان إلى قلعة أبى طويل ويمر بالبلدان التالية ونهر ملاق، وتامديت وتبغاش...

ـ البكرى ، ص٥٠ـ٥٤.

(٨) يبدأ هذا الطريق من أرشقول ويمر باسلن، وقصر بنى سنان، وتاهرت... البكرى ، ص٧٩.

(٩) ابن خردانبة ، ص١٥٤ ـ ١٥٥ . اشتور، ص١٢٤.

(١٠) البكرى، ص٣٧.

(١١) الاصطخرى، ص٤٦ . المقدسى، ص٢٤٦.

كانت التجارة بين المغرب والسودان الغربى قائمة على نطاق واسع حتى أن نظام الصكوك أستخدم لتسير العمليات التجارية. ـ أمين توفيق الطيبى : دراسات وبحوث فى تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٤م، ص ٣٠٤.

(١٢) المقدسى ، ص٢٤٦.

(١٣) أمين توفيق الطيبى ، ص٣٠٢.

٢- طرق التجارة الخارجية :

كانت القيروان ترتبط بدار الخلافة العباسية في بغداد عن طريق برى ذكره ابن خرداذبة أن الطريق بين بغداد والمغرب كان مُعبدًا ومأمونًا فكانت القوافل تخرج من بغداد وتمر بالأنبار، وهيت، والناووسة، ووادى السباع، والجردن، والرقة، وحران، والرها وسميساط، وتل موزن، والخابور، وحلب، وقنسرين، وحمص، ودمشق، وطبرية، والرملة، والفسطاط، والإسكندرية، وبرقة ومنها إلى القيروان.(١)

وترتبط القيروان بالفسطاط بطريق كان يبدأ من الفسطاط إلى ذات السلاسل، وترنوط، وكوم شريك، الرفقة، قرطسا، الكريون، الإسكندرية بومينة، ذات الحمام، قصر الشماس، خربة القوم، خرائب أبى حليمة، العقبة، مرج الشيخ، حى عبد الله، جياد الصغير، جب الميدعان، وادى مخيل، جب حليمان، المغار، تاكيتست، الندامة، برقة حتى يصل إلى القيروان(٢).

ويبدو أن حركة القوافل قد نشطت بين القيروان ومصر ودمشق في فصل الشتاء؛ لصعوبة السير في الطريق البحرى(٣).

وكان هناك طريق يربط القيروان بالإسكندرية، لم تنقطع الحركة فيه ليلاً ونهاراً وكانت العمارة متصلة من مدينة الإسكندرية إلى القيروان(٤).

كما برزت مكانة القيروان التجارية عندما تحول طريق التجارة القديم لتجارة الذهب والرقيق من بلاد السودان والمشرق، فقد ترك الطريق التجارى الرابط بين غانة ومصر عن طريق بلاد النوبة، لما كان يمثله من خطر القوافل، ولكثرة العواصف الرملية به وأصبح الطريق يمر ببلاد المغرب من القيروان، إلى بلاد الجريد، ووارجلان، وتاهرت، وتلمسان، وفاس، وسجلماسة مراكز تجارية نشطة تتفرع منها شبكة مسالك متعددة. (٥)

---

(١) ابن خرداذبة، ص٧٢-٨٧. محمود إسماعيل : الأغالبة، ص٧٢.

(٢) ابن خرداذبة ، ص٨٤-٨٧. قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة، نشر وتحقيق / محمد حسين الزبيدى، دار الرشيد للنشر، القاهرة، ١٩٨١م، ص١٢٣-١٢٤.

(٣) Goitein.S.D : Mediterranean trade in the Eleventh Century : Some Facts and problems (studies in the Ecnomic History of the middle East) Edited by M.A cook,.London,1970, p.58.

(٤) المراكشى ، ص٣٤٧.

- حسن خضيرى : علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولى، القاهرة د. ت، ص٩٦.

(٥) الحبيب الجنحانى : المغرب الإسلامى، ص٢٣ - ٢٤.

الفصل الرابع

النظم المالية والرقابة على الاسواق

أولاً : النظم المالية

١- المكوس على الأسواق :

كانت الضرائب على الأسواق من أهم موارد الدخل في عصر الأغالبة، وقد عرفت بالمكوس؛ وهي رسوم تفرض على السلع المباعة[١]، والدكاكين[٢]، وكراء الحوانيت[٣]. ولا نعرف مقدارها على وجه الدقة.

وفرضت رسوم على أبواب القيروان، عرفت باسم "حق الباب" على حد قول المالكي[٤]. الذي يشير إلى ذلك في ترجمة إسماعيل بن رباح أحد فقهاء القيروان، الذي رغب في شراء دابة من القيروان. فقيل له: "أنهم يأخذون ربع درهم على الباب" فرجع وقال: "والله لا أشتري من ههنا وليس ما ذكرتهم. ولكن يقال فلان أعطى حق الباب، فيرون أنه حلال". والظاهر أن تراجع إسماعيل يعود إلى أن حكومة الأغالبة أحكمت الرقابة على التجار بدفع الضرائب. وفي هذا الصدد يقول البكري[٥]: "ولا سبيل لتاجر ولا وارد أن يدخل مدينة القيروان ما يجب عليه فيه المكس إلا بعد جوازه على مدينة صبرة ". ومن الملاحظ أن النشاط التجاري في صبرة كان يمثل جزءاً من النشاط التجاري في مدينة القيروان[٦].

ونظر فقهاء القيروان إلى هذه الضرائب غير الشرعية بعدم الرضا. وأعلن بعضهم عدم جواز مرتبات القضاة منها[٧] ويبدو أن سر تجاهل حكومة الأغالبة لمطالب الفقهاء كان راجعاً إلى التزامات الدولة المختلفة من دفع المرتبات، وتسديد نفقات الجيش وخلافه.

---

(١) المقريزي ٢ / ١٢١ .

(٢) المقدسي، ص٢٢٥ .

(٣) ابن الدباغ ٢ / ٣٨ .

(٤) رياض النفوس ١ / ٢٤٢ .

(٥) المغرب : ص٢٥ .

(٦) الحبيب الجنحاني، ص١٣٥ .

(٧) ابن الدباغ ٢ / ٣٨ .

٢ – وسائل التعامل المالى

أ. نشأة السكة الإسلامية فى المغرب

تؤثر النظم المالية على حركة الأسواق، سلباً أو إيجاباً، وفقاً لمقتضيات الظروف الاقتصادية والاجتماعية التى يمر بها أى مجتمع[١].

وترتبط العملة أو السكة[٢] الإسلامية فى المغرب بصلة وطيدة بالعملة الإسلامية فى الشرق منذ ظهور الإسلام. ومن المعروف أن الرسول ﷺ، أمر باستعمال الدنانير البيزنطية والدراهم الفارسية فى التعامل المالى بين أهالى مكة. كما كان الحال فى الجاهلية[٣]، كما أقرها الخلفاء الراشدون والأمويون حتى تم تعريبها زمن عبد الملك ابن مروان فى سنة (٧٦هـ / ٦٩٦-٦٩٧م).[٤] ويكتنف الغموض نقود المغرب وعلى الأخص فى الفترة ما بين دخول عمرو ابن لعاص وفتوحه في برقه طرابلس إلى عهد موسى بن نصير، وفى غضون تلك الفترة لم تكن أقدام الفتح العربى قد رسخت فى المغرب بعد.

وقد ترك الخلفاء لوالى إفريقية حرية التصرف فى إصدار السكة على الطراز المحلى حتى أصبحت نقود المغرب العربى لها شخصية مستقلة عن نقود الشرق فى عصر الانتقال.

---

(١) عبد الحافظ عبد الخالق، ص١١٧ .

(٢) عرف ابن خلدون السكة بقوله : " هى الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع جديد، ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار والدرهم. فتخرج رسوم تلك النقوش ظاهرة مستقيمة " .

ابن خلدون : ١ / ٢١٧.

(٣) البلاذرى ٣ / ٥٧١ .

- المقريزى : النقود الإسلامية، الطبعة الخامسة، تحقيق / محمد السيد على، النجف، ١٩٦٧م، ص ٦ - ٨ .

- محمد باقر الحسينى : تطور النقود العربية الإسلامية، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٦٩م، ص ٢٠ .

(٤) البلاذرى٣ / ٥٧٤ ـ قدامه بن جعفر، ص٥٩. ابن يوسف، ص٦٦.

ابن خلدون١ / ٢١٨ . المقريزى، ص١٠ محمد باقر الحسينى ، ص٢٠.

- ناصر السيد محمد النقشبندى : الدينار الإسلامى فى المتحف العراقى، الجزء الأول، مطبعة الرابطة، بغداد ١٩٥٣م، ص١١ . حمدان عبد المجيد الكبيسى، ص٢٢٧-٢٢٩ .

- اختلفت الآراء فى السنة التى أمر فيها عبد الملك بضرب النقود، فقيل سنة ٧٤هـ، وقيل سنة ٧٥هـ.

- البلاذرى٣ / ٥٧٤ . ابن خلدون ١/ ، ص٢١٨.

- وقد أوردها الدكتور عطية القوصى فى كتابه تجارة مصر فى البحر الأحمر، أنها سكت سنة ٧٦هـ/ ٦٩٤م عند حديثه عن العملات الاسلامية (ص٢٣٩-٢٥١).

ومن الثابت أن ولاة إفريقية سمحوا بتداول السكة البيزنطية نفسها ذات الكتابات اللاتينية والشارات المسيحية أول الأمر. ثم اتبعوا بعد ذلك خطوات إصلاحية تدريجية منذ عهد موسى بن نصير الذى ضرب النقود على الطراز البيزنطى اللاتينى، وسجل عليها نصوصاً بحروف لاتينية مختصرة.[١]

وإلى جانب الدينار البيزنطى تعامل أهالى المغرب بالدينار الجرجيرى الذى ضربه جرجير حاكم أفريقية، الذى راودته فكرة الاستقلال عن الدولة البيزنطية[٢]. ويتضح ذلك من رواية للمالكى فقد أشارت إلى أن أبا سعيد المغيرى مولى بنى ليث سكن القيروان. استلف ديناراً جرجيريا من رجل علي، أن يعطيه منقوشاً بمصر.[٣]

ولا جدال، فى أن موسى بن نصير أدخل بعض التعديلات على العملة بما يتفق مع روح الإسلام والتقاليد العربية، حيث استبدل العبارات اللاتينية بعبارات إسلامية هى: " لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وعلى الوجه الآخر بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار بإفريقية".[٤] واستمر ضرب الدنانير فى القيروان. فقد أوردت كتب العملة بعض النماذج لهذه الدنانير المؤرخة بسنوات (١٠٢هـ/٧٢٠م، ١٠٣هـ[٥]/٧٢١م، ١١٤ هـ/ ٧٣٢م، ١١٧هـ/٧٣٥م، ١٢٢هـ/٧٣٩م).[٦]

ولما قامت دولة الأغالبة اهتم مؤسسها إبراهيم بن الأغلب بإجراء إصلاحات اقتصادية عميقة الجذور فى ربوع إفريقية.ويبدو أنه كان واثقاً منهجه الأقتصادى، بدليل أنه تخلى عن المعونة الاقتصادية التى ترسلها مصر سنوياً للمغرب ومقدارها أربعون ألف دينار. كما

---

(١) عبد الرحمن فهمى محمد : موسوعة النقود العربية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٧٩. محمد باقر الحسينى، ص٢٠.

(٢) حسن حسنى عبد الوهاب : النقود العربية فى تونس د.ت، ص١٢.

(٣) المالكى ١ / ٨٠.

(٤) حسن حسنى عبد الوهاب، ص١٢-١٣. محمد محمد زيتون، ص١٥٤.

محمد أبو الفرج العش: النقود العربية الإسلامية المحفوظة فى متحف قطر الوطنى، الطبعة الأولى، الدوحة، ١٩٨٤م، ص١٦٣

(٥) Walker: Catalogue of the Arab – by zantine and past Reform umaiyad coins, London 1950, p.99.

Lowick: Islamic coins and trade in the medieval world, varbrun, p.212.

(٦) Walker : Op Cit, p.100.

إلتـزم بـأن يرسـل إلى بغـداد سـتين ألـف ديـنار سـنوياً لبيت المـال العباسـى.[1] وضرب الأغالبة عدة أنواع من العملات هى : الدينار، والدرهم، والفلس.

ب- الدينار

كـان الديـنار الذهبـى هـو أسـاس التعامل المالى عند الأغالبة والدينـار كلمـة مشتقة من اللفظ اليونانى اللاتينى (Denaiius – Autus) وهو اسـم وحدة من وحدات المسكوكات الذهبية[2].

وأقـدم ديـنار وصـل إليـنا مـؤرخ بسـنة (١٨٩هـ/٨٠٤ – ٨٠٥ م) فى ولاية إبراهيم بن الأغلب، نقش عليه : " محمد رسـول الله غلب لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وعلى الـوجه الآخر، بسـم الله ضرب هذا الدينر (الدينار) سـنة ١٨٩ هـ. محمد رسـول الله أرسـله الله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله[3]".

ونحـن لسـنا بصـدد إحصـاء دنانير الأغالبة الذهبية. ولكننا سـنكتفى بذكر نماذج منها على سـبيل المثال لا الحصر – بالسـنوات التالية :

(١) ابن الأثير ٥ / ١٠٤. ابن خلدون١/ ٤٢. الباجى المسعودى، ص٢٤. - محمود إسماعيل : الأغالبة، ص٢٧.

- حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس، ص٧٧. - عبد الوهاب منصور١/ ١٥٩.

- حسين مؤنس : النظام الإدارى والمالى فى أفريقيا والمغرب خلال عصر الولاة، مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت، العدد الأول، ١٩٧٢م، ص٩٣.

- حامد العجابى : السكة الإسلامية فى أفريقية، دائرة المعارف التونسية، الكراس١٩٩٠، ١م، ص١١٢.

Marcais: Op Cit, p.58.

Jamail Alun – Nasr: A History of the Maghrib in the Islamic period. London, p.54.

Talbi: the independence of the Maghrihb (in general History of Africa III unisco) London, 1988, p.261.

(٢) زامباور : دينار ترجمه خورشيد، موجز دائرة المعارف الإسلامية مادة " دينار "

- منى حسن محمود : السكة الإسلامية فى مصر، مقال بمجلة (المؤرخ المصرى، قسم التاريخ، بكلية الآداب جامعة القاهرة، العدد الثانى والعشرون يوليو ١٩٩٩م، ص٤٤٠. محمد أحمد زيود، ص٢٦٥.

(٣) عبد الرحمن فهمى محمد، ص٨٢٩.

- طاهر راغب حسين : تاريخ النقود المغربية إلى قيام الدولة الفاطمية، القاهرة ١٩٩٤م، ص١٤٢.

Muhammed – Abul – Forage : Nannales Aglabdes, Damas, 1982., p.43.

(١٩١هـ/٨٠٦-٨٠٧م)[١]، و(٢٢٤هـ/٨٥٨- ٨٥٩م)[٢]، و(٢٥٠هـ/٨٦٤-٨٦٥م)[٣]، و(٢٥٢هـ/٨٦٦م)، و(٢٥٣هـ/٨٦٧م)[٤]، و(٢٩٥هـ/٩٠٧م)[٥]. ومما يحسب للأغالبة أن سكوكاتهم من الدنانيير الذهبية ظلت ثابتة ولم يطرأ على وزنها أى تغيير رغم الظروف الصعبة التى مرت بها الخزانة فى عهد آخر الأمراء حيث انخفضت انخفاضاً ملموساً من (٤،٢٠) إلى (٤،١٢) جرام[٦].

ج- الدراهم

الدرهم كلمة فارسية معربة من درم، ومن اليونانية دراخما[٧]، وهو من وحدات العملة الفضية فى نظام السكة عند العرب[٨]. وسارت دراهم الأغالبة على النمط نفسه.

وأقدم درهم يرجع إلى عصر إبراهيم بن الأغلب مؤرخ بسنة (١٨٤هـ/ ٨٠٠م) وهو مضروب فى مدينة العباسية[٩] كما توجد عدة دراهم أخرى، مؤرخة بسنوات (١٨٥هـ/٨٠١م، و١٨٦هـ/٨٠٢م[١٠]، و١٨٧هـ/٨٠٢-٨٠٣م[١١]، و١٩٥هـ/٨١٠-٨١١ م)

وكانت قياسات وزن درهم إبراهيم تبلغ (٢،٨٢) حجم ومتوسط قطره (٢٢،٣٥)[١٢].

ومن الجدير بالذكر أن الدراهم كانت تزين بالنقوش الدينية فى عبارات التوحيد فيكتب عليها اسم الوالى ومكان الضرب. واستمر ضرب الدراهم الفضية حتى أواخر عهد الأغالبة ، واستخدموها فى معاملاتهم اليومية إلى جانب الدنانير وهى على نوعين: درهم قديم وهو مخلوط من نحاس، ودرهم جديد من الفضة. والفارق بينهما أن كل عشرة دراهم قديمة تعادل ثمانية دراهم جديدة، ومقدار العشرة دراهم القديمة تعادل دينار.[١٣]

---

(١) Muhammed – Abul – Farage : Op Cit, p. 61.

(٢) Lavoix: Catalog des Monnaies musulmanes, V.III Africa and spain., Paris, 1887, p.357.

(٣) Lavoix : Op Cit, p.358.

(٤) Lavoix : Op Cit, p.359.

(٥) Lavoix : Op Cit, p368.

(٦) السيد عبد العزيز سالم ، ص٣٢٦. جورج مارسيه، ص٩٥.

(٧) زامباور : درهم – ترجمة خورشيد، موجز دائرة المعارف الاسلامية، مادة "درهم".
- منى حسن محمود ، ص٤٣٧.

(٨) زامباور : درهم، موجز دائرة للمعارف الإسلامية، مادة "درهم".

(٩) طاهر راغب حسين، ص١٤٤.

(١٠) Muhammed-Abul-Farage : Op Cit, p.96.

(١١) Lavoix : Op Cit, p.346.

(١٢) Abul Farage : Op Cit, p.97.

(١٣) طاهر راغب حسين ، ص١٤٨. - القلقشندى٥ / ١١٤.

وورد ذكر الدراهم في قائمة الجهشيارى (ت٣٣١هـ/٩٤٢-٩٤٣م)، الذى أشار إلى أن واردات إفريقية لدار الخلافة في بغداد عصر هارون الرشيد قدرت بحوالى ثلاثة عشر ألف ألف درهم[1]. وقد وصل سعر صرف المثقال إلى اثنى عشر درهما كيلا.[2]

كما ضرب الدراهم الفضية بإفريقية أحد زعماء المعارضة السياسية وهو منصور بن نصر المعروف بالطنبذى[3]. في عهد زيادة الله الأول حيث استولى على القيروان وضرب بها دراهم فضية على غرار دراهم الأغالبة في الحجم والوزن. ولكنه بدل كلمة (غلب) التى هى رمز الأسرة الأغلبية بلفظ (عدل) ثم غير اسم الأمير الأغلبى باسمه (منصور بن نصر) ووصل إلينا من تلك الدراهم درهم من فضة يرجع إلى سنة (٢٢٠هـ/٨٢٥م) مضروب في دار الضرب بالقيروان التى تمكن الثائر منصور بن نصر من الاستيلاء عليها أكثر من أربعين يوماً حتى تمكن زيادة الله من طرده[4]. وتلتزم المصادر بالصمت عن تعامل أهل القيروان بدراهم منصور.

وضرب في عهد الأغالبة ربع الدرهم، وثمن الدرهم، وهذه النقود الصغيرة هى التى حدث فيها الغش والزيف، وهناك إشارة إلى الدرهم الجيد والدرهم (الستوق) أى الدرهم الزائف من النحاس.

ولما انتشرت في أفريقية هذه القطع الصغيرة وأضرت بالعملة الأغلبية قام الأمير إبراهيم بن أحمد الأغلبى بإصلاح نقدى سنة (٢٧٥هـ/ ٨٨٨ م)[5].

ومن حسن الحظ أن ابن عذارى [6] أورد لنا تفاصيل ثورة الدراهم بقوله: "في سنة (٢٧٥هـ) ضرب إبراهيم بن أحمد الدراهم الصحاح، وقطع ما كان يتعامل به من القطع؛ فأنكرت ذلك العامة، وغلقوا الحوانيت، وتألقوا وصاروا إلى رقّادة. وصاحوا على إبراهيم،

---

(١) الجهشيارى : الوزراء والكتاب، تقديم / حسن الزين، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٨٦.

(٢) الخشنى، ص١٩٦.

(٣) خرج منصور الطنبذى على زيادة الله في سنة ٢٠٩هـ، وسير إليه زيادة الله قائده محمد بن حمزة بقوة مكونة من ثلاثمائة فارس للقبض على منصور الذى كان موجوداً بقصره بطنبذة وجرت محاولات للصلح قبل ذلك ترأسها وفد من قبل محمد بن حمزة ..... لمزيد من التفاصيل انظر. ابن الأثير ٥ / ٩٩-١٠٢. ابن عذارى ١ / ٩٧-١٠٢.
النويرى ٢٤ / ١٠٨-١١٢. ابن خلدون ٤ / ١٩٨. الدواداري ٦ / ٢٨.

(٤) ورقات حسنى عبد الوهاب : ورقات ١ / ٤٣٠.

(٥) الحبيب الجنحاني : المغرب الإسلامي، ص٧٦.

(٦) البيان المغرب ١/ ١٢٠-١٢١.

فحبسهم في الجامع. واتصل ذلك بأهل القيروان فخرجوا إلى الباب وأظهروا المدافعة فوجه إليهم إبراهيم بن أحمد وزيره أبا عبد الله بن أبي إسحاق فرموه بالحجارة وسبوه فانصرف إلى السلطان إبراهيم بن أحمد، فأعلمه بذلك، فركب إبراهيم إلى القيروان، ومعه حاجبه نصر بن الصمصامة في جماعة من الجند ، فناصبه أهل القيروان القتال. فتقدم إبراهيم بن أحمد إلى المصلى، فنزل، وجلس، وكف أصحابه عن قتالهم. فلما اطمأن به مجلسه وهدأ الناس، خرج إليه الفقيه الزاهد أبو جعفر أحمد بن مغيث، فكان بينهم كلام كثير. ودخل أبو عبد الله بن أبي إسحاق الوزير مدينة القيروان مع أحمد بن مغيث ، فشق سماطها وسكن أهلها. فرجع إبراهيم ابن أحمد إلى رَقّادة. وأطلق المحبوسين بالجامع وانقطعت النقود والقطع من أفريقية إلى اليوم.وضرب إبراهيم بن أحمد دنانير ودراهم سماها (العاشرية) في كل دينار منها عشرة دراهم ".

١ - أسباب الثورة :

أشار ابن عذارى[1] إلى سبب ثورة الدراهم بقوله: "ضرب إبراهيم ابن أحمد الدراهم الصحاح، وقطع ما كان يتعامل به من القطع".

ومن الجدير بالذكر، أن هذا الإصلاح حدث بعد ما تفاقمت الأزمة المالية وكثر الغش في الدراهم، وهذا يقودنا إلى تتبع جذور المشكلة. ونجد أنفسنا أمام نقطتين جديرتين بالمناقشة هما:

الأولى : نقص النقود في بيت المال.

عاني بيت المال الأغلبي من نقص ملحوظ في النقود قبل ولاية إبراهيم بن أحمد. وحمل ابن عذارى المسئولية الكاملة على محمد بن أحمد الأغلبي الملقب بأبي الغرانيق (٢٥٠ – ٢٦١ هـ / ٢٦٤ – ٤ – ٨٧٥ م) ثامن أمراء الأغالبة الذي أتبع سياسة مالية غير متزنة أدت إلى هذا التدهور وحمله ابن عذارى[2] المسئولية بقوله: " ولما مات أبو الغرانيق لم يجد إبراهيم في بيت المال شيئا يذكر ". ويؤكد النويري[3] على المعنى ذاته بقوله: "ولم تكن له همة في جمع المال، فلما مات لم يجد إخوانه في بيت المال شيئاً"

(١) البيان المغرب ١ / ١٢٠ .

(٢) البيان المغرب ١/ ١١٤ .

(٣) نهاية الأرب ٢٤ / ١٢٧ .

ويبدو أن أبا الغرانيق كان ينفق بدون وعي حيث كان غاية في الجود مسرفاً في العطاء شغوفاً بالصيد فلقب بأبي الغرانيق وبنى قصراً في السهليين لصيد الغرانيق[1] - جمع غرنوق وهو الكركي[2] - أنفق فيه ثلاثين ألف دينار[3]. وذكرها ابن عذاري بثلاثين ألف مثقال[4] وأراد إبراهيم الثاني تغطية العجز عندما وجد خزائن بيت المال خاوية. ولم يجد ما يكفيه لدفع أرزاق الجند فأضطر إلى ضرب حلى نسائه إلى دنانيير ودراهم ووزعها على جنده عندما خرج على رأس قواته لنجدة طرابلس من العباس بن أحمد بن طولون الذى شن هجوماً عليها[5]. ولم يلبث إبراهيم أن وصله خبر هزيمة العباس وهو في طريقه إلى قابس.

وينبغي علينا أن نقف قليلا أمام هذا الاجراء هل أضطر إبراهيم الثاني إلى تخفيض عيار الدراهم في نفس الوقت الذى يحول فيه كل شئ إلى نقود أو بمعنى آخر هل خفض العملة من أجل تغذية بيت المال بالقطع النقدية بصورة أوفر عندما اشتدت الحاجة الملحة إلى النقود؛ للوفاء وبدفع أرزاق الجند. ويجب أخذ هذا الأمر في الأعتبار[6].

ومن الجدير بالذكر أن الكوارث الطبيعية ساهمت بصورة فعالة في قلة الأموال حيث عم القحط والوباء في المغرب كما حدث في سنة (٢٦٠ هـ / ٣ - ٨٧٤ م) فقد عمت المجاعة في المشرق والمغرب[7]. وفي سنة (٢٦٦ هـ / ٨٧٩ م) كان القحط العظيم والغلاء المفرط بإفريقية[8]. ثم عاد القحط والوباء في سنة (٢٦٨ هـ / ٨٨١ م) وترتب عليه رفع سعر القفيز من القمح إلى ثمانية دنانيير حتى هلك الناس[9].

ومن الجدير بالإشارة أن المجاعة الأخيرة التى لحقت بالبلاد كانت سبباً في كوارث أخرى حيث امتنعت قبائل أقليم الزاب عن دفع ما عليهم من الأموال[10]. كما غضبت

---

(١) النويرى ٢٤/ ١٢٥ - ١٢٦.

(٢) النويرى ٢٤/ ١٢٦ حاشية (١).

(٣) نفسه، ص ١٢٦.

(٤) ابن عذارى ١ / ١١٤.

(٥) ابن عذارى ١ / ١١٩.

(٦) محمد الطالبي : الدولة الأغلبية التاريخ السياسي ص ٣٠١ - ٣٠٢.

(٧) ابن الأثير ٥ / ٣٧٣. ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص ٩٦.

(٨) ابن الأثير ٦ / ٢٥. ابن عذارى ١ / ١١٧.

- محمد بركات البيلي : الغلاء والمجاعات في بلاد المغرب الإسلامي حتى القرن الخامس الهجرى، ص ٣٢٥.

(٩) النويرى ٢٤ / ١٣٠.

(١٠) ابن عذارى ١ / ١١٩.

قبائل وزداجة في باجة في سنة (٢٦٨ هـ / ٨٨١ م) ومنعوا ما كانوا يدفعونه للأمير إبراهيم الثاني من الأموال (الصدقات) وعندما قاتلهم الوالي وهو الحسن بن سفيان من أجل ذلك هزموه[1].

الثانية : الغش في الدراهم :-

ضرب إبراهيم بن الأغلب مؤسس دولة الأغالبة الدنانير[2] والدراهم في مدينة العباسة التي شيدها في سنة (١٨٤ هـ / ٨٠٠ م) حيث نقل إليها الدواوين من القيروان ومن جملتها دار الضرب. ومن أقدم الدنانير الأغلبية دينار مؤرخ بسنة(١٨٩ هـ/٤ — ٨٠٥ م) كتب عليه: "محمد رسول الله غلب لا إله إلا الله وحده لاشريك له" وعلى الوجه الأخر " ضرب هذا الدينر (الدينار) سنة ١٨٩ هـ. محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله"[3].

وأستمر ضرب الدنانير الذهبية في العصر الأغلبي حتى ولاية زيادة الله ابن عبد الله (٢٩٠ — ٢٩٦ هـ / ٩٠٢ — ٩٠٨ م) آخر أمراء الأغالبة بإفريقية [4] .

---

(١) النويري ٢٤ / ١٣٠ . محمد الطالبي ، ص ٣١٣ .

(٢) كان الدينار الذهبي البيزنطي هو وحدة التعامل السائدة في أفريقية حتى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦ هـ / ٦٨٤ – ٧٠٥ م) حيث أمر بسك الدينار العربي . أنظر

ابن يوسف : الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، تحقيق / حسين مؤنس ، مدريد ، ١٩٦٠ م ، ص ٤٧ .

المقريزي : النقود الإسلامية ، تحقيق / محمد السيد علي ، الطبعة الخامسة ، النجف ، ١٩٦٧ م ، ص ١١ .

حسن محمود الشافعي : العملة وتاريخها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ م ، ص ٨٧ .

O Godrington : Musalmatin Numismatin London , 1904, P.12.

وكانت العملة البيزنطية ينقش عليها كتابة باللاتينية تزين برسوم الأباطرة . وفي ولاية حسان بن النعمان (٧٣ – ٨٦ هـ / ٦٩٢ – ٧٠٥ م) على بلاد المغرب أضاف على تلك العملة بعض التعديلات والنقوش الدينية الإسلامية ثم ضربت بعد ذلك في القيروان في دار الضرب التي كانت تسك فيها النقود على أختلاف أنواعها .

عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ص ١٨٣ .

محمد باقر الحسني : تطور النقود العربية الإسلامية ، ص ٥٣ .

محمد محمد زيتون : القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية ، ص ١٥٤

(٣) عبد الرحمن فهمي محمد : موسوعة النقود العربية , ص ٨٢٩ .

Muhammed – Abu -L. Farage : Nonnales Aglabdes, Damas. 1982, P. 43.

(٤) Lavoix : Catalougu des Monnaies Musulmanesa , V.III, Africa and Spain, Paris, 1887, P. 368.

ولم يطرأ علـى وزن الدنانـير أى تغيير رغم الظروف الصعبة التى مر بها بيت المال. ولكـن فـى أواخر عهد الأغالبة إنخفضت إنخفاضاً ملموساً بدلاً من ٤،٢٠ جرام وصلت إلى ٤،١٢ أو ٤،١١ جرام[١].

ويـبدو أن الـنقود الذهبـية لم تخضـع لأى زيـف. وذلك لحماية القياس الذهبى الذى كانت تقوم عليه جميع المبادلات، منعا لحدوث كارثة إقتصادية[٢].

وكانـت الـدراهم تمـثل حجـر الـزاوية فـى المشكلة النقدية التى حدث فيها التلاعب. وتشير كتب النميات إلى أن أقدم درهم من ضرب الأغالبة مؤرخ بسنة (١٨٤ هـ / ٨٠٠ م) مضـروب فـى العباسـية ثـم توالى ضرب الدراهم بعد ذلك فى سـنوات (١٨٥ هـ / ٨٠١ م) و (١٨٦ هـ / ٨٠٢ م) و (١٨٧ هـ / ٨٠٣ م)[٣]. وتوقف ضرب الدراهم الفضية بعد عهد محمـد بـن الأغلب (٢٢٦ – ٢٤٢ هـ / ٨٤٠ – ٨٥٦ م) خامس أمراء الأغالبة. ثم عادت إلى الظهـور مـرة أخـرى فـى عهـد إبراهيم الثانى بن أحمد الأغلبى[٤] (٢٦١ – ٢٨٩ هـ/ ٨٧٤ – ١ – ٩٠٢م) تاسـع أمـراء الأغالـبة بمعنى ضرب الدراهم توقف نحو تسعة عشرة سـنة.

وذكـر (Lavoix) أربـع دراهـم سـكت فى عهد إبراهيم الثانى فى مدينة العباسـية سـنة (٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) وتحمل أرقام (٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢)[٥].

وتصـمت المصـادر التاريخية عن سـبب توقف السكوكات الفضـية منذ عهد محمد الأول فـى وقـت كـان فـيه بـيت المال مزدهراً وربما يكون ربط هذه الظاهرة أيضا بالنضوب، ثم بتقاطر المعـدن النفيس. فصـار الإصلاح قابلا بذلك للإنجاز[٦] ومما لاريب فيه، أنه فى فـترة الـتوقف كثـرة الدراهم الزائفة والمغشوشـة فى أيدى الناس يومذاك فى القيروان. وعم الـنقد الـردئ. ونسـتند إلى رواية ذكرها الزبيدى (ت ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م) صـاحب كتاب (طـبقات اللغـويين والـنحاة) وهـذا الكـتاب مـن المصـادر الهامة التى تترجم لعلماء اللغة والنحو فى حواضر العالم الإسـلامى شـرقه وغربه. ذكر فى معرض ترجمته لطبقة القروايين

---

(١) جورج مارسية : بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامى فى العصور الوسطى، ص ٩٥.

(٢) محمد الطالبى ، ص ٣٠٢.

(٣) Mohammed Abu. L. Farage : op cit, P. 96.

(٤) محمد الطالبى، ص ٣٠٣.

(٥) Lavoix : op cit, P.365-366.

(٦) محمد الطالبى، ص ٣٠٣.

أن الطلاء المنجم إسماعيل بن يوسف أول من أدخل الطلاء العراقي إلى القيروان. وأتهم بتزوير الدنانير والدراهم فلاذ بالفرار إلى الأندلس (١).

وهذا الخبر لا ينبغي أن يمر علينا مرور الكرام. وإنما يدل على تفشي ظاهرة غش العملة (الدراهم) وأن بعض الناس عمل في التزوير في الخفاء. مما أدى إلى ظهور النقد الردئ وبكثرة كربع الدرهم، وثمن الدرهم، وكان يتعامل فى أسواق القيروان ومدن أفريقية الأخرى بالوزن لا بالصرف. وكثير ما كانت تقطع أجزاء صغيرة من أنصاف وأثلاث وأرباع بدعوى تسهيل الشراءات الصغيرة. وتم ذلك دون السير على قاعدة سليمة. وشاع ضرر هذه الطريقة وأدى إلى الفوضى فى التعامل وأراد إبراهيم الثانى تلافى الأمر بتنظيم هذا التعامل على أساس سليم يحفظ الريبة ويكف التنازع بين الأفراد فأمر بضرب دراهم خالصة عرفت بالدراهم الصحاح. وسميت بالدراهم " العاشرية " وجعل كل عشرة منها تساوى ديناراً ذهباً(٢).

٢ – موقف الثوار :

وكانت أولى خطوات التجار للتعبير عن غضبهم هي:

أ – أغلاق الحوانيت :

كان أغلاق الحوانيت من قبل التجار يعبر عن مغزى جوهرى فى القيروان حيث سيصيب الحياة التجارية بالشلل التام.

وكانت تلك الحوانيت قد أنشأها زيادة الله الأول (٢٠١ – ٢٢٣ هـ / ٨٠٧ – ٨٣٨م) عندما أراد إدخال تنظيم جديد لأسواق القيروان. فأنشأ الحوانيت الجديدة، ونقل الناس من أسواقهم إليها[٣].

وكانت الحوانيت تقع فى أقصى الجانب الشرقى من سوق الرهادنة – الرهادرة – وفى آخر سوق الكتانيين[٤].

---

(١) الزبيدى : طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٤١ – ٢٤٢.

(٢) حسن حسنى عبد الوهاب : النقود العربية فى تونس، ص ٢٥.

(٣) المالكى ١ / ١٩٦. ابن الدباغ ٢ / ٣٧.

(٤) ابن الدباغ ٢ / ٣٧.

ب - أنتقال المظاهرة إلى رقادة :

تجمع التجار في حشود كبيرة لم يخبرنا ابن عذارى بأعدادها وزحفوا إلى رقادة[1] الواقعة في الجنوب الغربي للقيروان على بعد ثمانية أميال[2]. ويبدو أن المتظاهرين كانوا يقصدون بخروجهم إلى رقادة وضع الأمير إبراهيم ابن أحمد أمام الأمر الواقع؛ ليعدل عن خطته الخاصة بضرب الدراهم الجديدة. أو لنقل شكواهم عن حجم الضرر الذي لحق بهم من جراء هذا الإصلاح. ومهما يكن من أمر فإن إبراهيم بن أحمد لم يستجب لهذا التهديد. الأمر الذي دفع المتظاهرين أمام قصره على التنديد بمسلك الأمير إبراهيم بعبارات وهتافات معادية. وضاق الأمير إبراهيم ذرعاً لهذا المشهد الذي لم يألفه من قبل فأمر حراسه بتطويق المتظاهرين وحبسهم في المسجد الجامع[3].

أما عن رد فعل أهل القيروان على حبس المتظاهرين من التجار فقد تجمعوا في حشوداً كبيرة وسخطوا على الأمير إبراهيم واعلنوا العصيان. واتجهوا صوب باب القيروان المؤدى إلى رقادة[4].

٢ - موقف الحكومة الأغلبية من الثوار :

ولما علم الأمير إبراهيم الثاني بماحدث في القيروان أرسل وزيره أبا عبد الله بن أبي إسحاق للتفاوض مع أهل القيروان وأقناعهم بجدوى هذه الأصلاحات الأقتصادية. ولم يعبأ أهل القيروان بمجئ الوزير الأغلبي وأستقبلوه بقذفه بالحجارة والسب والشتائم مما عجل بفشل مهمة الوزير. الذي وجد أن الفرصة غير مهيأة للحوار والتفاوض فأثر العودة على عجل؛ ليخبر الأمير إبراهيم الثاني بحقيقة الموقف.

وأسرع الأمير إبراهيم الثاني ومعه حاجبه نصر بن الصمصامة والوزير أبو عبدالله بن إسحاق وجماعة من الجند. ولما وصل إلى القيروان وجد الشر في أعين أهلها الذين أصروا على القتال. يقول ابن عذارى[5] في هذا الصدد: "فناصبه أهل القيروان القتال".

ورغب الأمير إبراهيم الثاني في معالجة الموقف بحكمة دون اللجوء إلى القوة. ويحسب له هذا المسلك برغم ما عرف به من حدة مزاجه وتقلبه. وأنسحب إلى المصلى

---

(١) ابن عذارى ١/ ١٢٠.

(٢) اليعقوبي : البلدان، ص ٣٤٨.

(٣) ابن عذارى ١/ ١٢٢.

(٤) ابن عذارى ١/ ١٢٢.

(٥) البيان المغرب ١ / ١٢٢.

خارج القيروان سلمياً بمن معه. ونهى جنده عن التحرش بأهل القيروان [1] خشية أن يفلت زمام الأمور من يديه ويقع بينه وبين أهل القيروان ما لا يحمد عقباه.

٤- المفاوضات :

من حسن الحظ أن القوة لم تكن هى لغة التعامل بين السلطة الأغلبية وأهل القيروان المساندين للثور. الأمر الذى أتاح الفرصة للحل السلمي عن طريق المفاوضات بين الطرفيين.

وكان الأمير إبراهيم الثانى بن أحمد هو ممثل السلطة الأغلبية وسبق أن عرفت به فى مستهل الكتاب. أما أهل القيروان فقد مثلهم لعرض شكواهم أحد الفقهاء الزهاد الذى ذكره ابن عذارى خطأ أبا جعفر أحمد بن مغيث[2]. ولكن كتب الطبقات صححت لنا أسمه فهو أبو جعفر أحمد بن معتب الأزهرى[3]. ولم يشر ابن عذارى إلى الظروف التى جعلت أهل القيروان يوافقون علي أختياره. فمن هو ذلك الرجل؟ كان أحمد بن معتب ابن أبى الأزهر بن عبد الوارث بن حسن الأزدى رجلاً نبيلاً، فاضلاً[4]. وكانت له رحلات إلى الشرق وسمع على أيدى نخبة كبيرة من العلماء. وكان شديد التأثر بسماع القرآن الكريم[5] ويقول ابن الدباغ[6] عنه: "سمع من سحنون وسمع بالمشرق من حسين ابن حسن. وكان فقيها صالحا وعالماً بالحديث". وكان أحمد بن معتب ذا مكانة عند إبراهيم الثانى بن أحمد، وثمة دليل على ذلك أن الأخير كان يكتب إليه: "يا أخى فى الإسلام وشقيقى فى المحبة"[7]. وتوفى أحمد بن معتب فى سنة (٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م)[8].

وعلى أية حال، دارت مناقشات طويلة بين إبراهيم الثانى بن أحمد وأحمد بن معتب فى موضع إقامة إبراهيم الثانى بن أحمد عند المصلى خارج سور القيروان. ولم يشر النص

---

(١) نفسه ١ / ١٢٢.

(٢) ابن عذارى ١ / ١٢١.

(٣) الخشنى : قضاة قرطبة وعلماء إفريقية وتونس، ص ١٨٩. المالكى ١ / ٣٧٠. ابن الدباغ ٢ / ١٨٢.

(٤) الخشنى، ص ١٨٩.

(٥) المالكى ١ / ٣٧٠.

(٦) معالم الإيمان ٢ / ١٧٧.

(٧) ولم تضع محبة إبراهيم بن أحمد الأغلبى من خذلان أحمد بن معتب ذات مرة عندما مكن منه القاضى أبا العباس محمد بن عبدون الذى أمر بضرب أحمد بن معتب. وكان أحمد يقول بعد ذلك هذه النازلة خير لى، إذ سلبت محبة إبراهيم بن الأغلب من قلبى. الخشنى، ص ١٨٩ - ١٩٠. ابن الدباغ ٢ / ١٨٢.

(٨) ابن الدباغ ٢ / ١٨٣.

إلى فحوى هذا النقاش. ومن المؤكد أنه دار حول لب القضية الأساسية مسألة الدراهم الجديدة وشكوى التجار المتضررين من هذا الإصلاح النقدى من ناحية ومشكلة المحبوسيين من تجار القيروان — الثوار — في مسجد رقادة.

ويبدو أن إبراهيم الثانى بن أحمد أدرك مطالب أهل القيروان. وتمسك بموقفه في مسألة الأصلاح النقدى وأقنع أحمد بن معتب بأهمية إصلاحه درءًا للمصلحة العامة للدولة مع حفظ مصالح أصحاب العملة التى تقرر سحبها بتعويضهم. كما وعد بأطلاق سراح المحبوسيين في مسجد رقادة دون شروط.

٥ – نهاية الثورة ونتائجها :-

ومما يدل على رضاء الطرفيين على ما أتفقوا عليه أن الهدوء عاد إلى القيروان وسكن أهلها وثمة دليل على ذلك أن الفقية أحمد بن معتب والوزير أبا عبدالله بن إسحاق مشيا معا في سماط القيروان[١] الذى يبدأ من باب أبى الربيع في الجنوب الشرقى إلى باب تونس في الشمال الشرقى والذى يبلغ طوله نحو ميلين وكان هذا السماط سطحا متصلاً يحفل بكافة المتاجر والصناعات[٢].

على أية حال، عاد إبراهيم الثانى إلى رقادة وأطلق المحبوسين في الجامع. وأنتهت هذه الثورة دون إراقة دماء. وكان من الممكن أن يحدث ما لا يحمد عقباه وأنقطعت النقود والقطع الزائفة من إفريقية إلى أوائل القرن الثامن الهجرى زمن ابن عذارى وحلت محلها الدنانيير والدراهم العشرية في كل دينار منها عشرة دراهم[٣].

د- الفلس

الفلس يطلق على العملة النحاسية أو البرونزيه التى كانت شائعة في فجر الإسلام، وأصل كلمة فلس يونانى[٤]، ويستخدم لشراء الأشياء البسيطة، التى يقل ثمنها عن الدرهم، أو جزء منه[٥].

---

(١) ابن عذارى ١ / ١٢١.

(٢) البكرى : المغرب، ص ٢٥ – ٢٦.

(٣) ابن عذارى ١ / ١٢١. سعد زغلول عبد الحميد ٢/ ١٢٨ – ١٢٩.
الحبيب الجنحانى : المغرب الإسلامى، ص ٧٧. محمد الطالبى ، ص ٣٠٥.

(٤) أودفيش : فلس، ترجمة إبراهيم شعلان، موجز دائرة المعارف الإسلامية " مادة فلس ".

(٥) المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة، نشر محمد مصطفى زيادة وآخرين، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٤٠م، ص٦٦. سحورية عبده سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب منذ الفتح العربى حتى قيام الدولة الفاطمية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب – جامعة القاهرة، ١٩٧٥م، ص١٤٩.

وكـان الفلـس مألـوفاً في التعامل اليومي، منذ قيام دولة الأغالبة. ويوجد فلس منقوش عليه: "غلب محمد رسول الله...إبراهيم، وعلى الوجه الآخر لا إله إلا الله وحده لا شريك له. مما أمر به الأمير المأمون بن أمير المؤمنين باسم ضرب في...مئة "[1].

كما وُجد فلس مؤرخ بسنة ٢١٦هـ من عهد زيادة الله الأول[2]، وآخر نموذج نود ذكره من فلوس الأغالبة من عهد الأمير أبي عقال الأغلب بن إبراهيم (٢٢٣-٢٢٦هـ/ ٨٣٧-٨٤٠م).[3]

ولا جدال، في أن النظم المالية في أفريقية الأغلبية قد تأثرت بالعملة العباسية، وكانت وظيفة متولي الضرب التي وجدت في أفريقيا الأغلبية تقليداً لما عرفته العراق.[4]

ومن التقاليد المتبعة في النقود العربية أنها تحمل مع اسم الأمير المتولي اسم ناظر دار الضرب القائم على جميع شئونها وكان الناظر حينئذ من موالي بني أمية وفتيانهم الصقالبة فنجد مثلاً على نقود إبراهيم الأول اسم موسى وهو من فتيانه المقربين.

وفي نقود زيادة الله الأول مسرور في ولاية زيادة الله الثالث خطاب، آخر من تولى النظر على دار الضرب الأغلبية.[5]

ومما يسترعي الانتباه وجود عملة للأدارسة في مدينة القيروان، وإن كنا لا نعرف هل تم التعامل بها أم لا ؟ ولكنها اتخذت سلاحاً قوياً حسم مسألة تبعية الأغالبة لوالي مصر عبد الله بن طاهر بالدعاء له على منابر أفريقية فرد زيادة الله (٢٠١-٢٢٣هـ) على ذلك بإرسال بعض دنانير من سكة الأدارسة إليه ففهم المأمون قصد زيادة الله. وعدل عن رأيه خشية ضياع ما تبقى للعباسين من نفوذ في المغرب.[6]

ولم يقتصر تعامل الأغالبة على النقود فحسب بل استعملوا (السفاتج) والصكوك.

---

(١) طاهر راغب حسين، ص١٤٩-١٥٠.

Abu – Farage : Op Cit, p.112.

(٢) Abu – Farage : Op Cit, p.114.

(٣) طاهر راغب حسين، ص١٦٨.

(٤) محمود إسماعيل : الأغالبة، ص٧٥.

(٥) حسني حسني عبد الوهاب : ورقات، ج١، ص٤٢٩. ـ السيد عبد العزيز سالم، ص٣٢٥.

ـ جورج مارسيه، ص٩٥.

Abu Farage : Op Cit, p.101.

(٦) ابن الأبار ١ / ١٦٥. ابن خلدون ٤ / ١٩٧.

هـ- السفاتج (الشيك السياحى)

هى محررات يكتبها التجار، أو الصيارفة، أو المشتغلون بالأعمال المالية والتجارية بقيمة المبالغ التى يأخذونها. وتكون قابلة للصرف فى أى بلد لأحد عملائهم. وكانوا فى هذا يقومون بدور البنوك فى الوقت الحالى، وكانت كل سفتجة توقع أو تختم من صاحبها لصراف، أو تاجر. حتى تكون صالحة للتداول، وليس من المستبعد أن تجار أفريقية عرفوا السفاتج كنوع من التعامل فيما بينهم داخل بلادهم. وفى تعاملهم الخارجى حيث إنها أكثر أماناً من حمل النقود خشية تعرضهم للسرقة، من قطاع الطرق، وغيرهم فى رحلاتهم الخارجية.[1]

و- الصكوك (الشيك)

الصك كلمة فارسية معربة يقصد بها الكتاب الذى يسجل عليه أرزاق الناس وأعطياتهم بمستحقاتهم المالية لتحصيلها.[2]

وقد جرت العادة أن يوقع على الصك شاهدان ثم يختم أسفله وعرف أهل القيروان الصكوك، ونستدل على ذلك من خلال إشارة وردت من عهد الأمير زيادة الله الأول (٢٠١-٢٢٣هـ/٨١٦-٨٣٧م) أنه كتب بثمن شراء اشتراه " صكا " للبائع. وأشهد عليه قاضيه أسد بن الفرات وأبا محرز، ثم دفعه إلى الشخص الوارد اسمه بذلك الصك.[3]

كما أن سحنون بن سعيد باع زيتوناً يمتلكه بنحو ثمانمائة دينار، وأودع المبلغ عند أبى داود العطار. وكان يبعث إليه برقاع تصدقاً على بعض الناس، حتى انتهى المبلغ. وعاد إليه بالبطائق فقال "ما هذه؟" فأعلمته بها فقال "أبق من ذلك شيئاً" قلت "لا" قال فرمى بتلك البطائق إلى وأبى أن يحاسبنى، وقال إذ فرغ المال فلماذا أحاسبك"؟![4]

---

(١) حورية عبده سلام، ص١٥١-١٥٢ وانظر أيضاً

- الفيومى : المصباح المنير، دار القلم، بيروت د.ت، ص٣٨٧. " مادة سفتجة "

(٢) ابن منظور : لسان العرب، مادة "صك" - يحيى الخشاب وآخرون: ضبط وتحقيق الألفاظ الاصطلاحية التاريخية الواردة فى كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمى، المجلة التاريخية المصرية، المجلد السابع، ١٩٥٨م، ص٢٢٤.

(٣) عياض ٣ / ٣٠٧. المالكى ١ / ١٩٤. ابن الدباغ ٢ / ٣١. حسنى إسماعيل مبارك، ص١٦٥.

(٤) المالكى ١ / ٢٦٢.

ز- الصيرفة

الصيرفة من المهن المالية المرتبطة بالأسواق[1]. ولقد وجدت في أسواق القيروان لتسهيل الأعمال التجارية كتبديل العملة وصرف الدينار إلى دراهم.[2] إضافة إلى سحب العملات الرديئة من التعامل ووضع عملات جديدة بدلاً منها[3] وحفظ أموال الناس كما كانت تودع عند الأمناء والتجار فقد كتب محمد بن سحنون رقعة لرجل أراد إعانته إلى صيرفي بعشرين ديناراً، وقال اشترِ بها لأهلك ما يحتاجون.[4]

وكان اليهود والنصارى يتولون أعمال الصيرفة في القيروان في بادىء الأمر. وكان سوق اليهود يضم عدداً كبيراً من الصيارفة[5] وعمل النصارى بالصيرفة يتضح من النص التالي: "قال سحنون قلت لأبي القاسم: هؤلاء النصارى الذين ينزلون بساحلنا، وهم أهل ذمتنا. أيصح لنا أن نشترى منهم بالدراهم والدنانير؟ وقال: قلت إن في أسواقنا صيارفة منهم قال: قال ما لك ما علمته حراما".[6]

وحذر السبكي (ت٧٧١هـ/١٣٧٠م) من التلاعب بأموال الناس بخلط الجيد بالردي‌ء[7]

ولما تفشت ظاهرة الربا في أسواق القيروان كتب إبراهيم بن أحمد إلى القاضي أحمد ابن أبي طالب بوضع حداً لهذه الظاهرة: "فجعل على أكتاف اليهود والنصارى رقاعاً بيضا في كل رقعة منها قرد وخنزير، وجعل على أبواب دورهم ألواحا مسمرة في الأبواب مصوراً عليها قرد".[8] كما أجبر الصيارفة على سماع كتاب الصرف لسحنون[9].

---

(١) حسن الباشا ٢ / ٧٠٤.

ـ الحبيب الجنحاني: التحول الاقتصادي والاجتماعي في مجتمع الإسلام، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٥م، ص٣٦.

(٢) المالكي ١ / ٢٤٣. الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص٧٧. حسن الباشا ٢ / ٧٠٥

(٣) عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، الجزء الأول، الطبعة الثانية، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م، ص١٢٩ـ١٣٠.

(٤) الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص٧٨.

(٥) حسني إسماعيل مبارك، ص١٦٣.

(٦) يحيى بن عمر، ص١٢٥، هامش ٧٧.

(٧) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، الطبعة الثانية، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٣٩ـ١٤٠.

(٨) يحيى بن عمر، ص٩٧. المالكي ١ / ٣٨١. عياض ٤ / ٣٢٣.

(٩) يحيى بن عمر، ص١٢٥، هامش ٧٧. المالكي ١ / ٤٠٥

ومن النظم المالية التى عرفها أهل القيروان (الوديعة) وهى عبارة عن أمانة يجب ردها عند طلبها مباشرة.والإيداع والاستيداع مباحان في عرف الشريعة الإسلامية[1]

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾.[2]

وثمة دليل على معرفة أهل القيروان للوديعة من خلال إشارة ابن عذارى من أن ورثة ابن القلقاط طالبوا عبد الله بن أبى الجواد بخمسمائة دينار وديعة فأنكر عليهم الوديعة والخط الذى كتبه بيده، وهو الأمر الذى جعل القاضى سحنون بن سعيد يؤدبه يومياً بعشرة أسواط، كى يجبره على الاعتراف، غير أنه أصر على موقفه ووافته المنية فى السجن سنة ٢٣٤هـ.[3]

ثانيا : الرقابة على الأسواق

الحسبة[4] من الوظائف الدينية الهامة، لأن قوامها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وغرضها الإصلاح بين الناس الذى هو فرض على القائم بأمور المسلمين.[5]

وترجع نشأة الحسبة إلى عصر الرسول ﷺ، إستجابة لحكم الآية الكريمة: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.[6]

وفى عهد الخليفة عمر بن الخطاب باشر وظيفة الحسبة فى الخفاء، فكان يطوف فى الشوارع والأسواق لضرب الغشاشين.[7]

---

(١) محمد الصادق عفيفى ٢ / ٣٤٧.

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٨٣.

(٣) ابن عذارى١ / ١١٠.

(٤) الحسبة اسم من الاحتساب. انظر ـ ابن منظور : لسان العرب، مادة "حسبة". ـالفيروزا بادى : القاموس المحيط، الجزء الأول، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، القاهرة، ١٩٥٢م، ص٥٦ " مادة حسبة ".

(٥) ابن الأخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة، تحقيق / محمد محمود شعبان وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦م، ص٥١. ابن خلدون ١/ ١٨٨.

ـ عطية مصطفى مشرفة : نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين، الطبعة الأولى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٤٨م، ص٣١٦.

(٦) سورة آل عمران : الآية ١٠٤.

(٧) أنور الرفاعى : الإسلام فى حضارته ونظمه، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٣م، ص١٧٣. ـ صبحى الصالح، ص٣٢٩

ـ سهام مصطفى أبو زيد : الحسبة فى مصر الإسلامية حتى نهاية العصر المملوكى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٤٧.

ويوجد إجماع من المؤرخين على أن لفظة محتسب لم تظهر إلا فى العصر العباسى، وبخاصة فى عهد الخليفة المهدى[1] (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٤-٧٨٥م) وفى المغرب فرض أمراء الأغالبة رقابة صارمة على أسواق القيروان، لضبط النشاط التجارى. وفى بعض الأحيان كانوا يسندون تلك المهمة إلى من يثقون فيه. ولقد أشار لذلك صاحب كتاب (أحكام السوق)[2] بقوله: "ينبغى للوالى الذى يتحرى العدل، أن ينظر فى أسواق رعيته، ويأمر أوثق من يعرف ببلده أن يتعهد السوق، ويعير على أهله صنجاتهم وموازينهم ومكاييلهم.."

وكان أول من نظر فى الأسواق بعد الولاة القاضى سحنون بن سعيد يقول المالكى[3]: "أول ما نظر سحنون فى الأسواق، فنظر فيما يصلح من المعاش وما يغش من السلع. يجعل الأمناء على ذلك، ويؤدب على الغش، وينفى من الأسواق من يستحق ذلك من التجار".

ويضيف الزهرى[4] إلى ذلك أن سحنون كان: "يرتب الشهود والأيمة- الأئمة — والمؤذنين، ويتفقد الأحباس، وينظر فى مصالح الناس...".

وكان سحنون بن سعيد أول من باشر شئوون القضاء والحسبة معاً، ثم احتفظ لنفسه فى النهاية بالقضاء وعين للحسبة أمناء أو محتسبين، وبذلك فصل الحسبة عن القضاء وأفردها بعمال مستقلين.[5] وأسند سحنون ولاية المظالم[6]

---

(١) حسن الباشا ٣ / ١٠٢٨ . سهام مصطفى أبو زيد، ص٦٢.

(٢) يحى بن عمر، ص٣١-٣٢. الونشريسى ٦ / ٤٠٧-٤٠٨.

(٣) رياض النفوس ١ / ٢٧٦. عياض ٤ / ٦٠. ابن فرحون: الديباج المذهب فى أعيان المذهب، القاهرة، ١٣١٢هـ، ص٢٦٦. - سعد زغلول عبد الحميد: ٢ / ٩٢.

هويكنز: النظم الإسلامية فى المغرب فى القرون الوسطى، ترجمة / أمين توفيق الطيبى، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٠م، ص٢٢٨. - محمد زينهم محمد عزب: الإمام سحنون، دار الفرجانى، القاهرة د. ت، ص١٥٣.

(٤) الجعرافية، ص١١٠.

(٥) موسى لقبال، ص٤١.

- عبد الرحمن الفاسى: خطة الحسبة، الطبعة الأولى، دار الثقافة، المغرب، ١٩٨٤م، ص٥٩-٦١.

- حسن بكريم: الحسبة تطورها قديماً وحديثاً، الطبعة الأولى، المغرب، ١٩٩١م، ص٨٤-٨٥.

(٦) كانت ولاية المظالم تدخل فى نطاق القضاء. وكان لوالى المظالم سلطات واسعة عبر عنها الماوردى بقوله: "هو قود المتظالمين عن التجاحد بالهيبة ظاهر العفة قليل الطمع كثير الورع، لأنه يحتاج فى نظره إلى سطوة الحماة".

- الماوردى، ص٩٧. المقريزى: الخطط، ج٢، ص٢٠٧.

- وكان رد المظالم معروفاً عند العرب فى الجاهلية قبل الإسلام، فعقدوا حلفا لرد المظالم، وإنصاف المظلوم. الماوردى، ص٩٩.

إلى حبيب بن نصر التميمي[1]، وهو أول صاحب مظالم في سنة ٢٣٧هـ/٨٥١-٨٥٢م وكان يشرف على الأسواق وصاحب السوق هو والي المظالم في هذا التنظيم.[2]

ويشير القاضي عياض إلى أن عبد الله بن طالب الذي تولى قضاء القيروان مرتين (٢٥٧ - ٢٥٩هـ) و (٢٦٧ - ٢٧٥هـ) أسند إلى عبد الله بن الوليد أسواق القيروان ومواريثها.[3]

كما كُلِّف أبو القاسم محمد بن محمد بن خالد القيسي (ت ٣١٧هـ/٩٢٩م) من قِبَل عيسى بن مسكين، ومن بعده حماس بن مروان قاضيي القيروان للإشراف على ولاية المظالم. فباشر الرقابة على الأسواق بحزم، نوه بذلك ابن الدباغ[4]: "ولم يل أسواق القيروان قبله أضبط منه". وكان المحتسب أو المسئول عن الأسواق يشرف على مراقبة الموازين والمكاييل، والتأكد من سلامتها ومعاقبة المخالفين[5]، ومراقبة الأسعار، والحفاظ على الأمن والنظام داخل السوق[6] والنهي عن الغش بخلط الجيد بالرديء في السلع. وتحذير أصحاب الطرقات الضيقة بعدم الجلوس عليها، ومنعهم من بناء المصاطب أمام الدكاكين[7]. ويرتب الصناع بجعل كل حرفة في موضع معلوم.[8]

وجعل على كل صنعة عريفاً اختاره المحتسب من بين وجوه تلك الصنعة. ووظيفة العريف ويسمى أميناً أيضاً أن يشرف على سيرها ويقاوم ما يلحقها من الغش إضافة إلى مراقبة السلع الواردة إلى السوق.[9]

---

(١) هو من أبناء الجند القادمين من أفريقية تفقه على سحنون، وكان فقيهاً ثقة، ومن مؤلفاته كتاب الأقضية.
- الخشني، ص١٩٢. ابن عذارى ١ / ١١١.

(٢) يحيى بن عمر، ص٢٣-٢٤ (مقدمة المحقق) ابن الدباغ ٣ / ٩. هويكنز، ص٢٣٤.

(٣) عياض ٤ / ٤٠٤.

(٤) معالم الإيمان ٣ / ٩-١٠.

(٥) يحيى بن عمر، ص٣١-٣٣. ابن تيمية، ص٢٠-٢١. - حسن الباشا ٣ / ١٠٣١.
- حسن علي حسن: الحياة الدينية في المغرب في القرن الثالث الهجري، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٣٢٣.

(٦) يحيى بن عمر، ص١٠٣.

(٧) الشيزري، ص١١
- ابن بسام: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق / حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٨٦م، ص٢٧.

(٨) ابن عبدون، ص٤٣.

(٩) الشيزري، ص١٢. حسن حسني عبد الوهاب: ورقات، ج١، ص٥٨.

وشدد الجرسقي[1] على دور المحتسب في النظر في أحوال الباعة قائلاً: "ويجب على ولى الحسبة ألا يهمل أحوال الباعة، أو يوكل أمرهم إلى من لا ترضى حالته بل يتفقد أحوال حاشيته وبطانته ويجتهد في ذلك، لئلا يغتال في أحكامه بالتلبس".

كما كان ينبغي على المحتسب النظر في أمر العطارين والكتانيين، وبائعي الحنطة، والخبازين، والفرانين، واللبانين، والتبانين[2]، كما طارد المحتسب بحزم منكرات الأسواق مثل بيع الخمور وسائر المحرمات. والمبيعات المغشوشة[3]. وتصدى بعضهم لظاهرة الربا. مثلما فعل عبد الله بن أبي طالب قاضي القيروان الذى منع من التعامل بها. كما حارب الغش والتلاعب بالأسعار في أسواق القيروان. وتشدد في معاملة أهل الذمة من اليهود والنصارى لمزاولتهم بعض هذه المنكرات. ونحوها. وأجبر الصيارفة قبل البدء في ممارسة نشاطهم المالى على دراسة بدراسة كتاب الصرف على أحد تلاميذ سحنون[4].

---

(١) الحسبة، تحقيق ليفى بروفنسال، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص١٢٥.

(٢) ابن عبد الرؤوف : فى أدب الحسبة والمحتسب، تحقيق / ليفى بروفنسال، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية القاهرة، ١٩٥٥م، ص٨٦ـ٩٦.

(٣) كمال السيد أبو مصطفى : تاريخ الأندلس الاقتصادى، ص٣١٠.

(٤) الحبيب الجنحانى : المغرب الإسلامى، ص٥٥ـ٧٥.

الفصل الخامس

التجار فى أسواق القيروان

سوف نتحدث عن مكانة التجار فى مجتمع القيروان، وأصنافهم وطوائفهم المختلفة من العرب، والفرس، والموالى، والأندلسيين، والروم، وأهل الذمة من اليهود والنصارى.

(١) مكانة التجار

نال التجار مكانة رفيعة فى المجتمع الإسلامي، ومن المعروف أن الرسول ﷺ وخلفاءه الثلاثة الأولين اشتغلوا بالتجارة وبذلك رفعوا من شأنها فى نظر المسلمين.[١]

وكان لطائفة التجار مكانة بارزة عقب تأسيس مدينة القيروان. ونستدل على ذلك مما ذكره ابن الأثير من أن كسيلة الأوربى لما استولى على القيروان فى سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣-٦٨٤م). نزح سكانها إلى الشرق خوفا من بطش كسيلة" وبقى بها أصحاب العيال وكل مثقل من التجار.[٢]

وأشاد الزهرى[٣] المتوفى فى أواسط القرن السادس الهجرى بمكانة تجار القيروان قائلا: "كان فيها أربعة آلاف كرسى للعلم، وأربعمائة شاعر لا يمدحون ملوكاً ولا وزراء وإنما يمدحون التجار وأولاد التجار".

ولما طلب أمراء الأغالبة العون المادى من التجار وقت الأزمات السياسية رفض التجار هذا الطلب بشدة ونستدل على ذلك من قول الرقيق[٤] من أن: "إبراهيم بن الأغلب، لما عزم على النهوض من الزاب لنصرة ابن العكى على تمام. لم يجد مالاً يقوى به فسأل التجار أن يقرضوه مالا. ولكنهم رفضوا".

---

(١) عبد العزيز الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٩٥م، ص ١٣٨.

(٢) ابن الأثير ٣ / ٣٠٩. الحبيب الجنحانى، ص٨٦.

(٣) الجعرافية، ص١٠٩.

(٤) تاريخ أفريقيا والمغرب، ص٢١٦.

ولما هرب زيادة الله آخر أمراء الأغالبة (٢٩٠-٢٩٦هـ / ٩٠٣-٩٠٩م) إلى الشرق خوفا من بطش عبيد الله المهدى. حاول أحد أفراد البيت الأغلبى ويدعى إبراهيم بن الأغلب لم شمل ما انفرط عقده. ولكن بعد فوات الأوان وطلب من أهل القيروان الصمود لمواجهة الأزمة والتحلى بالسمع والطاعة والمساعدة بالأموال من أجل اعادة الهدوء والسكينة.

وجاء رد أهل القيروان مخيبا لآماله إذ قالوا: "إنما نحن فقهاء وعامة وتجار وما فى أموالنا ما يبلغ غرضك وليس لنا بالقتال طاقة".[1]

ولما شعر تجار القيروان بالخطر الفاطمى قادم لا محال هبوا للدفاع عن المدينة ونازلو قبيلة كتامة حليفة الفاطميين التى قامت بعملية نهب واسعة النطاق للحوانيت فصاح أهل السوق "النقير ! النقير" ودار قتال عنيف بين كتامة وتجار القيروان أسفر عن مقتل مايربو عن ألف رجل من كتامة.[2]

(٢) أصناف التجار

كان التجار فى أسواق المدن الاسلامية ينقسمون إلى ثلاثة أصناف هم:

أ- الخزان :

ويقصد به تاجر الجملة الذى يقوم بشراء السلع وقت رخصها حيث يزيد المعروض وينخفض السعر وبعد ذلك يعرضها للبيع عندما يرتفع سعرها.[3]

وذكر الدمشقى[4] أن الخازن ينبغى أن يكون على دراية بمعرفة أحوال السلع بقوله: "هذا الصنف من التجار أحوج الناس الى تقديم المعرفة باحوال البضائع فى أماكنها وبلادها وكثرتها فيها أو قلتها ورخصها أو غلائها وتوفر ريعها وسلامته أو نقصانه أو عبه وانقطاع الطريق أو أمنها وذلك باستطلاع الأخبار والتقصى من الركبان.."

---

(١) ابن الأثير ٦ / ١٣٢. للقريزى : اتعاظ الحنفا الجزء الأول، تحقيق / جمال الدين الشيال، للمجلس العلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٦٧م، ص٦٣. النعمان : رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق/ وداد القاضى، دار الثقافة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٠م، ص ٢١٠.

(٢) ابن عذارى ١ / ١٦٦.

(٣) الدمشقى : ، ص٤٨.

(٤) نفسه، ص٤٨.

ب- الركاض:

هو التاجر الذى ينتقل من بلد الى آخر لشراء السلع المختلفة. وينبغى على هذا التاجر أن يكون على علم بأسعار جميع البضائع فى البلاد التى يشترى منها هذا فضلاً عن معرفته بمقدار المكوس التى تختلف من بلد لآخر.[1]

ج- المجهز:

يقوم بتجهيز البضائع إلى وكيله الذى يقوم ببيعها بنفسه لحساب المجهز. وينبغى أن يكون ثقة أميناً وهو المتولى للبيع وله حصة فى الربح فى كل ما يبيعه أو يشتريه.[2]

(٣) طوائف التجار

ذكر اليعقوبى[3] أنه كان بالقيروان خليط متنوع من السكان بقوله: "من قريش ومن سائر بطون العرب من مضر، وربيعة وقحطان. وبها أصناف من العجم من أهل خراسان. ومن وردها مع عمال بنى هاشم من الجند وبها عجم من عجم البلد البربر والروم وأشباه ذلك".

ولسنا بصدد الحديث عن سكان القيروان. ولكننا سنقتصر على الفئات التى ضربت بسهم وافر فى النشاط التجارى فى أسواقها ويمكننا تقسيمهم على النحو التالى:-

أ. العرب

اشتغل من العرب فى ميدان التجارة بعض الفقهاء والزهاد نذكر منهم إسماعيل بن عبد الله المخزومى المعروف بتاجر الله[4]. أحد العشرة الذين أرسلهم الخليفة عمر بن عبد العزيز لتعليم أهلها شرائع الدين الإسلامي الحنيف. إضافة إلى عوف بن يوسف الخزاعى التوفى سنة (٢٣٩هـ / ٨٥٣- ٨٥٤م) الذى كان يبيع الكتان فى حانوته[5]. والزاهد عبد الرحمن بن عبد ربه الربعى الذى عمل تاجرا فى سوق البزازين[6]. ومحمد بن عبد العزيز

---

(١) الدمشقى، ص٥١.

(٢) نفسه، ص٥٢.

(٣) البلدان، ص٣٢٨. انظر كذلك ـ السيد عبد العزيز سالم، ص٣٢٩ـ٣٣٤.

(٤) أبو العرب، ص٨٥.

(٥) ابو العرب، ص ١٨٨ – ١٨٩. المالكى١ / ٢٩٧. ابن الدباغ ٢ / ٧٣.

(٦) المالكى ١/ ٣٢٧.

ابن يحيى المدني الهاشمي الذى قدم للقيروان فى سنة (٢٢٥ هـ / ٨٣٩ – ٨٤٠ م) بمسك لبيعه في القيروان.[1] كما عمل بعض العراقيين فى أسواق القيروان تخص بالذكر منهم عبد الله ابن المغيرة الكوفي الذى تنسب إليه سويقة ابن المغيرة.[2]

والطلاء المنجم إسماعيل بن يوسف أول من ادخل الطلاء العراقى فى القيروان. واتهم بتزوير الدنانير والدراهم فلاذ بالفرار إلى الأندلس.[3] وعمل رجل من أهل العراق فى سوق البزازين[4] ولا غرو فى أن القيروان كانت محطة تجارية هامة لقوافل التجار العراقيين الذين وفدوا إلى سجلماسة التى استقرت بها جاليات عراقية.[5]

وشاركت المرأة العربية فى النشاط التجارى وفى مقدمتهن والدة الأمير إبراهيم ابن أحمد بن الأغلب (٢٦٠- ٢٨٩هـ/ ٨٧٥ – ٩٠٢م) التى اشتغلت بالتجارة وعقدت صفقات تجارية مع أصحاب القوافل.[6]

واشتغلت امرأة أخرى من قريش من بنى أمية فى التجارة الكبرى فقد نصحت من يعمل بتجارتها ببذل مزيد من الجهد قائلة له: ما منعك أن تكون مثل إسماعيل؟ فقال أتريدين أن تجعلى فلاناً تاجر فلانة مثل إسماعيل تاجر الله[7] " ؟!

ب. الفرس

حفلت أسواق القيروان بعدد كبير من تجار الفرس نخص بالذكر منهم الفقيه الذائع الصيت عبد الله بن فروخ[8] (ت ١٧٦هـ/٧٩٢م) وعبد الرحيم المستجاب كان تاجراً فى سوق البزازين.

واحتكر تجار الفرس بعض أسواق القيروان منذ العصر الأموى كسوق الاحابيش. وفى العصر العباسى أصبح سوق البزازين ملتقى دائم للعناصر الفارسية بالقيروان[9].

---

(١) أبو العرب، ص١٥٨-١٥٩.

(٢) أبو العرب، ص١٦١-١٦٢.

(٣) الزبيدى، ص٢٤١-٢٤٢.

(٤) أبو العرب، ص١٢١.

(٥) ابن حوقل، ص٦١.

(٦) النويرى٤/ ١٤٠. سعد زغلول عبد الحميد ٢/ ١٥٢-١٥٣.

Marcais : Op Cit.p.84.

(٧) المالكى١ / ٧١.

(٨) المالكى١ / ١٢٢.

(٩) محمود إسماعيل : مغربيات، المغرب (د.ت) ص١١٠-١١١.

ولقد وفد على المغرب نحو ثلاثين ألف من الفرس من أهل خراسان في حملة محمد ابن الاشعث الخزاعي سنة ١٤٤هـ/٦١م للقضاء على الفتن والثورات. واستمرت الهجرات الفارسية في المجيء إلى المغرب على شكل أفراد أو جماعات.[١]

ج.الموالى

من أبرز الذين عملوا بالتجارة في القيروان أبو هارون موسى مولى إبراهيم ابن الأغلب. ويشير المالكي إلى شكوى نخاسي البغال إلى قاضي القيروان عبد الله بن غانم (١٧١-١٩٠هـ /٧٨٧، ٧٨٨ - ٨٠٥،٨٠٦ م) من تأخره في سداد مبلغ خمسمائة دينار عليه، فضم ديوانه، وأسرع إلى إبراهيم بن الأغلب، وأخبره بأمر المتظلمين من أبي هارون. فأحضر ابن الأغلب أبا هارون، فسأله عما ذكر، فاقر به. وأنه ملتزم بالسداد بعد تحصيله خراج قصطيلية.[٢]

د.الأندلسيون

وجد تجار الأندلس في بلاد المغرب ملاذا طيبا للتجارة والإقامة معا. مما قوى من علاقة المغرب بالأندلس في كافة النواحي بحكم الموقع الجغرافي، وسهولة الانتقال بين البلدين. وكان لتجار الأندلس علاقات تجارية واسعة مع سائر مدن المغرب ولا سيما الواقعة على ساحل البحر المتوسط. وعلى الأخص طبرقة[٣]، ومرسى الدجاج[٤]، وبونة[٥]، وسلا.[٦]

ولم يقتصر دور الأندلسيين على الإقامة، فحسب بل شيدوا مدناً على الشريط الساحلي. وفي مقدمتها مدينتنا (تنس) في سنة (٢٦٢هـ/٨٧٥-٨٧٦م)[٧]. و(وهران) في سنة (٢٩٠هـ/٩٠٢ - ٩٠٣م)[٨]. وقامت صلات طيبة بين الأندلسيين والمغاربة في هاتين المدينتين.[٩]

---

(١) ابن الصغير : أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق / حسن على حسن، القاهرة (د.ت) مقدمة المحقق، ص١٨٣ .

(٢) المالكي ١ / ١٤٨ - ١٤٩ .

(٣) ابن حوقل، ص ٧٤.

(٤) البكري، ص ٩٥ .

(٥) البكري ، ص ٥٥ .

(٦) الإدريسي ١ / ٢٣٩ .

(٧) ابن حوقل ، ص ٧٧ .

(٨) مجهول، ص ١٣٣ـ ١٣٤ .

(٩) البكري ص ٩١ . مجهول، ص ١٣٤ .

وإذا انتقلنا الى القيروان لاحظنا أن الجالية الأندلسية كانت كبيرة بها. ولقد شاركت فى الحياة السياسية والتجارية هناك. ويذكر ابن عذارى أن الأندلسيين شاركوا فى حملة القاضى أسد بن الفرات سنة (٢١٢هـ / ٨٢٧-٨٢٨م) لغزو صقلية جنبا إلى جنب مع العرب والبربر.(١)

كما برز فى عالم التجارة من الأندلسيين أبو جعفر بن خيرون صاحب الفنادق المشهورة فى القيروان.(٢)

ويشير أحد الباحثين إلى أن الأندلسيين برعوا فى مجال التجارة الخارجية بحكم خبرتهم بالبلاد المسيحية.(٣)

و- الروم

استقرت الجالية الرومية فى القيروان، وعمل بعضهم فى أسواق القيروان. وعلى الأخص فى سوق العطارين. ونستدل على ذلك مما ذكره الزبيدى من أن شابا روميا كان يعمل فى سوق العطارين، قام بسداد عشرة دنانير على ابى الوليد المهدى إلى أحد الجزارين.(٤)

هـ - أهل الذمة

١ـ اليهود

بادئ ذى بدء قبل أن نخوض فى معرفة دور اليهود التجارى فى القيروان، ينبغى علينا طرح سؤال هام هو: متى استقر اليهود فى القيروان ؟!

وفى حقيقة الأمر اختلفت أراء المؤرخين تجاه هذا الأمر اختلافا شاسعا. وإن كل ما ذكره المؤرخون فى تصورى مجرد افتراضات علمية فقد ذكر Slouschz أن اليهود نزحوا إلى مدينة القيروان عقب تأسيسها مباشرة.(٥)

---

(١) ابن عذارى١ / ١٠٢ .

(٢) ابن عذارى١/ ١٦٩ .

(٣) محمد رزوق : الجالية الأندلسية بالمغرب العربى (تونس والجزائر) بحث بمجلة المناهل وزارة الشؤون الثقافية الرباط - العدد ٣٤ يوليو ١٩٨٦م، ص ١٥٨ .

(٤) الزبيدى ، ص ٢٣٢.

(٥) Slouschz : travels in North Africa , philadelphia , 1927 , p.247.

وذكـرت دائـرة المعـارف اليهودية أن اليهود نزحوا إلى القيروان وكانوا من ضمن الأسر القبطـية التى أوفدها الخليفة عبد الملك بن مروان من مصر إلى المغرب فى ولاية حسـان بن النعمان الغسـانى للمسـاهمة. فى تشييد الأسـطول المغربى.[1]

ولكـن هـير شـيرج Herchbirg يعـترض علـى هـذا الـرأى بشـدة وهـو مـن أبـرز المتخصصـين عـن اليهود في المغرب، ويسـتند فى رفضه إلى عدم وجود دليل قاطع يبرهن على انتقال جماعات من اليهود إلى القيروان بين الأسـر القبطية[2].

وكـيفما كـان الأمـر فـإن القـيروان شـهدت تدفقا لليهود بكثرة فى عصـر الأغالبة الذين انفـتحوا على عالم البحر المتوسط. ونشـطت حركة التجارة بينهم وبين جيرانهم. ولقد نعم الـيهود بالحـرية والتسـامح داخـل المجـتمع الإسـلامي.وسـاهموا بنصـيب كبير فى النشـاط التجارى في القيروان. وكان لليهود سـوق خاص بهم.[3]

ومـن أشـهر العـائلات الـيهودية التـى ذاع صـيتها فى القيروان عائلة بن عوكل الذى عمـل وسـيطا بـين المجـتمع الـيهودى فـى المغـرب وبـين الأكاديمية اليهودية فى العراق وفلسـطين[4] وسـجلماسـة[5] كما برزت عائلة أبى الفرج يعقوب بن أبراهام، ويحيى بوموشـيه بن المجانـى.[6] ولقد قامت شركات بين المسـلمين واليهود فى مجال التجارة والصناعة.[7]

٢-النصارى

اشـتغل بعـض النصـارى فـى تجارة الزيت فقد ذكر ابو العرب أن أحد المشـهورين فى صـناعة الـزيت وتجارته نصرانى فى السـاحل [8] ومن الثابت ان هذه الطائفة اسـتقرت فى

---

(١) Encyclopaedia Judaica Art " kairouan " v 10. p. 697.

(٢) Hirsch berg : Op cit., V.I, p.100.

(٣) أبو العرب، ص١٣٠، ١٦٧. ـ المالكى١/ ١٣٩. الرقيق، ص ١٦٧.

(٤) نورمان : بيت ابن عوكل، ترجمة د. زبيده عطا (بحث تحت الطبع)، ص٢.

(٥) حاييم الزعفران : ألف سنة من حياة اليهود فى المغرب، ترجمة / أحمد شحلان وعبد الغنى ابو العزم، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، ١٩٨٧م، ص١١.

(٦) Goitein : Zion (Hbrew) V. 27, 1962, p.12.

(٧) أمين الطيبى، ص٤٥٧.

(٨) ابو العرب، ص١٣٢. المالكى١ / ١٣٦.

ـ الحبيب الجنحانى : القيروان، ص١٣٧. الحبيب الجنحانى : المغرب الإسلامي، ص٩٠-٩١.

القيروان منذ وقت مبكر فقد وجدناها تبقى بالقيروان لما زحف عليها كسيلة الأوروبي سنة (٦٤ هـ).[١]

ولما تفشت ظاهرة الربا في أسواق القيروان على يد اليهود أمر القاضي عبد الله بن طالب بمعاقبتهم بعنف واتخذ موقفا صارما تجاه أهل الذمة في القيروان وكتب إلى قضاته بإلزام اليهود والنصارى أن تكون الزنانير عريضة مغبرة في وجه ثوبه ليعرف بها[٢]. وصفوة القول، إن عالم التجارة في القيروان ضم العرب والجاليات الأجنبية التي عملت معا في حقل التجارة.

(١) الحبيب الجنحاني : المغرب الإسلامي، ص٩١.

(٢) يحيى بن عمر، ص٩٧. المالكي ١ / ٣٨١. الونشريسي٦ / ٤٢١. عياض ٤ / ٣٢٣. الحبيب الجنحاني : المغرب الإسلامي، ص٥٦

الفصل السادس

القضاء والمظالم والسجون

١ـ القضاء

١ – شروط التقليد التي ينبغي توافرها فيمن يتولى القضاء

وردت في كتب الفقهاء شروط معينة وآداب لتولى خطة القضاء وعلى القضاة أن يلتزموا بها نستطيع أن نتلمسها في كتاب "الأحكام السلطانية" للماوردي وهي أن يكون القاضي رجلا، عاقلا، حرا، مسلما، عدلا، سليم السمع والبصر وأن يكون ملما بكافة الأحكام الشرعية أصولها وفروعها وهي معرفته بكتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ وتأويل السلف والقياس[1]. ويمكن أن نضيف إلى ما سبق العلم والورع والنزاهة والعفة والحلم[2].

٢ – أختصاص القاضي

تحدد كتب الفقه والنظم الإسلامية المهام المسندة إلى القاضي بعشرة أمور إذا كانت ولايته عامة وله حرية التصرف وهي :

١ – فصل المنازعات وقطع التشاجر والخصومات.

٢ – استيفاء الحقوق.

٣ – ثبوت الولاية على من كان ممنوع التصرف.

٤ – النظر في الأوقاف بحفظ أصولها.

٥ – تنفيذ الوصايا على شروط الموصي.

٦ – إقامة الحدود على مستحقيها.

٧ – تزويج الأيامى بالأكفاء إذ عد من الأولياء.

٨ – النظر في مصالح عمله من الكف عن التعدي في الطرقات والأفنية.

---

(١) الماوردي، ص ٥٣ – ٥٤.

مصطفى الشكعة : معالم الحضارة الإسلامية، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٢، ص ٧٤ – ٧٦.

(٢) المالقي : تاريخ قضاة الأندلس، الطبعة الخامسة، دار الآفاق، بيروت ١٩٨٣، ص ٢.

وكيع : أخبار القضاة، القاهرة ١٩٤٧، ص ٧٧.

٩ – تصفح شهوده وافنائه واختيار التأبين عنه.

١٠ – التسوية فى الحكم بين القوى والضعيف[١].

وأثناء ولاية القاضى أبى سعيد سحنون للقضاء بالقيروان (١٦٠ هـ – ٧٧٦ – ٧٧٧ م / ٢٤٠ هـ – ٨٥٤ – ٨٥٥ م) تم أضافة أختصاصات أخرى فى أمور الأسواق، التأديب على الغش والنفى من الأسواق للتجار المخالفين وبذلك أمتد نشاط قضاة القيروان وأدخلوا فى اختصاصهم حق الإشراف على الحسبة[٢] ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد فحسب بل أخذ سحنون لنفسه حق تعيين إمام الصلاة[٣].

وقد أسند إلى القاضى عبد الله بن أحمد بن أبى طالب حق النظر فى الولاة والجباة والحدود والقصاص والعزل والنهى عن المنكر فى القيروان[٤].

٣ – تعيين القضاة وعزلهم

كان تعيين القاضى للفصل بين الناس فيما ينشب بينهم من خلاف فرض أمرت به الشريعة الإسلامية[٥].

ويحدثنا الماوردى[٦] عن الطريقة التى تنعقد بها ولاية القضاء بقوله: "وولاية القضاء تنعقد به الولايات مع الحضور باللفظ مشافهة ومع الغيبة مراسلة ومكاتبة لكن لا يدفع المكاتبة من أن يقترن بها من شواهد الحال ما يدل عليها عند المولى وأهل عمله والألفاظ التى تنعقد بها الولاية ضربان صريح وكتابة فالصريح أربعة ألفاظ قد قلدتك ووليتك واستخلفتك واستنبتك.. فأما الكتابة... سبعة ألفاظ قد أعتمدت عليك وعولت عليك ورددت إليك وجعلت إليك وفوضت إليك وأسندت إليك... ".

---

(١) الماوردى، ص ٥٨ – ٥٩.

(٢) المالكى ١ / ٢٧٦.

عياض: ترتيب المدارك، الجزء الرابع، الرباط، ص ٦٠. ابن فرحون: الديباج المذهب، ص ١٦٣.

سعد زغلول عبد الحميد ٢ / ٩٢٨.

محمد المطلبى: تراجم أغلبية مأخوذ من ترتيب المدارك للقاضى عياض، تونس ١٩٦٨ م، ص ١٠٤.

(٣) المالكى ١ / ٢٧٧. عياض ٤ / ٦٠. سعد زغلول عبد الحميد ٢ / ٩٢.

(٤) المالكى ١ / ٢٨١.

(٥) عطية مصطفى مشرفة: القضاء فى الإسلام، الجزء الأول، مطبعة الاعتماد، القاهرة ١٩٣٩ م، ص ١٦٥.

(٦) الأحكام السلطانية، ص ٥٦ – ٥٧.

وكان تعيين قضاة القيروان في عهد الأغالبة يتم بمعرفة الأمراء فيما عدا ولاية أبي عبد الرحمن عبد الله بن غانم أول قضاة الأغالبة حيث كان يشغل منصب القضاء منذ سنة (١٧١ هـ / ٧٨٦ – ٧٨٧ م) في ولاية روح بن حاتم (١٧١ – ١٧٤هـ) بينما قامت دولة الأغالبة بتونس سنة (١٨٤ هـ / ٨٠٠ م).

واختلفت الآراء حول ولاية ابن غانم للقضاء فيذهب البعض إلى أن ولايته كانت من قبل الخلافة العباسية، ويذهب البعض الآخر إلى أن ولايته كانت من قبل وإلى المغرب روح بن حاتم.

ويشير المالكي لحسم هذا الخلاف بقوله: "فقال أبو عثمان" امرأته طالق بليلته ورقيقه أحرار أن كان ولاه أمير المؤمنين ثم أن أبا عثمان أتى إلى ابن غانم فأخبره الخبر فقال له ابن غانم " كم صداق زوجتك التي تزوجتها به ؟ قال " مائة دينار " قال " وكم ثمن مماليك عليك؟ " قال " مائة دينار " قال: فدعا ابن غانم بكيس فعد لأبي عثمان ثلاثمائة دينار وقال " خذها يا أبا عثمان فقد بانت منك امرأتك وعتق عليك عبيدك".

وهذا دليل قاطع على أن ولاية ابن غانم كانت من قبل الخلافة العباسية عن طريق المكاتبة[١] ونميل إلى الرأى الأول وسندنا في ذلك ما ذهب إليه ابن الرقيق[٢] (ت ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م) بقوله: "وكان هارون الرشيد يكاتب ابن غانم وكان بعد ذلك قضاؤه من قبله لا من قبل ولاته على إفريقية وكان يكتب في عنوانه "من هارون أمير المؤمنين إلى قاضي إفريقية عبد الله بن عمر بن غانم".

وأستمر ابن غانم على قضاء القيروان حتى قيام دولة الأغالبة (١٨٤ هـ/٨٠٠ م) وكان يتمتع بقوة الشخصية ولا يخشى في الحق لومة لائم وحظى بمكانة رفيعة عند إبراهيم ابن الأغلب الذى حزن عليه عندما وافاته المنية سنة (١٩٠ هـ / ٨٠٥ – ٨٠٦ م)[٣]

ومن الجدير بالذكر أن تعيين قضاة القيروان في عصر الأغالبة بعد ابن غانم كان يتم من قبل الأمراء بالأجبار وصل أحيانا إلى التهديد بالسيف لأن غالبية الناس ممن تتوافر

---

(١) أبو العرب، ص ١١٧. المالكي ١ / ١٤٨. عياض ٣ / ٦٨ – ٦٩.

السراج: الحلل السندسية، الجزء الأول، القسم الثالث، تونس ١٩٧٠ م، ص ٧٣٣ – ٧٣٤.

(٢) تاريخ أفريقيا والمغرب، ص ٢٢٩.

(٣) نفسه، ص ٢٢٨.

فيهم الشروط اللازمة لشغل منصب القضاء كانوا يعزفون عن قبولها فعندما أراد إبراهيم ابن الأغلب تولية أبي محرز قال له: "قد عزمت على توليتك القضاء" فقال له أبو محرز: "لست أصلح لهذا الأمر ولست أطيقه" فقال له إبراهيم بن الأغلب: "لو كان الأغلب بن سالم ويزيد بن حاتم باقيين لم أكن أنا أمير ولو كان ابن أنعم[1] وابن فروخ[2] باقيين لم تكن أنت قاضيا ولك زمان رجال وعلى الأمير أن يختار فقال له أبو محرز متمثلا:

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردي بالسؤود

فقال له: "قد وليتك القضاء" فامتنع فأمر ابن الأغلب والي الشرطة عامر بن معمر بالقبض عليه وأخذه إلى المسجد وأجلسه وأمره بالنظر بين الخصوم[3].

وفي بعض الأحيان أسند أمر القضاء إلى شخصين كما حدث أثناء ولاية زيادة الله (٢٠١ هـ - ٨١٦ م / ٢٢٣ هـ - ٨٣٧ م) حيث أسند إلى أسد بن الفرات ولاية القضاء سنة (٢٠٣ هـ / ٨١٨ م) إلى جانب أبي محرز ولأول مرة في تاريخ أفريقية منذ دخول العرب يشترك قاضيان معا في وقت واحد[4].

وكذلك في ولاية القاضي سحنون بن سعيد عندما تشدد في تطبيق أحكامه على رجال البلاط وأفراد البيت الأغلبي فدبروا مكائدهم له[5] ولم يكن بوسع الأمير أبو العباس محمد بن الأغلب (٢٢٦ هـ - ٢٤٣ هـ) عزل سحنون لكي لا يجلب على نفسه سخط فقهاء القيروان والرعية وكل ما فعله عين الطنبي على القضاء[6] إلى جانب سحنون.

---

(١) زياد بن أنعم المعافري السفياني وقيل الشعباني والأفريقي روى عنه جماعة منهم ابن عمر وابن أيوب الأنصاري سكن القيروان وأختط بها دار في ناحية باب نافع أبو العرب: طبقة علماء أفريقية ص ٨٧ هامش (٤).

(٢) عبد الله بن فروخ الفارسي كان من شيوخ أهل أفريقية وكان ممن رحل في طلب العلم ولقي بالمشرق مالك بن أنس وسفيان الثوري (أنظر أبو العرب، ص ١٠٧).

(٣) المالكي ١ / ١٩٢. ابن الدباغ ٢ / ١٩.

(٤) الخشني: قضاة قرطبة وعلماء أفريقية وتونس، ص ٣٠٥. المالكي ١ / ١٧٣. ابن عذارى ١ / ٩٧.
دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثاني، ص ١٠٥.

(٥) المالكي ١ / ١٩٢.

(٦) المالكي ١ / ١٩٢.

وأيضا في ولاية حماس بن مروان عندما حدث خلاف بين حماس وابن الصائغ صاحب البريد بدولة زيادة الله (٢٩٠ – ٢٩٦ هـ) وكان حماس لم يخوله أدنى أهتمام الأمر الذى آثار حفيظة ابن الصائغ فألح على زيادة الله بتعيين أبن جيمال في القضاء إلى جانب حماس فلم يلبث أن طلب أعفائه في جمادى سنة (٢٩٤ هـ / ٩٠٦ م)[١].

وفي هذا الصدد يقول الماوردى[٢]: "وإذا قلد قاضيان على بلد لم يخل حال تقليدهم من ثلاثة أقسام. أحدها أن يرد أحدهما موضعا منه وإلى الآخر غيره فيصح ويقتصر كل واحد منهم على النظر في موضعه والقسم الثاني أن يرد أحدهما نوع من الأحكام وإلى الآخر غيرة كرد المداينات إلى أحدهما والمناكح – المناكحات – إلى الآخر فيجوز ذلك ويقتصر كل واحد منهما على النظر في ذلك الحكم الخاص في البلد كله والقسم الثالث أن يرد إلى كل واحد منهما جميع الأحكام في جميع البلد فقد أختلف أصحابنا في جوازه فمنعت منه طائفة لما يقضي إليه أمرهما من التشاجر في تجاذب الخصوم إليهما وتبطل ولايتهما أن أجتمعت وتصبح ولاية الأول منهما أن أفترقت وأجازته طائفة أخرى وهم الأكثرون لأنها استنابة كالوكالة ويكون القول عند تجاذب الخصوم قول الطالب دون المطلوب فإن تساويا أعتبر أقرب الحاكمين إليهما فإن أستويا فقد قيل يقرع بينهما وقيل يمنعان من التحاكم حتى تفقل على أحدهما".

وأستمر أبو محرز في ولاية القضاء إلى جانب أسد بن الفرات وعندما أراد زيادة الله أن يعين قاضيا للقيروان عندما خلت البلاد من قاض بوفاة أبى محرز سنة (٢١٤ هـ / ٨٢٩ م) واستشهاد أسد بن الفرات وهو محاصر لسرقوسة سنة (٢١٣ هـ / ٨٢٨ م) فعرض القضاء على جماعة من العلماء فامتنعوا فأجبر زيادة الله أحمد بن أبى محرز على القضاء.

وكان زيادة الله يفخر بتوليته أحمد بن أبى محرز للقضاء ويعتبره من أهم إنجازاته التى تحققت في مدة ولايته على إفريقية[٣].

ومما يذكر عن زيادة الله مناشدة أياه لأهل القيروان بقوله "يا أهل القيروان لو أراد الله بكم خيراً لم يزل أحمد بن أبى محرز بين أظهركم"[٤].

---

(١) عياض ٥ / ٧٢ – ٧٣.

(٢) الأحكام السلطانية ، ص ٦١.

(٣) المالكى ١ / ٣٠٨. ابن الدباغ ٢ / ٢٦.

(٤) ابن الدباغ ٢ / ٣١

ولم تشر المصادر إلى من شغل منصب القضاء فى الفترة من سنة (٢١٤ هـ / ٨٢٩ م) عقب وفاة أبى محرز حتى سنة (٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م) تولية أحمد بن أبى محرز.

وأغلب الظن أن الأمير زيادة الله (٢٠١ — ٢٢٣ هـ) ثالث حكام الأغالبة هو الذى أشرف عليها أو ربما يكون استعان ببعض فقهاء القيروان للنظر فيما ينشب بين الرعية من خلافات لأنه من المستبعد أن تخلو القيروان من قاض رسمى خلال تلك السنوات المذكورة سابقا وليس من السهل تأجيل قضايا الرعية لمدة ست سنوات ليتم البت فيها بعد ذلك.

وكان من حق أمراء الأغالبة عزل القضاة لأى سبب فعزل الأمير محمد بن أغلب (٢٢٦ هـ/٨٤٠ — ٨٤١ — ٢٤٢ هـ/ ٨٥٦ — ٨٥٧ م) القاضى عبد الله أبى الجواد[1].

كما أسند الأمير محمد بن الأغلب قضاة القيروان إلى فقيه إفريقية المشهور سحنون بن سعيد بعد أن تردد لمدة عام ولم يوافق سحنون على شغل وظيفة القضاء إلا بعد أن حصل على ضمانات الأمير محمد بن الأغلب بتنفيذ أحكامه على أهل بيته ورجال البلاط الأغلبى[2].

وفى ولاية إبراهيم بن الأغلب (٢٦١ — ٢٨٩ هـ) عزل سليمان بن عمران الذى عينه زيادة الله (٢٤٦ — ٢٥٠ هـ) على قضاء القيروان[3] وعين إبراهيم بن الأغلب عبد الله بن أبى طالب وعظمت منزلته عنده ولما شعر إبراهيم بن الأغلب ميل الناس إلى ابن أبى طالب لعدله وسماحته أبان موجة الرخاء وإنخفاض الأسعار فخشى إبراهيم على ملكه لكونه ابن عمه فعزله ورد سليمان بن عمران إلى القضاء ولكن تقدم السن بسليمان جعل إبراهيم بن الأغلب يعيد النظر مرة أخرى فى عزل سليمان وأشار أهل الرأى على إبراهيم ابن الأغلب بتولية ابن أبى طالب الذى رفض شغل ذلك المنصب بعد عزله فمد إبراهيم يده إلى السيف وقال: "إن شئت القضاء وإن شئت هذا فقبل ابن أبى طالب ولاية القضاء تحت التهديد بالسيف"[4].

---

(١) الخشنى : قضاة قرطبة، ص ٣٠٥. ابن عذارى ١ / ١٠٩.

(٢) الخشنى، ص ٣٠٥ – ٣٠٦. عياض ٣ / ٥٦. ابن الدباغ ٢ / ٥٣. ابن عذارى ١ / ١٠٩.
المالقى : تاريخ قضاة الأندلس، ص ٢٨.
ابن الخطيب : أعمال الاعلام، الجزء الثالث، ص ٢٢، هامش (٢).
حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس، ص ٨٦.

(٣) الخشنى، ص ٢٣٦. المالكى ١ / ٣٧٧ – ٣٧٨.

(٤) عياض ٤ / ٣١٠ – ٣١٢.

وصفوة القول كان تعيين قضاة القيروان وعزلهم يتم من قبل أمراء الأغالبة فيمن تتوفر فيه شروط شغل منصب القضاء ومما يسترعى الانتباه أن بعضهم رفض العمل فى سلك القضاء فأجبروا من أمراء الأغالبة تحت التهديد بالسيف على توليه.

٤- علاقة القاضى بدار الخلافة

أرتبط قضاة القيروان بعلاقات وطيدة مع خلفاء الدولة العباسية فكان الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ) يرسل كتابا إلى ابن الأغلب ومعه كتابا آخر إلى القاضى ابن غانم ويذكر الخليفة هارون الرشيد فى كتابه لابن الأغلب بقوله: "وأنا أعلمك أنى لا أملك - أخط - لك كتاباً حتى يكون مع كتابك إلى كتاب إلى ابن غانم"(١).

وكان الخليفة هارون يكتب فى عنوان الكتاب "من هارون أمير المؤمنين إلى قاضى إفريقية عبد الله بن عمر بن غانم"(٢).

وكانت رسائل الرشيد إلى ابن غانم تحوى قضايا فى غاية السرية ويتضح ذلك عندما وفد إلى إفريقية صاحب البريد يحمل كتابين من الخليفة الرشيد أحدهما إلى ابن الأغلب والآخر إلى ابن غانم وعندما فرغ إبراهيم من قراءة كتابه دفعه إلى ابن غانم فقرأه وطلب ابن الأغلب منه أن يعطيه كتابه المرسل إليه من قبل الخليفة فرفض ابن غانم فقال له إبراهيم "هات كتابك أقرأه.." فقال له "فلم قرأت كتابى" قال "أنت دفعته إلى..." ومددت به يدك وكرهت أن أردها وأما أنا فلست أطلعك عليه فإن أمير المؤمنين أسر إلى فيه شئ لا أطلع عليه أحد"(٣).

٥- علاقة القاضى بالوالى

كان تعيين قضاة القيروان فى عصر الأغالبة من قبل الأمراء كما ذكرنا وعزل من لا تتوافر فيه شروط أداء تلك الوظيفة وكانت العلاقة بين الأمراء والقضاة طيبة تقوم على التعاون والتفاهم وعلى الرغم من ذلك كان للقضاة مواقف قوية من الولاة لم يتخلوا عن مكانتهم وهيبتهم فى أقرار الإصلاح الإجتماعى فنذكر منها نماذج على سبيل المثال ففى

---

(١) المالكى ١ / ١٥٢ . عياض ٣ / ٦٩ .

(٢) الرقيق، ص ٢٢٩ .

(٣) الرقيق، ص ٢٢٦ . عياض ٣ / ٧٢ .

ذات مرة نظر القاضي ابن غانم إلى إبراهيم ابن الأغلب فوجده يحمل قارورة مليئة بالسم فأخذها منه وضربها على عمود وأراق ما فيها فدهش إبراهيم قائلا: "هاه ! ماذا صنعت؟ "قال" أفاترك معك ما يقتل الناس"[1].

وهناك موقف آخر: بعث ابن الأغلب إلى القاضي ابن غانم وكان الوقت متأخرا فلما دخل عليه القاضي قال: "يا أبا عبد الرحمن أني لم أبعث إليك إلا لخير، أني لما دخلت المسجد أشتغل قلبي من حفظ نفسي فعثرت على حصير فسقطت فظننت بالناس أنهم حسبوني منتبذ فأحببت أن تكون براءتي عندك ولا أبالي بغيرك فاستكهني" فوجده ابن غانم بريئا[2].

وكان زيادة الله الأول يكن كل التقدير والأحترام إلى القاضي أسد بن الفرات فعندما خرج على رأس حملته إلى صقلية لم يعزله عن القضاء قائلا: "إني لم أعزلك عن القضاء بل وليتك الإمارة وهي أشرف من القضاء وأبقيت لك أسم القضاة فأنت قاضي أمير"[3].

ونسوق دليل آخر أكثر حساسية لأمراء الأغالبة وافق عليه الأمير محمد بن الأغلب حيث عرض ولاية القضاء على سحنون فرفض ولم يوافق على ولايته للقضاء إلا بعد أن أعطاه الأمير الأغلبي العهود وكافة الضمانات لممارسة عمله حتى على رجال البلاط الأغلبي لدرجة أنه خوله النظر على أهل بيته وخدمه وحاشيته وينفذ عليهم الحق أن أحبوا أو كرهوا[4].

مما سبق يتضح أن قضاة القيروان حظوا بمكانة مرموقة من قبل الخلافة العباسية في بغداد وأمراء الأغالبة.

٦ – أعوان القاضي

أعتمد القاضي على مجموعة من الأعوان والموظفين في أداء واجباته لمساعدته في انجاز القضايا المعروضة عليه، وكان القاضي يدقق في اختيار أعوانه حتى يتسنى له

---

(١) المالكي ١ / ١٥٠. الرقيق، ص ٢٢٦. عياض ٣ / ٦٢. السراج: الحلل السندسية، جـ ١، ق ٣، ص ٧٣٦. محمد محمد زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ص ٢١٢.

(٢) المالكي ١ / ١٥٠.

(٣) المالكي ١ / ١٨٨.

(٤) الخشني، ص ٢٠٥ – ٢٠٦. عياض ٣ / ٥٦.

القيام بهذه المهمة على أكمل وجه، فعندما أسند إلى سحنون قضاء القيروان عكف عدة أيام يلتمس فيها أختيار الأعوان[1].

وكانت هيئة المحكمة تتشكل من الآتي:

١ – كاتب القاضي

كان القاضي يختار كاتبه ممن له معرفة بمدلولات الألفاظ اللغوية والعرفية وحسن الفطنة[2].

ومن كتبة القضاة بالقيروان الذين وصلتنا عنهم إشارات في المصادر العربية:

أ – سليمان بن عمران استعان به سحنون في معاونته على قضاء بجاية وباجة و الأربس[3] قبل أن يشغل هذا المنصب.

ب – عبد الله بن هارون السوداني في قضاء سليمان بن عمران[4].

جـ – حسن بن البناء في قضاء عيسى بن مسكن[5].

٢ – حاجب القاضي

يختص برفع الأمور إلى القاضي.

٣ – نقيب القاضي

وكانت وظيفته تنبيه القاضي على الشهود وتنبيه الشهود على القاضي.

٤ – أمناء القاضي

يقومون بالتحفظ على أموال الأيتام والغائبين[6] وجعل سحنون الودائع عند الأمناء وكانت قبل ذلك في بيوت القضاة.

---

(١) المالكي ١ / ٢٧٣. عياض ٤ / ٥٦.

السيد محمد أبو العزم داود: بنو باديس وحضارتهم بالقيروان والمهدية، رسالة ماجستير غير منشورة كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، ١٩٧٨ م، ص ٢٧٤.

(٢) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٥ م، ص ٦٠ – ٦١.

(٣) الخشني ١ / ٢٧٥. ابن الدباغ ٢ / ٩٩.

(٤) الخشني ص ١٩٣ – ١٩٤، بينما ذكر المالقي: تاريخ قضاة الأندلس، ص ٣١. أن عيسى بن مسكين عين عبد الله بن محمد بن معرج كاتبا له.

(٥) السبكي، ص ٦٢.

(٦) عياض ٤ / ٦٠.

٥ – وكلاء دار القاضى

يؤدون دور المحامين فى الوقت الحاضر[١].

٦ – الشهود

وهم الذين يحضرون مع الخصوم للإدلاء بشهادتهم فى الواقعة محل الخلاف[٢].

٧ – مجلس القضاء والإجراءات القضائية

كانت تنعقد هيئة المحكمة فى مسجد القيروان فعندما عين أبو محرز جلس فى المسجد للنظر فى شكاوى الناس[٣].

وفى أثناء ولاية القاضى سحنون كثر إزدحام الناس وأرتفعت أصواتهم مما يتنافى مع قدسية المسجد فشيد مكانا مستقلا للقضاء ملحقا بالجامع[٤].

وبالنسبة لزى القضاة فوصلتنا إشارات عابرة فى المصادر وهى أنهم كانوا يرتدون القلنسوة فوق رؤوسهم[٥] والبعض منهم كابن غانم أرتدى الملابس الرفيعة[٦] وعندما يذهب للفصل فى المنازعات بين النساء كان يلبس الفرو الخشن وخلق الثياب[٧].

أما القاضى حماس بن مروان فلبس الصوف أو قميصا وغلالة[٨] ومنديلا وفى وسطه المئزر[٩].

وفيما يختص بطريقة التقاضى فكان الخصوم يدونون مشاكلهم – قضاياهم – على الشفاف فيها قصصهم مكتوبة[١٠]. أما توقيع العقوبة فكان يتم بواسطة القاضى فكان

---

(١) السبكى، ص ٦٢.

(٢) ابن فرحون، ص ١٦٤.

(٣) المالكى ١ / ١٩٢.

(٤) ابن فرحون، ص ١٦٤.

(٥) المالكى ١ / ١٥١. ابن الرقيق، ص ٢٢٦.

لباس للرأس متعدد الأنواع والأشكال أنظر المعجم الوجيز، القاهرة ١٩٩٢ م، ص ٥١٢.

(٦) ابن الرقيق، ص ٢٣٠.

(٧) عياض ٣ / ١٩. السراج : الحلل السندسية، جـ ١، ق ٤، ص ٦٧٤.

محمد محمد زيتون : القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية، ص ٢١٠.

(٨) ثوب رقيق يلبس تحت الزنار، المعجم الوجيز، ص ٤٥٤.

(٩) عياض ٥ / ١٩.

(١٠) المالكى ١ / ١٤٨.

سحنون يضرب بالدرة وما خف من الأدب أحتراما لقدسية المسجد وعند إقامة الحدود علي المتخاصمين يخرجهم من المسجد وفي أغلب الأحيان كان يؤدب بلطم القفا [1] وكان يضرب الخصوم إذا أذى بعضهم بعضا بكلام أو تعرضوا للشهود بعيب أو تجريح.

٨- نماذج لبعض الأقضية والأحكام

ومن أهم القضايا التي شهدتها ساحة محكمة القيروان في عصر الأغالبة هي الأولى قضايا خاصة بالمرأة والثانية خاصة بشهادة زور والثالثة تأخير مستحقات مالية.

أولا - قضية المرأة

أهتم قضاة القيروان بشئون المرأة أهتماما بالغا الأمر الذى جعل القاضي أبا محرز يخصص يوما للنظر في أحوال المرأة عند بابه الذى يوجد في زقاق ابن أبي دينار[2].

كذلك لم يتهاون القاضي سحنون في ردع المخالفات منهن حتى تثبت براءتهن كما رفض سحنون طلب المرأة التي تعمل بالقصر عندما حاولت أن تقطع بشرطها (تطلب الطلاق) بعد ما طال غياب زوجها. فحذرها سحنون بلهجة الواثق من نفسه بقوله: "إياك أن تشهدى أحداً من أهل القصر لا أقبل شهادتهم"[3].

ثانيا : قضية شهادة زور

وقد حدث في ولاية القاضي أبي محرز أن رجلين تعدى أحدهما على الآخر وأحضر شاهدين بعد أن تحرى أبو محرز عن الشاهدين. وعندما أراد أن ينطلق بالحكم جاء الرجل المشهود عليه بعد صلاة المغرب وقال لأبي محرز: "أيها القاضي! عزمت على أن تحكم علي ؟ قال القاضي نعم!" قال المشهود عليه "امرأته - امرأتي - طالق ثلاث وكل ملوك له - لي - حر أن كان شهد على هذا ألا يزور" فقال أبو محرز: "ليس هذا على وأنا قد كشفت عنهما فلم يبلغني عنها إلا خير !" فلما أصبح أبو محرز توجه إلى مجلس قضاته فجلس فأقبل المشهود له فقال له: "أحكم لي أصلحك الله" فقال "نعم لكن تأتي معك بالشاهدين الذين شهدوا لك فأني أريد أن أسألهما عن شئ بقى على لم أسألهما عنه".

---

(١) عياض ٤ / ٦١.

(٢) المالكي ١ / ١٨٩.

(٣) عياض ٤ / ٦١.

فمضـى الـرجل وأحضرهما فلما جلسا فى مجلس القاضى أبو محرز قال القاضى بأعلى صـوته: "يـا شـكريد! أن فـى حلقتـى شـاهدى زور فامضى إلى باب سلم فجئنى بجملين حتى تحملهما عليهما".

وهـنا هـرب الشاهدان ثم قال أبو محرز للمشهود له "أين شـاهداك" فقال "ها هنا كانا السـاعة ولا أدرى أيـن تـوجها" فقـال لـه أبـو محـرز "يا عدو الله! تجترى على بشهود الزور"[1].

ثالثا – قضية تاخير مستحقات مالية

كانـت فـى ولايـة القاضـى ابـن غـانم ففى أحدى جلسـاته فى المجلس القضائى تقدم نخاسـو البغال بشكوى فحواها "أشترى منا أبو هارون مولى موسـى مولى إبراهيم بن الأغلب بغـالا بخمســمائة ديـنار ولم يدفـع إلينا شيئا فضـم ديوانه وأسـرع إلى أبن الأغلب وذكر له أمـر المـتظلمين من أبى هارون فأسـتدعاه وأعترف بالمبلغ وقال: "إنما أخرته لتجبى خراج قسـطيلية فـإذا جـاء دفعـت إلـيهم فقـال ابن الأغلب إنما ظننت أنه يجحد فأوقفه معهم موقف الخصوم – فقال القاضى: فأما إذ أقر فانى لا أبرح حتى تدفع إليهم أموالهم"[2].

وهكـذا كـان قضـاة القيروان يقومون بالفصـل فى كافة القضـايا من وازع ضـميرهم لإعطاء كل ذى حق حقه بحرية مطلقة دون تدخل من قبل أمراء الأغالبة.

٩ – أشهر قضاة القيروان فى عصر الأغالبة

١ – أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن غانم بن شرحبيل بن ثوبان الرعينى

(١٧١هـ/٧٨٦م – ١٩٠هـ/٨٠٥م).

قـدم أبـو عـبد الرحمن عبد الله بن غانم مع والده فى جيش بنى أمية المتجه إلى بلاد المغـرب، وأبلـى والده بلاء حسـنا فى موقعة القرن والأصنام التى أعلنها حنظلة بن صفوان (١٢٤ هــ / ٧٤١ م – ١٢٧ هــ / ٧٤٤ – ٧٤٥ م) أمـير أفـريقية علـى الخـوارج أثناء محاولتهم الاسـتيلاء على القيروان[3].

---

(١) المالكى ١ / ١٨٩ – ١٩١.

(٢) المالكى ١ / ١٤٨ – ١٤٩. عياض ٣ / ٧٠.

(٣) المالكى ١ / ٣٤٣

وكانت نشأة ابن غانم علمية فلزم مالك بن أنس[1] رضى الله عنهما وسمع من إبراهيم ابن أنعم وخالد بن عمران ثم رحل إلى الحجاز والشام والعراق فسمع من مالك ومن سفيان الثورى[2] وعثمان بن الضحاك[3]. وقد عين على قضاء إفريقية سنة (١٧١ هـ / ٧٨٦ — ٧٨٧ م) حتى وافته المنيه سنة (١٩٠ هـ / ٨٠٥ — ٨٠٦ م)[4].

٢ – أسد بن الفرات بن سنان مولى بن سليم بن قيس (كنيته أبو عبد الله)

ولد أسد سنة (١٤٣ هـ / ٧٥٩ م) بحران من ديار بكر وأصله من مدينة نيسابور حاضرة خراسان وفد أبوه مع جيش محمد بن الأشعث سنة (١٤٤ هـ / ٧٦١ م). مكث بالقيروان خمس سنوات ثم رحل إلى تونس حيث مكث هناك تسع سنوات وتلقى تعليم القرآن بإحدى قرى وادى بجردة[5].

وتتلمذ أسد على يد على بن زياد فسمع منه الموطأ ثم رحل إلى المشرق ولقى مالك بن أنس رضى الله عنه فسمع منه ولزم محاضراته فى المؤطأ.

ثم وصل إلى العراق فلقى أصحاب أبى حنيفة وأبى يوسف وأحمد بن عمر وكتب أسد الحديث أثناء وجوده بالعراق وعاد إلى مصر فلقى ابن القاسم[6] واستفاد من علمه الغزير وأخذ عنه "الأسدية" وعاد بها إلى القيروان وسمعها أهل المغرب[7].

وكان أسد بن الفرات يحدثنا عن نفسه بقوله: "أنا أسد وهو خير الوحوش وأبى الفرات هو خير المياه وجدى سنان وهو خير السلاح"[8].

---

(١) ولد الأمام مالك بن أنس رضى الله عنه فى سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م فى خلافة الوليد بن عبد الملك وهو أحد أئمة علماء الحديث – ابن فرحون : الديباج المذهب، ص ١٨.

(٢) أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثورى الكوفى أمير المؤمنين فى الحديث وآية فى الحفظ سمع من كبار التابعين وغيرهم أتفق العلماء على وصفه بالبراعة فى العلم والحديث وفى منزله بين العلماء وفى علمه وفضله توفى بالبصرة سنة ١٦١ هـ أنظر أبو العرب، ص ٩٥ حاشية (٦).

(٣) المالكى ١ / ١٤٣ – ١٤٤. عياض ٣ / ٦٦.

(٤) الخشنى، ص ٣٤. المالكى ١ / ١٤٣. ابن الرقيق، ص ٢٢٨.

(٥) المالكى ١ / ١٧٢.

(٦) أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم المتقى ١٢٨ – ١٩١ هـ فقيه مالكى مصرى أصله من الشام روى عن ابن عيينة والليث بن سعد وابن الماجشون وأخذ عنه أهل المغرب. أبو العرب : طبقات علماء أفريقية، ص ١٥١، الحاشية (٥)

(٧) عياض ٣ / ٢٩١ – ٢٩٧. المالكى ١ / ١٧٣. دائرة المعارف الإسلامية، جـ ٢، ص ١٠٥.

(٨) ابن فرحون، ص ٩٨.

أسند إليه زيادة الله (٢٠١ – ٢٢٣ هـ / ٨١٦ – ٨٢٨ م) قضاء القيروان سنة (٢١٣ هـ / ٨٢٨ م)[1] إلى جانب أبي محرز فكان يقضيان جميعا وهما أول قاضيان يعينان على القيروان في وقت واحد[2].

٢ – عبد السلام سحنون[3] بن سعيد بن حبيب التنوخي

"ولد بالقيروان سنة (١٦٠ هـ / ٧٧٦ م)[4] وأصله شامي من حمص[5] تلقى العلم بإفريقية على يد علمائها أبي خارجة وبهلول وعلي بن زايد وابن غانم ورحل إلى المشرق طلبا للعلم سنة (١٨٨ هـ / ٨٠٣ م).

وسمع في رحلته إلى مصر والحجاز من ابن القاسم وابن وهب وأشهب وعاد إلى إفريقية سنة (١٩١ هـ / ٨٠٦ م)[6] وصنف سحنون "المدونة" على مذهب الأمام مالك ويعزى له الفضل بنشر مذهب مالك بالمغرب[7].

ثم ولي قضاء إفريقية سنة (٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م) وأستمر في القضاء حتى توفي سنة (٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م)[8] ولم يتقاض سحنون أجرا على مدة قضائه[9].

وامتدحه أبو العرب[10] بقوله "كان جامعا للعلم فقيه البدن أجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت في غيرة الفقه البارع والورع والصادق – والصدق – والصراحة في الحق والزهادة في الدنيا والتخشن في الملبس والمطعم والسماحة".

---

(١) المالكي ١ / ١٧٣.

أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي، المجلد الأول، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣ م، ص ٩٢.

(٢) أبو العرب، ص ١٦٦. الخشني، ص ٣٠٥. المالكي ١ / ١٨٥. ابن عذارى ١ / ٩٧. دائرة المعارف الإسلامية، جـ٢، ص ١٠٥.

(٣) سمي سحنون لحدة ذكائه. ابن خلكان : وفيات الاعيان، الجزء الثالث، تحقيق أحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٧ م، ص ١٨٢. ابن عذارى : البيان، جـ١، ص ١٠٩.

(٤) المالكي ١ / ٢٤٩. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، جـ٣، ص ٢٢.

حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس، ص ٨٥.

(٥) أبو العرب، ص ١٨٤. المالكي ١ / ٢٤٩. عياض ٤ / ٤٥. ابن فرحون، ص ١٦٠.

(٦) المالكي ١ / ٢٥٠. عياض ٤ / ٤٦ – ٤٧. ابن فرحون، ص ١٦٠.

(٧) ابن خلكان : وفيات الإعيان، جـ٣، ص ١٨١. ابن فرحون، ص ١٦١.

(٨) أبو العرب، ١٨٥. عياض ٤ / ٥٥. اليافعي : مرآة الجنان وعبر اليقظان، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٠م، ص ١٣١.

(٩) المالقي، ص ٣٠.

(١٠) طبقات علماء أفريقية، ص ١٨٤.

٤ – عيسى بن مسكين بن جريح بن محمد الأفريقى

ولـد عيسـى بـن مسـكين سنة (٢١٤ هـ / ٨٢٩ م) وأصله من العجم من أهل الساحل سمـع مـن سـحنون وابـنه محمد[١] جميع كتبه وسمع بالمغرب من غيرهما ورحل إلى مصر فالتقـى بجماعـة مـن علمائهـا منهم يونس[٢] بن عبد الأعلى وسمع بالشام من أبى جعفر الأيلى[٣].

وكـان عيسـى بـن مسـكين فقيها عالم فصيحا ورعا مهيبا وقوار ثقة مأمونا صالحا[٤]، وعين واليا للقضاء لمدة ثمان سنين وأحد عشر شهرا[٥] ولم يتقاض على مدة قضائه أجراً[٦] و توفى سنة (٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م)[٧].

٥ – حماس بن مروان بن سماك الهمدانى (كنيته أبو القاسم القاضى)

ولـد حماس سنة (٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م) ومنذ طفولته حرص على السماع لسحنون فسمع عنه "المدونة" وتردد على علماء إفريقية فسمع من حماد السجلماسى[٨] وابن عبدوس[٩].

أسـند زيـادة الله (٢٩٠ هـ – ٢٩٦ هـ) ولايـة القضـاء إلى حمـاس سـنة (٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م)[١٠].

---

(١) كان محمد بن سحنون غزير العلم وله مؤلفات فى كافة فنون العلم ومن أشهرها كتاب الجامع والمجلد فى الحديث وتفسير الموطأ وآداب المعلمين. . . . ألخ. ابن سحنون : آداب المعلمين، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب، دار الكتب الشرقية، تونس ١٩٧٢ م، ص ٢٥ (مقدمة المحقق).

(٢) ولد فى ذى الحجة سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م وتوفى فى ربيع الأخر سنة ٢٦٤ هـ وكانت وفاته بمصر ودفن بمقابر الصدف وقبره مشهور بالقرافة. ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ٧، ص ٢٥٢ – ٢٥٣.

(٣) الخشنى، ص ١٩٣. عياض ٤ / ٣٣١. ابن فرحون، ص ١٧٩.

(٤) ابن فرحون، ص ١٧٩.

(٥) ابن فرحون، ص ١٨١.

(٦) عياض ٤ / ٣٤١.

(٧) عياض ٤ / ٣٥٠. ابن فرحون، ص ١٨١.

(٨) وضع فى عداد أهل القيروان سمع من عبد الله بن بكر السهمى وأن الماجشون وهو أول من قدم بفقه ابن الماجشون القيروان وسمع من سحنون وكان شيخا صالحا تاجراً. وكان فى كتبه بصحيف كثيرة لم يكن يقوم بها. أنظر عياض : ترتيب المدارك، جـ٣، ص ٩.

(٩) عياض ٥ / ٦٦. ابن فرحون، ص ١٠٨.

(١٠) عياض ٥ / ٧٠. ابن فرحون، ص ١٠٩.

وحدث خلاف بين حماس وابن الصائغ صاحب البريد كبير دولة زيادة الله وكان حماس لم يخوله أدنى اهتمام الأمر الذى أثار حفيظة ابن الصائغ فألح على زيادة الله بتعيين ابن جيمال في القضاء وبدأ يدبر المكايد إلى حماس لرفع ديوانه ومضى إلى رقادة وطلب إعفائه من القضاء فأعفى فى جمادى سنة (٢٩٤ هـ / ٩٠٦ م)[١] وتوفى سنة (٣٠٣ هـ / ٩١٥ م)[٢].

٢ ـ المظالم

كانت ولاية المظالم تدخل بحسب أصولها فى نطاق القضاء، وكان لوالى المظالم سلطات أوسع من القاضي وقد عبر الماوردى[٣] عن نظر المظالم بقوله "هو قود المتظلمين إلى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة ظاهر العفة قليل الطمع كثير الورع لأنه يحتاج فى نظره إلى سطوة الحماة وثبت القضاة فيحتاج إلى الجمع بين صفات الفريقين وأن يكون بجلالة القدر نافذه الأمر فى الجهتين".

ويذكر الماوردى أن هيئة محكمة المظالم تتألف من خمس جماعات هم:

١ — الحماه والأعوان.

٢ — القضاء والحكام.

٣ — الفقهاء.

٤ — الكتاب.

٥ — الشهود.

أما عن أختصاصات قاضي المظالم فهي:

١ — النظر فى تعدى الولاة على الرعية.

٢ — تعسف العمال فى جباية الضرائب.

٣ — كتاب الدواوين لأنهم أمناء المسئولين على ثبوت أموالهم.

٤ — تظلم المسترزقة من نقص أرزاقهم.

٥ — رد الغصوب.

---

(١) عياض ٥ / ٧٢ – ٧٣.

(٢) ابن فرحون، ص ١٠٩.

(٣) الاحكام السلطانية، ص ٦٤.

٦ – تنفيذ ماعجز عنه القضاة.

٧ – الأشراف على الأوقاف.

٨ – النظر فيما عجز عنه المحتسب.

٩ – مراعاة العبادات الظاهرة.

١٠ – الفصل في المنازعات التي تنشب بين الأفراد[١].

وفيما يختص بولاية المظالم بالقيروان في عصر الأغالبة فالمعلومات التي وصلتنا غير كافية فهي عبارة عن شذرات مندثرة في بطون المصادر وهي أنه في ولاية القاضي سحنون أسندت ولاية المظالم بالقيروان في سنة (٢٣٧ هـ / ١٥١ م) إلى حبيب بن نصر التميمي[٢] وهو من أبناء الجند القادمين من إفريقية تفقه على سحنون وكان فقيها ثقة وله كتاب سماه "الأقضية" وتوفي سنة (٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م)[٣].

وفي قضاء عيسى بن مسكين أسندت ولاية المظالم إلى سليمان بن عمران ومنحه راتبا حوالى مائة دينار ثم عزله وعين مكانه إبراهيم بن الخشاب[٤].

٣ – السجون في عصر الأغالبة

وفي عصر الأغالبة استقرت شئون إفريقية وشهدت البلاد تطورات ملموسة في شتى مناحي الحياة. ووردت لنا بعض المعلومات المتفرقة عن السجون في ذلك العصر. وعرفت القيروان السجون الفوقية أو السطحية و هي التي يصعد اليها بسلم[٥]. وكان بالقيروان سجن على مقربة من المسجد الشريف و الفنادق في الموضع المعروف بالزيادية[٦]. وتلك التي بناها أحد التجار الأندلسيين ويدعي جعفر بن خيرون[٧]. كما وجدت السجون في رقادة[٨]، و الأربس[٩]، و القصر القديم[١٠].

---

(١) الماوردي، ص٦٦ ـ ٦٨

(٢) الخشني، ص ١٩٢. ابن عذاري ١ / ١١١.

(٣) أبو العرب، ص ٤٣ هامش (٢).

(٤) عياض ٤ / ٣٤٢.

(٥) الخشني ، ص ٢١٧.

(٦) محمد أحمد عبد المولى: القوى السنية في المغرب، الجزء الأول، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥ م، ص ٣١٧

(٧) ابن عذارى ١ / ١٦٩.

(٨) أبو العرب : كتاب المحن، ص ٤٦٩. المالكي٢/ ١٥٧.

(٩) ابن عذارى ١ / ١٤٢.

(١٠) أبو العرب، ص ٤٦٨.

وكـان فـى القـيروان سـجن للأمـير الأغلبـى زيادة الله بن الأغلب ثامن أمراء الأغالبة. وسـجن لوزيـره غلـبون[1]. كمـا كـان يحـبس المغضـوب عليهم من قبل السـلطات الحاكمة وأرباب الجرائم في المسجد كما حدث مع ثوار الدراهم[2] فتم حبسهم فى مسجد رقادة[3]. واتخـذت بعـض البيـوت فـى الحـبس مـثلما حـبس أبـو مضـر زيـادة الله بعـد تقيـيده بالحديد[4].

ووجـد فـى عصر الأغالبة السـجون المتخصصة حيث وجد سجن عرف بـ "بيت الدم" أو "حبس الدم" وكان مخصصا للسراق وأصحاب الدماء[5].

وكـان الغالـب فـى مواقـع السـجون أن تكـون قـريبة مـن قصور الحكام ومقر أعمالهم لإرتـباطها إداريا بإشرافهم و لحمايتها من أى هجوم خارجي. ولمنع من فيها من الهرب. ولحاجة الحاكم أحيانا إلى التكتم في عمليات الحبس و القتل عن أعين العامة[6].

وفـيما يخـتص بالوصـف المعمـارى للسـجون المذكـورة. فلـم أعثـر فـى كـتب العمـارة الإسلامية التى أطلعت عليها على أية إشارة لعمارة السجون وتطورها فى هذا العصر.

و مـن المعـروف أن إدارة السـجون خضـعت لسـلطة الأمراء، و الوزراء، و القضاة، و ولاة المظـالم، ثـم رجـال الشـرطة و معاونـيهم. ولكـن المعلومات المتاحة فى المصادر العربية لم تسمح بذكـر دور أى مـن هـؤلاء واقتصر على أن والى المظالم بالقيروان ويدعى "أبو القاسم الطـورى" الـذى شغل منصبه فى أواخر عصر الأغالبة. كان يصطحب السجين فى طريقه إلى السجن وعندما يقف به على باب السجن يقول له: اصعد وسنتظر فى أمرك[7].

---

(١) ابن عذارى ١/ ٩٨.

(٢) ابن عذارى ١/ ١٢٠، ١٢١.

(٣) أبو العرب، ص ٤٦٨. ابن عذارى ١/ ١٢٠.

(٤) سعد زغلول عبد الحميد٢/ ١٥٩.

(٥) المالكي ٢/ ١٨٤. ـ النويرى ٢٤/ ٣٧٢.

(٦) أحمد مختار البرزة: الأسر والسجون فى شعر العرب(تاريخ ودراسة)الطبعة الأولى، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٩٨٥م، ص ١٠٦.

(٧) الخشنى، ص ٢١٧.

وكان السجانون يساعدون صاحب الشرطة. ويقومون بالإشراف على الساجين وأرباب الجرائم[1]، والمتابعة اليومية في أمر المحبوسين. وكتابة سجلات وافية عن أحوالهم. وملازمة السجون وتفتيش الأطعمة وكل ما يدخل السجون[2].

وكان السجان يشرف على علاج المرضى من الساجين. فعندما سجن البهلول بن راشد في سجن والى إفريقية محمد بن مقاتل العكي (الذى حكم قبل عصر الأغالبة) عالجه السجان فوهب له ديناراً. وأعطى لمن معه دراهم فعل بهم هذا ثلاثة أيام. كلما دخلوا عليه أعطاهم فخاف أصحابه حاجته قبل خروجه فقالوا للسجان قد برئ فلا تعاودوه. فلما استبطاه بهلول. سأل عنه أصحابه وكأنه فطن لهم فقالوا له: كل يوم ديناراً[3].

وكان على السجان الرفق بالمحبوسين و لا يمنعهم من تأدية صلاة الجمعة إلا بناء على أمر القاضي إذا وجد أن في منعهم مصلحة خوفا من خطرهم[4].

كما لم يكن السجان يمنع المحبوسين من شم الرياحين إن كان مريضا. وإذا علم السجان أن المحبوس حبس بظلم كان عليه تمكينه بقدر استطاعته وإلا يكون شريكا لمن حبسه في الظلم[5].

كما ينبغي على السجان ألا ياخذ شيئاً من المسجونين. ولا يترك مع السجان رفقاء يجلسون معه. فيقاسمهم في الصدقات . ويأكلون أموال الناس بالباطل[6].

وشدد ابن عبدون[7] على دور المحتسب الرقابى على السجن بقوله: "يجب أن يتفقد السجن في الشهر مرتين أو ثلاثا. لينظر فيه أحوال المسجونين. إذا كثر الخلق فيه.

---

(١) أحمد عبد السلام ناصف : الشرطة في مصر الإسلامية، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٧ م، ص ١٦٩.

(٢) حسام أحمد إسماعيل : الشرطة في العصر العباسي الأول، المجلد الأول، رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الآداب – جامعة القاهرة، ٢٠٠٠ م، ص ١٦٩.

(٣) عياض : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، المجلد الأول، ضبطه وصححه / محمد سالم هاشم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨ م، ص ١٩٣ – ١٩٤.

(٤) السبكي : معيد النعم ومبيد النقم، ص ١٤٢. الونشريسي ١٠/ ٤١٦.

(٥) السبكي، ص ١٤٢.

(٦) ابن عبدون : رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، ص ١٩.

(٧) رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، ص ١٨.

يجب ان يخرج منه من كان ذنبه خفيفا، وينفذ عليه الحكم الذى يليق به ويلزمه. يجب أن يستبدأ السجن فى كل عام من شهر رمضان، أو في عشرة من ذى الحجة، أو في النصف من شعبان، فإنها أيام عظام". وكانت سجون إفريقية تعانى من نقص الطعام ويشير المالكى[1] إلى هذا الوضع فى سنة (٣٠٧ هـ / ١٩ — ٩٢٠ م) بقوله: "قال عبد الله بن هاشم سمعت أبى يحدث قال: كتب أهل السجن رقعة يذكرون لى فيها ما هم فيه من الجوع والضيق وسوء الحال ويستحكمون الله عز وجل وكنت فى ضيق من الحال ولم أجد ما أمد يدى إليه إلا مهراسا من نحاس كان عندى من تركة أبى فبعته بنحو ثلاثة دنانير وأشتريت لهم قمحاً وعملته خبزاً ومضيت به إلى السجن وفرقته عليهم.. ".

١. المسجونون

دخل السجن طائفة من كل شرائح المجتمع الأغلبى. ومن الولاة الذين دخلو السجن عمرو بن معاوية القيسى الذى كان يلى القصرين. ولم يلبث أن أعلن الثورة على زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب في سنة (٢٠٨ هـ / ٢٣ — ٨٢٤ م) الذى سير إليه جيشاً. ولم يحدث قتال واصطلحا وعاد مع هذا الجيش عمرو بن معاوية وولداه حباب وسجدان وأمر زيادة الله بحبسهم حتى يرى فيهم رأيه. ودخل على أثر ذلك مضحك له يدعى بأبى عمار، فقال له زيادة الله: "ما يقول الناس، يا أبا عمار؟" فقال: "يقول: إنما منعك أن تقتل عمرو بن معاوية مخافة أن تثب القيسية على عمك بمصر!" فتأثر زيادة الله بكلامه ثم التفت إلى وزيره غلبون، فقال: "انقل عمرو بن معاوية وولديه من حبسك إلى حبسى!" ففعل. وجاء فى منتصف الليل إلى السجن وبيده السيف، فقتل عمرو بن معاوية ثم رجع إلى قصره، وطلب حباب وسجمان أبنى عمرو وأمر بقتل حباب فقال: "أيها الأمير إنى مظلوم! وقد بلغتك نصيحتى لأبى فيك حتى ضربنى بالسياط" فقال: "أجل قد كان ذلك ولكنى أعلم أنك لا تخلص لى!" وأمر بضرب عنقه. وفى الصباح تخلص من سجمان.

وكذلك دخل السجن بعض أفراد البيت الأغلبى مثلما حدث فى سنة (٢٣٢ هـ / ٤٦ — ٨٤٧ م) حين ظفر محمد بن الأغلب بأخيه أحمد وحبسه لما استعاد الأول نفوذه وسلطانه[2].

---

(١) رياض النفوس ٢ / ١٤٨ – ١٤٩.

(٢) ابن عذارى ١ / ١٠٩.

كما دخل أبو مضر زيادة الله السجن حين زج به والده عبد الله بن إبراهيم عاشر أمراء الأغالبة (٢٨٩ – ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ – ٩٠٣ م) لما علم بوشاية أن ابنه أبا مضر زيادة الله يفكر في الخروج عليه[١].

ولم يسلم القضاة وولاة المظالم من السجن فقد ذكرت المصادر العربية عدد لابأس به من القضاة هم : عبد الله بن أحمد بن طالب قاضي القيروان بسبب نقمته على الأمير إبراهيم بن أحمد الذى أباح لجنده الاعتداء على سكان إحدى قرى تونس التي وردت عند الخشني (ت ٣٦١ هـ / ٩٧١ م) لساتة[٢] والمالكي (ت حوالى منتصف القرن الخامس الهجري) إبيانة[٣] حين أمتنعوا عن بيعها للأمير إبراهيم – وانتهز بعض السودانيين أعوانه الفرصة واعتدوا على نساء تلك القرية وجاءت نساء تلك القرية يرفعن شكاواهن إلى عبد الله بن أحمد بن طالب الذى تألم من هذا التصرف وقال: ماأدرى هذا يؤمن بالله أو هذا فعل أهل الدهرية ومن لا يؤمن بالله و اليوم الآخر[٤]!" ولما علم إبراهيم بن أحمد بمقولة عبد الله بن أحمد بن طالب عزله وعزل قضاته على الأقاليم وأمر بحبسه وعين خصمه ابن عبدون من أهل العراق على قضاء القيروان[٥].

ومن القضاة الذين دخلوا السجن بسبب الوشاية ضدهم في البلاط الأغلبي أبو علي عبد الله بن محمد الفرج المعروف بابن البناء قاضي قسطيلية و يشير المالكي[٦] إلى سبب سجن هذا القاضي بقوله: "فسعي به أهل قسطيلية ورفعوا عليه البغي عند إبراهيم حتى عزله" وأرسل إلى سجن رقادة. ولما تبين إلى إبراهيم بن أحمد حقيقة الأمر. "تولى مناظرته بين يدى إبراهيم بن أحمد, ومحمد بن عبد الله بن عبدون. فأبان ابن البناء عن نفسه وكشف عن السبة المرفوعة عليه" وأمر إبراهيم بن أحمد باطلاق سراحه وكافأه بضمه إلى كتبة قاضيه عيسى بن مسكين[٧].

---

(١) النويري ٢٤ / ١٤٣ – ١٤٤ . سعد زغلول عبد الحميد ٢ / ١٥٩ .

(٢) الخشني، ص ٢٩٧ .

(٣) المالكي ١ / ٣٨٤ .

(٤) أبو العرب ، ص ٢٩٧ . الخشني، ص ٢٩٧ .

(٥) المالكي ١ / ٣٨٤ .

(٦) رياض النفوس ٢ / ١٥٧ .

(٧) نفسه ٢ / ١٥٧ – ١٥٨ .

وكذلك سجن موسى بن القطان قاضى طرابلس[1]، وعبد الله بن هارون الكوفي الذى ولى قضاء تونس ثم القيروان[2].

وممن دخل السجن على بن ابى القاسم الطوزى صاحب المظالم بالقيروان بسبب نقمة القاضى محمد بن عمر المروذى الذى أمر بضربه فى الجامع على رؤوس الناس . وحبسه وتطاول على جماعة من المدنيين الذين لم يكفوا عن رفع شكاواهم للنيل منه عند عبيد الله المهدى أول خلفاء الفاطميين بالمغرب الذى أقر المروذى على القضاء ولم يلبث أن سخط عليه وعزله وعذبه ثم قتله[3].

وزج ببعض خواص كتاب الأغالبة في السجن. كما حدث فى عهد الأمير إبراهيم بن أحمد تاسع أمراء الأغالبة حيث غضب على محمد بن حيون المعروف بابن البريدى[4]. وأحمد القديدى[5] اللذين بعثا برسائل من السجن للأمير إبراهيم بن أحمد يطلبان العفو و سنشير إليهما فيما بعد.

ودخل السجن بعض الموالى فى سنة (٢٤٦هـ / ٧٧- ٨٧٨ م) عندما تمردوا على إبراهيم بن أحمد الأغلبى فى القصر القديم. وحاولوا منعه من المرور من رقادة إلى القيروان. بسبب مقتل رجل منهم[6]. كما سجن بعض الغلمان المقربين من البلاط فى عهد زيادة الله ثالث أمراء الأغالبة. ومن أشهرهم خطاب[7] الذى ضرب اسمه على السكة[8].

---

(١) الخشنى، ص ٢٩٨.

(٢) أبو العرب ، ص ٤٦٨ .

(٣) الخشنى ، ص ٢٩٩، ٣٠٩.

(٤) ابن عذارى ١ / ١٢١ .

(٥) ابن الخطيب، ص ٣٠.

(٦) النويرى ٢٤ / ١٢٨ – ١٢٩.

(٧) كان للأغالبة عدد لا يستهان به من الفتيان وهم مماليك يشتريهم الأمراء من الصقالبة ويدخلونهم صغاراً إلى قصورهم، ويستخدمونهم فى شؤونهم الخصوصية، ويدربونهم من زمان الطفوله على أشغال قصورهم ومنازلهم . . .
لمزيد من التفاصيل أنظر : حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات ٢/ ١١٨ ـ ١١٩ .

(٨) ابن عذارى ١ / ١٤٣ .

٢- وسائل التعذيب

كانت وسائل التعذيب في سجون الأغالبة هي الضرب بالسياط والصلب, والضرب على الرأس, والتخشيبة, و التقييد في الحديد, و التشهير, ودس السم في الشراب.

أ - الضرب بالسياط و الصلب

كان الضرب بالسياط و الصلب من وسائل التعذيب في العصرالأغلبي مثلما حدث للموالي الذين خرجوا على الأمير إبراهيم بن أحمد[١].

ب - الضرب على الرأس

ومن أبرز من حلت بهم هذه العقوبة أبو زيد بن عمرو بن صاعد [٢].

ج - الخشبة

كان وضع السجين مخشبا من وسائل التعذيب كما حدث لقاضي قسطيلية محمد بن عبد الله بن الفرج المعروف بابن البناء . فأتي به مخشبا فسجنه وهو مخشب فما نزعت من عنقه الخشبة الابعد حبسه [٣]

د- التقييد

كان التقييد من وسائل التعذيب كما حدث لابي عثمان سعيد بن محمد بن الحداد الفقيه[٤]. وقيد في الحديد أيضا عبد الله بن محمد بن مفرج قاضي قسطيلية ورفع إلى زيادة الله وهو بالأربس مخشبا فأمر بضربه وتقييده [٥].

هـ- الاعلان عن العقوبات (عقوبة التشهير)

كان الغرض من عقوبة " التشهير أو التجريس " الإيذاء النفسي للمذنب إلى أقصى درجة ممكنة. ويقصد بالتشهير الطواف بالمذنب في طرقات المدينة راكبا على ظهرجمل أو حمار [٦].

---

(١) النويري ٢٤ / ١٢٨ – ١٢٩ .

(٢) أبو العرب، ص ٤٧٠ .

(٣) أبو العرب، ص ٤٧٠ .

(٤) أبو العرب، ص ٤٧٠ .

(٥) ابن عذاري ١ / ١٤٢ .

(٦) علاء طه رزق حسين : السجون والعقوبات في مصر عصر سلاطين المماليك، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ٢٠٠٢ م، ص ١٦٢ .

وحلت هذه العقوبة بجماعة من المدنيين في زمن إبراهيم بن أحمد الأغلبي (٢٦١-٢٨٩هـ / ٨٧٥ - ٩٠٢ م) تاسع أمراء الأغالبة عندما حثه على ذلك قاضي القيروان أبو العباس بن عبدون الذى استطال على المدنيين الذين وصفوه بالغفلة و قلة الحصافة بعكس رأى أهل العراق فيه. ولذلك استطال ابن عبدون على المدنيين و امتهنهم وضرب جماعة منهم وهم أحمد بن معتب وأبو القاسم مولى مهرية , وإبراهيم الدمنى , وابن عبدون العطار, وابو زيد بن المدينى[1], وابن علوان الصوفى ضربهم إبراهيم بن أحمد وطاف بهم على الجمال فى سماط القيروان[2]. الذى يبدأ من باب أبى الربيع فى الجنوب ويبلغ طوله نحو ميلين بما يعادل (٣,٦٩٦ ك.م) وكان هذا السماط سطحاً متصلاً يحفل بكافة المتاجر والصناعات[3].

ولم يستطع بعض هؤلاء المطوف بهم تحمل ذلك العبء النفسي. فمات أحدهم وهو يطاف به ويدعى أبا زيد المدينى وكان شيخاً كبيراً ضعيف البدن[4].

كما استغل السجناء كورقة رابحة لتحقيق مكسب سياسي لحفظ ماء الوجه عندما انهزم آخر جمع للأغالبة بقيادة إبراهيم بن الأغلب مع الفاطميين. وتظاهر زيادة الله آخر أمراء الأغالبة بالنصر وأرسل إلى السجون فأتى برجال منها. فضرب أعناقهم وأمر أن يطاف برؤوسهم فى القيروان والقصرالقديم[5].

و-دس السم

كان دس السم من وسائل التعذيب التى شاعت فى زمن الأغالبة. وحلت تلك العقوبة بقاضى إفريقية عبد الله بن أحمد بن إبى طالب عندما حبسه الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ودس السم له فى اللبن ومنعه من الطعام والشراب ثم لقى عبد الله بن أبى طالب حتفه فى الحال. وكان سبب نقمة إبراهيم بن أحمد على ابن أبى طالب عندما اشتكى إليه أهل إحدى قرى تونس من أن إبراهيم بن أحمد أمر السودانيين بالأعتداء على

---

(١) الخشنى، ص ٢٤٢.

(٢) أبو العرب، ص ٤٧٠.

(٣) البكرى، ص ٢٥ - ٢٦.

(٤) أبو العرب، ص ٤٧٠.

(٥) النويرى ٢٤ / ١٤٦.

نسائهم بعد ما رفضوا أن يشتريها منهم فخلا السودان عليهم وعلى نسائهم فجاءت النساء مخضبات بالدماء يشتكون إلى ابن إبى طالب الذى أشتد غضبه من هَول المشهد وقال: هذا فعل أهل الدهر[1] ومن لايؤمن بالله واليوم الآخر [2] ! ".

٣ـ أدوات التعذيب

عثرنا على بعض أنواع التعذيب من خلال قصة المؤدب أبو بكر الهوارى الذى أستدعى إلى سجن نصر ومنها:

أ - الحبل المعلق فى غرفة.

ب - الانكال والأوغال : لتقيد رجل السجين [3].

ج - التعصيب والربط على العمود ثم الضرب الوجيع.

د - التقييد فى الحديد [4] .

٤ـ مدة الحبس

أختلفت مدة الحبس فى سجون إفريقية من حين لآخر. فهناك الحبس لمدة ثلاثة أيام. وهى أقل المدد التى وردت لنا فى المصادر التاريخية حيث دارت الدائرة على أحمد ابن زياد الذى كتب فى كتاب صداق شروطا:

وقد تقدم إلى الناس كافة أن لا يكتب فى نكاح شرط بيمين طلاق. فأرسل فى طلبه إسحاق بن إبى المنهال[5] وحبسه ثلاث أيام ثم أطلقه[6].

وحبس خفاجة بن سفيان بن سوادة لمدة سبعة أشهر فى ولاية الأمير أحمد بن محمد (٢٤٢ - ٢٤٩ هـ / ٨٥٦ - ٨٦٣ م) ولما أخرجه قال له: "الله الله فى دمى وحرمى، فإنها حرمك. فقال له خفاجة: "حبستنى ظلماً منذ سبعة أشهر" فقال: "ليس هذا وقت العتاب فأغثنى[7]".

---

(١) أبو العرب، ص ٢٧٥، ٤٦٩ الخشنى، ص ٢٩٧. المالكى ١ / ٣٨٤.

(٢) المالكى ١ / ٣٨٤.

(٣) المالكى ٢ / ٤٢٧ - ٤٢٨ .

(٤) المالكى ٢ / ١٥٨ .

(٥) تولى قضاء صقلية ثم نقل إلى قضاء القيروان. الخشنى، ص ٢٩٣ .

(٦) الخشنى، ص ٢٩٩.

(٧) النويرى ٢٤ / ١٢٢ .

و سجن أحمد بن نصر فى سنة (٣٠٨ هـ / ٢٠ — ٩٢١ م) لمدة تسعة أشهر بأمر من إسحاق بن أبى المنهال ثم عنى أبو سعيد الضيف بأمره عند الخليفة الفاطمى عبيد الله (٢٩٧ — ٣٢٢ هـ / ٩٠٩ — ٩٣٤ م) فأمر بإطلاقه [١].

وفى بعض الأحيان يكون الموت هو نهاية بقاء السجين فى سجنه. مثلما حدث للبهلول بن راشد الذى مات فى حبسه[٢].

٥- رسائل المسجونين أو حيل المسجونين فى الكتابة بطلب العفو

تنوعت حيل المسجونيين للأمراء. لكسب عطفهم من أجل أطلاق سراحهم. كما حدث فى سنة (٢٧٦ هـ / ٨٩ — ٨٩٠ م) عندما أمر إبراهيم بن أحمد الأغلبى (٢٦١ — ٢٨٩ هـ / ٨٧٤ — ٩٠٢ م) تاسع أمراء الأغالبة بحبس كاتبه محمد بن حيون المعروف بابن البريدى فكتب إليه من السجن.

هبنى أسأت فأين العفو والكرم — إذ قادنى نحوك الإذعان والندم

يا خير من مدت الأيدى إليه أما — ترثى لصب شهاد عندك القلم

بالغت فى السخط فأصفح صفح مقتدر — إن الملوك إذا ما استرحموا رحموا [٣]

فلما قرأ إبراهيم بن أحمد أبياته قال: "يكتب إلى: "هبنى أسأت" وهو قد أساء!. إما إنه لو قال:

ونحن الكاتبون وقد أسانا — فهبنا للكرام الكاتبينا

لعفوت عنه!" ثم أمر به فجعل فى تابوت حتى مات[٤].

كما غضب الأمير إبراهيم بن أحمد على كاتب له آخر يدعى أحمد القديرى وكان أديباً ظريفاً وشاعراً بليغاً فى كتابته. وحظى على ثقة إبراهيم بن أحمد وجعل إليه أموره كلها. ولم يلبث أن سخط عليه بعد ذلك فحبسه عقاباً لصنائعه فكتب إليه من السجن رسالة يقول فيها: "أعز الله الأمير لكرم العفو وعلو قدره وجليل خطره. تسمى الله عز

---

(١) الخشنى : علماء أفريقية، ص ٢٩٩ — ٣٠٠.

(٢) ابن الخطيب، ص ١٢.

(٣) ابن عذارى ١ / ١٢١.

(٤) ابن عذارى ١ / ١٢٢.

وجـل بـه فـسـمى نفسه العفو الغفور والطبع البشرى مركب على النقص مقرون بالزلل. إلا مـا خـص الله بـه الأنبـياء وأودعـه السـادات والأمراء من طهارة الأخلاق ونزاهة الأنفس. ولسـت أيـد الله الأمـير ممـن يدعـى العصـمة، و الـبراءة مـن الهـفـوة. ولسـت أمـت إليك الابفضـلك علـى"[1]..... و لم تجد هذه الإستغاثة أذناً صاغية من الأمير إبراهيم بن أحمد ورد بجهل وغلظة بقوله "إن الملوك إذا ما استرحموا قتلوا[2]".

(١) ابن الخطيب، ص ٣٠-٣١.

(٢) ابن الخطيب، ص ٣٢.

الفصل السابع

الحياة الأجتماعية والثقافية ومنشآت الأغالبة

أولاً :الحياة الأجتماعية

١ - السكان

سكن إفريقية في العصر الأغلبي عدة عناصر بشرية مختلفة في الجنس وفي اللغة كالعرب والعجم الفرس الذين وفدوا من المشرق الإسلامي مع الجيوش العباسية ومنهم الخراسانيين وعجم البلد وهم الروم أو الأفارقة الذين ظلوا يحتفظون بالدين المسيحي.

وكان البربر يؤلفون السواد الأعظم من سكان إفريقية ومعظمهم من الأباضية. وآخر تلك العناصر البشرية الفتيان أو العبيد الذين أستخدمهم الأمير إبراهيم بن الأغلب حرساً له. واستكثر منهم، وجعلهم على خدمته وحراسته في مدينة القصر القديم(١).

أما عن الحياة الإجتماعية لعناصر السكان من حيث الملبس والمأكل كان الرجل يرتدى قميصاً وسراويل وجبة صوف يتحزم عليها بإزار ملون ويضع على رأسه عمامة ويلبس في قدميه النعال في الشتاء والخفاف في الصيف(٢).

وكانت المرأة ترتدى الملابس القطنية أو الحريرية وتتزين بالحلى المختلفة من أساور مرصعة وخلاخيل منقوشة. فإذا خرجت لبست الرداء وضربت على وجهها المعجر(٣).

كان العرب النازحين إلى إفريقية يأكلون طعامهم المعروف بالثريد والعصيد ثم أقتبسوا من البربر بعض المأكولات الخاصة بهم كالكسكسي وبعض أنواع الحلوى مثل الزلابية والكعك والغسانية وهي نوع من الحلوى يصنع من سمن وعسل وزعفران(٤). وعرف المجتمع الإفريقي في عصر الدراسة بعض وسائل التسلية كألعاب الفروسية مثل لعبة الصولجان أو لعبة الكرة على الخيول ثم المبارزة على الخيول بين رجلين(٥).

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم، ص٣٢٩ـ٣٣٤.

(٢) محمد محمد زيتون : القيروان، ص١٧٤ .

(٣) محمد محمد زيتون : القيروان، ص١٧٥ .

(٤) نفســه، ص١٧٦، ١٧٥ .

(٥) نفســه، ص١٧٩ .

أ. مجالس شراب النبيذ

النبيذ يتخذ من عصير العنب وإذا شرب بعد عصره بقليل لم يسكر وإذا ترك تخمر وصار مسكر[1].

ورصدت لنا المصادر بعض شرابي النبيذ من أمراء الأغالبة ويأتي على رأس هذه القائمة زيادة الله بن الأغالب ثالث أمراء الأغالبة الذى دامت فترة حكمه قرابة من ربع قرن من الزمان من سنة (٢٠١ – ٢٢٣ هـ / ٨١٦ – ٨٣٧ م) حيث كان كثير الشراب ومقبل عليه بدرجة كبيرة ويمتد شرابه لساعة ويشرب مع أهل منادمته[2]. كما رصدت المصادر أيضا أبو إبراهيم بن أحمد سادس أمراء الأغالبة (٢٤٢ – ٢٤٩ هـ / ٨٥٦ – ٨٦٣ م) الذى فعل الخير أثناء سكره حيث أمر بإخراج مالاً كثيراً في سنة (٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) لبناء المساجد وحفر المواجل والقناطر لكلمة كانت منه على سكر[3].

وعكف ثامن أمراء الأغالبة محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب المكنى بأبي الغرانيق (٢٥٠ – ٢٦١ هـ / ٨٦٤ – ٨٧٤ م) على اللهو والطرب والعبيد والشرب غلب عليه حتى أنه مرة سكر وهو بمدينة سوسة وقد ركب في البحر حتى وصل إلى جزيرة قوصرة فلما ذهب عنه السكر عاد وهو خائف ومازال على الإنهماك طول عمره[4].

كما شرب النبيذ من القضاة أحمد بن وهب الذى تولى قضاء طرابلس من قبل القاضي ابن عبدون في ولاية إبراهيم بن أحمد وكان أحمد بن وهب يلقب بأبي الزير: "لأنه عمل نبيذا في زير، وأراد: أن يذوقه، ولم يجد آنية يدخلها في الزير: فأدخل رأسه في الزير، ثم لم يستطع أن يخرجه حتى كسر الزير فلقب "بأبي الزير""[5].

المناظرات العلمية بين فقهاء القيروان حول شراب النبيذ

دارت مناظرات علمية بين فقهاء القيروان حول شرب النبيذ. فلقد أباح بعض فقهاء الحنفية بالقيروان شربه. وخاصة إذا اتخذ من عصير العنب والتمر وغيرهما وشرب بعد

---

(١) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات ٢ / ١٨٤ هامش (٢).

(٢) ابن عذارى : مصدر سابق، جـ١ ، ص ٩٨ .

(٣) ابن عذارى : عذارى : مصدر سابق، جـ ١ ، ص ١١٣ .

(٤) النويرى : مصدر سابق، جـ ٢٤، ص ١٢٧ .

(٥) الخشنى : قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ، ص ٢٥١.

عصره بقليل لم يسكر. وإذا ترك تخمر وصار مسكر. وربما أجازه بعض الحنفيين بشرط أن لا يذهب بالعقل ولا يخفى علينا أن أمراء الأغالبة كانوا متمسكين بمذهب أهل العراق (أبى حنيفة وأبى يوسف) متبعين فى ذلك ساداتهم خلفاء العباسيين.

أما الإمام مالك بن أنس وأصحابه فقد حرموا شرب النبيذ والقاعدة عند المالكية أن ما أسكر كثيره فقليله حرام[1].

روى أبو العرب عن أبى سهل، قال: "سمعت عبد الله بن أبى حسان يقول: "دخلت على زيادة الله بن إبراهيم، فأصبت عنده أسد بن الفرات، وأبا محرز وهما يتناظران فى النبيذ المسكر. وأبو محرز يذهب تحليله وأسد يذهب تحريمه. فلما أن قعدت قال لى زيادة الله: "ما تقول يا أبا محمد؟ فقلت له: قد علمت سوء رأيى فيه. وقاضياك يتناظران فيه، بين يديك. فقال لى: ناظرنى أنت ودعهما. وقال لى: ما تقول أنت؟ فقلت: أصلح الله الأمير، كم دية العقل؟ فقال: وماذا من هذا؟ فقلت: بجوابك ينتظم سؤالى، فقال لى: دية العقل ألف دينار. فقلت له: أصلح الله الأمير، يعمد الرجل إلى ما فيه ألف دينار بدكيكة (قارورة صغيرة من فخار أو من زجاج) تساوى نصف درهم؟ فقال لى: يا أبا محمد إنه يزول ويرجع. فقلت له: بعد ماذا؟ أصلحك الله. بعد أن قاء على لحيته، وكشف سوءته، وسبب هذا، وقتل هذا؟ فقال لى: صدقت. والله صدقت[2].

ومن الخبر الآتى يتبين رأى أسد بن الفرات فى شرب النبيذ فقد قال سليمان بن عمران قاضى القيروان بعد سحنون: "وكتب إلى رجل من قمودة من طلبة العلم أن أسأل أسد بن الفرات عن النبيذ، أحلال هو أم حرام؟ فسألت أسداً عن ذلك فقال: "إن النبيذ أخبث الخبائث، ليس تقوم بالنبيذ عبادة و لا صيام و لا جهاد و لا صدقه إنما يقوم به مزمار أو عود أو طنبور. فلم لم يعتبر تحريمه إلا بأخواته التى تقارنه لكفى"[3].

كما قال سليمان بن عمران: عرض لنا أسد "كتاب الأشربة" فمر فيه: لا بأس بشرب المصفى لأن عنب خراسان كثير العسل قليل الماء فهو ينعقد على النصف. وأما غيره فلا يجوز حتى ينعقد وإن بلغ الثلثين. قال: ولقد أختبرنا عنبا "بمجردة" فوجدناه لا ينعقد

---

(١) حسن حسنى عبد الوهاب ٢/ ١٨٤. هامش (٢).

(٢) المالكى ٢/ ١٨٤ - ١٨٥. عياض ترتيب المدارك ٣/ ٣١٥. حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات ٢/ ١٨٤ - ١٨٥

(٣) المالكى ١/ ١٨٤.

إلا على الثلاثة أرباع. لإنه قليل العسل كثير الماء و لايحل قبل إنعقاده. وكذلك قال أهل العلم إذا إنعقد قبل أن يبلغ الثلثين حل، لأن الحكم فيه إنعقاده و لا يشرب الطلا حتى يصير أصفر كعسل النحل[1].

وفي عهد الأمير زيادة الله ثان أمراء الأغالبة جمعت مأدبة وجوه أهل القيروان: ابن أبي حسان، ومعمر بن منصور الفقيه، وعمران بن أبي محرز، فأستسقى معمر ماء، فقال له الأمير: "إن عندنا شرابا كثيرا، عندنا شراب الورد، وشراب الجلاب. وما أشبههما، ومطبوخ العنب، ومطبوخ الزبيب، ونبيذ العسل، ونقيع الزبيب، فأخذ أيها شئت "فأمر أن يؤتى به، فسقاه أحد الغلمان ثلاثة أقداح، فألتفت إلى فقال ما تقول في النبيذ؟ فقلت أنت تراني أيها الأمير أشربه وتسألني عنه؟"[2].

وكان لسحنون بن سعيد خلا وصديقا لا يغير ذلك ما بينهما. وكان يتفقده كثيراً ويزورد، فيقال أنه دخل يوماً إليه وكأس كبير ملآن بالنبيذ مكشوف بالقرب منه. فقال له سحنون: "ألا تخاف عليه من الذباب؟ قال هو أمنع جانبا من ذلك"[3].

ودخل معمر بن منصور الفقيه على زيادة الله بن إبراهيم. فقال له: يا معمر، أحب النبيذ. وما تراني أصبر عنه، مما ترى لي أن أشرب منه؟ قال أرى أن تشرب قدحا واحداً. فقال له، أن شرب قدح واحد لا يقوم[4].

وكان عبد الله بن فروخ على زهده وورعه وصيانته يحلل النبيذ ويشربه علنية. فقد حضر يوماً عرساً بالقيروان لبعض إخواته، فلما أتى بالطعام جلس إلى جانب عبد الله بن فروخ رجل متصوف ممن يرى تحريم النبيذ، فنظر إليه ابن فروخ وقد أخذ دجاجة من على المائدة فلفها في منديل ووضعها تحت المائدة ثم أتى بالنبيذ فدفع إلى ابن فروخ قدح كبير فشربه ثم ملئ فدفع إلى ذلك الرجل الذى كان إلى جانبه، فامتنع من شربه وامتعض وغضب وأظهر كراهة شديدة، وقال أنا لا أشرب النبيذ، فألتفت إليه ابن فروخ وكان على يساره. وقال: "أشرب يا سارق الدجاجة!" لإنه أخذها من غير صاحبها[5].

---

(١) المالكي ١ / ١٨٤.

(٢) حسن حسني عبد الوهاب ٢ / ١٨٦ - ١٨٧.

(٣) حسن حسني عبد الوهاب ٢ / ١٨٧.

(٤) نفسه، ص ١٨٧.

(٥) حسن حسني عبد الوهاب ٢ / ١٨٨ - ١٨٩.

وقدم عبد الله بن فروخ حاجا إلى المدينة المنورة وألتقى بمالك بن أنس فقيه المدينة يومذاك. وأجلسه إلى جواره وسأله عن أحواله وقدومه فأعلمه أن قدومه كان فى الوقت المناسب.

وجعل مالك لا ترد عليه مسألة وعبد الله حاضر إلا قال له: "أجب يا أبا محمد" فيجيب، فيقول مالك للسائل: "هو كما ذكر لك" قال: ثم ألتفت مالك إلى أصحابه. فقال: "هذا فقيه المغرب" وكان على هديه وورعه يقول لتحليل النبيذ ويشربه. ويروى أحاديث فى تحليله[1] .....

وتفاوت موقف أمراء الأغالبة تجاه مسألة شرب النبيذ فى القيروان فها هو رابع أمراء الأغالبة أبو عقال الأغلب بن إبراهيم (٢٢٣ – ٢٢٦ هـ / ٨٣٧ – ٨٤٠ م) يصدر مرسوماً يقطع بيع النبيذ فى القيروان ومعاقبة بائعة وشرابه[2]. ولعل الدافع من وراء هذا الأمر يرجع إلى طبيعة أبو عقال إلى عدله وحسن سيرته فى الرعية حتى عم العدل فى عهده فى ربوع إفريقية[3]. علاوة على قيامه بإصلاحات أخرى كتحسين أوضاع الجند والعمال بزيادة أجورهم[4].

وأختلف موقف تاسع أمراء الأغالبة وهو إبراهيم بن أحمد (٢٦١ – ٢٨٩ هـ / ٨٧٤ – ٩٠٢ م) فى مسألة النبيذ فقد منع بيع النبيذ بمدينة القيروان فى حين أباح شربه بمدينة رقادة التى جعلها داراً لملكته وسكنه.

وسبب الإباحة لجنده وعبيده، وقال فى ذلك بعض الشعراء:

ومن إليه القلوب منقادة ... سيد الناس وابن سيدهم
وهو حلال بأرض رقادة. ... ما حرم الشراب فى مدينتنا[5]

ومن الجدير بالذكر، أن مسألة تحريم النبيذ فى القيروان فى عهد إبراهيم بن أحمد ترجع إلى أنه أظهر فى أول ولايته العدل بين الرعية والتخلص من أهل البغى والفساد.

---

(١) الرقيق، ص ١٨٠.

(٢) ابن الأبار ١ / ١٦٨. ابن عذارى ١ / ١٠٧. النويرى ٢٤ / ١١٧. موسى بقال: الحبه الذهبية، ص ٣٢.

(٣) ابن الأبار ١ / ١٦٨. الباجى المسعودى، ص ٢٨.

(٤) ابن الأثير ٥ / ٢٥٣. ابن عذارى ١ / ١٠٧. ابن خلدون ٤ / ٢٠٠.

(٥) ابن الأبار ١ / ١٧٣. ابن عذارى ١ / ٢٠٧. مجهول الاستبصار، ص ١١٦.

محمد المختار العبيدى: الحياة الأدبية فى القيروان فى عهد الأغالبة، الطبعة الأولى، تونس، ١٩٩٤م، ص ٢٨٩ – ٢٩٠.

وكان يجلس فى جامع القيروان يومى الأثنين والخميس يرد شكوى الخصوم[1]. فلا غرو على الأقل أن يرضى نخبة كبيرة من أهل القيروان ممن يقولون بتحريم النبيذ. غير أن سياسة إبراهيم بن أحمد تغيرت تماماً فى أواخر أيامه[2].

ب. مجالس الطرب

حظيت وسائل الطرب ومجالسه على اهتمام الناس على مر العصور. فلكل عصر وسائله فى تحقيق الطرب وأن تشابهت فى معظم العصور، مع اختلاف اقتضته سنة التطور وأفرزته المدنية والتحضر[3].

كانت آلات الطرب بسيطة عند البربر في السابق، وليس لهم من الأدوات إلا مزمار وهى (الشبابة) يتخذ فى الغالب من القصب ينفخ فيه أو نوع من الرباب ذى وترين[4].

كان العرب الأوائل الذين وفدوا إلى المغرب هم من الجنود والموظفين أو من التجار ممن ليس لهم اهتمام بالموسيقى، ولا يملكون أية خبرة بأوضاعها، ولكن كانوا يتغنون بأشعارهم على طريقة "الحداء" وهى الطريقة التى كانت مألوفة بين قبائل العرب فى شبه الجزيرة العربية. وهى ألحان كانوا يتسلون بها فى أسفارهم وفى مسايرة إبلهم وقطع المفاوز والبرارى[5]. وأدخل العرب الفاتحين الحداء إلى إفريقية فنقلها عنهم أو ابناؤهم، وأبناء مسلمى البربر فصاروا يرجعون الأصوات بأبيات من شعر الجاهلين أو مخضرميين.

ومن أشعارهم التى كانوا يتغنون بها فى سالف الزمان:

أشار بتوديع إلى بناتها ... إشارة محزون ولم نتكلم
يا أم طلحة والديار بعيدة ... والنجم من عقلات قومك أقرب[6].

(١) ابن الأثير ٦ / ٥.

(٢) ابن الخطيب، ص ٢٩ – ٣٤.

(٣) لطفى أحمد نصار: وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك فى مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين رقم (١٤١) لسنة ١٩٩٩م، ص ١٢٧.

(٤) حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات ٢ / ١٧٢.

(٥) حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات ٢ / ١٧٣.

(٦) حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات ٢ / ١٧٣ – ١٧٤.

وجاء الحداء ليلبي حاجتهم إلى استشعار الراحة والأنس في السفر ولحث مطاياهم على مضاعفة سيرها، وماتزال بعض القبائل وبخاصة في الصحراء المغربية تستخدم الحداء حتى يومنا هذا[1].

وظل أبناء إفريقية من عرب وبربر، يرددون تلك الأصوات وأضرابها ويحددون بها في فترة ما بين استقرار السلطة الأموية وبين ظهور دولة بني العباس[2].

وأخذ البربر عن العرب بعض الآلات الموسيقية ذات الأصل الفارسي كالعود المعروف باسم البربط. والذي لا يستبعد أن يكون قد حمله إلى المغرب بعض موالي الفرس المنخرطين في سلك الجنود الفاتحين[3].

وقام الأمراء المهالبة في ولاية يزيد بن حاتم بجلب وسائل الترف وأسباب التمدن. وقد سرت تلك التقاليد الحضرية إلى المجتمع القيرواني ومنه أنتشرت في سائر أنحاء البلاد[4].

ومن بين وسائل الحضارة التي جاء بها المهالبة من العراق آلات الطرب ولا سيما ذات الأوتار كالعود، والرباب، والطنبور، والبربط[5].

وكان شاباً من أبناء أعيان القيروان يتردد على البهلول بن راشد (ت ١٨٣ هـ/ ٧٩٩م) ويحضر دروسه، ثم إنه تركها وأعرض عن حضورها وأقبل على المجون واللهو. وقد بلغ البهلول الأمر فساءه. فبينما هو ذات يوم جالس إذ مر به الشاب وتحت ثوبه "طنبور" فعرف البهلول صدق ما نقل إليه[6].

وفي عصر الأغالبة سكن المعلمون والمؤدبون في المدن الأغلبية، وهناك تلقى صغار الأمراء وأبناء الرؤساء مبادئ العلوم والفنون. كما لقنت الحظايا أصول الموسيقى من إيقاع وغناء على أساتذة فنانين قدموا من المشرق[7].

---

(١) عبد العزيز عبد الجليل: مدخل إلى تاريخ الموسيقا المغربية، سلسلة عالم المعرفة رقم (٦٥) لسنة الكويت، ١٩٨٣ م، ص ٢٠.

(٢) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات ٢ / ١٧٥.

(٣) عبد العزيز عبد الجليل، ص ٢٠.

(٤) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات ٢ / ١٧٥.

(٥) نفسه، ص ١٧٦.

(٦) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات ٢ / ١٧٦.

(٧) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات ٢ / ١٧٨.

وكان للجوارى موقع خاص في المجتمع الإسلامي. فهناك الجوارى اللواتى سيطرت على مجالس الأدب والأنس واللواتي ربين في القصور الكبرى وخرجت منهن سياسيات مقتدرات. وهناك جوارى المجون والخلاعة واللواتي اختطفن من أسرهن في الحروب والقرصنة البشرية[1].

وعمل بعض الجوارى بالغناء في البلاط الأغلبي، وقد غنت أحد الجوارى تستعطف الأمير زيادة الله (٢٩٠ - ٢٩٦ هـ / ٩٠٣ - ٩٠٩ م) عندما غضب على غلامه خطاب وزج به في السجن فغنت تلك الجارية:

أيها الملك الميمون طائره ... رفقا فإن يد المعشوق فوق يدك

كم ذا التجلد والاحشاء خافقة ... أعيد كفك أن تسطو على كبدك

ورضي زيادة الله عن خطاب وأعاده إلى منزله[2].

ثانيا: الحياة الثقافية

وفي النشاط الثقافي برزت شخصية نخبة من العلماء كاسحنون بن سعيد الذى تصدر للإفتاء والتدريس في جامع القيروان وبلغ مكانة عالية عند حكام الأغالبة ولم يلبث أن تعرض للأذى على يد زيادة الله الأول الذى أشتدت محنة خلق القرآن في أيامه، وأصدرت الدولة العباسية أوامرها بامتحان القضاة، وكان سحنون ومعظم الظاهرين من فقهاء المغرب لا يقولون بخلق القرآن[3]. وأنشأ الأغالبة بيت الحكمة التونسي في عهد الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي تاسع أمراء الأغالبة ليكون على غرار بيت الحكمة ببغداد. وقد أعتمد بيت الحكمة التونسي على علماء من بغداد الذين جلبهم الأمير إبراهيم للتدريس فيه ومما لاشك فيه أن بيت الحكمة التونسي كان يحتوى على كثير مما ترجم أو صنف من كتب الفلسفة والمنطق والجغرافية والفلك والطب والهندسة[4].

---

(١) إبراهيم حركات : المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط، إفريقيا الشرق، بيروت، ١٩٩٨ م، ص ١٠٠.

(٢) ابن عذارى ١ / ١٤٣.

(٣) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٩٩.

(٤) ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٥م، ص ٤٤٩ - ٤٥٠.

وعرف أهل إفريقية الغناء عن طريق العرب المهاجرين حيث تعلموا الغناء بأشعارهم على طريقته "الحداء" التي كانت معروفة بين قبائل العرب وهي عبارة عن ألحان يتسلون بها في أسفارهم وفي مسايرة أبلهم في قطع المفاوز والبراري.

وفي عصر الأغالبة تأصلت الأوضاع العربية وتقاليدها، وقد رحل أبناء إفريقية إلى عواصم المشرق وحواضره[1]، فاتجهوا إلى بغداد وتلقوا ضروب العلم والمدنية وأنعكست حضارة العباسيين على البلاط الأغلبي الذي كان في رونقه ورسومه صورة مصغرة لبلاط بغداد وسامراء.

وكذلك نشطت الرحلات العلمية بين بغداد والقيروان إذ رحل الكثير من علماء المشرق إلى إفريقية ووجد من العراقيين من درس العلم فيها كعبد الرحمن بن عبيد البصيري الذي تتلمذ على يديه الكثيرين من طلبة إفريقية الوافدين إلى القيروان[2].

وفي عهد الأغالبة ظهرت الثقافة المغربية ذات شخصية مستقلة فظهرت مدارس القيروان وغيرها من المدارس الأقليمية[3].

---

(١) حسن حسني عبدالوهاب : ورقات عن الحضارة العربية ٢ / ١٧٣ – ١٧٧.

(٢) محمود إسماعيل : الأغالبة سياستهم الخارجية، ص ٧٧، ٧٨.

(٣) حسن أحمد محمود وأحمد الشريف : العالم الإسلامي، ص ٤٢٠.

ثالثا : منشآت الأغالبة

١ - العمارة الدينية

أ- المسجد الجامع بالقيروان

بدأ عقبة بن نافع بناء المسجد الجامع بالقيروان سنة (٥٠ هـ /٦٧٠ م) وفرغ منه سنة (٥٥ هـ / ٦٧٥ م). ومن المرجح أن عمارة المسجد الأولى كان مكوناً من بيت صلاة سقف بعريش يقوم على جذوع النخيل وصحن مكشوف في نفس حجمه وقد حدد المسجد وزيد فيه عدة مرات على يد حسان بن النعمان الغسانى وبشر بن صفوان الكلبى. ويزيد بن حاتم[1] وفى ولاية زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب هدم الجامع كله وأدخل محراب عقبة الذى كان قد أقامه فى المسجد الأول إلى موضعه من المسجد الأغلبى وكسى غلالة من الرخام المخرم بزخارف من التوريقات والزخرفة الهندسية وأقيمت له فى عهد زيادة الله قبة مفصصة تتقدم المحراب[2]. وبلغ عدد أعمدة الجامع (٤١٤ عمود) وعدد البلاطات (١٧ بلاطة) وطوله (٢٢٠ ذراع) وعرضة (١٥٠ ذراع)[3].

وزاد إبراهيم بن أحمد بن الأغلب فى طول بلاطات الجامع وبنى القبة المعروفة بباب البهو[4]

ب - مسجد سوسة الجامع

أنشئ هذا المسجد سنة (٢٣٦هـ/٨٥١م) أيام أبى العباس عبد الله بن إبراهيم بن أحمد الأغلبى وهو يعتبر من أجمل وأكبر المساجد العتيقة الباقية إلى اليوم.

والمسجد يقوم على شبه جزيرة فى البحر قرب باب البحر من أبواب سوسة القديمة. ولم يدخل على المسجد تغيير كبير منذ بنائه.

أما عن مساحة المسجد فهو مستطيل يبلغ طوله ٥٧ متراً وعرضه ٥٠ متراً ويتوسطة صحن مستطيل تبلغ مساحته ٣٤٤ متراً تحيط به ثلاث مجنبات عرض كل منها رواق واحد[5].

---

(١) حسين مؤنس : المساجد، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨١ م، ص ١٨٠ - ١٨١.

(٢) أمال العمرى : العمارة والفنون الزخرفية. بحث ضمن كتاب تاريخ العلوم والحضارة الإسلامية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٩٨٩ م، ص ١٦٨.

(٣) البكرى، ص ٢٣.

(٤) البكرى، ص ٢٤.

(٥) حسين مؤنس : المساجد، ص ١٩٩ - ٢٠٠.

٢ – المنشآت المدنية

أ – مدينة القصر القديم

شيدها إبراهيم بن الأغلب سنة(١٨٤ هـ / ٨٠٠ م)[١] ووردت عند ابن عذارى سنة (١٨٥ هـ / ٨٠١ م) وتقع على بعد ثلاثة أميال من القيروان، وكان قد أشترى موضعه من بني طالوت[٢]. وصارت دار أمراء بني الأغلب وبنى بها جامع له صومعة مستديرة مبنية بالأجر وأحتوت المدينة على حمامات كثيرة وفنادق وأسواق ومواجل للماء[٣].

ب – مدينة رقادة

شيدها إبراهيم بن أحمد في سنة (٢٦٣ هـ / ٩٧٣ م)[٤] على بعد ثمانية أميال من مدينة القيروان وبنى هناك قصراً[٥]. وانتقل إليها من مدينة القصر القديم. وبنى بها قصوراً عجيبة وجامعاً وعمرت بالأسواق والحمامات والفنادق. وأصبحت داراً للملك بني الأغلب حتى هرب عنها زيادة الله أخر أمراء الأغالبة من أبي عبد الله الشيعي الذى سكنها إلى أن انتقل منها إلى المهدية سنة (٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م). وأخذ الوهن يدب في رقادة وأمتدت يد الخراب إليها ولم يبق منها إلا بساتينها[٦].

وكان موقع رقادة صحي يتميز بنقاء الهواء: "وليس بافريقية أرق هواء و لا أعدل نسيما ولا أطيب تربة من موضعها"[٧].

وفي تسمية رقادة بهذا الأسم روايتين أولها: أن أحد رجال البيت الأغلبي أرق وشرد عنه النوم أياماً فعالجه طبيب الأسرة الحاكمة إسحاق فلم ينم فأمره بالمشى فلما وصل إلى موضع رقادة نام فسميت رقادة. ثانيا: إن أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافرى القائم بدعوة الأباضية بأطرابلس لما نهض إلى القيروان لقتال ورفجومة وكانوا قد تغلبوا

---

(١) البكرى، ص ٢٨. ابن وادران : تاريخ العباسين، ص ٦٣٣.

(٢) ابن عذارى ١ / ٩٢ – ٩٣.

(٣) البكرى، ص ٢٧.

(٤) ياقوت ٣ / ٥٥. ابن عذارى ١ / ١١٧. الدوادارى ٦ / ٣٨.

(٥) اليعقوبى : البلدان، ص ٣٤٨.

(٦) ياقوت ٣ / ٥٥.

(٧) القزوينى، ص ١٩٩.

علـى القـيروان مـع عاصـم بن جميل التقى بهم بموضوع رقادة فقتلهم قتلا ذريعا فسميت رقادة لرقاد قتلاهم بعضهم فوق بعض [1].

ومـن الجديـر بالذكر أن إبراهيم بن أحمد عمر رقادة لأسباب سياسية وعسكرية حيث بلغت الاضطرابات والخصومات على جميع المستويات السياسية أو العقائدية الفكرية، أو الدينـية بلغـت أشـدها كالاضطرابات التى قام بها الموالى فى العباسية، والجند المضريبين فـى تـونس، كـذلك لا ننسـى الخصـومات الدينـية مع الأباضيين فى الجنوب ومع فقهاء القـيروان أنفسـهم. لكل هذه الأسباب رغب إبراهيم فى بناء مدينة محصنة يستوطنها. وقد أيـدت الآثـار ذلك فإن القصر الذى كشفت عنه الحفريات بأبراجه وأسواره يدل على أنه عمل أولا ليكون قلعة دفاعية ومقر للسكنى[2].

٣ – المنشآت العسكرية

أهـتم الأغالبة بالمنشآت العسكرية فشيدوا الكثير من الأسوار والأبراج للمدن وخاصة ما وقـع علـى السـاحل مـنها. ومـن أهـم دور الصناعة زمن الأغالبة دارين عظيمين للصناعة أحدهما فى تونس والأخرى فى سوسة.

ومـن نمـاذج المنشآت العسـكرية فـى عصـر الأغالـبة الرباطات، وهى شبيهة بالقصور وتخصص للمجاهدين والمرابطين الذين خرجوا للجهاد فى سبيل الله.

ويحـيط بالـرباط عـادة سـور مـرتفع، تقوم على أركانه وعلى مسافات منه أبراج يقف فـيها الحـراس، وتـوقد فيها النيران وقت الخطر. وقد بقى لنا من رباطات عصر الأغالبة رباط سوسة[3].

---

(١) ياقوت ٣/ ٥٥.

(٢) محمد الشابى : رقادة بحث منشور فى المؤتمر السادس للآثار فى البلاد العربية المنظمة العربية للتربية والثقافة، ليبيا – طرابلس، الهيئة العامة للشئون الأميرية، القاهرة، ١٩٧٣ م، ص ٥١٨.

(٣) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ٩٦.

الباب الرابع

دول المغرب المستقلة

فى المغربين الأوسط والأقصى

الفصل الأول : دولة بنى رستم

الفصل الثانى : دولة بنى مدرار بسجلماسة

الفصل الثالث : دولة الأدارسة

الفصل الأول

الدولة الرستمية

(١٦٠ – ٢٩٦ هـ / ٧٧٦ - ٩٠٨م)

أولاً: التاريخ السياسى لأئمة الرستميين

١ – نسب الرستميين

ينتسب عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن سابور بن باذان مؤسس الدولة الرستمية إلى ذى الأكتاف ملك الفرس. وهذه النسبة تعنى أنتمائه إلى العنصر الفارسى[(١)].

وأختلف فى نسبه فأعتبره بعضهم من أبناء رستم القادسية. وأعتبره آخرون من أبناء الملوك الساسانيين. ونستبعد النسب الأول إذ علمنا أن معركة القادسية كانت فى سنة (١٦ هـ / ٦٣٧ م) بينما توفى عبد الرحمن سنة (١٧١ هـ / ٧٨٧م) وبذلك يكون قد عمر أكثر من قرن ونصف، وهو أمر مستبعد بطبيعة الحال، فضلاً عن أن المصادر الأباضية، لم تذكر هذا العمر الطويل لعبد الرحمن كما نستبعد النسب الثانى لأنه ربما كان لإضفاء صبغة ملوكية عليه[(٢)].

وكان بهرام جد عبد الرحمن أحد موالى الخليفة عثمان بن عفان وكان يزدجرد آخر ملوك فارس له ابنان هما بهرام وفيروز وثلاث بنات هن أدرك، وسها، ومراد وزيد[(٣)].

٢ – دخول الرستميين المغرب

كان رستم أصله من العراق قدم إلى مكة ومعه أبنه عبد الرحمن وزوجته فلما كان بمكة أو قريبا منها وافاه الأجل. وألتقى عبد الرحمن وأمه مع الحجاج بمكة من أهل المغرب فتزوجت أم عبد الرحمن رجلاً من أهل القيروان. وعاد بهما إلى القيروان[(٤)].

---

(١) ابن الصغير : (مقدمة الدراسة)، ص ١٠١.

(٢) جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية، الجزائر، ١٩٨٤ م، ص ٦٢.

(٣) محمد عيسى الحريرى، ص ٦٩.

(٤) أبي زكرياء : كتاب سير الأئمة وأخبارهم، حققه / إسماعيل العربى، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٨٢ م، ص ٥٤ – ٥٥.

٣ – رحيل عبد الرحمن إلى البصرة لطلب العلم

نشـأ عبد الرحمن في القيروان وتلقى دراسته الأولى ثم ظهر ميله المبكر لمذهب الخوارج وتأثـر بـه ممـا دعـا إلـيه سـلمة بن سعيد داعية الأباضية ببلاد المغرب[١]. ويقول في هذا الصـدد أبو زكرياء: "فلما بلغ مبلغ الرجال وقرأ وافصح، نظر إليه رجل من أهل الدعوة، فقـال لـه: يـا فتـى، إن كنت طالبا ما أراك تطلبه، فأقصد إلى أبي عبيدة، مسلم بن أبى كـريمة التميمـى". رحـل عبد الرحمن إلى أبي عبيدة مع نفراً من أهل المغرب وسألهم أبي عبـيدة عن أحوال بلادهم وأخبروه أنهم أرادوا تعليم العلم، فأجابهم إلى ذلك ومكثوا عنده بضـعة سـنيين. والظاهر أن الظروف السياسية في البصرة كانت غير مناسبة. فكان الشيخ أبـو عبـيدة مسـتخفيا مـتخوفاً مـن بعض أمراء البصرة وأدخلهم سرباً وجعل فيه سلسـلة، فصـار يضـع القفـاف بـباب السراب، فإذا شعر باقتراب أحد منه حرك السلسلة فيكفون عن الكلام وإذا أنصرف حركها، فيأخذون في عزمهم[٢].

وفـى البصـرة إنضـم إلـيهم أبو الخطاب المعافرى وهو عربي من اليمن[٣]، وتلقوا أصول الـمذهب الأباضـي وفـروعه علـى يـد أبـي عبـيدة مسـلم بـن أبـي كريمة سـنة (١٣٥ هـ / ٧٥٢ م)[٤].

٤ – تولى أبو الخطاب المعافرى الإمامة

لما عاد الوفد إلى المغرب سنة (١٤٠ هـ / ٧٥٧ م) عرضوا الإمامة على عبد الرحمن ابن رستم، فاعـتذر إلـيهم، وقال لهم: إن بيدى أمانة الناس وبضائعهم وقبلوا عذره وتركوه، وولـوا أبـو الخطـاب الإمامـة فـى طـرابلس، وأهـتم بأمـور المسـلمين وتمكن من طرد الوالى العباسـي من طرابلس وخير أبو الخطاب عامل المدينة فى الإقامة بالمدينة أو الخروج بأمان فأخـتار العامـل الخروج إلى أرض المشرق، وأعطى أبو الخطاب مفتاح بيت المال. وأحسن أبو الخطاب السيرة فى الرعية. ودامت ولاية أبى الخطاب أربع سـنيين[٥].

---

(١) ابن الصغير، ص ١١٠ (مقدمة الدراسة).

(٢) أبي زكرياء، ص ٥٥ – ٥٦.

(٣) ابن الصغير، ص ١١٠.

(٤) محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، ص ١٤٤ – ١٤٥. سعد زغلول عبد الحميد ١ / ٢٩٠.

(٥) أبي زكرياء، ص ٥٧ – ٥٩.

٥ – دخول أبو الخطاب القيروان

اشتدت وطأة ورفجومة على أهل القيروان الذين ندموا على استعانتهم بورفجومة وقيل أن امرأة من نساء القيروان كتبت بطاقة إلى أبي الخطاب تشكو إليه جور ورفجومة فقالت: "فإن لي بنتا لم أحرزها إلا في حفرة حفرتها تحت سريرى مخافة عليها من الورفجومية أن يفسدوها". وتأثر أبو الخطاب بهذه الرسالة وحشد جموعاً كثيرة من أتباعه وتبعه عبد الرحمن بن رستم وزحف بتلك الجموع إلى قابس فحاصرها حتى أذعنوا إلى الطاعة وعين على المدينة عاملاً. ثم واصل سيره إلى أرض القيروان وضرب عليهم الحصار ودخل القيروان واستعمل عليها عبد الرحمن بن رستم[١]. وعاد أبو الخطاب إلى طرابلس[٢].

٦ – خروج أبي الخطاب لملاقاة الجيش العباسي

أمر الخليفة أبو جعفر المنصور بتسيير جيش إلى القيروان بقيادة محمد بن الأشعث الخزاعي مكون من خمسين ألفا وقيل سبعون ألفاً وهزم أبو الخطاب وتشتت جمعه وقتل في المعركة سنة (١٤٤ هـ / ٧٦١ م) وبلغت أنباء هزيمته إلى عبد الرحمن بن رستم فجهز جيشاً لنجدة أبو الخطاب، ولكنه شعر بالخطر فعاد إلى القيروان ليتحصن بها فمنعه أهلها من دخولها[٣].

٧ – رحيل عبد الرحمن بن رستم إلى تاهرت

رحل عبد الرحمن بن رستم بأهله وولده ونزل بين أباضية المغرب الأوسط عند قبيلة لماية لحلف قديم بينه وبينهم[٤]. ووصل عبد الرحمن بعد رحلة عسيرة في الطرق الجنوبية للمغرب حتى انتهى به الطريق إلى عين سوفجج التي تتبع من جبل سوفجج وهذه المنطقة من أمنع المناطق الجبلية في المغرب الأوسط وحول هذا الجبل كانت مواطن لماية. ولواته وهوارة وهي قبائل كانت صلتها قوية بالمذهب الأباضي.

---

(١) أبي زكرياء، ص ٦٠ – ٦٣.

(٢) أبي زكرياء، ص ٦٥.

(٣) رابح بونار : المغرب العربي تاريخه وثقافته، الطبعة الثانية ١٩٨١ م، الجزائر (د. ت) ص ٣٤.

(٤) ابن خلدون ٦ / ١٢١.

وأخـذت أخـبار عبد الرحمن بن رستم تملا الآفاق في المغرب الأوسـط حتى وصلت إلى مسامع محمد بن الأشعث في القيروان فجهز جيشاً سـار به نحو سـوفجج ونزل في سـفحه وحفـر خـندقاً حـول معسكره خوفاً من هجوم عبد الرحمن ومن معه وظل محاصراً للجبل مدة طويلة حاول خلالها إقتحام الجبل بكل الوسـائل ولكنه فشـل. وأضطر إلى فك الحصار والعـودة إلى القـيروان بعـد أن تفشـى داء الحمى والجـدري بـين جنده ومات منهم خلق كثير[1].

٨ – عبد الرحمن بن رستم (١٤٤–١٦٨هـ/٧٦١–٧٨٤م)

بويـع عـبد الـرحمن بالإمـارة والإمامـة بعـد وفـاة إمـامهم أبي حاتم يعقوب ابن لبيب الملـزوزي والى مديـنة طـرابلس الـذى تقلدها في سـنة (١٤٥ هـ) ومكث فيها أربع سـنين، وكانـت ولايـته ولايـة الـدفاع وكـان يرسـل بما جمع من الصدقات للإمام عبد الرحمن بن رستم قبل أن يتولى عبد الرحمن ولاية الظهور[2].

وتم أختـيار عـبد الـرحمن لفضـله وعلمـه وكـان أتـباعه رغـبوا فـي تقديمـه قـبل أبي الخطاب فأمتنع لحمله أمانات الناس ولكونه عامل أبي الخطاب على إفريقية وما والاها. كمـا أنـه لا يسـتند إلى قبيلة تذب عنه. وبايعوه على إقامة كتاب الله وسـنة رسـوله وسـاس الرعية بالعدل[3].

إنشاء مدينة تاهرت

لـما تمـت بـيعة عـبد الـرحمن بن رستم رأى أن يتخذ مدينة يأوى إليها ويتحصن بها ويـبدو أن الانطلاق الفعلية لبناء هذه المدينة كانت في نهاية عام (١٥٥ هـ/٧١ – ٧٧٢م) وبداية عام (١٥٦ هـ/ ٧٢ – ٧٧٣م)[4].

وذكـر أبـو زكـرياء [5] " أن جماعة المسـلمين أتفقوا أن ينتخبوا موضعا يبنون فيه مدينة تكـون حـرزاً وحصـناً للإسـلام الـروافد فـي الأرض، فـرجعوا فدلـوهم على تاهرت فأتفق

---

(١) محمد عيسى الحريري، ص ٨١ – ٨٢. قارن أبي زكرياء، ص ٧١ – ٧٢.

(٢) أبو زكرياء، ص ٧٣.

(٣) الشماخي، ص ٤٣ – ٤٦.

(٤) بحاز إبراهيم بكير: الدولة الرستمية الجانب الاقتصادي والفكري، بغداد، ١٩٨٣ م، ص ٨٥.

(٥) كتاب سير الأئمة وأخبارهم، ص ٨١ – ٨٢.

جمهور المسلمين مع أهل تاهرت القديمة على أشياء معلومة أن يأخذوها من غلتها. وقد كانت قبل ذلك غياضاً عامرة بالوحوش والسباع والهوام.فلما اتفقوا على عمارتها، أمروا منادياً ينادى إلى من بها من الوحوش والسباع أن أخرجوا، فإنا أردنا عمارة هذه الأرض، وأجلوا لها ثلاثة أيام... فبنوا المسجد الجامع فأخذوا فى إنشائها وعمارتها، فجعلوها دياراً وقصوراً".

وزودنا البكرى بمعلومات قيمة عن بناء تاهرت: "وكان موضع تاهرت ملكها لقوم مستضعفين من مرداسة وصنهاجة بادارهم عبد الرحمن على البيع فأبوا فوافقهم على أن يودوا إليهم الخراج من الأسواق ويبيحوا لهم بنيان المساكن فأختطوا وبنوا وسمى الموضع معسكر عبد الرحمن بن رستم إلى اليوم"[1].

وكان أختيار عبد الرحمن بن رستم لموقع تاهرت أختياراً سليماً لعدة أسباب هى:

١ – وفرة المياه من الأنهار القريبة منها مثل نهر مينة الذى يأتيها من جهة القبلة، ونهر تاتش من شرقيها، وهذا الأخير يجتمع من عيون عديدة، ومنه يشرب أهل تاهرت إذ يدخل أغلب دورهم.

٢ – تقليد عبد الرحمن للمدراريين الخوارج الصفرية، الذين بنوا عاصمتهم بسجلماسة فى جوف الصحراء واستطاعوا أن يكونوا فى مأمن من هجمات القوات العباسية. لذا اختار عبد الرحمن تاهرت على تخوم الصحراء والبعيدة عن القيروان مركز اعدائه بنحو تسعة عشر مرحلة. وبفصلها عن البحر المتوسط مسيرة ثلاث رحلات. وقد أختارها على المدن الشمالية البحرية منها خاصة، وهى كثيرة فى المغرب الأوسط.

٣ – مركز تاهرت التجارى حيث يربط تجارة الشمال بتجارة الجنوب[2] وهى حلقة وصل بين تجارة الصحراء وما وراء البحر على الطريق بين الشرق والمغرب الأقصى والأندلس[3].

٤ – تقع تاهرت فى منطقة محاطة بقبائل أكثر أفرادها مشهورون بانتمائهم القوى للمذهب الإباضى. كما أن موقعها يعتبر امتداداً لبلاد الزاب وهذا يتيح لعبد الرحمن بن رستم سرعة الاتصال بالجماعات الأباضية فى أقاليم المغرب الشرقية فى طرابلس ونفزاوة بلاد الجريد.

---

١) البكرى، ص ٦٨. مجهول : الأستبصار، ص ١٧٨.

٢) بحاز إبراهيم بكير، ص ٨٨ – ٨٩.

٣) جودت عبد الكريم يوسف، ص ٣١.

٥ – موقع تاهرت فى منطقة غنية إقتصاديا فهى تشتهر بمراعيها الواسعة وثرواتها الزراعية المتنوعة[١].

ويبدو أن عبد الرحمن بن رستم وجد معارضة شديدة من سكان تاهرت القديمة عندما فكر في اتخاذها حاضرة لدولته. فقد ذكر البكرى "إنهم لما أرادوا بناء تاهرت كانوا يبنون النهار فإذا جن الليل وأصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم فبنوا حينئذ تاهرت السفلى وهى الحديثة"[٢].

أما عن تخطيط تاهرت فقد أختط الأباضية المسجد الجامع مع أربع بلاطات واستعانوا فى بنائه بأخشاب شجر الشعراء المنتشر فى المنطقة. وحول المسجد الجامع أنتشرت الدور والقصور والبيوت والأسواق والحمامات والفنادق وتفنن أهل تاهرت فى عمارتها وأحاطوا المدينة بعد ذلك بسور محكم شيد من الصخر[٣].

وذكر البكرى[٤] أن مدينة تاهرت مسورة ولها ثلاثة أبواب والصواب أربعة هى: "باب الصبا، وباب المنازل، وباب الأندلس، وباب المطاحن "وقصبة تاهرت تشرف على السوق تسمى المعصومة.

مساعدة إباضية المشرق للدولة الرستمية

انتقلت أخبار عبد الرحمن بن رستم بحسن سيرته وعدله إلى أهل البصرة فبعثوا إليه مساعدات مالية ضخمة. ولما وصلت الرسل إلى تاهرت سألوا عن عبد الرحمن بن رستم وأعطوه الأموال وشاور عبد الرحمن أصحابه فيها، فأشاروا عليه أن يأخذها ويوزعها على فقراء المسلمين وفى شراء السلاح والعدة. وقوى الضعيف وأنتعش الفقير، وحسنت أحوالهم وخافهم جميع من أتصل به خبرهم... ثم شرعوا فى العمارة والبناء وإحياء الأموات وغرس البساتين وإجراء الأنهار واتخاذ الرحاء والمستغلات[٥]. ففعل بمحضر تلك الرسل فلما عادت الرسل إلى المشرق أخبروا أهل دعوتهم بعدل عبد الرحمن وفضله

---

(١) محمد عيسى الحريرى، ص ٩٢.

(٢) البكرى، ص ٦٧. جودت عبد الكريم يوسف، ص ٣١ – ٣٢.

(٣) محمد عيسى الحريرى، ص ٩٥.

(٤) المغرب، ص ٦٦.

(٥) ابن الصغير، ص ٢٤٣ – ٢٤٤.

وورعـه فبعـثوا له أموال أكثر من الأول. ولما وصلت إلى عبد الرحمن شاور أصحابه وتركوا لـه حـرية الـرأى فأمـر بردها إلى أربابهـا فهـم في حاجة إليها بعد أن أخذ حاجته من الأمـوال وعادت الرسـل بتلك الأموال وعجبوا من زهده في الدنيا ورغبته في الآخرة فأقروا بإمامته وواصلوه بكتبهم ووصاياهم[1].

وسلوك عـبد الـرحمن يـبرهن علـى تطلعـه لتحريـر الجماعـة الأباضية في المشرق من الحكم العباسـي وإلى إنتشـار المذهب الأباضي في كل دولة الخلافة[2].

ولـما أشـتد المـرض بعبد الرحمن بن رستم في أواخر أيامه وحضرته الوفاة أقتدى بفعل الخلـيفة عمـر بـن الخطـاب وجمـع سـبعة نفر وقيل ستة نفر هم: مسعود الأندلسـى، وأبو قدامـة يـزيد بـن فـندين اليفرانـى وعمـران بـن مـروان الأندلسـى، وعـبد الوهاب بن عبد الـرحمن وأبـو الموفق بغدوس بن عطية، وسـكر بن صالح الكتامى، ومصعب بن سـدمان ولما مـات عـبد الرحمن أجتمع أهل الشـورى على من يولونه وأنحصر الأتفاق على أثنين منهم أحدهما مسعود الأندلسى و الأخر عبد الوهاب وأنتهى الأمر بتولية عبد الوهاب[3].

٩ – عبد الوهاب بن عبد الرحمن (١٦٨–١٨٨هـ/٧٨٤–٨٠٤م)

نشـأ في كنف والده عبد الرحمن وأخذ عنه الخصال الحميدة وتعلم علوم الدين واللغة علـى يديـه فكـان عالما يستعمل اللغة العربية والفارسية والبربرية. وقد شـهد فتح طرابلس والقيروان وحصـار طبنة. فأكتسب خبرة سـياسية وعسـكرية. وربط نفسـه بقبيلة زناتة برباط النسـب فكـان صهره جارون بن القمرون الزناتى[4]. **وأتسـم عهد الإمام عبد الوهاب بعدة أحداث هى:**

١ – ثورة النكار: تـزعم يزيد بن فندين وهو أحد الذين رشـحهم عبد الرحمن بن رستم لمنصـب الإمامـة تـيار المعارضـة ضـد الإمـام عـبد الـوهاب[5] وطعن في إمامة عبد الوهاب وسـمى أنصـاره نكاريـة لا نكـارهم تلك الإمامـية[6]. وأشـار أبـو زكـرياء[7] إلى سـبب ثورة

---

١) أبو زكرياء، ص ٨٣ – ٨٤. الشماخى، ص ٤٥ – ٤٦.
٢) محمد عيسى الحريرى، ص ١٠١.
٣) أبو زكرياء، ص ٨٥ – ٨٦. الشماخى، ص ٥١ – ٥٢.
٤) جودت عبد الكريم يوسف، ص ٦٣.
٥) محمد عيسى الحريرى، ص ١١١.
٦) أبو زكرياء، ص ٩٣. بحاز إبراهيم بكير، ص ١١٦.
٧) سير الأئمة وأخبارهم، ص ٨٩.

النكار: "لما ولى – عبد الوهاب – أمور المسلمين وكانت رغبته فى أهل الخير واستعمال أهل العلم والبصيرة من الدين فى أمور المسلمين فعمد إلى رجال ليست لهم رغبة فى الولاية فولاهم الأمور. فلما نظر يزيد بن فندين وأصحابه على ما فعل، وقد خالفت فيه الرجعية، تغيرت قلوبهم وتنكرت صدورهم، وساءت ظنونهم وسقط فى أيديهم ما آثروا من تولية عبد الوهاب، فأخذوا فى العلل وقالوا إنما كانت ولاية عبد الوهاب على الشرط ألا يقضى أمرا دون جماعة معلومة... ".

ومن أسباب ثورة يزيد بن فندين إخفاقه فى الوصول إلى منصب الإمامة وعدم أسناد الإمام عبد الوهاب إليه بعد توليه الإمامة منصباً من مناصب الدولة التى كان يزيد يتطلع إلى توليتها[1].

وأشار أحد الباحثين إلى أن ثورة يزيد بن فندين كانت ضد نظام الوراثة فى الحكم، وهو النظام الذى رفضه الخوارج عامة والأباضية خاصة فالمبداء المقرر عندهم أن الإمامة شورى بين المسلمين يتولاها أصلح المسلمين لها. ويبدو أن ابن فندين وأصحابه، عرفوا لتولية عبد الوهاب عواقب وخيمة أخطرها الاستمرار فى وراثة الحكم[2].

وشن يزيد بن فندين وأتباعه هجوماً على تاهرت على حين غرة ودار قتال عنيف بين ابن فندين وأهل تاهرت أسفر عن قتال ابن فندين وهزيمة أتباعه[3].

٢–**ثورة الواصلية :** شكلت جماعة الواصلية حزبا قويا فى الدولة الرستمية فهم ينتسبون إلى واصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة. ويقدر عددهم زمن الدولة الرستمية بثلاثين ألفا يعيشون فى بيوت كبيوت الأعراب وقد أنتشر حول تاهرت وفى بعض المناطق الصحراوية وفى وادى ميزاب. كما أنتشرت هذه الجماعات من الواصلية أيضا وبأعداد كبيرة فى شمال المغرب الأقصى فى وليلى وكان رئيسهم اسحاق بن محمد الأوربى. وكانت هذه الجماعات تتمتع بقدر كبير من الحرية الفكرية فى ظل الدول الرستمية، فأستطاعوا بذلك أن يدعوا لمذهبهم وأن يحتجوا له وأن يناظروا من يريدون حتى ولو كان إمام الدولة نفسه[4].

---

(١) محمد عيسى الحريرى، ص ١١١.

(٢) بحاز إبراهيم بكير، ص ١١٦.

(٣) أبو زكرياء، ص ٩٧.

(٤) محمد عيسى الحريرى، ص ١١٨ – ١١٩.

والواصلية هم قوم من البربر أكثرهم من قبائل زناتة وشرعوا في التحرك عندما أحسوا ببعض الفرقة في الأباضية وتزعمهم شاب وفيهم رجل منتحل للمناظرة وجرت بينه وبين الإمام مناظرات كثيرة ودار القتال أكثر من مرة بين الطرفين(1).

ولما وجد الإمام عبد الوهاب جدية الواصلية في القتال بعث إلى جبل نفوسة يستمدهم أن يبعثوا إليه جيشا لمساندته في حربه علاوة على أربعة رجال وهم: مهدى بجيد المناظرة، ومحمد بن يانس عالم بفنون التفسير وأيوب بن العباس وذكر أبو زكرياء أن الرابع لم يعرف حقيقة اسمه وقيل هو أبو محمد فارس.

ووصل هؤلاء الرجال إلى الإمام عبد الوهاب وكان ينتظر قدوم نجدة عسكرية وأحسن استقبال هؤلاء الرجال وبعد ثلاثة أيام من مجيئهم خرج لملاقاة الواصلية وأثبت مهدى تفوقاً واضحاً في المناظرة على الواصلية وبعد ذلك اشتعل فتيل القتال بين قوات الإمام عبد الوهاب والواصلية أسفر عن هزيمة الواصلية وولوا منهزمين(2).

٣ – انتقال الإمام عبد الوهاب إلى جبل نفوسة

وانتقل الإمام عبد الوهاب إلى جبل نفوسة وأقام به سبع سنوات وتوجه للجبل بقصد أداء فريضة الحج، وأشار عليه أهل نفوسة بعدم الذهاب خوفاً على أمامهم من العباسين وأحتياطا لوقوعه في قبضتهم. وبقى معهم تلك المدة يلقى عليهم الدروس والمواعظ(3).

٤ – عقد صلح بين الرستمين والأغالبة

حاصرت قوات الرستمين مدينة طرابلس ولم تفلح في دخولها فعقد الإمام عبد الوهاب صلحاً مع أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب على أن تكون المدينة والبحر للأغالبة وما كان خارجا عنهما للإمام(4).

٥ – فتنة خلف بن السمح

عاد الإمام عبد الوهاب من جبل نفوسة إلى تاهرت وفي تلك الأثناء أصيب شرق البلاد بفتنة خلف بن السمح الذى أراد أن يتولى ولاية نفوسة بعد وفاة أبيه معتمداً في ذلك على نسبه دون استشارة الأمام أو قبوله. لما علم عبد الوهاب بما حدث أرسل إليه

---

(١) أبو زكرياء، ص ١٠٢.

(٢) أبو زكرياء، ص ١٠٢ – ١٠٩. الشماخي، ص ٦٢ – ٦٥.

(٣) بحاز إبراهيم بكير، ص ١٠٩. لمزيد من التفاصيل راجع أبو زكرياء، ص ١١٤ – ١١٥.

(٤) بحاز إبراهيم بكير، ص ١٠٩. لمزيد من التفاصيل راجع أبو زكرياء، ص ١١٦ – ١١٧.

والى من أتباعه ينصحهم ويأمرهم بالتعقل وعين من قبله أبا عبيدة عبد الحميد الجناونى خلفا للسمح. غير أن خلف تمادى فى عصيانه للإمام وأراد أن يقتطع الجزء الشرقى من البلاد ليكون إماماً ظاهراً، مستقلا عنه. وأدعى فى ذلك عدة إدعاءات حاول عبد الوهاب أن يستدرجه بالحكمة والموعظة فتارة بالرسائل وطورا بواسطة عامله الجديد. إلى أن أدركته منيته سنة (٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م) فتولى الإمامة بعده ابنه أفلح[١].

١٠ – أفلح بن عبد الوهاب (٢١١–٢٤٠ هـ / ٨٢٦–٨٥٤م)

بويع الإمام أفلح بن عبد الوهاب فى اليوم الذى توفى فيه والده. وقد أتصف أفلح بعدة صفات طيبة فى مقدمتها الشجاعة التى أتصف بها وأهلته ليكون ولى عهد والده الإمام عبد الوهاب الذى أعجب بهذه الشجاعة وأعلن استحقاقه للإمارة من خلال المعركة الدائرة مع قبيلة هوارة. كما أظهر أفلح شجاعة فائقة فى الدفاع عن مدينة تاهرت ضد الهجمة المفاجئة التى قام بها النكار بقيادة ابن فندين[٢].

وعرف عن الإمام أفلح شغفه بالعلم ومناظرة العلماء ومن أثاره العلمية عدة مؤلفات ورسائل وأجوبة ونصائح ومواعظ وحكماً كما كان أديبا ذا إقتدار على النظم[٣].

ووصف أبو زكرياء[٤] الإمام أفلح بقوله: "وكان ميمون النقية، فسكن الله به البلاد ووقى به العباد".

ويعتبر عصر أفلح بن عبد الوهاب عصر قوة حيث حرص على تدعيم أركان الدولة وبث نفوذه السياسى بالحكمة وبالحيلة تارة وبالقوة والشدة تارة أخرى[٥]. وعمد إلى التوازن السياسى بين القبائل يقول أبن الصغير[٦] "وكانت القبائل المنتشرة حول مدينة تاهرت لما أكتسبت الأموال، وأتخذت العبيد والخيول، قد نالها من الكبر ما نال أهل المدينة، حتى خاف أفلح أن تجتمع الأيدى عليه فتزيل ملكه، فلما رأى ذلك أرش ما بين كل قبيلة ومجاورها، فأرش بين لواته وزناته وما بين لواتة ومطماطة، وما بين الجند

---

(١) بحاز إبراهيم بكير، ص ١١١ . لمزيد من التفاصيل أنظر أبو زكرياء، ص ١١٨ – ١٢٦ .

(٢) أبن الصغير، ص ١٤٩ – ١٥٠ (دراسة الدكتور حسن على حسن).

(٣) أبن الصغير، ص ١٤٩ (دراسة الدكتور حسن على حسن).

(٤) سير الأئمة وأخبارهم، ص ١٢٨ .

(٥) بحاز إبراهيم بكير، ص ١٢١ .

(٦) أخبار الأئمة الرستميين، ص ٢٧٠ – ٢٧١ .

والعجم، حتى تنافرت النفوس ووقعت الحروب وصارت كل قبيلة ملاطفة لأفلح خوفا من أن يعين صاحبتها عليها... ".

وأتبع أفلح سياسة أبيه القوية والحكيمة مع مناوئيه وخاصة منهم خلف[1]. فلما بين أنه متماد في عصيانه حاربه وشتت شمله وعاد من كان خارجاً. بإتباعه إلى عبيدة عبد الحميد الجناوني تائباً فلم تقم له قائمة بعد ذلك إلى أن قضى نحبه[2].

وخرج في عهد أفلح رجلاً يدعى نفاث بن نصر النفوسي[3] الذى أراد أن يؤلب الناس على الإمام أفلح بارائه في الإمامة وهي حركة فكرية أكثر منها سياسية[4].

وازدهر العمران في عهد الإمام أفلح: "أبتنى القصور، وأتخذ بابا من حديد" وأنتعشت الحياة التجارية وكثرة الأموال في أيدى الناس: "وكثرت الأموال، والمستغلات، وأتته الرفاق والوفود من كل الأمصار، والأفاق بأنواع التجارات، وتنافس الناس في البنيان، حتى أبتنى الناس القصور والضياع خارج المدينة"[5].

أما عن علاقة الإمام أفلح بالأغالبة فقد قام بتدمير مدينة العباسية الواقعة بالقرب من تاهرت. وأخبر بذلك أمراء بنى أمية بالأندلس الذين ثمنوا هذا العمل وأرسلوا إليه هدية ثمينة تقدر بمائة ألف درهم[6].

١١ – أبو بكر بن أفلح (٢٤٠–٢٤١هـ/٨٥٤م)

لما مات أفلح بن عبد الوهاب بايع الناس ابنه أبا بكر ويبدو أن هذا التعيين أثار أعتراض بعض الأباضية على ما حدث يقول أبن الصغير[7]: "كان عبد العزيز بن الأدز ينادى بأعلى صوته : والله سائلكم معاشر نفوسة إذا مات واحد جعلتم مكانه آخر، ولم تجعلوا الأمر للمسلمين وتردوه إليهم فيختارون من هو أتقى وأرضى... ".

---

(١) لما علم خلف بوفاة الإمام عبد الوهاب وولاية أبنه، أحتمى وإنحاز بمن معه إلى موضع يقال له تيمتى... لمزيد من التفاصيل أنظر أبو زكرياء، ص ١٢٨ – ١٣٤.

(٢) بحاز إبراهيم بكير، ص ١٢١.

(٣) أظهر نفاث بن نصر النفوسى الطعن فى الإمام أفلح لمزيد من التفاصيل أنظر أبو زكرياء، ص ١٣٩ – ١٤٥.

(٤) بحاز إبراهيم بكير، ص ١٢١.

(٥) ابن الصغير، ص ٢٦٨.

(٦) بحاز إبراهيم بكير، ص ١٢٢.

(٧) أخبار الأئمة الرستميين، ص ٢٧٦.

ولم يكن أبي بكر على مستوى آبائه وأجداده في الشدة والحزم في دينه ولكنه كما يقول أبن الصغير[1]: "كان سمحاً جواداً لين العريكة يسامح أهل المروءات ويشايعهم على مروءاتهم، ويحب الآداب والأشعار وأخبار الماضيين".

وأهم حدث يميز عهد أبي بكر فتنة ابن عرفة صهره الذى كان ذا نفوذ واسع وثروة طائلة يقول أبن الصغير[2]: "فكانت الإمارة بالإسم لأبي بكر وبالحقيقة لمحمد بن عرفة. وكان محمد بن عرفة إذا ركب من داره يريد أبي بكر مشي بين يديه ومن خلفه ومن يمينه، ومن يساره أمم من الأمم".

ولما عاد أبو اليقظان من العراق بعد أن أطلق سرحه من سجن بغداد أسند إليه أبو بكر النظر في شئون تاهرت والنظر في أمور الناس وتحرى العدل في أدق الأمور وأصغرها حتى حاز على رضا الناس[3].

وأخذ نفوذ محمد بن عرفة يزداد وخشيت حاشيية الأمام أبي بكر من ذلك ونبهته من خطورته وتأكد أبو بكر من نفوذ محمد بن عرفة كما يصور لنا ذلك أبن الصغير[4]: "فلما سمع أبو بكر شق صدره وأراد أن يعلم ذلك ففتح طاقا في أعلى قصره يقابل الناحية التي يأتي منها محمد بن عرفة فبينما هو كذلك إذ تحرك محمد بن عرفة من قصره فبادر الناس إليه من كل جانب؛ وذلك كله بعين أبي بكر... وقد هاله ما رأى".

ولما تأكد من نفوذه الواسع أوجس في نفسه منه خيفة، وحرضه أخوه أبو اليقظان خاصة وبطانته عامة على قتل محمد بن عرفة وأنهاء أبهته وكبريائه. وأخذ أبو بكر برأيهم فأمر بقتل محمد بن عرفة بحضوره سراً دون علم العامة[5].

واشتد غضب أنصار محمد بن عرفة على أبي بكر وأنقسم أهل تاهرت إلى فريقين: فريق يشايع الإمام ويتألف من نفوسة والعجم، والفريق الآخر من أنصار ابن عرفة، ويتألف من جند العباسيين في تاهرت وعلى رأسهم محمود بن الوليد. وخلف الخادم مولى الأغلب بن سالم وغيرهم، وقد قام هذا الفريق بمهاجمة درب النفوسيين بتاهرت

---

(١) أخبار الأئمة الرستمين، ص ٢٧٦. (مقدمة الدراسة للدكتور حسن علي حسن، ص ١٥٧).
محمد عيسى الحريرى، ص ١٥٨.
(٢) أخبار الأئمة الرستميين، ص ٢٧٦. بحاز إبراهيم بكير، ص ١٢٣.
(٣) أبن الصغير، ص ٢٧٧.
(٤) أخبار الأئمة الرستمين، ص ٢٧٨ - ٢٧٩.
(٥) بحاز إبراهيم بكير، ص ١٢٣، ١٢٤.

وإحراقه. وأحتدمت نار الفتنة في المدينة، فأضطر أبو القيظان إلى الخروج من تاهرت هو وخاصته، وبايعوه بالإمامة، وأستغل محمد بن مسألة الهوارى الأباضي فرصة قيام الفتنة وخرج أبي اليقظان، وخاصته من تاهرت، وأستولى عليها[1].

١٢ – أبو اليقظان محمد بن أفلح (٢٤١ – ٢٨١ هـ/٨٥٥ – ٨٩٤ م)

لما يئس أهل تاهرت من استمرار الفتنة بايعه كثير من أحلها: "فصارت الدعوة والإمامة كلها لأبي اليقظان وأتته الأباضيه من كل الأقطار". وبرغم ذلك ظل فريق آخر من سكان تاهرت ينكرون بيعة أبي اليقظان.

ويدعو لمحمد بن مسالة. غير أن الأحوال لم تستقم إلا بعد سبع سنوات[2] قضاها في محاربة محمد بن مسالة أحد الأطراف البارزين في الفتنة.

وفي عام (٢٦٨ هـ / ٨٨١ م) تمكن أبو اليقظان من دخول تاهرت بمساعدة قبيلة نفوسة ثم عقدوا له البيعة من جديد. وعقد أبو اليقظان صلحاً مع القبائل كلها وشمر عن ساعد الجد ليواصل مسيرة أبيه وأجداده وينقذ البلاد من الفوضى[3].

أما الإمام المعزول أبو بكر، فقد قضى بقية أيامه في تاهرت في ظل إمامة أخيه أبي اليقظان الذي حرص على إعادة الهدوء والسكينة للبلاد. ومما لا ريب فيه أنه أكتسب خبرة واسعة في الملك وسياسية الرعية خلال سنوات سجنه في بغداد[4].

وحرص أبو اليقظان على إتباع سياسة متوازنة، فاستعان بمجلس شورى يضم شيوخ القبائل ووجهائها. كما كان يجلس لبحث شكوى رعاياه والبت فيها، وبجانب ذلك فقد ساد المجتمع جو من الحرية الفكرية وفي ظلها تفاعلت الآراء والأفكار وكثرت المجادلات والمناظرات. ومما يشجع على ذلك إشتغال الإمام نفسه بالعلم ومشاركته بآرائه وفتاويه في الحركة العلمية[5].

وتعرض شرق الدولة الرستمية لخطر خارجي تمثل في تهديد العباس بن أحمد بن طولون في سنة (٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م) الذي أنتهز فرصة خروج والده إلى الشام وخرج

(١) السيد عبد العزيز سالم، ص ١٧٥.

(٢) ابن الصغير، ص ٢٨٥.

(٣) بحاز إبراهيم بكير، ص ١٢٤.

(٤) بحاز إبراهيم بكير، ص ١٢٥.

(٥) حسن علي حسن مقدمة الدراسة، ص ١٦٧.

صوب المغرب للسيطرة عليه. واستولى على أموال كثيرة من خزانة مصر غير أن الأغالبة واجهوه قبل أن يصل إلى طرابلس، ولما لم يتمكنوا منه، أعتصموا بالمدينة وحاصرهم ابن طولون فيها أكثر من أربعين يوماً. وكان بعض جنوده في تلك الأثناء يعتدون على أهل البوادى من أتباع الدولة الرستمية مما حدا بهولاء وبسكان طرابلس للاستعانة بوالى نفوسة آنذاك أبى منصور إلياس، وقيل أن ابن طولون بعث إلى العامل الرستمى يستفزه ويأمره بالقدوم إليه بالسمع والطاعة، مما دفع أبا منصور ونفوسة إلى التوجه نحو طرابلس، وفك حصارها[1]. وعاش أبو اليقظان نحوا من مائة سنة، قضى منها فى الإمامة أربعين عاما ثم توفى سنة ٢٨١ هـ[2].

١٣- أبو حاتم يوسف بن محمد (٢٨١-٢٩٤هـ/ ٨٩٤-٩٠٦م)

لما مات أبو اليقظان كان ابنه اليقظان فى الحج وابنه أبو حاتم خرج على رأس جيش مع وجوه زناتة لحماية القوافل التجارية القادمة من المشرق يقول ابن الصغير[3]: "وفيها أموال لا تحصى قد خافوا من قبائل زناتة ". وفى تلك الأثناء جاءت الرسل بخبر وفاة أبو اليقظان وعقد الإمارة لأبى حاتم وأجتمعت على بيعته العوام والفرسان. ولما وصل إلى باب تاهرت أزدحم الناس بين يديه وبايعوه فى المسجد ثم حملوه على الأعناق إلى داره ثم أرسلوا إلى القبائل فبايعته[4].

وفى أول إمامته خرج عليه عمه يعقوب بن أفلح بتحريض من سكان تاهرت ممن لم يرضهم الإمام ببعض المناصب فأعلنوا الثورة عليه، وأستقدموا يعقوب من زواغة وبايعوه بالإمامة. فقامت الحرب الأهلية فى تاهرت وأحتدم القتال بين أنصار أبى حاتم وأنصار يعقوب ودامت الحروب بينهم أربع سنوات، وأنتهت بإنتصار أبى حاتم وإعادته إلى الإمامة، وعودة عمه يعقوب إلى زواغة[5].

---

(١) بحاز إبراهيم بكير، ص ١٢٥.

(٢) السيد عبد العزيز سالم، ص ٤٧٦.

(٣) أخبار الأئمة الرستميين، ص ٢٩٩.

(٤) نفسه، ص ٢٩٩.

(٥) السيد عبد العزيز سالم، ص ٤٧٧.

أقام أبو حاتم إماما، فأسند مهمة القضاء إلى ابن الشيخ وبيت المال إلى عبد الرحمن ابن صواب النفوسى، والشرطة إلى زكار وإبراهيم بن مسكين. وأحدق الخطر الشيعى بالرستمين فبدلاً من توحيد صفوفهم قام بنو اليقظان بقتل عمهم وإمامهم أبى حاتم سنة (٢٩٤ هـ / ٩٠٧ م)(١).

١٤ - يقظان بن إبى اليقظان (٢٩٤ - ٢٩٦ هـ / ٩٠٦ - ٩٠٨ م)

بويع اليقظان بعد مصرع أخيه وقامت إمامته بين عوامل الإنقسام الداخلى لسخط شيوخ الدولة عليه لإتهامه بقتل أخيه، والخطر الخارجى المتمثل تهديد أبو عبد الله الشيعى للدولة الرستمية وتمكن من إحتلال الزاب والتغلب على دولة الأغالبة ودخل رقادة سنة (٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م) وأحس اليقظان بضعفه عن مواجهة الشيعة. ولم يلبث أن زحف أبو عبد الله الشيعى من رقادة متجها إلى تاهرت فدخلها بالأمان ولكنه قتل يقظان ومن ظفر به من بنى رستم. ولم يكتف الشيعى بذلك بل أشاع أموال الرستمين ونهب المكتبة الكبرى المعصومة وأخذ ما فيها من الكتب الخاصة بالرياضيات والصنائع والفنون وأحرق ما عدا ذلك(٢).

---

(١) جودت عبد الكريم يوسف، ص ٦٩.

(٢) السيد عبد العزيز سالم، ص ٤٧٩.

ثانيا :الحياة الاقتصادية

١ - الزراعة

نعمت تاهرت وما حولها من مناطق الدولة، بفترة إزدهار عقب قيام الدولة الرستمية بزعامة عبد الرحمن بن رستم وما صاحب ذلك من استقرار وهدوء دفعا عجلة الاقتصاد إلى النهوض من كبوته[1].

ولم تهدأ أوضاع المغرب إلا بعد نجاح ثورات الأباضية والصفرية، ومال الناس إلى الإستقرار والطمأنينة. وعرف المغرب نهوضا اقتصاديا سريعاً ملموساً[2].

وأستقبلت الدولة الرستمية في إمامة عبد الرحمن بن رستم أحمال الأموال الثلاثة الأولى من المشرق يقول ابن الصغير[3]: "وأنه لما وصل المال وأشتروا للقوم الكراع والسلاح وقوى الضعيف وأنتعش الفقير، حسنت أحوالهم وخافهم جميع من أتصل به خبرهم، أمنوا ممن كان يغزوهم من عدوهم ورأوا أنهم قادرون على غيرهم ومن كانوا يخافون أن يغزوهم. ثم شرعوا في العمارة والبناء وإحياء الموات وغرس البساتين وإجراء الأنهار وإتخاذ الرحاء والمستغلات". ومن الجدير بالذكر أن هذه المعونة ساهمت في دعم الاقتصاد الرستمي في مرحلة نشأة الدولة حيث شرعوا في البناء وإحياء الأرض الغير صالحة للزراعة وشق الأنهار[4].

وساهمت المياة المتوفرة عن طريق الأنهار والأمطار فضلاً عن التربة الصالحة في إيجاد بيئة زراعية ناجحة[5]. فالعاصمة تاهرت تقع على نهر كبير تأتيها من ناحية المغرب

---

(١) ابن الصغير، ص ١٩٩ (مدخل الدراسة للدكتور حسن على حسن)

ومن المعروف أن المغرب مر بفترة أضطراب طويلة أثرت على البنية الاقتصادية منذ القرن الرابع الميلادى عقب سقوط حكومة روما والقرن الخامس الذى أستولى فيه الوندال، والقرن السادس الذى مكن فيه البيزنطيون نفوذهم بأفريقية.

واستمرت هذه الأوضاع المتردية تدب فى الجسد المغربى مع الفتوح الإسلامية حيث أشتملت عدة ثورات أستنزفت طاقاته وموارده ولا أدل على ذلك. مما لعلمه الكاهنة زعيمة البربر أنذاك من حرق الغابات وتخريب البلاد ظنا منها أن الفاتحين العرب سيتهلون بذلك في المغرب ويعودون من حيث قدموا.

بحاز إبراهيم بكير، ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٢) بحاز إبرهيم بكير، ص ١٤٤.

(٣) أخبار الأئمة الرستميين، ص ٢٤٣. بحاز إبراهيم بكير، ص ١٤٤.

(٤) ابن الصغير، ص ٢٠١ (مقدمة الدراسة).

(٥) ابن الصغير، ص ٢٠٤ (مقدمة الدراسة).

يسمى منبة. ولها نهر آخر يجرى من عيون تجتمع يسمى تاتش ومنه تشرب أرضها وبساتينها[1]. فضلا عن مياه الأمطار التى ساهمت بدورها فى إنجاح الزراعة[2].

ومن مصادر المياه حول تاهرت العيون المائية يقول المقدسى[3]: "ونبعت حولها الأعين".

أما عن المحاصيل الزراعية فاشتهرت تاهرت بإنتاج الغلات[4]، ووصفها القزوينى[5]: "كثيرة الأشجار وافرتا الثمار" وزرع بتاهرت الكتان والسمسم والحبوب الأخرى [6]. وتميزت الأرض الواقعة فى ضواحي تاهرت بخصوبتها ووفرت البساتين والأشجار والثمار. يقول الاصطخرى[7] عن تاهرت: "وهي مدينة كبيرة خصبة واسعة البرية والزروع والمياه... ".

وذكر الإدريسى[8] المزارع الواسعة بقوله: "ولهم على هذه المياه بساتين وأشجار تحمل ضروبا من الفواكه الحسنة".

وزرع فى تاهرت الفواكه الطيبة اللذيذة يقول البكرى[9]: "وفيها جميع الثمار وسفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعماً ومشماً وسفرجلها يسمى بالفارس".

وكان العبيد السود يعملون بالفلاحة فى زراعة الأرض والأرحاء ومعلوم أن الدولة الرستمية كانت من الدول الكبرى. التى أحتمت بجلبهم من بلاد السودان الغربى جنبا إلى جنب مع الذهب[10].

وترتبط تربية الماشية أرتباطاً وثيقاً بالنشاط الفلاحى فقد تحدث عنها ابن حوقل[11]: "وهي أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال... " وأضاف صاحب الأستبصار[12]: " كثيرة الغنم والماشية طيبة المراعى ".

---

(١) نفسه، ص ٢٠٥. مجهول: الاستبصار، ص ١٧٨.

(٢) نفسه، ص ٢٠٥. محمود إسماعيل: الخوارج، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.

(٣) أحسن التقاسيم، ص ٢٢٨.

(٤) ابن حوقل، ص ٨٤.

(٥) آثار البلاد، ص ١٦٩.

(٦) اليعقوبى، ص ٣٥٨.

(٧) الاصطخرى، ص ٣٩.

(٨) الإدريسى ١/ ٢٥٦.

(٩) المغرب، ص ٦٧. بحاز إبراهيم بكير، ص ١٤٤ - ١٤٥.

(١٠) بحاز إبراهيم بكير، ص ١٥٥.

(١١) صورة الأرض، ص ٨٦.

(١٢) الاستبصار، ص ١٧٩. الحبيب الجنحاني، ص ١٣٣.

ولقد ترتب على كثرة الأغنام تصديرها إلى بلاد المغرب والأندلس لرخصها وطيب لحومها.

وكان الرعي النشاط الأساسي لسكان الصحراء، وهو موردهم الأساسي والوحيد. وكانت قطعان الغنم والجمال كثيرة ينتقل وراءها البدو صيفا نحو الشمال ويعودون إلى الصحراء في فصل الشتاء عندما تكثر الأمطار والثلوج تؤثر سلبا في الحيوان خاصة منها الحديثة الميلاد[1].

٢-الصناعة

كانت الصناعة زمن الدولة الرستمية تلبي احتياجات المجتمع ومن تلك الصناعات يأتي في المقام الأول الصناعات الزراعية التي تتمثل في معاصر الزيتون، إذ كانت هذه الشجرة متوفرة في بلاد المغرب. ومن المحتمل وجود هذه الصناعة في تاهرت، وفي جبل نفوسة وجزيرة جربة. ويبدو أن المشتغلين في هذه المعاصر كان معظمهم من العبيد المجلوب من السودان. كما يبدو أنهم كانوا يشتغلون في مطاحن القمح الموزعة على الأنهار العديدة بالدولة الرستمية[2].

وقامت على الثروة الحيوانية صناعة الجلود أو الدباغة وهي صناعة كان يمارسها البربر منذ عصورهم القديمة. واشتهرت تاهرت بكثرة الدواب والماشية. مما ساعد على قيام صناعة الجلود ويتم صنع منها النعال والسروج والأغطية. وأدوات حفظ المواد السائلة كالحليب والسمن أو حفظ التمور. ومن الجلود تصنع الأفرشة[3].

وأشتهرت الدولة الرستمية بصناعة النسيج من الصوف والكتان والحرير وكانت الهضاب العليا في المغرب العربي أكبر منتج للصوف الفائق الجودة.

وكانت هذه الصناعة تنتج أنواعا من الملابس. وقامت المرأة بدور بغزل الصوف في منزلها أو خيمتها وتوظف لها الجواري. مثلما فعلت أم الخطاب التي كان عندها ثلاثة عشر جارية ينسجن لها[4].

---

(١) بحاز إبراهيم بكير، ص ١٨٢.

(٢) بحاز إبراهيم بكير، ص ١٦٦.

(٣) بحاز إبراهيم بكير، ص ١٦٧.

(٤) بحاز إبراهيم بكير، ص ١٦٧.

وأستفاد بنو رستم من خبرة الفرس في صناعة المنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية والقوارير الزجاجية وأواني الخزف البراقة والتحف المعدنية والعطور[1].

ومن أبرز ما خلفته الصناعة في العهد الرستمي هو الأواني الفخارية أو الخزفية التي عثر عليها في خرائب تاهرت سنة ١٩٤١ م[2].

٣- التجارة

١- التجارة الداخلية

كان بتاهرت أسواق عامرة[3] بمختلف البضائع وتحولت بعض الأسواق في الدولة الرستمية إلى مدن بارزة لذلك نجدها تعرف بالأسواق كمدينة سوق إبراهيم أو مدينة كرام[4].

ومن أبرز البضائع التي كانت تتبادل بين المدن وأسواقها في الدولة الرستمية بضائع الشمال ببضائع الجنوب. والعكس صحيح ويقوم بهذا الدور الرعاة والبدو من قبائل مزاته وسدراتة وزناته وغيرها من القبائل البربرية البترية[5].

المكاييل والموازين

أمدنا البكري بمعلومات عن مكاييل وموازين تاهرت، فيذكر أن المد الذي يكتالون به القمح وغيره من الحبوب خمسة أقفزة ونصف قرطبية. أما قنطار الزيت وغيره فهو عندهم قنطاران غير ثلث بالوزن العادي. أما رطل اللحم فهو بمثابة خمسة أرطال بالمقارنة مع مكاييل قرطبة[6].

وساهم الأئمة بدور كبير في تنشيط الحركة التجارية، فلقد أشتغل بعضهم بالأعمال التجارية، ومن هؤلاء الإمام عبد الوهاب الذي كان يملك العديد من القوافل التجارية المتجهة إلى السودان وغيرها من المناطق.

---

(١) محمود إسماعيل، ص ٢٧٦.

(٢) بحاز إبراهيم بكير، ص ١٧١.

(٣) البكري، ص ٦٨.

(٤) بحاز إبراهيم بكير، ص ١٧٤.

(٥) بحاز إبراهيم بكير، ص ١٧٧.

(٦) البكري، ص ٦٩. بحاز إبراهيم بكير، ص ١٨٠.

وشارك في الأعمال التجارية من الأئمة بعد ذلك الإمام أفلح بن عبد الوهاب وأبو اليقظان محمد بن أفلح [1].

ولم يكتف الأئمة بالمشاركة الفعلية في الأعمال التجارية، وإنما قدموا التيسيرات اللازمة للتجار وذلك بتنظيم الأسواق وإعفاء بضائعهم من الرسوم [2].

كما وفر الأئمة الحماية الكافية لقوافل التجار من غارات بعض القبائل المناوئة لأئمة تاهرت[3].

ولم يقتصر العمل بالتجارة على الأئمة وإنما حقق بعض الناس ثروة طائلة نخص بالذكر منهم يبيب بن زلفين المزاتي، وابن وردة الفارسي الذى ابتنى بتاهرت سوقا خاصا له[4].

٢ - التجارة الخارجية

كانت التجارة الخارجية رائجة زمن الرستمين بين تاهرت والبلدان الأخرى يقول ابن الصغير[5]: "وأستعمل السبل إلى بلد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة".

وأرتبطت تاهرت بشبكة واسعة من الطرق تربطها بالقيروان شرقاً[6] وبفاس عاصمة الأدارسة غرباً وسجلماسة عاصمة بنى مدرار جنوباً كما أرتبطت تاهرت بالأندلس بحريا عن طريق ميناء تنس[7] ومستغانم ووهران[8] وبالمشرق العربى عن طريق القوافل ذهاباً وأياباً بين بغداد وتاهرت[9].

وكانت العلاقات التجارية قوية بين الدولة الرستمية وبلاد السودان الغربى والأوسط عن طريق أربعة مسالك أثنين منها تنطلق من العاصمة تاهرت. أما الاثنين الأخرين فينطلقان من جبل نفوسة في شرق الدولة.

---

(١) ابن الصغير، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ (مقدمة الدراسة).
(٢) نفسه، ص ٢٠٩.
(٣) سعد زغلول عبد الحميد ٢ / ٥٠٠.
(٤) السيد عبد العزيز سالم، ص ٤٩١.
(٥) أخبار الأئمة الرستميين، ص ٢٤٤.
(٦) بحاز إبراهيم بكير، ص ١٩٧ - ١٩٨.
(٧) نفسه، ص ١٩١.
(٨) السيد عبد العزيز سالم، ص ٤٩١.
(٩) بحاز إبراهيم بكير، ص ١٩٣.

١- **المسلك الأول:** ينطلق من تاهرت ثم يمر بسجلماسة ومنها إلى تادمكة إلى أودغست حتى يصل إلى مملكة غانا[١].

٢- **المسلك الثاني:** ينطلق من تاهرت ثم يمر بواحة وارجلان ومنها إلى تادمكة حتى يصل إلى مملكة كوكو[٢].

٣- **المسلك الثالث:** ينطلق من جبل نفوسة إلى غدامس ومنها إلى تادمكة حتى يصل إلى مملكة كوكو[٣].

٤- **المسلك الرابع:** ينطلق من جبل نفوسة ومنها يتجه شرقاً إلى زويلة حتى يصل إلى كوار ومنها إلى مملكة كانم[٤].

الصادرات

كانت الحركة التجارية في الدولة الرستمية نشيطة وأن التبادل التجارى كان ضخماً. وكانت بضائع تاهرت المتنوعة تتجه نحو مختلف الآفاق. وبضائع المغرب والمشرق تفد بانتظام على أسواق البلاد[٥].

ووصف ابن الصغير[٦] حركة التجارة يؤمذاك بقوله: "وأتتهم الوفود والرفاق من كل الأمصار وأقاصى الأقطار".

وكانت بضائع الدولة الرستمية الصادرة تتمثل فى الحبوب والماشية فالأغنام كانت تجلب منها: "إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لرخصها وطيب لحومها"[٧]. كما كانت الحبوب تنفذ من مراسى المغرب الأوسط إلى المدن الأندلسية بأستمرار[٨]. وكان الطعام يحمل من مدينة تنس إلى الأندلس وإلى بلاد إفريقية وإلى بلاد المغرب، وذلك لكثرة الزرع ورخص أسعاره[٩]. ومن السلع المصدرة إلى الأندلس العاج والجلود التى كانت تصل إلى

---

(١) بحاز إبراهيم بكير، ص ٢١١.

(٢) نفسه، ص ٢١٤.

(٣) نفسه، ص ٢١٨.

(٤) نفسه، ص ٢١٩.

(٥) بحاز إبراهيم بكير، ص ١٩٧.

(٦) أخبار الأئمة الرستميين، ص ٢٤٤.

(٧) الأستبصار، ص ١٧٩.

(٨) بحاز إبراهيم بكير، ص ١٩٨.

(٩) مجهول: الاستبصار، ص ١٣٣.

المغرب الأوسط من بلاد السودان وغانة وكانت الدولة الرستمية بحكم موقعها المتوسط بين المغربين الأدنى والأقصى، وبحكم علاقتها الحسنة مع بلاد السودان والأندلس وسجلماسة تحتل مركزاً تجارياً ممتازاً فى بلاد المغرب كلها، فكانت مركزاً هاماً للتجارة[1].

وكانت الدولة الرستمية تصدر إلى بلاد السودان الحبوب والتمور والقمح، وكان تجار الاباضية يحملون بعض الملابس الصوفية والكتانية والقطنية والحريرية [2]. والملح الذى يعد أهم بضاعة على الأطلاق فى التجارة مع بلاد السودان [3]. والأوانى الخزفية البراقة والملونة، والأصداف والتحف المعدنية والعطور [4].

الواردات

كانت الدولة الرستمية تستورد من المشرق الكتب، لكثرة قرائها وعلمائها[5]. وكان يجلب إلى تاهرت الخدم والجوارى والفراء والسمور والسيوف[6].

وكان التبادل التجارى بين الرستمين والأمويين فى الأندلس يسير على أكمل وجه نظراً لاحتياج كل دولة للأخرى، وكانت الدولة الرستمية بمثابة جسر يوصل حكام قرطبة وتجارها بالمشرق وعلى الأخص حين أغلقت أمامهم الطرق المؤدية إلى كل من إفريقيا شرقا والمغرب الأقصى غرباً بقيام دولة الأغالبة الموالية للعباسيين[7].

وكان تجار الدولة الرستمية يجلبون من بلاد السودان بعض الأحجار الثمينة والشب والعنبر وريش النعام وأهم سلعتين هما الذهب والرقيق[8].

وحفلت تاهرت بالمنشآت التجارية من الفنادق والمبانى الخاصة للتجار من سائر أنحاء العالم الإسلامى وخاصة من فارس والعراق والقيروان وسجلماسة فضلاً عن بلاد السودان[9].

---

(١) السيد عبد العزيز سالم، ص ٤٩١.
(٢) بحاز إبراهيم بكير، ص ٢٢٣.
(٣) نفسه، ص ٢٢٤.
(٤) السيد عبد العزيز سالم، ص ٤٩١.
(٥) بحاز إبراهيم بكير، ص ٢٠١.
(٦) نفسه، ص ٢٠٢.
(٧) نفسه، ص ٢٠٣.
(٨) بحاز إبراهيم بكير، ص ٢٢٦. السيد عبد العزيز سالم، ص ٤٩١.
(٩) محمود إسماعيل : الخوارج فى بلاد المغرب، ص ١٥٢.

ثالثا :الحياة الثقافية

انتشر التعليم في تاهرت في العهد الرستمي، وحرص الأئمة على التدريس في المساجد مجانا في علوم الدين واللغة. وكانت هذه العلوم تطغى على الحياة الفكرية. وأكتظت تاهرت بمختلف المذاهب، وكانت المجادلات تجرى بينهما. وأقتضى هذا الأمر من الرستمين مواجهة المعارضة السياسية التى لبست ثوباً مذهبيا، وهذا يتطلب منهم التعمق في الفقة و في شئون الدين ومسائل الفرق والبراعة في الجدل[1].

وكان الإمام عبد الرحمن بن رستم عالماً محباً للعلم يلقى دروس العلم والوعظ في المسجد الجامع. وكان ابنه عبد الوهاب عالماً في شئون الدين[2] وقد أخذ العلم من المشرق ويعتبر من حملته عند الأباضية[3].

وقد صنف الإمام عبد الوهاب كتابا سماه "نوازل نفوسة" وهو مجموعة من الفتاوى الشرعية. كان علماء نفوسة يستفتونه فيها[4].

وحدثنا أبن الصغير[5] عن هذا الكتاب "لأن نفوسة كتبت إليه في مسائل أشكلت عليه فأجابها عن كل مسألة. مما سألت عنه، وكان هذا الكتاب في أيدى الأباضية مشهورا عندهم معلوماً يتداولونه قرنا عن قرن إلى أن لحق الفصل، فأخذته عن بعض الرستمين فدرسته ووقفت عليه".

وأرسل الإمام عبد الوهاب إلى إخوانه في البصرة ألف دينار لشراء كتب، فأرسلوا له حمل أربعين جملاً. وقيل أنه لم يستفد منها إلا مسألتين[6]. وكان الإمام أفلح بلغ في حساب الغبار والنجامة مبلغاً عظيما. وكان شاعراً مجيداً له قصيدة يحث فيها على طلب العلم وأكتسابه[7].

وقد قام بالتدريس كوالده، وتحلقت حوله حلقات العلم والدرس يقول أبو زكرياء[8]: "وبلغنا أنه قعدت عليه أربع حلق يتعلمون عنده فنون العلم قبل أن يبلغ الحلم".

---

(١) جودت عبد الكريم يوسف، ص ١٠٧ .
(٢) جودت عبد الكريم يوسف، ص ١٠٧ .
(٣) بحاز إبراهيم بكير، ص ٢٦٤ .
(٤) السيد عبد العزيز سالم، ص ٤٨٨ . عصام الدين عبد الرؤوف، ص ١٥٧ .
(٥) أخبار الأئمة، ص ٢٥٥ .
(٦) جودت عبد الكريم يوسف، ص ١٠٧ .
(٧) بحاز إبراهيم بكير، ص ٢٦٨ . ابن الصغير، ص ٢٢٩ (مقدمة الدراسة) .
(٨) كتاب سيرة الأئمة، ص ١٣٦ .

وكذلك كان الإمام أبو بكر بن أفلح عالماً له أهتمامٌ بالأدب والأشعار وأخبار الماضين[1].

وكان أبو اليقظان عالما، ألف كتابا من أربعين جزءا فى الاستطاعة[2] وبلغ فى العلم مبلغاً عظيماً. ويبدو أن قوة المذهب المختلفة في تاهرت دفعته إلى التأليف فى الرد على المخالفين كتبا كثيرة[3].

واستمر أهتمام الأئمة الرستمين بالعلم إلى نهاية دولتهم، لأن البيت الرستمى كان بيت علم فى مختلف الفنون من الأصول والفقه والتفاسير وفنون الدين والرد على المخالفين وعلم اللغة والنجوم والأعراب والفصاحة[4].

كانت تاهرت مركزاً تجاريا هاماً، فقدم إليها التجار ومن بينهم تجار إفريقية وأفرغوا علومهم إلى جانب سلعهم. كما أن العلماء والحجاج الخارجين من تاهرت والقادمين إليها مقيمون أو عابرون شرقاً أو غرباً قد أسهموا أيضا فى نقل مختلف العلوم والفنون إلى تاهرت، وإلى جانب هؤلاء فقد ساهمت جماعة القرويين فى تاهرت فى الحركة العلمية. فظهر فيها عدد من العلماء العرب والبربر منهم محكم الهوارى وابنه هود الذى وضع كتاباً فى تفسير القرآن من جزءين. وعبد الله بن اللمطى وهو الذى كان يتولى مناظرة المعتزلة[5].

أما عن أهم مظاهر النشاط الفكرى زمن الرستمين:

١ – كثرة عدد العلماء فى تاهرت فى مختلف فروع العلم.

٢ – تعدد المذاهب وحلقات المناظرة والجدل، ونجم عن ذلك نشاط واسع فى حركة التأليف، فكثر تصنيف الكتب للرد على المخالفين [6].

٣ – حرص الأئمة الرستمين على صيانة تلك الكتب فبنوا مكتبة المعصومة بمدينة تاهرت التى أحتوت على مصنفات فى العلوم والشئون الفكرية العامة إلى جانب كتب

---

(١) ابن الصغير، ص ٢٧٦. جودت عبد الكريم يوسف، ص ١٠٧.

(٢) جودت عبد الكريم يوسف، ص ١٠٨. بحاز إبراهيم بكير، ص ٢٧٠.

(٣) بحاز إبراهيم بكير، ص ٢٧٠.

(٤) بحاز إبراهيم بكير، ص ٢٧١.

(٥) جودت عبد الكريم يوسف، ص ١٠٨.

(٦) جودت عبد الكريم يوسف، ص ١٠٩.

المذهب وهذه المكتبة آحرقها أبو عبد الله الشيعي وبخاصة كتب المذهب الأباضي، وأستخلص منها كتب الرياضيات[1].

٤ – أرتباط الحركة الفكرية في تاهرت أرتباطاً قوياً بالفكر الخارجي في المشرق، لاسيما في البصرة. وكانت تاهرت وثيقة الصلة ثقافيا مع مدن إسلامية أخرى مثل القيروان، وقرطبة، وبغداد. ولكن الأتصال المذهبي كان مع البصرة بصفة خاصة[2] وقد ذكرنا من قبل إن الإمام عبد الوهاب أرسل إلى البصرة لشراء الكتب.

(١) ابن الصغير، ص ٢٣٠ (مقدمة الدراسة).

(٢) الحبيب الجنحاني، ص ١٣٦ .

الفصل الثانى

دولة بنى مدرار بسجلماسة

(١٤٠-٢٩٧هـ/٧٥٧-٩٠٩م)

أولاً: التاريخ السياسى

شهدت بلاد المغرب إنتفاضة واسعة المدى على الحكم العربى فى القيروان، عقب نجاح ميسرة المدغرى سنة ١٢٢هـ/٣٩-٧٤٠م، وأفلح فى أنتزاع المغرب الأقصى من طاعة الخلافة الأموية [١].

وأخذ المذهب الصفرى فى الأنتشار على أيدى أئمة من العرب الخوارج وتغلغل صوب الجنوب إلى سجلماسة[٢]. وكان معظم الخوارج الصفرية ينتمون إلى قبيلة مكناسة التى تقطن بعض بطونها فى نواحى تازاً وتسول بالمغرب الأقصى[٣].

ولقد ساندت مكناسة فى قيام دولة بنى مدرار بعض القبائل الأخرى، كصنهاجة وزويلة وزناته وزنوج السودان وأهل الربض الأندلسيين[٤].

١ - عيسى بن يزيد الأسود

وأول من تولى إمامة الدولة رجلاً سودانياً يدعى عيسى بن يزيد الأسود. وكان بنو جلدته من السودانيين يقيمون بإقليم تافيللت. وقد أعتنقوا المذهب الصفرى على يد أبى القاسم سمكو بن واسول.

وكان عيسى صاحب ماشية ينتقل بها للرعى من مكان لآخر على البلاد الجنوبية [٥] والتف حوله قبائل كثيرة من زناته الصفرية وسكنوا معه فى الخيام وكان عددهم يزيد

---

(١) حسن على حسن : الحياة الدينية فى المغرب القرن الثالث الهجرى، القاهرة ١٩٨٥م، ص٣٥.

(٢) ابن خلدون ٦ / ١٣٠ . ـ السيد عبدالعزيز سالم، ص٤٩٧ .

(٣) محمود إسماعيل، ص١١٣ . ـ حسين سيد عبدالله مراد : دولة بنى مدرار فى سجلماسة بالمغرب الأقصى، رسالة ماجستير غير منشورة معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة ١٩٨٦م، ص٦٢ .

(٤) السلاوى ١ / .

(٥) البكرى، ص١٤٩ . مجهول : الأستبصار، ص٢٠١ . ـ ابن الخطيب، ص١٣٨ . القلقشندى : صبح الأعشى ٥ / ١٦٣ .

عن أربعة آلاف وشرع في تخطيط سجلماسة سنة (١٤٠هـ/٧٥٧م)[١]. وتقع في منطقة تافللت على طرف الصحراء تبعد عن مدينة فاس في اتجاه الجنوب الشرقي ٣١٥ك. م[٢]

ويزعم بوفيل أن سجلماسة بنيت أيام القرطاجيين[٣]. ولكن الثابت من رواية المؤرخين العرب أنها أسست سنة (١٤٠هـ/٧٥٧م)، يقول ابن الخطيب[٤]: "فأكمل بناءها وأتقن سورها وقسم مياهها في خلجان بقدر موزون، وصرف إلى كل ناحية قدرها مائة، وأمر بغرس النخيل والأستكثار منه...".

ووصف ياقوت[٥] سجلماسة: "مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان، بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب، وهي في منقطع جبل درن".

يقول أحد الباحثين أن جماعة الصفرية التي بايعت عيسى بن يزيد طبقت مبدأ أللا عنصرية أو ألـلا عصبية للإمام عند اختيارهم إلى عبد الرحمن بن رستم ليتسنى لهم التخلص من الإمام إذ حاد عن الطريق المستقيم، وهذا ماسيفعله جماعة سجلماسة بإمامها عيسى بن يزيد[٦] حيث ثاروا عليه وأنكروا عليه بعض الأمور وصلبوه على شجرة في الجبل وذلك في سنة (١٥٥هـ/٧١-٧٧٢م)[٧]، وعرف الجبل الذي صلب عليه بجبل عيسى[٨]. ربما يكون من تلك الأمور أنه كان مذهبيا متعصبا شديد العداوة للخلافة العباسية الأمر الذي يوحي بأنه كان من المحتمل أن يكون حليفا للرستميين في تاهرت في صراعهم ضد ولاة القيروان وربما جرت بينهما أتصالات بهذا الشأن[٩].

---

(١) ابن الخطيب، ص١٣٩.

(٢) الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص ١٤٩.

(٣) الحسن السائح، ص١٤٣.

(٤) أعمال الأعلام، ص١٣٩.

(٥) معجم البلدان ٣/ ١٩٢.

(٦) البكري، ص ١٤٩. سعد زغلول عبدالحميد ٢/ ٤١٠.

(٧) ابن خلدون ٦/ ١٣٠. حسن علي حسن: الحياة الدينية في المغرب، ص٣٨.

(٨) ابن الخطيب ٦/ ١٣٠. البكري، ص ١٤٩.

(٩) جودت عبد الكريم يوسف، ص ٢١١.

٢ – أبو القاسم سمكو بن واسول

وبعد ذلك بايع صفرية سجلماسة أبى القاسم سمكو بن واسول بن مصلان سنة (١٥٥–١٦٨هـ) وكان أبوه من حملة العلم الذين رحلوا إلى المدينة وتلقى عن عكرمة بن عباس، وكان أبو القاسم يلقب بمدرار وخطب ود الخلافة العباسية فدعا للخليفة المنصور والمهدى[1]. ويبدو أنه أراد الاستقلال بدولته دون معاداة للخلافة العباسية وحلفائهم الأغالبة، خاصة وأن موقع سجلماسة المتطرف نحو الجنوب، جعلها مدينة هامشية بالنسبة للدولة الإسلامية وكل هذا يشير إلى أنه كان يعارض إشتراك جيش سجلماسة فى حصار طبنه إلى جانب الرستميين[2].

٣ – ألياس بن أبو القاسم

ولما توفى أبو القاسم تولى أبنه إلياس عرش سجلماسة (١٦٨-١٧٤هـ/٧٨٤ –٧٩١م) ولقب بالوزير ثم ثار عليه أخوه اليسع وساندهِ فى ذلك أهل سجلماسة سنة (١٧٤هـ / ٧٩١م).

٤ – اليسع بن أبو القاسم

وكان اليسع قوى الشخصية وتغلب على كل من عانده من قبائل البربر وغزا بلاد درعة وحصل خمس معادنها، وشيد المصانع والقصور بسجلماسة وأعاد بناء سور عليها[3]، ويبدو أن مناوشات قوية حدثت بينه وبين مخالفيه عند السور[4] يقول ابن الخطيب[5] "وقاتل عليه وهدم ماكان أبوه بناه من سور المدينة وبناه بناء حسنا أحسن من الأول".

وبنى سور سجلماسة أسفله بالحجارة وأعلاه بالطوب، وللسور أثنا عشر باباً حديد[6] وذكر لنا المقدسى[7] (ت ٣٨٨هـ) بعض أسماء تلك الأبواب منها باب القبلى وباب الغربى

---

(١) ابن خلدون ٦ / ١٣٠.
(٢) جودت عبد الكريم يوسف، ص ٢١٢.
(٣) البكرى، ص١٥٠. ابن عذارى ١ / ١٥٦، ١٥٧. ابن خلدون : ٦ / ١٣٠، ١٣١. ابن الخطيب، ص ١٤٢، ١٤٣ السيد عبدالعزيز سالم، ص ٤٩٨، ٤٩٩. محمود إسماعيل، ص١٢٤، ١٢٥.
(٤) محمود إسماعيل، ص١٢٥.
(٥) اعمال الأعلام، ص١٤٣.
(٦) البكرى، ص١٤٨.
(٧) أحسن التقاسيم، ص٢٣١.

وبـاب غديـر وباب الجزارين وباب موقف وشيد فى وسط مدينة سجلماسـة حصن يسمى العسكر ويشتمل علـى الجامـع ودار الإمـارة[1] كمـا هو معروف فى سائر المدن الإسلامية الأخـرى. وتميـزت علاقة اليسـع مع الرستميين بحسن الجوار، ربما يعود ذلك إلى طبيعة مذهـبه، فهـو وإن كـان أظهر مذهب الصفرية من الخوارج وقاتل عليه، إلا أنه كان يميل إلى المذهب الأباضى[2] حتى قال عنه ابن خلدون[3]، أنه كان "أباضيا صفريا".

٥ – مدرار بن اليسع

تـولى مدرار بن اليسع فى سنة (٢٠٨هـ/٨٢٣م)، ولقب بالمنتصر وهو الذى تزوج أروى ابنة عبدالرحمن بن رستم ويكشف هذا الزواج عدة أمور هى:

١ – أن اليسـع كانـت لـه معـرفة سـابقة بتاهـرت وبالرسـتميين ممـا أتـاح لـه فرصة التعرف على أروى، فيتقبلها شريكة ابنه فى حياته.

٢ – أن هذا الزواج يكشف عن طيب العلاقة بين تاهرت وسجلماسة[4].

وفـى عهـده شـهد البـيت المـدرارى اضطرابات داخلية شديدة على العرش بين ولديه ميمون ابن أروى، وابنه الآخر ميمون بن تقية. فتنازعا لمدة ثلاث سنوات.

٦ – ميمون بن مدرار

وانحـاز مـدرار إلى مـيمون بـن أروى حـيث خلـع مـدرار نفسـه وولاه علـى حكـم سجلماسـة. وخـرج مـيمون بن تقية من سجلماسة. ولكن ميمون بن الرسمتية أستبد بالأمر وأسـاء إلى الـرعية فـثار عليـه أهـل سـجلماسـة وأعادوا ابنه ميمون بن تقية إلى سجلماسة وولوه عليهم ولكنه رفض أن يتآمر على أبوه فاعادوا أباه مدرار بعد خلعه.

ولـما أسـتتب الأمـر لـمدرار أسـتدعى مـيمون بـن الرسـتمية لعرش سـجلماسـة مرة ثانية فـنهض أهـل سـجلماسـة وخلعـوه وقدمـوا ميمون بن تقية الذى ولى شئون الحكم وفى تلك الأثـناء توفـى أبـوه مدرار، ودامت مدة حكم ميمون إلى سنة (٢٦٣هـ/٨٧٦م)[5]. ويبدو أن

---

(١) أحسن التقاسيم، ص٢٣١.

(٢) جودت عبد الكريم يوسف، ص ٢١٤.

(٣) العبر ٦ / ١٣٠. جودت عبد الكريم يوسف، ص ٢١٤.

(٤) جودت عبد الكريم يوسف، ص ٢١٥.

(٥) البكرى، ص١٥٠. ابن عذارى ١ / ١٥٧. ابن خلدون ٦ / ١٣١. ابن الخطيب، ص١٤٣، ١٤٤. القلقشندى ٥ / ١٦٦، ١٦٧. سعد زغلول عبد الحميد ٢ / ٤١٦. السيد عبد العزيز سالم، ص٥٠٢.

هـذا الخـلاف يمـثل صـراعا بـين المـوالين للرسـتميين ممـثلين بمـيمون بـن أروى وبـين المحـافظين علـى أسـتقلالهم وعـدم الإنقـياد لجهـة مـا. ويـبدو أن هذا الفريق خشـى من إنضـمام ملكهم إلى ملك بنى رسـتم[1].

٧ – محمد بن ميمون

تـولى محمـد بـن مـيمون بعد وفاة أبيه وقام بغزو البلاد الجنوبية، وأسـتولى على مدينة تافيللت ثم توفى في شـهر صـفر سـنة (٢٧٠هـ/٨٨٣م)[2].

٨ – اليسع بن مدرار

تـولى عمـه اليسـع بـن مدرار الملقب بالمنتصر[3] وشرع فى تجنيد الجيوش وجهز حملة لغزو مطغرة[4].

الشيعة فى سجلماسة

ووفـد عليه عبيدالله المهدى وأبنه القاسم فسجنهما بناء على وشية من يهود سجلماسة يقـول أحـد الباحـثين والظاهر أنهم أوعزوا إلى اليسـع بالقبض عليه بعد أن أخبروه أن أبا عبدالله الشيعى قام بدعوته من أجله.

ومـن المعـروف أن طائفـة مـن الـيهود عاشـت فـى سجلماسـة فـى عهـد بنـى مـدرار وأحتكرت مناجم الفضة فى درعة وتجارة الذهب مع الجنوب ووجدوا فى الخطر الشيعى تهديـداً لمصـالحهم وتعرضـوا للعسـف والتنكيل على أثر سـقوط سجلماسـة في يد الشـيعة[5] حيث زحف عبدالله الشيعى إلى سـجلماسـة وأطلق سـرح عبيدالله المهدى من السجن ووضع نهايـة للبـيت المـدرارى بعـد أن قـتل اليسـع في سـنة (١٩٧هـ/٩–٩١٠م)[6]. ثم نزل على سجلماسـة والياً يدعى إبراهيم بن غالب من قبل الشيعة.

---

(١) جودت عبد الكريم يوسف، ص ٢١٦.

(٢) ابن الخطيب، ص١٤٤.

(٣) البكرى، ص ١٥٠.

(٤) ابن الخطيب، ص١٤٥.

(٥) محمود إسماعيل، ص ٢١٢، ٢١٣.

- Encyclopae dia Judaica v.14 P. 1528.

(٦) ابن عذارى ١ / ١٥٧. السيد عبدالعزيز سالم، ص٥٠٢. سعد زغلول عبدالحميد ٢ / ٤١٧.

- عصام الدين عبدالرؤف: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة ١٩٨٤م، ص١٦٢.

ثورة أهل سجلماسة وعودة الحكم لبنى مدرار

وبعد خمسين يوماً من حكمه ثار عليه أهل سجلماسة وقتلوه ومن معه من الشيعة وكتامة[1] وأعادو الحكم لبنى مدرار وولوا عليهم الفتح أبن الأمير مدرار الملقب بالرسول. فى ربيع الأول سنة (٢٩٨هـ/١٠-٩١١م) ولم تطل مدة حكمه عن عامين حيث توفى فى رجب سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م وولى بعده إبى العباس أحمد ابن الأمير ميمون بن مدرار وأستقامت له الأمور.

مصالة بن حبوس يستولى على سجلماسة

أرسل أبا عبيدالله الشيعى القائد مصالة بن حبوس الصنهاجى بجيش من الشيعة، وتمكن من الإستيلاء على سجلماسة عنوة وقتل أبى العباس أحمد فى شهر المحرم بسنة (٣٠٩هـ) ورغب مصالة فى أن يسند شئون سجلماسة إلى رجلاً من بنى مدرار ليتقى شرهم فولى عليها المعتز بن محمد بن ساور بن مدرار فظل والياً على سجلماسة وما يليها من البلاد يدعوا للشيعة إلى أن توفى سنة (٣٢١هـ/٩٣٣م) ثم ولى بعده ابنه محمد بن المعتز بن محمد بن ساور حتى سنة (٣٣١هـ/٩٤٢م) ثم أخوه سمعون بن المعتز الملقب بالمنتصر ولم يتجاوز عمره سوى ثلاثة عشر عاماً[2].

محمد بن الفتح وقطع الدعوة الشيعية

ثم تولى محمد بن الفتح بن الأمير ميمون بن مدرار الملقب بالشاكر لله فى (٣٣٢هـ/٩٤٣م) وكان سنياً على مذهب المالكية وأحسن السيرة فى الرعية وعم العدل فى ولايته وتلقب بالشاكر لله وضرب الدراهم والدنانير وقطع الدعوة الشيعية فأثار غضب معد بن إسماعيل الذى أرسل جوهر الصقلى بحملة إلى سجلماسة وفرض عليها الحصار لمدة ثلاثة أشهر. ولما أشتد الحصار ولى محمد بن الفتح هرباً بماله وأهله إلى بتاكدالت أحد الحصون المنيعة يقع على بعد اثنى عشر ميلاً من سلجماسة ودخل جوهر سجلماسة سنة (٣٤٧هـ/٩٤٨م)[3].

---

(١) البكرى، ص١٥٠. ابن عذارى ١ / ١٥٧. ابن الخطيب، ص١٤٥.

(٢) ابن الخطيب، ص١٤٥، ١٤٦.

(٣) البكرى، ص١٥١. ابن خلدون ٦ / ١٣٠، ١٣١. ابن الخطيب، ص١٤٧، ١٤٨. القلقشندى ٥ / ١٦٧.

ثانيا :النشاط الاقتصادي في سجلماسة

اعتمدت الزراعة في سجلماسة على مياه نهرين عظيمين ينبعان من عيون كثيرة. ويسلك أحدهما شرقاً والآخر غرباً[1]. وكانت سقاية الأرض في سجلماسة من النهر يقول البكري[2]: "وشرب زرعهم من النهر في حياض كحياض البساتين". وكانت أماكن سجلماسة تقوم زراعتها على الأمطار[3].

وأعتاد أهل سجلماسة على زراعة أرضهم عاماً ويحصدون من تلك الزريعة ثلاثة أعوام. ويفسر لنا البكري سر[4] ذلك: "لأنه بلد مفرط الحر شديد القيظ فإذا يبست زرعهم تناثر عند الحصاد وأرضهم مشققة فيرتفع ما تناثر منه في ذلك الشقوق فإذا كان في العام الثاني حرث بلا بذر وكذلك في العام الثالث".

وشبه ابن حوقل[5] زراعة أهل سجلماسة بزراعة المصريين على ضفتي النيل قائلا: "فيزرع بمائه حسب زروع مصر في الفلاحة وربما زرعوا سنة عن بذر وحصدوا مازرع من زرعه وتواترت السنوات بالمياه فكلما أغدقت تلك الأرض سنة في أعقاب أخرى حصدوه إلى سبع سنيين".

واشتهرت سجلماسة بزراعة النخيل بكثرة[6]. وذكر ياقوت أن بها ستة عشر صنفاً من التمر[7]. وكان تمرها يفضل عن غيره من تمور المغرب[8]. وذكر ابن حوقل نوعاً من الرطب بسجلماسة أخضر من السلق طيباً[9]. كما أشتهرت بزراعة القمح[10] والقطن والكمون والكرويا والحناء[11] والعنب والفواكه والحبوب والرومان[12] ويصف اليعقوبي المعاصر

---

(١) البكري، ص ١٤٨.

(٢) البكري، ص ١٤٨. مجهول: الاستبصار، ص ٢٠١.

(٣) اليعقوبي: البلدان، ص ٣٥٩.

(٤) المغرب، ص ١٥١.

(٥) صورة الأرض، ص ٩٩.

(٦) ابن حوقل، ص ٩١. الأدريسي ١ / ٢٢٥.

(٧) ياقوت ٣ / ١٩٢. القزويني، ص ٤٢.

(٨) القلقشندي ٥ / ١٤٥.

(٩) ابن حوقل، ص ٩١.

(١٠) البكري، ص ١٥١.

(١١) الأدريسي ١ / ٢٢٥.

(١٢) المقدسي، ص ٢٣١.

للمداريين سجلماسة بأنها مدينة على نهر يقال له زيز، وليس بها عين ولا بئر، ويضيف أن " زرعهم على الأمطار لقلة المياه عندهم، فإن لم يمطروا لم يكن لهم زرع "[1].
ولم يدع اليعقوبى بهذا أدنى شك فى عدم أعتماد السجلماسيين على ماء النهر فى زراعتهم، وقد يؤيد الموقع الجغرافى لسجلماسة ذلك، لوقوعها فى ظل جبال أطلس المغربية التى تمنع عنها المؤثرات المحيطة، فكانت منطقة جافة فيما عدا بعض الأودية الفصلية، وهذا يعنى فقر سجلماسة فى الأنتاج الزراعى، ويؤكد اليعقوبى هذا، فيحصر زرعهم فى "الدخن والذرة" ولا يشير بتاتا إلى تلك المزروعات والبساتين[2].

أما عن الصناعة فى سجلماسة فقد أزدهرت صناعة الصوف الذى كان يجلب إليها من حصن برارة الذى تكثر فيه تربية الأغنام وأشتهرت بأجود أنواع الصوف الذى يجلب إلى سجلماسة ويعمل منه بسجلماسة ثياب يبلغ الثوب منها أزيد من عشرين مثقالاً[3].

وأشتهرت بالثياب السجلماسى الذى يصدر إلى المشرق والمغرب والأندلس[4] وبرعت نساء سجلماسة فى صناعة غزل الصوف يقول القزوينى[5]: "ويعمل منه كل عجيب حسن بديع من الأزر التى تفوق القصب ويبلغ ثمن الأزار ثلاثين ديناراً وأربعين ديناراً".

وفيما يختص بنشاط سجلماسة التجارى فكانت من أهم المحطات التجارية فى جنوب المغرب حيث تقع على الطريق المؤدى إلى غانة حيث تكثر معادن الذهب[6].
ولفت أنتباه البكرى[7] كثرة الذهب: "ومن الغريب أن الذهب جزاى عدد بلا وزن، والكراث يتبايعونه وزنا لا عدداً".

ووفدت على سجلماسة القوافل التجارية من العراق. وأستقرت فيها جالية تجارية من البصرة والكوفة وبغداد للعمل بالتجارة وعرف أهل سجلماسة الصكوك فى تعاملهم التجارى وشاهد ذلك الرحالة ابن حوقل[8]: "ولقد رأيت صكاً كتب بدين إلى محمد بن

---

(١) اليعقوبى، ص ٣٥٩. جودت عبد الكريم يوسف، ص ٢٢٨.
(٢) جودت عبد الكريم يوسف، ص ٢٢٨.
(٣) البكرى، ص ١٤٧.
(٤) الحبيب الجنحانى : المغرب الإسلامى، ص ١٧٤.
(٥) آثار البلاد، ص ٤٢.
(٦) ياقوت ٣ / ١٩٣. القزوينى، ص ٤٢.
(٧) المغرب، ص ١٥١.
(٨) صورة الأرض، ص ٦١.

أبى سعيد بأودغست بأثنين وأربعين ألف دينار...". ولكثرة التبر فى سجلماسة قيل أن أبا عبد الله الشيعي "تحصل له من التبر من الحلى وقر ١٢٠ جملاً أدخلها رقادة"[١].

وأرتبطت سجلماسة بعلاقات تجارية مع مدن المغرب عبر المسالك التجارية بمدن تلمسان، وتاهرت، وبلاد الزاب وقسطيلية من بلاد الجريد إلى القيروان عن طريق قفصة. كما أرتبطت بالمدن الساحلية الواقعة على البحر المحيط مثل نول لمطة وشمالاً نحو فاس ومنها إلى سبتة ومليلة[٢].

وكانت سجلماسة تمثل مركزا تجارياً مع بلاد السودان فهى باب لمعدن التبر، أو ميناء صحراوى تتجمع فيه بضاعتان ثمينتان من بضائع العصر الذهب والرقيق. وأن جميع القوافل التجارية القادمة من المراكز التجارية بالمغرب والمتجهة نحو بلاد السودان أو العائدة منها تمر بسجلماسة[٣]. مما كان سبباً فى أرباح عظيمة جذبت التجار إليها فحملوا إليها سلع الشرق ومنسوجات المغرب. وبرزت أهمية سجلماسة كمركز للتبادل التجارى والتزود منها للإنطلاق نحو الجنوب، وفى عودة التجار من السودان كانوا يضربون بها ما أحضروه من الذهب دنانير[٤].

وأرتبطت سجلماسة بعلاقات تجارية مع بلاد السودان فكان تجارها يحملون الملح والنحاس والودع ويعودون من بلاد السودان بالذهب والرقيق[٥].

وقامت صلات تجارية بين سجلماسة وفاس فالطريق كان ممهداً بين المدينتين، وكانت القوافل التجارية منتظمة بين سجلماسة وفاس. وقد وفد كثيرون من صفرية فاس إلى سجلماسة طلباً للعلم والتجارة. كما كان للتجار المدرار بين نشاط واسع فى أسواق مدينة فاس[٦].

كما قامت علاقات تجارية بين بنى مدرار مع الأمويين فى الأندلس فكان المدراريون يصدرون القمح والسكر والكروم والتمر فى مقابل الثياب والطرز القطنية والكتانية والحريرية التى اشتهرت بها قرطبة[٧].

---

(١) مجهول : الأستبصار، ص ٢٠٤. جودت عبد الكريم يوسف، ص ٢٢٨.
(٢) الحبيب الجنحانى، ص ١٧٨.
(٣) الحبيب الجنحانى، ص ١٧٨.
(٤) جودت عبد الكريم يوسف، ص ٢٢٩.
(٥) القلقشندى ٥ / ١٦٤.
(٦) محمود إسماعيل، الخوارج، ص ٢٧٨.
(٧) محمود إسماعيل، ص ٢٧٨.

ثالثا :الحياة الأجتماعية والثقافية

سكن في سجلماسة عناصر عديدة من السكان هي:

١- **البربر:** قدموا من البادية المجاورة للمدينة وحملوا معهم عاداتهم وتقاليدهم.

٢- **العراقيون:** أستقرت في سجلماسة فئات جديدة من البصرة، والكوفة، وبغداد وأندمجوا مع السكان الأصليين. وكان التأثير الاجتماعي متبادل بين الطرفين[1].

ووصف ابن حوقل[2] حال سكان سجلماسة بعد أن زار المدينة سنة (٣٤٠ هـ/٩٥١ م) بقوله: "وأهلها قوم سراة مياسر يباينون أهل المغرب في المنظر والمخبر مع علم وستر وصيانة وجمال وأستعمال للمروءة وسماحة ورجاحة".

٣- **اليهود:** سكنت طائفة من اليهود في سجلماسة وعملوا في تجارة الذهب[3]. وقد استغل أهل سجلماسة دخول الجيش الفاطمي للمدينة بقيادة أبي عبد الله الشيعي سنة (٢٩١ هـ / ٩٠٣ م) للأنتقام منهم، ومن تجارهم بمنحة شديدة فقد أمر أبو عبد الله بقتل أغنيائهم وأخذ أموالهم وفرض على جميع سكان المدينة من اليهود الذين يرغبون في الإقامة بها العمل في إحدى الحرفتين الكنافة أو البناء[4] وفسر لنا صاحب الاستبصار السر في ذلك بقوله: "والسبب في تسخير أهل سجلماسة لليهود في هاتين الحرفتين الرزيلتين كونهم محبين في سكنى بلدهم للأكتساب لما علموا أن التبر بها أمكن منه بغيرها من بلاد المغرب لكونها بابا لمعدنه فهم يعاملون التجار به ليخدعونهم بالسرقة وأنواع الخدائع..."[5].

الحياة الثقافية

كانت سجلماسة حاضرة علم قبل فاس بكثير ورحل علمائها إلى المدينة المنورة وأخذوا العلم عن الإمام مالك ورجعوا إليها ودرسوا العلوم بها، وغدت مأوى للعلماء والصالحين والأمراء ولم تزل سجلماسة منذ تأسيسها عام (١٤٠ هـ / ٧٥٧ م) آهلة بالعلماء والصلحاء، وهي من أول بلاد المغرب التي درس بها العلم[6].

---

(١) الحبيب الجنحاني، ص ١٨٤.

(٢) صورة الأرض، ص ٩١.

(٣) Encyclopaedia. Judaica V.14 P.1528

(٤) الحبيب الجنحاني، ص ١٨٨.

(٥) الأستبصار، ص ٢٠٢. الحبيب الجنحاني، ص ١٨٨.

(٦) الحسن السائح، ص ١٥١.

الفصل الثالث

دولة الأدارسة فى المغرب

(١٧٢-٣٧٥هـ/٧٨٨-٩٨٥م)

١ - إدريس بن عبد الله (١٧٢ - ١٧٧هـ / ٧٨٨ - ٧٩٣م)

لم تكن دولة الأدارسة شيعية لأن مؤسسيها كانوا من آل البيت، ولم يكن أحد من رجال دولة الأدارسة أو أتباعهم شيعياً، فقد كانوا سنيين لايعرفون الآراء الشيعية التى سادت فى عصر الفاطميين، ولم يعرفوا فى بلادهم غير الفقه السنى المالكى[1].

وينتسب الأدارسة إلى إدريس بن عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنيين على بن أبى طالب[2]. الذى فر إلى المغرب الأقصى عقب موقعة فخ الواقعة على بعد ثلاثة أميال من مكة سنة (١٦٩هـ /٧٨٥ م) حيث تمكن القائد محمد بن سليمان الذى أرسله الخليفة الهادى للقضاء على ثورة العلويين فهزمهم وفروا إلى مختلف الأمصار الإسلامية[3]. وفر يحيى بن عبدالله إلى المشرق وأستقر فى بلاد الديلم وقوى نفوذه والتف حوله الناس وأصبح يمثل خطراً حقيقياً على الخلافة العباسية فى تلك البلاد.

وعزم الخليفة هارون الرشيد على القضاء على يحيى قبل أن يستفحل خطره. فأرسل قائده الفضل بن يحيى البرمكى لتلك المهمة.

ولكن الفضل أعتقد أن لغة السيف مع يحيى لن تثمر، فأخذ يحث يحيى على الصلح وتبادلات المراسلات وقبل يحيى بشرط أن يوقع الخليفة هارون الرشيد على طلب الأمان، وقدم يحيى إلى بغداد وأستقبله هارون الرشيد بحفاوة بالغة، وأغدق عليه الأموال والهبات ثم زج به فى السجن حتى وافته المنية[4].

---

(١) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص١٠٩.

(٢) القلقشندى: نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبيارى، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٥٩م، ص١٦٧

(٣) المسعودى: مروج الذهب، الجزء الثالث، تحقيق / محمد محى الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت (د.ت)، ص ٣٣٦. البكرى، ص ١١٨. ابن الأثير ٥ / ٧٠. ابن خلدون ٤ / ٧. ابن كثير ٩ / ١٦٢.

ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس، الرباط ١٩٧٣م، ص١٦.

على الجزنائى : جنى زهرة الاس فى بناء مدينة فاس، المطبعة الملكية، الرباط ١٩٦٧م، ص١٠.

(٤) ابن طباطبا : الفخرى فى الأداب السلطانية، دار صادر، بيروت د.ت، ص١٩٤.

لأصفهانى : مقاتل الطالبين، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابى، القاهرة ١٩٤٩م، ص٤٨٩.

- ابن الأثير ٥ / ٩٠. ابن كثير ٩ / ١٧٢. ابن الأبار ١ / ٥١. السلاوى ١ / ٦٧.
- حسن أحمد محمود وأحمد الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ص٤١٠.
- محمد الخضرى : تاريخ الأمم الإسلامية، المكتبة التجارية، القاهرة، ص١٠٣.

إسماعيل سرهنك : تاريخ دول المغرب، ص ٣٠، ٣١.

٢ – رحلة إدريس إلى المغرب

أما عن رحلة إدريس بن عبدالله إلى المغرب فنسج المؤرخين روايات أسطورية حولها لابأس بها. فقد تصوروه مغامراً من الطراز الأول، وتمكن من تأسيس دولة دون تمهيد أو إعداد سابق أو تدبير محكم ومن هنا جاء الخلط والتناقض فى الروايات التاريخية حول كيفية الهرب ووقائع الرحلة والصواب كما يرى الدكتور محمود إسماعيل أن دعاة الزيدية أمنوا لهُ الأقامة بمصر حتى يخرج منها إلى برقة حيث تكفل دعاة المعتزلة بأمر رحلته إلى المغرب الأقصى والدليل على ذلك وجود تنظيم علوى زيدى فى مصر أستمر حتى بعد قيام دولة الأدارسة مصداق ذلك ماقيل عن تشيع والى مصر على بن سليمان الذى دبر له الأقامة بها وأمن خروجه منها[١].

ولما دخلا مصر ليلا فبينما هما متحيران يمشيان فى بعض طرقها فى حيرة إذا مر بدار مشيدة فخمة فجلسا فى دكان على باب الدار فرأهما صاحب الدار فعرف أنهما من الحجاز[٢].

وكان يلى بريد مصر واضح مولى صالح بن منصور وعرف واضح بالمسكين الذى قدم لأدريس ومولاه راشد كل العون[٣] ومن المنطقى ألا يبوح راشد بسر إدريس فى مصر إلا لرجل من دعاة الشيعة، وأغلب الظن أنهما كانا يعرفان واضحا قبل ذلك فنزلا عنده[٤] وأعترف ابن خلدون[٥] بميل واضح لآل البيت: "وكان واضح يتشيع فعلم شأن أدريس وأتاه إلى الموضع الذى كان به مستخفيا". وسهل مهمتهم إلى إفريقية "فاكترى لهما جملا وزودهما وكساهما فلما عزم القوم على الرحيل أخبرهم أن لأمير مصر مسالح لا يمر أحد منها إلا فتشوه تفتيشاً دقيقاً وهى هنا طريق أعرفها لايسلكها الناس فأنا أحمل هذا الفتى يعنى إدريس فى هذه الطريقة الغامضة البعيدة ومضوا مع قافلة متجهة إلى إفريقية حتى وصلوا إلى بلاد فاس"[٦]. ولما علم بذلك الخليفة هارون الرشيد أمر بقتل واضح[٧].

---

(١) محمود إسماعيل عبد الرازق : الأدارسة، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩١ م، ص ٥٥.

(٢) البكرى، ص ١٧.

(٣) الرقيق، ص ٢١٥. البكرى، ص ١٣١. ابن الفقيه : البلدان، ص ٨١. ابن عذارى ١ / ٨٣. التنبسي: تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدرر والعقيان، تحقيق / عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤ م، ص ٣٤. السيد عبد العزيز سالم، ص ٣٨٢.

(٤) السيد عبد العزيز سالم، ص ٣٨٢.

(٥) ابن خلدون ٤ / ١٢.

(٦) البكرى، ص ١٩.

(٧) المقدسى، ص ٢٢٤. ابن الفقيه، ص ٨١. الرقيق، ص ٢١٥.

وكـان راشـد مـن أشـد المخلصـين لآل البـيت[١]. ووصـف ابن أبي زرع[٢] راشد بقوله: "كـان راشـد مـن النجدة والشـجاعة والحزم والقوة والعقل والدين والنصيحة لأهل البيت فعمـد إلى إدريـس حـين خـرج بـه إلى القيروان فألبسـه درعة صوف خشنة وعمامة غليظة وصيره كالخادم له يأمره وينهاه...". وأراد أن يضـلل عمال الخلافة العباسية فى إفريقية فألبس إدريـس جـبة مـن الصوف ووضع على رأسه عمامة لإخفاء معالمه لكى لايشك فيه أحـد وبعـد رحلـة عسـيرة وصـل إدريـس إلى تلمسان ومنها إلى طنجة[٣] وأخذ راشد يدعو لأمير علوى يحمـل رايـة الإسـلام ويخلص الناس من الظلم والزندقة. وكانت دعوة راشد لـرجل مـن أهـل البـيت كافية لتكتسـب الأنصار، ولكن يبدو أن التوفيق لم يكن كبيراً فى طنجة. وكانـت عاصـمة المغـرب الأقصـى فـى ذلـك الحـين وأحـس راشد أن مكان القوة الحقيقـى يكمـن فى وسـط قبائل أوربة وكانت مركز الجناح الغربى لهذه القبائل فى مدينة وليلـى[٤]. والغالـب على سكان وليلى المعتزلة[٥] وتقع وليلى فى منتصف المسافة بين فاس ومكناس الحاليتين.

وكانـت وليلـى مركـزاً تجاريـاً ممـتازاً وسـوقا عظـيمة للقبائل. وهى أصلح مركز لدعوة سياسـية وأمـا أوربة فكانت تتزعم مجموعة من قبائل ضخمة تمتد من الأطلس الأوسط إلى وادى سـبو[٦]. ونـزل إدريـس عند إسحاق بن محمد بن عبدالحميد الأوربى فى أول شهر ربـيع الأول سـنة (١٧٢هـ / ٧٨٨ م) وأقـام عـنده حـوالى سـتة شـهور حـيث كسـب فى خلالهـا تأيـيد قبيلة أوربة وزواغة ولواتة وسـدراتة ونفزة ومكناسـة وغمارة وبايعوه وعرفهم بنسـب إدريـس وفضـله وقـرابته مـن الرسـول ﷺ[٧]. بيد أن أعتراف هؤلاء البربر بزعامة إدريـس الأول وقـد كانـوا قـبل ذلـك مـن الخوارج كان راجعا لأسـباب سـياسـية أكثر منها دينـية[٨]. وساند شيوخ أوربة إدريس بن عبد الله كى يقودهم فى ثورة يتخلصون بها من سـلطان برغواطة وينشئ لهم دولة قوية.

---

١) السـلاوى ١ / ٦٨.
٢) الأنيـس المطرب، ص ١٨ ـ ١٩.
٣) السيد عبد العزيز سالم، ص ٣٨٣. سعد زغلول عبد الحميد ٢ / ٤٢٧ - ٤٢٨.
٤) حسين مؤنس، ص ١٢٦.
٥) ابن الفقيه، ص ٨٤.
٦) حسـين مؤنس، ص ١٢٦.
٧) ابن أبى زرع، ص ١٩ - ٢٠. ابن خلدون ٤ / ١٢. السـلاوى ١ / ٩٧. على الجزنائى، ص ١٢.
إسماعيل سـرهنك: تاريخ دول المغرب، ص ٣١.
٨) دائرة المعارف الإسـلامية، المجلد الأول، ص ٥٤٤.

وكانت قرابتة من الرسول ﷺ كافية لإجتذاب القلوب إليه.[1]

ولما تمت بيعة إدريس خطب في جموع الحاضرين خطبة نقتبس منها بعض الفقرات: " الحمد لله الذى جعل النصر لمن أطاعه وعاقبة السوء لمن عانده. ولا إله إلا الله المنفرد بالوحدانية... أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وإلى العدل فى الرعية والقسم بالسوية... إعلموا عباد الله أن من أوجب الله على أهل طاعته المجاهدة لأهل عداوته ومعصيته باليد واللسان وفرض الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر"[2].

وأشاد الدكتور محمود إسماعيل ببراعة إدريس السياسية في حرصه على إرضاء كافة المذاهب على أختلافها[3]. وجهز إدريس جيشاً من قبائل زناته وأوربة وصنهاجة وهوارة[4].

فتح بلاد تامسنا

زحف إدريس الأول للاستيلاء على بلاد تامسنا ذات الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية وفتح شلة وسائر الحصون وكانت تلك المناطق غنية بأنتاجها الزراعى والحيوانى فضلاً عن أهميتها التجارية إذ ينطلق منها طريق تارودانت نحو مناجم الذهب ببلاد السودان الغربى[5].

فتح تادلة وماسة

واصل إدريس زحفه إلى بلاد تادلة ففتحها ثم زحف إلى ماسة ففتحها. وكان أهالى تلك البلاد لايزالون على ديانتهم اليهودية والنصرانية وقلة منهم يعتنقون الإسلام. ويعزى الفضل فى إسلام تلك المناطق النائية من المغرب الأقصى إلى الأدارسة[6].

---

(١) حسين مؤنس : تاريخ المغرب ١ / ٣٨١.

(٢) محمود إسماعيل عبد الرازق، ص ٥٧ – ٥٨.

(٣) محمود إسماعيل عبد الرازق، ص ٥٨.

(٤) ابن أبى زرع، ص ٢٠. السلاوى ١ / ٦٨.

(٥) محمود إسماعيل عبد الرازق، ص ٦١.

(٦) أبن أبي زرع، ص ٢٠. ابن خلدون ٤ / ١٢. الجزناءى : زهرة الأس، ص ٩.

- عبد المجيد بن جالون : هذه مراكش، الطبعة الأولى، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٤٩ م، ص ٢٤.

فتح تلمسان

عاد أدريس إلى وليلى في منتصف جمادى الأخرة سنة (١٧٣هـ/٧٨٩م)[1]. وأخذ يتطلع لبسط سيادته على المغرب الأوسط في أوائل رجب سنة (١٧٣هـ/٧٨٩م) فغزا مدينة تلمسان وعجز واليها محمد بن خزر الزناتي في الدفاع عنها فطلب الأمان لنفسه ولسائر زناته.

وشيد إدريس في تلمسان مسجداً، وأمر بعمل منبراً نقش عليه "بسم الله هذا ما أمر به الإمام إدريس بن عبدالله بن حسن بن الحسين بن علي رضي الله عنهم في شهر صفر سنة (١٧٤هـ/٧٩٠م)"[2]. ويدل إستقبال قبائل يفرن ومغراوة لإدريس، وهما قبيلتان أباضيتان، على طبيعة العلاقة بين الإدارسة والأباضية بصفة عامة، كما يدل إحتلاله تلمسان على سياسته التوسعية[3].

ومن الجدير بالذكر، أن استيلاء إدريس الأول على تلمسان أدخل الرعب في قلوب الخلافة العباسية وعمالها في إفريقية. ونظراً لأضطراب أمور إفريقية يؤمذاك وإفتقار العباسيين إلى أسطول في البحر المتوسط يمكنهم من نقل الجيوش للقضاء على دولة إدريس، لجأ الخليفة هارون الرشيد إلى الحيلة في التخلص منه[4] مهما كان الثمن. فشكا إلى يحيى ابن خالد فقال: أنا أكفيك خبره وكلف بتلك المهمة رجلاً يدعى سليمان بن جرير الجزري من ربيعة وكان متكلماً ممن يرى رأى الزيدية وكان جلداً شجاعاً انتهت إليه أمامة الزيدية وكان متكلمهم. و توجه سليمان إلى المغرب الأقصى وإلتقى بإدريس وأخبره: "إنما جئتك وحملت نفسي على ما حملت عليه لمذهبي الذي تعلاقني به وأن السلطان طلبني هذا لمحبتي في الخروج معكم أهل البيت فجئتك لا من ناحيتك وأنصرك بنفسي فسره ذلك وقبله وأحسن مثواه وأكرم نزله وأنس به وكان سليمان يجلس في مجالس البربر ويظهر الدعاء إلى ولد رسول الله... ".

تحين سليمان الفرصة ودس السم إلى إدريس وفر هارباً إلى الشرق وكافأه هارون الرشيد بتوليته على بريد مصر[5]. ودفن إدريس بوليلى سنة (١٧٥ هـ / ٧٩١ م)[6].

---

(١) ابن أبي زرع، ص ٢١. ابن خلدون ٤ / ١٢. السلاوى ١ / ٦٩.

(٢) ابن أبي زرع، ص ٢١. ابن خلدون ٤ / ١٣. ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص ١٩٢. السلاوى ١ / ٦٩.

(٣) جودة عبد الكريم يوسف، ص ١٨٤.

(٤) محمود إسماعيل عبد الرازق، ص ٦٣.

(٥) البكرى، ص ١١٩ - ١٢٠.

(٦) ابن خلدون ٤ / ٧، ١٣.

٢- إدريس الثـانـي (١٧٧-٢١٣هـ/٧٩٢-٧-٢٢٨م)

عـندما توفـى الإمـام إدريس بن عبدالله كانت له جارية بربرية تدعى كنزة حاملة فى الشـهر السـابع ووضعت مولدها فى شهر ربيع الأخر سـنة (١٧٥هـ /٧٩١ م) وسـماه البربر إدريـس وهـو أشـبه الناس بوالده وأخرجه راشد أى رؤسـاء البربر حتى نظروا إليه[١]. وهو إدريس الثانى ويعتبر المؤسـس الحقيقى لدولة الأدارسة[٢].

وتعهـد راشـد بتربية إدريس الثانى وتعليمه القرآن والحديث والسـنة والفقه إلى جانب رواة الشعر وركوب الخيل[٣].

ولـما بلـغ إدريـس الثانـى الحاديـة عشرة من عمره جدد له راشد البيعة فى أول شـهر ربيع الأول سـنة (١٨٦هـ / ٨٠٢ م) بجامع وليلى[٤].

ووصـف ابن أبى زرع[٥] شمائل إدريس الثانى بقوله: "فصيحاً بليغاً أديباً عاملاً بكتاب الله تعالى قائما بحدوده، راويا لحديث النبى ﷺ عارفا بالفقه والسـنة... ".

وعلم إبراهيم بن الأغلب أن سر قوة دولة الأدارسـة يكمن فى راشد الموالى المخلص لهم. ولـذلك أرسـل بعـض أعـوانه لقتل راشد فى عام (١٨٦هـ / ٨٠٢ م)[٦] وأرسل بخبره إلى الخليفة هارون الرشيد ويكذب أدعاء محمد بن مقاتل العكى آخر ولاة المغرب الذى نسب إلى نفسـه مقتل راشد.

ولم ترنـى أهلكـت بالكـيد راشـدا   وأنـى لاخـرى لابـن إدريـس راصـد

وتـاه أخـوعك بملـك راشـدا   وقـد كـنت فـيه سـاهرا وهـو راقـد[٧]

وقـام على رعاية إدريس الثانى أحد البربر وهو خالد بن يزيد بن إلياس وجدد البيعة إلى إدريـس فـى يـوم الجمعة السـابع من ربيع الأول سـنة (١٨٧هـ / ٨٠٣ م)[٨]. وصور لنا

---

(١) البكرى، ص ١٢٢. الرقيق، ص ٢١٦. ابن الأبار ١ / ٥٣. ابن الخطيب ٣ / ١٦٩.
ابن إبى زرع، ص ٢٤ – ٢٥. ابن خلدون ٤ / ١٣. الجزناءى، ص ١١.

(٢) حسـن إبراهيم حسـن ٢ / ٢٢٥.

(٣) ابن الخطيب ٣ / ١٩٦. ابن أبى زرع، ص ٢٥.

(٤) ابن أبى زرع، ص ٢٥. ابن خلدون ٤ / ١٣. ابن الخطيب ٣ / ١٩٦. الجزناءى، ص ١٢.
السـيد عبد العزيز سـالم، ص ٣٨٩.

(٥) الأنيـس المطرب، ص ٢٥.

(٦) وردت سـنة ١٨٨ هـ عند ابن أبى زرع : الأنيـس المطرب، ص ٢٧.

(٧) ابن أبى زرع، ص ٢٧. ابن الخطيب ٣ / ١٩٧. السـيد عبد العزيز سـالم، ص ٣٨٩.

(٨) البكرى، ص ١٢٢ – ١٢٣. ابن الأبار ١ / ٥٣. ابن أبى زرع، ص ٢٧. ابن خلدون ٤ / ١٣. السـلاوى ١ / ٧١.

ابـن خلـدون تعلق البربر بحب آل البيت يبدو ذلك من بيعتهم إلى إدريس الثاني حملاً ثم رضـيعاً ثـم فصـيلاً إلى أن شـب[1]. وبايعه جميع البربر من قبائل زناته وأوربة وصنهاجه وغمارة والقبائل الأخرى وأستقام له أمر المغرب الأقصى[2].

ولما أستقام الأمر إلى إلى إدريس قدمت عليه وفود العرب من إفريقية والأندلس وأجتمع لديـه مـن الأزد وقـيس ومـذجح ويحصـب والصـدف نحو خمسـمائة فارس. وحظى العرب بترحاب شديد من إدريس واستوزر منهم عمير بن مصعب[3].

وخشـى إبراهيم بن الأغلب من قوة إدريس فحاول أن يؤلب عليه بعض أعوانه بطريق الرشوة ومنهم بهلول بن عبدالواحد المطغرى كاتب إدريس[4].

ولـما شـعر إدريـس بمـيل بعض أعوانه إلى إبراهيم بن الأغلب؛ قتل إدريس اسحق ابن محمود الأوربى سنة (١٩٢هـ / ٧ – ٨٠٨ م)[5].

وأراد إبـراهيم بـن الأغلـب تـدبير مؤامـرة أخرى لقتل إدريس ولكن أصحابه نهوه عن ذلـك. وكـتب إلـيه إدريـس يسـتعطفه ويذكـره بقرابته للرسـول ﷺ فكف عنه وفى أسفل كتابه:

أذكـــر إبـــراهيم حـــق محمـــد	وعتـــرته والحـــق خـــير مقـــول
وأدعـوه للأمـــر الـــذى فـيه رشـــده	ومـــا هـــو لـــولا رأيـــه بجهـــول
فـــإن آثـــر الدنـــيا فـــإن أمامـــه	زلازل يـــــوم للعقـــاب طـــــويل

وأنصرف كلاهما لترتيب شئونه الداخلية[6].

وخـرج إدريـس علـى رأس حملـة سـنة (١٩٧هـ / ٢ – ٨١٣ م) لفـتح بلاد المصامدة ودخـل مديـنة نفـيس وأغمـات ثـم عـاد إلى فـاس وقـام بغـزوة أخرى لنفزة وتلمسـان سنة (١٩٩هـ /٤– ٨١٥ م) وجـدد بـناء مسـجدها.وتمكـن إدريس من أخماد دعوة الخوارج

---

(١) أبن خلدون ٤ / ١٣ .

(٢) ابن أبى زرع، ص ٢٨ . الجزناهى، ص ١٢ .

(٣) أبن أبى زرع، ص ٢٩ . ابن خلدون ٤ / ١٣ . السلاوى ١ / ٧١ . قارن الجزناهى، ص ١٣ .

روجى لوطورنو : فاس قبل الحماية، الجزء الأول، ترجمة / محمد حجى وآخرين، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٩٢ م، ص ٥٥ .

(٤) أبن الأثير ٥ / ١٠٤ . السلاوى ١ / ٧٢ .

(٥) البكرى، ص ١٢٣ . أبن خلدون ٤ / ١٣ .

(٦) أبن الأثير ٥ / ١٠٤ . ابن الأبار ١ / ٥٥ .

وبسط سيادته على المغرب الأقصى والأوسط[1]. ووصف البكرى[2] شجاعة إدريس الثانى فى قتال الخوارج بقوله: "قال داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر كنت مع إدريس فى المغرب فخرجت معه يوما إلى قتال الخوارج فلقيناهم وهم فى ثلاثة أضعاف عددنا فقاتلناهم قتالا شديداً فأعجبنى إدريس ذلك اليوم " ودانت له معظم قبائل البربر بالطاعة والولاء[3]. وتوفى إدريس الثانى فى سنة (٢١٣هـ / ٨٢٨ م) فى مدينة وليلى[4]، وقيل فى فاس[5]. وكان الناس يؤيدون إدريس فى كل أعماله تلك، الأن البرغواطين ومن أنضم إليهم كانو لا يكفون عن أذى الزراع وأهل المدن وفرض المغارم عليهم. وقد تمكن إدريس الثانى من تطهير البلاد من سلطانهم. وأخذت جذور الحضارة العربية تضرب فى عمق التربة المغربية الكريمة، وحرص إدريس الثانى على أن يأخذ طابع المجاهد فى سبيل الدين، فعظم مقامه فى أعينهم [6].

٣ - أنقسام الأدارسة فى عهد محمد بن إدريس (٢١٣ - ٢٢١ هـ)

فى عهد محمد بن إدريس قسم المغرب الأقصى إلى أقاليم مختلفة وبقى هو مقيماً بفاس حاضرته وأسند أدارة كل منها إلى أحد أخواته بناء على نصيحة جدته كنزة على النحو التالى:

الـــــوالى	البلاد التابعة له
١- القاسم	طنجة ومايليها
٢- عمر	صنهاجة وغمارة
٣- داود	هوارة وتاملت
٤- عيسى	بشاله وسلا وأزمور وتامسنا أغمات
٥- عبدالله	بلدة نفيس وجبال المصامدة وبلاد لمطة والسوس الأقصى
٦- يحيى	أصيلا والعرائش وبلاد روغة
٧- حمزة	وليلى وأعمالها.

(١) ابن الآبار ١ / ٥٤. ابن خلدون ٤ / ١٣ - ١٤. السلاوى ١ / ٧٤. الجزناءى، ص ٢٢.
(٢) المغرب، ص ١٢٣. ابن الخطيب ٣ / ١٩٨. ابن أبى زرع، ص ٢٦.
(٣) ابن خلدون ٤ / ١٣ - ١٤.
(٤) البكرى، ص ١٢٣. ابن الآبار ١ / ٥٤. ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٣ / ٢٠١-٢٠٢.
(٥) الجزناءى، ص ٢٢.
(٦) حسين مؤنس: تاريخ المغرب ١ / ٣٨٥.

أما بقية أخواته الصغار فكانوا في كفالة جدتهم كنزة[1]. وهذا التقسيم عظيم الأهمية؛ فهو يعطينا فكرة عن أمتداد الدولة الإدريسية في أقصى أتساعها عند وفاة إدريس الثاني وهي دولة واسعة الأرجاء تشمل المغرب الأقصى كله من ساحل البحر المتوسط إلى بلاد السوس الأقصى بل تمتد إلى جنوبه فتشمل بلاد قبيلة لمطة جنوبي وادي درعة وحدها في الشرق نهر المولوية بل لها بعض السلطان على ناحية تلمسان التي تركت لسليمان بن الحسن أخو إدريس وبنيه[2]. وكان هذا التقسيم بداية الضعف حيث دب الخلاف بين الأدارسة فخرج عيسى بأزمور محاولاً الأنفراد بحكمها ولكن محمد أرسل أخاه عمر لقتال عيسى وأخمد حركته وضم بلاده إلى حكمه. كما ضم أملاك أبو القاسم الذى تقاعس عن نصرته في قتاله لعيسى[3].

وجاء اعتذر أبو القاسم عن تلك المهمة في بعض أبيات من الشعر بقوله:

سأترك للراغب الغرب نهباً	وإن كنت في الغرب قبلا وندبا
وأسمو إلى الشرق في همة	يعزيها رتبا من أحينا
واترك عيسى على رأيه	يعالج في الغرب همّا وكربا
ولو كان قلبي عن قلبه	لكنت له في القرابة قلب.

ولم يلبث أن توفي عمر في سنة (٢٢٠هـ / ٨٣٥ م) ودفن بفاس وهو جد المحموديين بالأندلس من بني أمية[4].

٥ – الأمراء الضعاف

أ – على بن محمد بن إدريس (٢٢١ – ٢٣٤هـ / ٨٣٦ – ٨٤٨م)

بويع علي بن محمد بن إدريس الملقب بحيدرة[5] وسنه لم يكن يتجاوز التاسعة.فقام بأمره الأولياء ورجال الإدارة الذين كانوا مع أبيه من العرب والبربر وأحسنو تربيته

---

(١) البكرى، ص ١٢٤. ابن ابى زرع، ص ٥١. ابن عذارى ١ / ٢١١.
ابن الخطيب ٣ / ٢٠٢ – ٢٠٥. ابن خلدون ٤ / ١٤. التنسى، ص ٤١ – ٤٢.

(٢) حسن مؤنس ١ / ٣٨٦ – ٣٨٧.

(٣) البكرى، ص ١٢٤. ابن أبى زرع، ص ٥٢. ابن عذارى ١ / ٢١١. ابن الخطيب ٣ / ٢٠٢ – ٢٠٦.
ابن خلدون ٤ / ١٤. السلاوى ١ / ٧٥ – ٧٦.

(٤) البكرى، ص ١٢٤. ابن أبى زرع، ص ٥٢ – ٥٣. ابن الخطيب ٣ / ٢٠٧. ابن خلدون ٤ / ١٥. السلاوى ١ / ٧٦

(٥) البكرى، ص ١٢٤. ابن أبى زرع، ص ٥٣.

وكفالته. وقد سار علي بن محمد علي سيرة أبيه وجده في الحكم بالعدل. وأستمر عهده بدون أحداث تذكر حتى توفي في رجب سنة (٢٣٤ هـ / يناير ٨٤٨ م) وعهد لأخيه يحيي بن محمد بالأمر من بعده[1].

ب - يحيى بن محمد بن إدريس

تولى يحيى بعد وفاة علي بن محمد ومن أهم أعماله بناء الحمامات والفنادق للتجار بمدينة فاس[2]. وبنيت الأرباض ورحل إليها الناس من الثغور القاصية[3].

جـ - يحيى بن يحيى بن محمد

أساء السيرة وأغضب ذلك أهل فاس وتغير عليه أهل فاس وبادر إليه عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي ففر إلى عدوة الأندلس التى أختفى بها ومات. وقام بالأمر بعدد عبد الرحمن بن أبي سهل وأرسلت عاتكة بنت علي بن عمر بن إدريس إلى والدها تخبره بصنيع زوجها يحيى وموته وثورة عبد الرحمن بن أبي سهل. وكان والدها علي بن عمر صاحب بلاد صنهاجة وغمارة. فلما وصلة الكتاب جمع جيوشة وقصد مدينة فاس فدخل عدوة القرويين وأخمد حركة عبد الرحمن بن سهل وبايعه أهل المدينتين القرويين والأندلس وخطب به على جميع منابر أعمال المغرب. وأنتقل الأمر من بني محمد إلى بني عمهم عمر بن إدريس الحسني[4].

د - علي بن عمر

خلف يحيى على حكم الأدارسة علي بن عمر الذى كان يلي أقليم الريف، وأستقامت له الأمور ولكن خرج عليه أحد الخوارج الصفرية هو عبدالرازق في جبال مديونة وأستولى على عدوة الأندلسيين[5].

واستعان سكان عدوة القرويين بيحيى بن القاسم بن إدريس ولا يعرف شئ كثير عن مصير علي بن عمر بعد استيلاء يحيى بن القاسم على فاس[6].

---

(١) ابن أبي زرع، ص ٥٣. التنسي، ص ٤٣ - ٤٤.

(٢) ابن أبي زرع، ص ٥٣ - ٥٤. ابن خلدون ٤ / ١٥. التنسي، ص ٤٤.

(٣) ابن خلدون ٤ / ١٥. التنسي، ص ٤٤.

(٤) ابن أبي زرع، ص ٧٧ - ٧٨. إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٨٤ م، ص ١٠٠.

(٥) البكري، ص ١٢٥. ابن أبي زرع، ص ٧٨ - ٧٩. ابن عذارى ١ / ٢١٣. ابن الخطيب ٣ / ٧٨ - ٧٩. ابن خلدون ٤ / ١٥. السلاوي ١ / ٧٨ - ٧٩.

(٦) ابن أبي زرع، ص ٧٩. التنسي، ص ٤٥. إبراهيم حركات ١ / ١٠٠.

هـ- يحيى بن القاسم

خلف عليا على حكم البلاد يحيى بن القاسم الذى نجح في التصدى إلى عبدالرازق وأجبره على الخروج من عدوة الأندلسيين ولكن مصير يحيى أنتهى بالقتل على يد الربيع بن سليمان سنة (٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م)[١]. وفى عهده ساءت الحالة الاقتصادية إلى حد بالغ الخطورة وأنتشرت الأوبئة والأمراض[٢].

و- يحيى بن أدريس (٢٩٢-٣١٠ هـ/٩٠٤-٩٢٢م)

تولى حكم الأدارسة أحد الأمراء العظام هو يحيى بن أدريس وصفه ابن أبى زرع[٣] بقوله: " كان يحيى هذا أعلى بنى إدريس قدرا وصيتا، وأطيبهم ذكرا، وأقواهم سلطانا، وأوسعهم ملكا، وأكثرهم عدلا، وأغزرهم كرما، وكان فقيها حافظا للحديث ذا فصاحة وبيان ولسان، ومع ذلك كان بطلا شجاعاً حازماً، ذا صلاح ودين وورع، لم يبلغ أحد من الأدارسة مبلغه " وكان العلماء والشعراء يقصدونه من الأندلس والبلاد الأخرى، فيحسن أستقبالهم، وكان مجلسه ملئ بالعلماء ووجد بحضرته عدة من الوراقين يقومون بنسخ الكتب[٤]. وفى أيامه ظهر الفاطميون فى شمال إفريقيا، وأخذوا يمدون نفوذهم نحو المغرب حتى وصلوا إلى بلاد الأدارسة ومدوا سلطانهم عليها[٥].

وبعث الفاطميون حملة بقيادة مصالة بن حبوس المكناسى سنة (٣٠٥ هـ / ٩١٧ م) إلى المغرب الأقصى وتصدى له يحيى بن إدريس وهزم الأخير — وعاد إلى فاس مغلولاً وأتفق على الصلح على مال يؤديه ودخل فى طاعة عبيد الله الشيعى وبعث ببيعته إلى عبيد الله المهدى وخطب لهم على منابره وخلع نفسه من الإمامة وأقامه العبيديون واليا على فاس، وتولى الأمر فى بقية دولة الأدارسة موسى بن أبى العافية ابن عم مصالة وعاد مصالة إلى تاهرت. وأراد موسى بن أبى العاقبة أن يتخلص نهائيا من يحيى بن إدريس فلما عاد مصالة بن حبوس إلى فاس مرة أخرى سنة (٣٠٩ هـ / ٩٢١ م) أغراه موسى بخلع يحيى بن يحيى بن إدريس صاحب فاس[٦] وتلاشى نفوذ الأدارسة باستيلاء موسى

---

(١) البكرى، ص ١٢٥. ابن أبى زرع، ص ٧٨ - ٧٩. ابن عذارى ١ / ٢١٣. ابن الخطيب ٣ / ٢٠٩.
ابن خلدون ٤ / ١٥. السلاوى ١ / ٧٨ - ٧٩. التبيى، ص ٤٥.

(٢) إبراهيم حركات ١ / ١٠٠.

(٣) ابن أبى زرع، ص ٨٠

(٤) التبيى، ص ٤٦.

(٥) حسن أحمد محمود وأحمد الشريف : العالم الإسلامى، ص ٤١٢.

(٦) حسين مؤنس ١ / ٣٩١.

ابن أبى العافية أمير مكناسة على جميع المغرب وأجلى بنى محمد بن القاسم بن إدريس وأخاه الحسن إلى الريف[1] .

ولم تحتفظ البقية الباقية من الأدارسة إلا باقليمين صغيرين يشملان جزء من الريف وبلاد غمارة من طنجة إلى سبتة. ولم يدعهم موسى بن أبى العافية وتعقب الأدارسة فى كل مكان يحلون فيه. وفى عام (٣١٩ هـ / ٩٣١ م) وجه أمويو الأندلس ضربة قاضية إلى ما بقى من ملك الأدراسة بأحتلالهم سبتة وبعد ذلك بقليل عاد الأدارسة إلى الظهور وكانوا من عمال الخليفة بقرطبة. ورحل الأدارسة إلى الريف ونزلوا البصرة وألتفوا حول أكبرهم إبراهيم بن محمد بن القاسم وولوه عليهم وأختط حصن حجر النسر سنة (٣١٧ هـ / ٩٢٩ م).

حضارة الأدارسة بالمغرب الأقصى

١ - نظم الحكم والإدارة

أ- الإمامة :

بنى الأدارسة حقهم فى الملك على أنهم ورثة الرسول ﷺ وأحفاده. وتلقبوا بالأئمة ولم يتلقبوا بالخلفاء لأنهم أعتبروا لقب الإمام أرفع منزلة فى الدين من غيره.

وطبق الأدارسة تعاليم الإسلام بحذافيرها فى دولتهم. كان الإمام يؤم الناس فى الصلاة طيلة أيام الأسبوع وخاصة صلاة الجمعة فكان يلقى الخطبة، وكذلك صلاة العيدين الفطر والأضحى. كان يجلس للناس بعد كل صلاة وفى أوقات محددة يحكم بينهم ويعالج مشاكلهم، يعظهم ويثقفهم ويعلمهم القرآن وأحكام الإسلام واللغة العربية بتواضع لم يشهده أهل المغرب من قبل، مما زاد من محبتهم لآل البيت وتعلقهم بهم [2].

ب- الوزارة :

لم يتلقب أحد بلقب الوزير فى السنوات الأولى لقيام دولة الأدارسة بل كانوا أقرب إلى المستشارين منهم إلى الوزراء. كان راشد مولى الإمام إدريس الأول مخلصاً لسيده. وإلى جانب راشد كان أبو خالد العبرى البربرى.

---

(١) ابن خلدون ٤ / ١٦ - ١٧.

(٢) سعدون عباس نصر الله، ص ١١٥، ١١٧.

أما الإمام إدريس الثاني فقد أتخذ إلى جانبه وزيرين لساعدته في تدبير أمور دولته خاصة وأنه كان صغير السن، أسند الوزارة إلى عمير بن مصعب والى بهلول بن عبد الواحد المطغرى البربرى ولقب كلاً منهما بالوزير[1].

جـ- الكتابة :

أشتهر من كتاب الدولة الإدريسية الكاتب أبو الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي الأنصاري. وكان من العرب الوافدين على الإمام إدريس الثاني. وضع نفسه لخدمة الدولة. فأتخذه الإمام كاتباً له. كان أبو الحسن يتمتع بثقافة عالية. ومن المهمات التي كلفه بها الإمام إدريس الثاني كتابة عقد شراء موضع مدينة فاس من أصحابه[2].

د- القضاء :

كان الإمام إدريس الأول يجلس للناس يحكم بينهم وفي سنة (١٨٩ هـ / ٨٠٤ م) وفدت على الإمام إدريس الثاني الوفود من الأندلس وإفريقيا فأختار منهم عامر بن محمد ابن سعيد القيسي وعينه على القضاء[3].

كان عامر يحكم وفق المذهب المالكي الذى أنتشر في المغرب والأندلس في وقت واحد في نهاية القرن الثاني الهجري.

ومما يسترعى الأنتباه أن الأدارسة كانوا علويين شيعة والقضاء في دولتهم على المذهب المالكي، لقد كان الأئمة الأدارسة يعتبرون أنفسهم أئمة المسلمين بغض النظر عن هوياتهم المذهبية إذا كانوا يؤمنون بالإسلام بدون مذاهب ويطبقون أحكام الشريعة وفق القرآن وسنة جدهم النبى محمد ﷺ[4].

٢- الجيش

كان جيش الأدارسة يتألف من مختلف قبائل البربر من مغيلة وغياثة وبني يفرن وسدراتة وأوربة وزواغة. ثم أصبح في عهد إدريس الثاني منظماً. حيث أنضم إليه ٥٠٠ فارس من العرب الواردين من الأندلس وإفريقية [5].

---

(١) سعدون عباس نصر الله، ص ١٢٠ - ١٢١. فارن هوبكتر، ص ٣٩.

(٢) ابن أبي زرع، ص ٣٢. سعدون عباس نصر الله، ص ١٢٣ - ١٢٤. فارن هوبكنز، ص ٤٨.

(٣) سعدون عباس نصر الله، ص ١٢٥.

(٤) سعدون عباس نصر الله، ص ١٢٦.

(٥) إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ، ١ / ١١٣.

وقد قسم الأئمة الجيش إلى مشاة وفرسان وحملة الأسلحة الثقيلة. أما فى المعارك فكان يخضع للنظام العسكرى السائد فى الجيوش الإسلامية، فكان يتألف من ميمنة وميسرة وهما الجناحان وقلب.

أما الأسلحة التى تزود بها الجيش فأختلفت بإختلاف عناصره، كان سلاح المشاة الدروع والسيوف والقسى والسهام والأقواس الطويلة والأطر والخناجر ويرتدون أردية صوفية خشنة بمثابة الدروع متدلية إلى ما تحت الركبة والسراويل والنعال[1].

٣- الحياة الاقتصادية

أ- الزراعة

دار جدل فقهى كبير حول وضعية أراضى بلاد المغرب. أما بالنسبة لأرض فاس فقد أصطلح القول على أن أهلها قد أسلموا عليها وبذلك أصبحت أراضى المدينة ملكا لاصحابها يدفعون عنها العشر.

وتنقسم ملكية الأرض إلى عدة أصناف هى:

١- الملكية العامة: كان موقع فاس تقطنه قبيلتان من زواغة وبنى يزغتن. ووقع أختيار الإمام إدريس عليه ليكون مقراً لحاضرته الجديدة. فأشترى منهم الموضع وأشهد عليهم بذلك وكتب العقد بشراء الأرض الكاتب الفقيه أبو الحسن عبد الله بن مالك الخزرجى الأنصارى فى عام (١٩١ هـ / ٨٠١ م).

٢- أراضى القطاع.

٣- الملكية الخاصة.

٤- أراضى الاحباس[2].

وكثرة المياه فى فاس ومنها العيون والأنهار حيث يتفرع من نهر فاس ثمانية أنهار تشق المدينة وعليها نحو ستمائة رحى فى داخل المدينة ولا تتوقف عن العمل ليلاً ونهاراً تدخل من تلك الأنهار فى كل دار ساقية. وأشاد ياقوت بكثرة مياه فاس بقوله: "وليس بالمغرب مدينة يتخللها الماء غيرها إلا غرناطة بالأندلس"[3]. وأشتهرت فاس بكثرة الخصب والرخاء والبساتين والفواكه[4].

---

(١) سعدون عباس نصر الله، ص ١٢٨. عبد الحق المريني: الجيش المغربى عبر التاريخ، الطبعة الخامسة، دار نشر المعرفة، الرباط، (د. ت)، ص ٢٣.

(٢) كريمة عبد الرؤوف محمد، ص ٦١ - ٦٢.

(٣) ياقوت معجم البلدان ٤ / ٢٣٠.

(٤) مجهول: الأستبصار، ص ١٨١.

وأهم الحاصلات الزراعية زمن الأدارسة هي:

١-**القمح**: زرع في مساحات شاسعة وتقل تلك المساحة كلما أتجهنا جنوباً عبر الصحراء.

٢-**الشعير**: يكثر في الظهير الصحراوى للمغرب الأقصى ويحتاج إلى مياه قليلة ويمثل الغذاء الرئيسى لأبناء الصحراء.

٣-**الذرة**: تنمو حول مجارى الأنهار وفى الواحات.

٤-**الأرز**: يزرع بكميات قليلة فى المناطق الحارة المروية.

٥-**القطن**: مناطق زراعته أحواز طنجة ووادى سبو شرقي فاس وسجلماسة.

٦-**قصب السكر**: زرع في أقليم الصحراء وخاصة في سجلماسة وتارودانت وإقليم أغمات ووادى درعة [1].

وأشتهرت فاس بكثرة التين والزيتون[2] والتفاح المعروف بالاطرابلسى الذى ينمو فى عدوة الأندلسيين[3] والرمان السفرى. والعنب والخوخ والجوز والعناب والسفرجل والأترج، وسائر الفواكة الخريفية والكمثرى والمشمش والبرقوق والتوت[4].

ب-الصناعة

اهتم الأدارسة بالصناعة وحرصوا على تطويرها مغتنمين فرصة وجود عدد من الحرفيين العرب الوافدين من الأندلس والمشرق، وكذلك اليهود والفرس ووفرة المناجم وخاصة مناجم درعة.

وكانت صناعة الزيت من أهم الصناعات وقامت عليها صناعة الصابون فى مدينة مكناس. ولم يقتصر أستخراج الزيت على الزيتون بل تعداه إلى ثمر الغرتى والهرجان وذلك بعصر قشرة وأستعمل فى طهى الطعام وإنارة السرج ليلاً [5].

وازدهرت صناعة السكر من القصب فى البصرة على الساحل وتارودانت فى الصحراء. كما إزدهرت صناعة النسيج، فنسجوا الملابس من المواد الأولية المحلية كالقطن

---

(١) سعدون عباس نصر الله، ص ١٣٨ - ١٣٩.

(٢) المقدسى، ص ٢٢٩.

(٣) البكرى، ص ١٤٤. ياقوت : معجم البلدان ٤ / ٢٣٠. ابن أبى زرع، ص ٤٤.

(٤) ابن أبى زرع، ص ٤٤.

(٥) سعدون عباس نصر الله، ص ١٤١.

والكتان والصوف[1] وبرع أهل فاس في صناعة المخروطات من الخشب والنحاس[2]. وذكر ابن أبي زرع بعض الحرف والصناعات في فاس وصناعة الصابون: "وكان بها من الديار المعدة لعمل الصابون سبع وأربعون دارا". ومن ديار الدباغ: "ست وثمانون دارا". وديار الصباغ: "مائة دار وست عشرة دارا. وكان بها اثنتا عشرة دارا لسك النحاس وكان بها من الكوش المعدة لعمل الجير وطفيه مائة وخمس وثلاثون كوشة ولعمل الزجاج أحد عشر موضعا، وبخارجها من الديار المعدة لعمل الفخار مائة وثمانون دارا[3].

جـ - التجارة

برزت مكانة فاس التجارية زمن الأدارسة كمحطة تجارية عالمية حيث تفد إليها قوافل التجار من كافة البلاد. يقول الأدريسى[4]: "وعليها تشد الركائب وإليها تقصد القوافل ويجلب إلى حضرتها كل غريبة من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة وأهلها مياسير".

وحفلت فاس بالأسواق المختلفة[5]. وساهمت فاس بنصيب في ميدان التجارة الخارجية " ومنها يتجهز إلى بلاد السودان وإلى بلاد المشرق ومنها يحمل النحاس الأصفر إلى جميع الآفاق"[6].

النقود

ضرب إدريس الأول عملات في تدغة سنة (١٧٤ هـ) ونقش في أحد وجهيها " لا إله إلا الله لا شريك له، بأسم الله، ضرب هذا الدرهم بتدغة سنة (١٧٤ هـ) " وفى الوجه الثانى صورة هلال ثم " محمد رسول الله " وتحته : مما أمر به " إدريس بن عبد الله، جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ".

وقد بلغ وزن درهم إدريس الأول القدر الشرعي الذى يعادل ١٤ قيراطاً أى ٢٠٧٣٥٦ غرام وقد ضرب نقوده بكل من وليلي وتدغة من سنة ١٧٢ هـ / ١٧٥ هـ[7].

---

(١) سعدون عباس نصر الله، ص ١٤١.
(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ٥ / ١٥٧.
(٣) ابن أبى زرع، ص ٤٨.
(٤) نزهة المشتاق ١ / ٢٤٧.
(٥) القلقشندى ٥ / ١٥٣.
(٦) مجهول : الأستبصار، ص ١٨١.
(٧) إبراهيم حركات ١ / ١١٠ - ١١١.

وفي عهد إدريس الثاني ضرب دراهم سنة (١٨١ هـ و ١٨٣ هـ) ومن أماكن ضرب النقود أصيلا والبصرة وتدغه وتلمسان وسبو وتهليط وطنجة، والعالية[1].

المساجد

أهتم الأدارسة بتشيد المساجد الجامعة كجامع عدوة القرويين وقامت بالنفقة عليه فاطمة بنت محمد الفهري التي هاجرت من القيروان إلى فاس حيث ورثت مالاً كثيراً بعد وفاة والدها وأشترت قطعة أرض سنة (٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م)[2] وأقيمت به أول خطبة سنة (٣٠٧ هـ / ٩١٩ م) وقيل سنة (٣٢١ هـ / ٩٣٣ م)[3]. وأصبح هذا المسجد مركز علم ودراسة من يوم إنشائه لأن مكتبة الجامع أنشئت على يد فاطمة وقد كشف نص منقوش يؤيد ذلك. وكانت المكتبة هي نقطة هامة في جعل الجامع مع مرور الأيام جامعة دي دون شك أقدم جامعة في تاريخ الإسلام[4].

أما عن مواد البناء فقد استخرجت من عين المكان وأخذ الماء من بئر كانت قائمة هناك. وكان المسجد يتألف من ١٢ بلاطة، وبلغت مساحة المسجد ١٢٤٨ متر. ثم زيد فيه لأول مرة في عهد عبد الرحمن الناصر بواسطة الأمير أحمد الزياتي عامله على فاس. وفي عهد يوسف بن تاشفين بلغت مساحته ٥٨٤٦ متر مربع[5].

أما المسجد الثاني يقع في عدوة الأندلسيين وشيدته مريم بنت محمد الفهري أخت فاطمة[6].

كما شيد إدريس الأول المسجد الجامع في مدينة تلمسان لما فتحها سنة (١٧٣ هـ / ٧٨٩ م) وصنع منبر جميل كان يحمل نقشا يحدد تاريخ أنشائه[7].

---

(١) إبراهيم حركات ١ / ١١١ - ١١٢.

(٢) ابن خلدون ٤ / ١٥. السلاوي ١ / ٧٦ - ٧٧.

(٣) الجزناءي، ص ٣٥ - ٣٦.

(٤) حسين مؤنس / ٣٨٩.

(٥) إبراهيم حركات ١ / ١٢٧.

(٦) الجزناءي، ص ٣٥.

(٧) سعد زغلول عبد الحميد ٢ / ٤٣٥.

مجتمع فاس زمن الأدارسة

بناء مدينة فاس

شرع إدريس الأول بعد بيعته في ترسيخ دعائم دولته. وكان عليه أن يؤسس عاصمة جديدة جريا على السياسة التقليدية للدول الإسلامية في المغرب[1]. ولكن المصادر التاريخية أجمعت على أن إدريس الثاني هو الذى بنى مدينة فاس سنة (١٩٢ هـ / ٧ - ٨٠٨ م) وبدأ فى بناء عدوة الأندلسيين لسكن القبائل الوافدة من الأندلس. وعدوة القرويين لسكن القبائل الوافدة من القيروان سنة (١٩٣ هـ / ٨ - ٨٠٩ م)[2].

ولكن العلامة بروفنسال جاء بنظرية جديدة فحواها أن إدريس الأول هو الذى بدأ تأسيس المدينة سنة (١٧٢ هـ / ٧٨٨ م) فى الموضع الذى يحوى عدوة الأندلسيين. أما إدريس الثانى فقد أسس عدوة القرويين سنة (١٩٣ هـ / ٨ - ٨٠٩ م) غربى مدينة أبيه على الضفة اليسرى من وادى فاس. إذ استبعد بروفنسال أن يؤسس إدريس الثانى مدينتين متجاورتين فى آن. وقد دعم نظريته ببراهين منطقية ونصوص تاريخية هامة فضلاً عن عثوره على عملة ضربت بالمدينة سنة (١٧٢ هـ / ٧٨٨ م) تحمل أسم إدريس الأول وقد أحسن إدريس الأول اختيار المكان بعناية فائقة فوقع اختياره على فحص سايس حيث تتوافر فيه مقومات العمران الحضرى من أتساع المكان وتوافر مصادر المياد على اختلافها علاوة على اعتدال المناخ وجودة التربة وحصانته الطبيعية وغنى المكان بالمواد الضرورية لصناعة البناء من أحجار وأخشاب ومواد البناء. والأهم من ذلك موقع فاس الحيوى من حيث توسطها بين مدن المغرب الأقصى ووقوعها على الطريق الذى يربط الشريط الساحلى الموازى للمحيط الأطلسى والمغرب الأوسط وعلى الطريق المؤدى جنوبا إلى بلاد السودان الغربى[3].

لما أكتمل بناء فاس سكنها عدة عناصر سكانية مختلفة الأصول والعقائد هم :

١ - البربر :

كان البربر فى طليعة من شد أزر إدريس الثانى والتفوا حوله وعلى الأخص قبائل زناتة وأوربة وصنهاجة وغمارة ثم سائر قبائل المغرب [4].

---

(١) محمود إسماعيل عبد الرازق، ص ٥٩.

(٢) البكرى، ص ١٢٣. ياقوت ٤ / ٢٣٠. مجهول : الاستبصار، ص ١٨٠. الدمشقى، ص ٢٣٦.

السلاوى ١ / ٧٤. إسماعيل العربى : دولة الأدارسة، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٨٣ م، ص ٨٤.

(٣) كريمة عبد الرؤوف محمد : عامة مدينة فاس حتى نهاية عصر الموحدين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ٢٠٠٥ م، ص ١٩ - ٢٠.

(٤) ابن أبى زرع، ص ٢٨.

وكان يسكن مدينة فاس قبيلتان من زناتة وزواغة وبنى يرغشن وقيل أن إدريس أشترى عدوة القرويين من بنى يرغشن. وأشترى موضع عدوة القرويين من بنى الخير الزواغين[1].

ونزلت قبائل البربر فى مختلف نواحي فاس من زناتة ولواتة ومغيلة وجراوة وأوربة وهوارة وغيرهم[2].

٢- العرب

كان للعرب حضور فعال فى مدن المغرب الأقصى مثل سبتة، ونكور، وطنجة، ووليلى، وسجلماسة، وتاهرت. وحرص أمراء الأدارسة الأوائل على توطيد دعائم ملكهما والاستناد على العنصر العربي. ومن حسن الحظ أن الظروف فى أفريقية والأندلس ساعدت الأدارسة على ذلك[3] فوفدت على إدريس فى سنة (١٨٩ هـ) وفود من أفريقية والأندلس قرابة من خمسمائة فارس من القيسية والازاد ومدلج وبنى يخصب والصدف. وسر إدريس بوفادتهم وأجزل صلاتهم وقربهم وجعلهم بطانته دون البربر. وأستوزر منهم عمر بن مصعب الأزدى[4] وأطلق على المكان الذى نزله المهاجرين من القيروان والذين بلغ تعدادهم ثلاثمائة بيت بعدوة القرويين[5].

وهاجر إلى فاس من الأندلس على أثر موقعة الربض التى حدثت فى عهد الأمير الحكم بن هشام ثمانية ألاف بيت ونزلوا فى عدوة الأندلس وشرعوا فى تعمير المكان والبناء فى مناطق الكدان، ومصمودة، وقوارة، وحارة البادية، والكنيف إلى الرميلة [6].

٣- السودانيين

كان العنصر السودانى من العناصر التى وردت عنهم إشارات طفيفة فى منطقة فاس زمن الأدارسة فقد ذكر ابن أبى زرع إلى وجود عبد أسود كان يقطع الطريق فى منطقة فاس قبل بنائها يدعى " علوان " [7].

---

(١) ابن أبى الزرع، ص ٣١ - ٣٢. هاشم العلوى القاسمى ٢ / ٣٨٨ - ٣٨٩.

(٢) ابن أبى زرع، ص ٤٥.

(٣) هاشم العلوى القاسمى ٢ / ٣٩١.

(٤) ابن أبى زرع، ص ٢٩.

(٥) ابن إبى زرع، ص ٤٧.

(٦) ابن إبى زرع، ص ٤٧. قارن هاشم العلوى القاسمى ٢ / ٣٩١ - ٣٩٢.

(٧) ابن أبى زرع، ص ٣٩.

٤ – الفرس

أستقر بعض الفرس في فاس ومن المعروف أنهم من العناصر التي شاركت في الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب في الحملات التي أنفذت في خلافتي عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان[1].

٥ – اليهود

إن إدريس الثاني سلك سياسة تقوم على اللين وترك لليهود الحرية في ممارسة شعائرهم. مما شجع اليهود في البلدان الأخرى على الهجرة إلى فاس[2]. وأنزلهم إدريس الثاني في أحد أحياء فاس بناحية إغلان إلى باب حصن سعدون[3] في الجزء الشمالي الغربي[4]. وأطلق على هذا المكان أسم الفندق أو فندق اليهود[5].

ولم يأت أختيار هذا المكان مصادفة. وأنما كان يقع على مقربة من القصر – بلاط الأدارسة – ليتمكن أمراؤهم من حمايتهم؛ في حالة حدوث أضطرابات أو قلاقل بين المسلمين واليهود[6]. وهو ما لم يحدث في العصر الإدريسي قط.

ولا جدال، في أن الطائفة اليهودية التي استقرت في فاس في هذه المرحلة وما تلاها كانت كبيرة ؛ ونستدل على ذلك من قول البكري[7] (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م): "فاس أكثر بلاد المغرب يهوداً يختلفون منها إلى جميع الآفاق، ومن أمثال أهل المغرب فاس بلد بلا ناس " ومما يعزز رواية البكري أن مقدار الجزية التي حصلها إدريس الثاني من اليهود قدرت بنحو ثلاثين ألف دينار[8].

---

(١) محمود إسماعيل : مغربيات، ص ٨٩.

(٢) ابراهام شاطل : تاريخ يهود المغرب (بالعبرية) القدس، ١٩٧٤ م، ص ٥٠.

Gerber : Jewish Socity in Fez, Leiden, 1980, P. 13.

Slouschz : Op Cit, P. 372.

(٣) المكناسي، ص ٣٠.

- مجهول : ذكر قصة المهاجرين المسمون بالبلديين (مخطوط) معهد المخطوطات العربية، رقم ١١١٥ تاريخ، ورقة (١ – أ)

(٤) Ashtor : The Jews of Muslem Spain , V: I Philadelphia, P. 62.

(٥) Encyclopaedea Judaica, Art "Fez".

Slouschz : Op Cit, P. 372.

(٦) ابراهام شاطل، ص ٥٣.

الفردبل : الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي، ترجمة / عبد الرحمن بدوي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١ م، ص ٣٢٧.

(٧) المغرب، ص ١١٥.

(٨) ابن أبي زرع، ص ٤٥. مجهول : ذكر قصة المهاجرين (مخطوط) ورقة (١ – أ). بروفنسال، ص ٤٤ – ٤٥.

Hirschberg : A history of The Jews In North Africa, V. I leiden, 1974, P.99.

The Jewish Encyclopedia , Art " Fez".

ويشير هذا المبلغ إلى أن عدد دافعي الجزية من الرجال هو خمسة عشر ألف رجل بمعدل دينارين لكل واحد. ولو أضفنا إلى كل رجل امرأة وطفل حسب أفتراض هرشبرج (Hirschberg) يصبح إجمالي عدد اليهود بفاس حوالي (٤٥٠٠٠ ألف نسمة)(١).

وإذا كنا لا نجد في المصادر أسبابا لهذه الكثرة في أعداد اليهود بفاس إلى أننا يمكن أن نفسر ذلك في ضوء أن اليهود وجدوا ضالتهم في الأمن والحماية، وسياسة العدل والتسامح التي جرى عليها حكام الدول الإسلامية في العصور الوسطى تماشيا مع ما جاء في الشريعة الإسلامية الغراء. وعلاوة على ذلك، توجد أسباب أخرى تكمن في خصوصية من موقع فاس الجغرافي الهام على طريق التجارة المؤدى إلى مناجم الذهب(٢). مما جذب اليهود نحوه ودفعهم إلى التطلع للأقتراب من تلك المناجم بقلوبهم وعقولهم معاً.

كما كانت فاس تشتهر بخصوبة تربتها. مما ساعد على نمو عدة حاصلات زراعية بفضل وفرة مياهها من الأنهار والعيون(٣).

ويضاف إلى ذلك سببا آخر يمكن أستنباطه من دلالات الرواية التي تشير إلى أن أحد اليهود وجد تمثالا من الرخام يحمل كتابات في لغة غريبة أثناء حفر أساس منزله الكائن قرب قنطرة غزيلة — والتي لا يوجد دليل على أنها كانت كائنة بالتحديد في الجزء الشمالي من الحرم الغربي للمدينة بين حصن سعدون — ولما سمع اليهود بذلك جاءوا مجذوبين إلى فاس(٤).

وعلى أية حال، فأنه لما نزل اليهود بفاس قاموا ببناء الديار والحوانيت والضياع(٥) وعملوا في التجارة الخارجية بتجهيز قوافل التجارة من السودان إلى الشرق(٦).

---

(١) Hirschberg : Op Cit, P.99.

(٢) خالد حسين محمود : حضارة مدينة فاس في عصر الأدارسة، دراسة أقتصادية وأجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٢٠٤.

(٣) Sloschz : Op Cit, P.371.

(٤) ابن أبي زرع، ص ٣٨. نور الهدى عبد العال، ص ١٣.

(٥) مجهول : ذكر قصة المهاجرين (مخطوط) ورقة (١ – أ).

(٦) Sloschz : Op Cit, P.372.

الباب الخامس

قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب

١ - النسب الفاطمي

تطرق الشك إلى أصل الفاطميين، فمن قائل إنهم ينتسبون إلى عبدالله بن ميمون الذى أطلق عليه لقب القداح لأنه كان يشتغل بتطبيب العيون، ومن قائل إنهم ينتسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق من نسل علي وفاطمة.

وتعد مسألة نسب الفاطميين من أعقد المشاكل في تاريخ مصر في العصور الوسطى، لتباين آراء المؤرخين بصددها[١]. فقد أمعن بعض المؤرخين في القدح في نسب الفاطميين من أمثال ابن النديم (ت٣٨٣هـ) في "الفهرست" والباقلاني (ت ٤٠٣هـ) في "وفيات الأعيان" وابن واصل في "مفرج الكروب في تاريخ بني أيوب " والذهبي (ت ٧٤٩هـ) في "تاريخ الإسلام" فإن هؤلاء جميعاً أنكروا نسبتهم إلى علي وفاطمة[٢].

وتصدى مؤرخون آخرون للدفاع عنهم وإثبات أن الفاطميين علويين من آل البيت ومنهم ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) في الكامل في التاريخ، وابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) في العبر في ديوان المبتدأ والخبر وفي المقدمة، والمقريزي (ت ٨٤٥ هـ) في الخطط واتعاظ الحنفا[٣] وابن حماد في "أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم"[٤].

وتلخيص أقوال الذين يصرون على نسبة الفاطميين إلى ابن ميمون في أن أتباع ابن ميمون هذا يعتقدون في وجود إلهين: أحدهما إله النور وثانيهما إله الظلمة وأنهم كانوا يدينون بمذهب الشيعة، وعملوا على تكوين دولة فارسية، وأن ابن ميمون نجح في

---

(١) علي إبراهيم حسن: مصر في العصور الوسطى، الطبعة الخامسة، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤ م، ص ١٠٢ .

(٢) علي إبراهيم حسن، ص١٠٢ .

- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية، الطبعة الرابعة، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨١م، ص٦٣ .
- عبدالحليم عويس : قضية نسب الفاطميين، دار الصحوة، القاهرة (د . ت) ، ص ٨ - ١٢ .

(٣) علي إبراهيم حسن، ص١٠٢ . حسن إبراهيم حسن، ص٧٢ . عبد الحليم عويس، ص ٣، ٤ .

(٤) ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، (مقدمة التحقيق، ص ٨) .

تأسيس جمعية سرية، علم الناس عن طريقها أسرار الدعوة الشيعية، بأن قسمها إلى سبع مراحل زادت فيما بعد حتى بلغت تسعا فى أيام الفاطميين، تبدأ بشرح بعض غوامض القرآن، وتنتهى بالأعتقاد بأن إسماعيل بن جعفر الصادق هو عبدالله بن ميمون وأن ابن ميمون بمنزلة علىّ من محمد[1].

تنقل بن ميمون داعياً للشيعة من الأهواز إلى البصرة، ثم إلى الشام حيث أقام فى سلمية، وخلفه فى الدعوة للشيعة ابنه أحمد، ثم الحسن بن أحمد ثم محمد بن الحسن ابن أحمد المعروف بأبى الشلعلع، وهو الذى بعث إلى بلاد المغرب فيما بعد . وكان للحسين ولد إسمه سعيد كثر أنصاره مما هدد سلطان الخلافة العباسية فى ذلك الوقت، فأمر الخليفة المعتضد العباسى بالقبض عليه، ففر من سلمية مركز الدعوة الشيعية إلى مصر ومنها إلى المغرب حيث حبسه أمير سجلماسة وظل فى حبسه حتى أطلقه منه أبو عبدالله الشيعى .

وان من ينكر صحة نسب الفاطميين إلى على وفاطمة، يذهب إلى أن عبيدالله المهدى أول خلفاء الفاطميين فى المغرب هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن ميمون القداح[2]. أما الذين تصدو لإثبات صحة نسب الفاطيين أدلوا بالحجج الأتية:

١- ما بين سنة (٣٠٤هـ) وسنة (٣٢٥هـ) أى فى بدء قيام الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب كتب أحمد بن نصر السامانى أمير خراسان يعترف بسلطة عبيدالله المهدى الروحية ويعد بإمداده بالمال والرجال إذا شاء ولولا إعتقاد الناس فى البلاد الإسلامية بصحة نسب الفاطميين لما انتشرت سلطتهم الروحية والزمنية فى أكثر البلاد، إلى حد أن اعترف بهذه السلطة أمراء الدولة العباسية ذاتها.

٢- فى سنة (٤٠٢هـ) ضايق الخليفة العباسى القادر الشريف الرضى الشاعر العلوى المشهور المتوفى سنة (٤٠٤هـ) بأن عزله عن النظر فى المظالم وعن إمارة الحج فكتب له قصيدته المعروفة:

مامقامى على الهوان وعندى	مقول صارم وأنف حمى
أحمل الضيم فى بلاد الاعادى	وبمصر الخليفة العلوى

---

(١) على إبراهيم حسن، ص١٠٣ .

(٢) نفسه، ص١٠٣ .

ولقد أثارت هذه القصيدة حنق الخليفة العباسي فدعا إلى جمع الفقهاء وأقطاب العلوية، واستكتبهم محضرا في ربيع الثاني سنة (٤٠٢هـ) كله طعن وتشهير في نسب الفاطميين .

ولقد ذهب ابن الأثير إلى أن الشريف الرضي ناقش جماعة العلويين العالمين بالأنساب، فلم يشك واحد منهم في نسب الفاطميين وأنهم من أولاد علي[1]. كما دافع ابن خلدون والمقريزي عن صحة نسب الفاطميين إلى علي وفاطمة[2].

وتتفق جميع الفرق الشيعية في تولية علي بن أبي طالب وابنيه الحسن ثم الحسين عرش الخلافة، واحقيتهم هم ونسلهم بها دون سواهم. وبعد مقتل الحسين تكونت فرقتان للشيعة الكيسانية والشيعة الإمامية. وتذهب الكيسانية إلى تولي محمد بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية. أما الشيعة الإمامية فتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- الإمامية الإثنى عشرية : وهي التي تسوق الخلافة بعد الحسين إلى ابنه علي زين العابدين، ثم إلى أبنائه من بعده محمد الباقر وجعفر الصادق. ثم إلى الثاني عشر من أئمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري الملقب عندهم بالمهدي.

٢- الإمامية الإسماعيلية : وتتفق مع الإثنى عشرية إلى جعفر الصادق أبي موسى الكاظم، فيسوقون الخلافة بعد جعفر إلى ابنه إسماعيل، ثم إلى أبنائه حتى محمد الحبيب أبي عبيدالله المهدي مؤسس الدولة في بلاد المغرب.

ولذلك سُمّو بالإسماعيلية ويسمون بالسبعية أيضاً، وإلى هؤلاء ينتسب الفاطميون.

٣- الإمامية الزيدية : يوافقون الإثنى عشرية إلى علي زين العابدين بن الحسين بن علي، ثم يسوقون الخلافة إلى ابنه زيد، ثم إلى يحيى بن زيد. ومن هؤلاء نشأت الرافضة أي الذين إعتزلوا زيداً فقال لهم "لقد رفضتموني" فسموا رافضة، وهم فريق من الزيدية[3].

---

(١) علي إبراهيم حسن، ص ١٠٣، ١٠٤

(٢) نفســـه، ص ١٠٤ .

(٣) علي إبراهيم حسن، ص ١٠٦ . وأنظر حسن إبراهيم حسن، ص ٣١ .

٢- الدعوة الفاطمية فى بلاد المغرب

بعد مقتل الحسين تكونت عدة فرق شيعية تطالب بالخلافة، وهو وإن اختلفت في المظهر، إلا أنها اتفقت في الجوهر. وهو حصر الخلافة في آل علي. ومنذ مقتل الحسين والدعوة الشيعية تشتد، وظهرت شدتها طوال العصر الأموى، وظل الحال كذلك حتى نهضت شيعة العباسيين بقيادة أبي مسلم الخراساني وتم لها القضاء على الدولة الأموية.

وكان من المنتظر أن تقف جهود العلويين في المطالبة بالخلافة منذ وصول أبي العباس السفاح إلى العرش. ولكن العلويين لم يرتاحوا لنجاح العباسيين، فالعلويون يعتقدون أنهم أهل بيت النبيﷺ أولاده من ابنته فاطمة[١].

ويقولون إن العباسيين بايعوا محمداً بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية بالخلافة، في أواخر أيام الأمويين أثناء إجتماعهم في المدينة، وقد بايع محمداً ممن حضر من العباسيين السفاح والمنصور[٢].

ويرد العباسيون على ذلك أن أباهم العباس بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ، وأن العلويين من فاطمة، وهي امرأة فلا يحق لهم الوصول إلى الخلافة عن طريقها عملا بقانون الوراثة في الشريعة الإسلامية، وأن العلويين لم يحسنوا السياسة أو القيادة فلا يستحقون الخلافة.

ويتميز العصر العباسي بالصراع الذى قام بين العباسيين والعلويين، فقد قام العلويون بثورات عنيفة، بلغت من الخطر حداً هدد سلامة الدولة العباسية وكيانها إلا أن الخلفاء العباسيين قضوا على حركاتهم بشدة، وانتهى أمر تلك الثورات كلها بالفشل[٣].

رأى العلويون بعد ذلك الاضطهاد أن ينشروا دعوتهم في الخفاء بعيداً عن عيون العباسيين، وفي البلاد التى قام فيها دعاتهم بنشر مذهبهم من ذلك أن محمد بن الحسن العسكرى، وهو الإمام الثاني عشر عند الشيعة الإمامية الإثنى عشرية دخل سرداباً في مدينة سامرا وأمه تنظر إليه ولم يقف له أشياعه على أثر منذ ذلك الحين. ولهذا اعتقدت الإمامية الإثنى عشرية أنه سيظهر ويملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً وظلما.

---

(١) على إبراهيم حسن، ص ١٠٦ .

(٢) نفســه، ص ١٠٦، ١٠٧ .

(٣) على إبراهيم حسن، ص ١٠٧ .

وبوفاة الحسن العسكرى وغيبة ابنه محمد المنتظر، ظهرت جهود الإمامية الإسماعيلية فى مناوئة العباسيين، وهذا دفع خلفاء العباسيين إلى تضييق الخناق على هذه الطائفة حتى اضطرت إلى مغادرة سلمية مركز دعوتهم لمواصلة جهودهم فى بلاد المغرب فى شمال إفريقية، بعد أن قضى على كل مابذله الشيعة من مجهودات لتأسيس خلافة علوية فى الشام[1]. وأهم العوامل التى دفعتهم الى اتخاذ شمال إفريقية مقراً لهم هى :-

١- بُعد بلاد المغرب عن السلطة المركزية في بغداد، مما يجعل من الصعب على خلفاء بنى العباس تعقب العلويين وإنزال حنقهم ونقمتهم عليهم.

٢- أن إفريقية لم تكن يوماً ما مرتبطة بالأمويين ولا العباسيين إرتباطاً شديداً، بل كانت كثيرة الثورات والقلاقل، حتى تركها الرشيد شبه مستقلة تحت إمرة بنى الأغلب.

٣- أن أهل إفريقية كانوا يبغضون ولاتهم لفرضهم الضرائب الفادحة عليهم، مما لم ينص عليه الدين.

٤- أن الدولة العباسية نفسها كانت إذ ذاك ضعيفة جداً، وعاجزة عن إصلاح شئون البلاد أو النظر فى شكاوى الأهلين[2].

بدأ التنظيم السرى للدعوة الإسماعيلية يوجه دعاته إلى بلاد المغرب حين عهد عبدالله ابن ميمون القداح سنة (٢٧٠هـ / ٨٣٣ م) إلى أبنه أحمد المشهور بأسم "الشلعلع" القيادة العليا فى الدعوة الإسماعيلية والأقامة مع الأمام المستور الحسين بن أحمد فى سلمية إذ غدت هذه القرية مركز التنظيم السرى الإسماعيلى دون أن تتبين السلطات العباسية أمره ويرجع السبب فى ذلك إلى تعاون الإمام مع حجته أحمد بن أبى الشلعلع فى كسب مودة الناس والابتعاد عما يثير شكوكهم فظهر الحسين بن أحمد أمام الناس فى سلمية على أنه عباسى، وأستخدم الأموال الوفيرة التى جمعها دعاته فى دعم مركزه وقد جعل الإمام لهذه الأموال سرداباً فى داره كانت توضع فيها ليلاً حتى لايكتشف أحد أمرها[3].

---

(١) نفســه، ص ١٠٧، ١٠٨ . ـ حسن إبراهيم حسن، ص ٣٩ ـ ٤٣ .

(٢) على أبراهيم حسن، ص ١٠٨ . حسن إبراهيم حسن، ص ٤٣ ـ ٤٥ .

(٣) عادله على الحمد : قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب، جامعة الكويت ١٩٧٦م، ص ٣٥ .

أهتم الدعاة ببلاد المغرب فوفد إليها كل من الأمام الحسن بن أحمد وحجته أحمد أبن أبى الشلعلع. كما أجادوا اختيار الدعاة الملائمين لتلك البلاد المغربية.

وقد اتخذ المخطط السرى للاسماعيلية من بلاد اليمن هدفاً للأتصال ببلاد المغرب والتدريب النهائى فيه للدعاة الذين يوفدون إلى تلك البلاد. وجاء أختيار بلاد اليمن وأختصاصها ببلاد المغرب دليلاً على ذكاء القيادة العليا للإسماعيلية وخبرتها الواسعة بأحوال الدولة الإسلامية للأسباب التالية:-

١- بعد بلاد اليمن عن متناول السلطات العباسية.

٢- عرف عن أهل اليمن ميلهم إلى قضية البيت العلوى.

٣- قرب بلاد اليمن من الحجاز حيث تأتي وفود الحجاج من كل مكان وبخاصة بلاد المغرب ليسهل دراسة أحوال تلك البلاد ومعرفتها عن طريق أهلها أنفسهم[1].

وأبو عبدالله الشيعى هو الحسن بن أحمد بن محمد بن زكريا، لقب بالصنعانى، وهو ليس من أصل صنعانى، كما يشير إلى ذلك اللقب الذى أضفى عليه فى بداية دعوته، بل هو من الكوفة، مهد الحركة الشيعية ومركز تخرج الدعاة الذين أنتشروا فى جميع أرجاء العالم الإسلامى للتعريف بقضية أهل البيت والدفاع عنها[2]. وكان أبو عبدالله يعتنق فى أول الأمر عقائد الأثنى عشرية. وقد ولى الحسبة فى بعض أعمال بغداد. فلما اتصل بمحمد الحبيب أبى عبدالله المهدى، أنس فيه الكفاية والذكاء فأوفده إلى بلاد اليمن سنة (٢٧٨هـ)، فاتصل بابن حوشب داعى دعاة الأسماعيلية فى بلاد المغرب وعهد إلى أبى عبدالله الشيعى القيام بالدعوة إلى هذا المذهب[3].

وقال لأبى عبدالله الشيعى "أن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلوانى وأبو سفيان، وقد ماتا، وليس لها غيرك فبادر فإنها موطأة ممهدة لك"[4].

---

(١) عادلة على الحمد، ص٣٦.

(٢) فرحات الدشراوى: الخلافة الفاطمية بالمغرب، ترجمة / حمادى الساحلى، دار الغرب الإسلامى، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٨٠.

(٣) حسن إبراهيم حسن، ص٤٧.

(٤) المقريزى: أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، الجزء الأول، تحقيق / جمال الدين الشيال، مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٥٥.

غادر أبو عبدالله اليمن قاصداً مكة ، وقد زوده ابن حوشب بما احتاج إليه من المال. فلما وصل إلى مكة، سأل عن حجاج كتامة[1] واجتمع بهم ؛ فسمعهم يتحدثون بفضائل آل البيت فحدثهم في ذلك وأفاض في القول في مآثر أهل البيت، وأخذوا يترددون عليه وسألوه أين يقصد فأجابهم إنه يريد مصر فسروا بصحبته، ورحلوا جميعاً من مكة وهو في كل ذلك يخفي عنهم أغراضه[2].

وما لبثوا أن تعلقوا به واجتمعوا على محبته لما رأوا من ورعه وزهده، وهو في ذلك كله يسألهم عن أحوال بلادهم وعن مبلغ إطاعتهم لأميرهم. وصور لنا صاحب افتتاح[3] الدعوة الحوار بين أبي عبد الله الشيعي وحجاج كتامة: "وكان أبو عبد الله يسألهم في خلال حديثه عن بلدهم وأحوال أهله يتحرونه بما يرى أنه موضع لما يريده، وكان مما سألهم عنه أن قال لهم: كيف طاعتكم للسلطات وحكمه عليكم؟ فقالوا: ما له علينا من طاعة ولا حكم أكثر من أنا نقول إنه سلطان. قال: وكم بينكم وبين موضعه؟ قالوا: مسيرة عشرة أيام. قال: فبالقرب منكم أمصار؟ قالوا: نعم، وذكروا ميلة وسطيف وبلزمة وقالوا: هي في حدودنا – قال فلسلطان افريقية بها عمال ؟ قالوا : لا فإننا بها رجال ملوكها ما له عندهم أكثر من الدعوة على المنابر، وهم له طاعة في معصية ... " .

ولما وصلوا إلى مصر أخذ يودعهم ، فشق عليهم فراقه وسألوه عن حاجته بمصر، فقال إنه ليس له بها حاجة سوى طلب العلم، وطلبوا منه الذهاب معهم إلى بلادهم[4].

وأقترحوا عليه التحول إلى بلادهم ووعدوه بالنجاح في مهمته فوافق. ولم يخف الكتاميون إعتزازهم بإنتداب مثل هذا المعلم العالم وأحاطوه برعايتهم. ثم استأنفوا رحلتهم من طرابلس إلى قسطيلية ولم يدخلوا إفريقية حتى وصلوا إلى سوجمار من أرض سماتة وتلقاهم أهل هذا الموضع وكان به عدد من الشيعة التي بث فيها الحلواني الدعوة وهم أبو حيون وأبو القاسم الورفجومي وأبو عبد الله الأندلسي فلما ألتقوا بعبد الله الشيعي الذي أخبر عبد الله الأندلسي بحقيقة غرضه . وهو أيضا معلم مقيم في تلك المنطقة[5].

---

(١) كان وفد كتامة نحو عشرة رجال منهم حريث الجميلي، وموسى بن نكاد، وموسى بن حريث وأبو القاسم الورفجومي، ومسعود بن عيسى، وكان فيه من لقي الحلواني وابن بكار . أنظر : ـ ابن الأثير الكامل ٦ / ١٢٧ . ابن خلدون ٤ / ٣٢ .

(٢) المقريزي ١ / ٥٥ . حسن إبراهيم حسن، ص ٤٧ .

(٣) النعمان : أفتتاح الدعوة، تحقيق / وداد القاضي، الطبعة الأولى دار الثقافة، بيروت ١٩٧٠، ص٦٤-٦٥.

(٤) المقريزي ١ / ٥٥ـ٥٧ . حسن إبراهيم حسن ، ص ٤٨ .

(٥) فرحات الدشراوي، ص ٨٤ .

ولما بلغوا أرض كتامة في شهر ربيع الأول سنة (٢٨٨هـ/٩٠١م) تهافت كل منهم على إنزاله في بيته؛ فسألهم "أين فج الأخبار؟" فدلوه عليه. فقصده، وسار إلى جبل إيكجان، فنزل بفج الأخبار[1].

وتمثل قلعة إيكجان، ملجأ منيعاً يطل على منطقة زراعية تقع شمالي بلزمة بين سطيف وميلة وتضم عدة مراكز عمرانية ريفية تقيم فيها مختلف بطون كتامة. وهذه المنطقة في مأمن من رقابة السلطة المركزية أو الحصون المجاورة لها[2].

وعلى الرغم من مساعدة الكتاميين وغيرهم من القبائل المجاورة كان مركز أبي عبدالله محوطاً بكثير من المصاعب . فقد أثارت مساعدة هؤلاء لدعوته حنق كثير من زعماء المغاربة وفقهائهم على أن هؤلاء الفقهاء لم يستطيعوا أن ينالوا منه .لما أوتيه من الفصاحة والعلم والذكاء، كما تمكن من القضاء على المؤامرات التي حاكها البربر دون نشر دعوته.

ولم يدخر إبراهيم الثاني الأغلبي (٢٦١-٢٨٩هـ) وسعاً في القضاء على دعوة أبي عبدالله الشيعي . وأخذ الأغالبة يرسلون حملاتهم لمحاربته. وكانت أولى هذه الحملات في سنة (٢٨٧هـ/٩٠٠م) وكان النصر فيها حليف أبي عبدالله .

ولكن الأغالبة أرسلوا جيشاً آخر، لكنه لم يلبث أن حلت به الهزيمة[3]. وفي سنة (٢٩١هـ/٩٠٣م) بدأت أعمال أبي عبدالله الشيعي الحربية فوقعت في يده مدن عدة. وساعد على تقدمه في الفتوح موت إبراهيم بن الأغلب سنة (٢٩١هـ/٣-٩٠٤م) ولحاق ابنه أبو العباس به، وتولية ولده زيادة الله الذى قضى أيامه في اللهو والترف على حين كان وزراؤه لا يبالون إلا بنجاح المذهب الشيعي الذى إعتنقه معظمهم، ولاغرو فقد ساعدت هذه الأسباب أبا عبدالله على قمع الأغالبة، ومد نفوذه على أكثر اجزاء هذه البلاد[4].

---

(١) المقريزى ١ / ٥٥ - ٥٧ . حسن إبراهيم حسن، ص ٤٨ .

(٢) فرحات الدشراوى، ص ٨٧ .

(٣) حسن إبراهيم حسن، ص٤٩، ٥٠ .

(٤) نفسه، ص٥٠ .

١- عبيد الله المهدي

ولد عبيد الله بسلمية من بلاد الشام، وقيل ببغداد سنة (٢٦٠هـ)[١]؛ ولما توفي والده عهد إلى عبيدالله بأمر الدعوة وأرسل بأمره إلى سائر الدعاة في إفريقية واليمن وفي تلك الأثناء أرسل إليه أبو عبدالله وفداً من كتامة يخبروه بما تحقق على أيديهم من نصر وأن البلاد مهيأة لأنتظاره[٢]. فوافوه بسلمية من أرض حمص، واشتهر خبر عبيدالله عند الناس. فطلبه المكتفي، ففر من سلمية ومعه ابنه أبو القاسم نزار[٣] إلى العراق ومنها واصل سيره غرباً إلى مصر وكان عبيدالله يريد التوجه إلى اليمن ولكنه عدل عن رأيه لأن على ابن الفضل الذى تولى أمر الدعوة هناك بعد ابن حوشب أساء السيرة في أهل اليمن فعزم على التوجه إلى المغرب[٤].

وأقام عبيدالله في مصر مستتراً في زى التجار، وكان عامل مصر عيسى النوشرى من قبل بني العباس[٥] فوردت إليه الكتب من الخليفة المعتضد بالله " بصفة عبيد الله وحليته، وأنه يأخذ عليه الطريق ويقبضه وكل من يشبهه[٦] ....." . ولما رآه عيسى النوشرى قبض عليه ووضعه في بستان ثم لم يلبث أن أطلق سراحه[٧].

رحل عبيدالله إلى طرابلس وفارق التجار، وكان في صحبته أبو العباس أخو أبي عبدالله الشيعي، فقدمه عبيدالله إلى القيروان فسار إليها، فوجد خبر عبيدالله قد سبق إلى زيادة الله بن الأغلب، فقبض على أبي العباس، ولما أنكر معرفته بعبيدالله زج به في السجن[٨].

وعلم بذلك عبيدالله فسار إلى قصطيلية، وأتى كتاب زيادة الله إلى عامل طرابلس بصفة عبيدالله. فكتب إليه عامل طرابلس أنه خرج من عمله. وسار عبيدالله حتى وصل

---

(١) ابن حماد، ص٣٥، ٣٦ .

(٢) ابن الأثير ٦ / ١٢٩ . ابن خلدون ٤ / ٣٤ .

(٣) المقريزى ١ / ٦٠ .

(٤) ابن خلدون ٤ / ٣٦ . النويرى ٢٨ / ١٠١ .

(٥) ابن الأثير ٦ / ١٣٩ . ابن خلدون ٤ / ٣٤ . المقريزى ١ / ٦٠ .

(٦) المقريزى ١ / ٦٠ .

(٧) ابن الأثير ٦ / ١٢٩ . النويرى ٢٨ / ١٠١ . المقريزى ١ / ٦٠ .

(٨) ابن الأثير ٦ / ١٢٩ ـ ١٣٠ . النويرى ٢٨ / ١٠٢ . ابن خلدون ٤ / ٣٤ . المقريزى ١ / ٦٠ .

إلى قسطيلية و منها إلى سجلماسة، في ولاية اليسع بن مدرار فهاداه عبيدالله فأكرمه اليسع وعظمه. وأرسل زيادة الله إلى اليسع يخبره أن عبيدالله هو الذى يدعو إليه أبا عبدالله الشيعى[١]. فلم يجد بداً من القبض على عبيد الله وحبسه[٢].

وفى تلك الأثناء استولى أبو عبدالله الشيعى على القيروان وهرب زيادة الله إلى الشرق، وسار أبو عبدالله الشيعى على رأس جيش كبير إلى سجلماسة وأطلق سراح عبيدالله وابنه فى ذى الحجة سنة (٢٩٦هـ/٨-٩٠٩م).

وسار أبو عبدالله الشيعى والدعاة بين يدى عبيدالله وهو يقول "هذا مولاى ومولاكم" حتى وصل إلى فسطاط ضربه له فنزل فيه، وبعث الخيل فى طلب اليسع فقبضوا عليه ثم قتله[٣].

وأقام عبيدالله بسجلماسة أربعين يوماً، ثم سار إلى إفريقية وأحضر الأموال التى كانت مع أبى عبدالله الشيعى والشيوخ من إيكجان فحملها، وصار بها إلى رقادة التى وصلها فى ربيع الأخر سنة (٢٩٧هـ/ ٩ - ٩١٠ م).

وفى هذه السنة زال ملك بنى الأغلب من إفريقية، وملك بنى مدرار من سجلماسة، وملك بنى رستم من تاهرت ولما اقترب عبيدالله من رقادة تلقاه أهلها وأهل القيروان وأبو عبدالله ورؤساء كتامة مشاة بين يديه وابنه خلفه فسلموا عليه. ونزل عبيدالله بقصر من قصور رقادة.

ودعى له بالخلافة فى يوم الجمعة لتسع بقين من شهر ربيع الأخر سنة (٢٩٧ هـ / ٩ - ٩١٠ م)[٤]، وتلقب بالمهدى أمير المؤمنين فى جميع البلاد[٥].

وشرع عبيدالله المهدى فى تنظيم أمور الدولة فدون الدواوين وجبا الأموال. وعين الولاة على أقاليم إفريقية[٦]. وأسند الخراج إلى أبى القاسم بن القديم، والسكة إلى أبى بكر الفيلسوف المعروف بابن القمودى، وعين على بيت المال أبى جعفر الخزرى وعلىّ العطاء عبدون بن حباسة[٧].

---

(١) النويرى ٢٨ / ١٠٢، ١٠٣ . المقريزى ١ / ٦٢ .
(٢) المقريزى ١ / ٦٢ .
(٣) النويرى ٢٨ / ١٠٤، ١٠٥ . المقريزى ١ / ٦٥ .
(٤) النويرى ٢٨ / ١٠٥ . المقريزى ١ / ٦٦
(٥) النعمان، ص ٢٥٤ .
(٦) ابن عذارى ١ / ١٥٩ .
(٧) نفسه، ص ١٥٩ .

التخلص من الداعي ابي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس .

وعندما استقام سلطان عبيدالله المهدى ؛ ودانت له أمور البلاد خشى على نفسه من سطوة أبى عبدالله الشيعى واخيه أبى العباس حيث لجأ أبو عبدالله الشيعى إلى تأليب قلوب كتامة على عبيدالله المهدى وأشتد سخط أبى العباس حتى قال "ليس بالذى كنا نعتقد طاعته وندعوا إليه لأن المهدى يختم بالحجة ويأتى بالآيات الباهرة".

وتشكك الناس في أمره حتى ظهر رجل من كتامة أراد أن يختبره وقال لعبيدالله "إن كنت المهدى فاظهر لنا آية فقد شككنا فيك" فقتله المهدى فخشى أبو عبدالله الشيعى على نفسه، وعلم أن المهدى قد تغير عليه[1].

واجتمع أبو عبدالله وأخوه العباس فى منزل أبى زاكي وعزموا على تدبير مؤامرة للتخلص من عبيدالله المهدى، وحضر الاجتماع نفرٌ من كتامة، وعلم بذلك عبيدالله المهدى عن طريق أحد أعوانه.

وعزم عبيدالله المهدى على التخلص منهم فعين أبا زاكي على طرابلس وأمر واليها بقتله عند وصوله. كما تخلص من أبى عبدالله الشيعي وأخيه أبى العباس حيث أمر عروة بن يوسف[2] وأخاه حباسة أن يكمنوا بالقرب من القصر وينفذون جريمتهم بالقضاء عليهم وأراد أبو عبدالله الشيعى إقناعهم بالعدول عن قتله في سنة (٢٩٨هـ) قال عروة "الذى أمرتنا بطاعته أمر بقتلك.....[3]".

---

(١) ابن الأثير ٦ / ١٣٤ . النويرى ٢٨ / ١٠٧ . ابن خلدون ٤ / ٣٧ . المقريزى ١ / ٦٧ .

(٢) ورد ذكره غزوية بن يوسف . النويرى ٢٨ / ١٠٩ .

(٣) ابن الأثير ٦ / ١٣٥ . النويرى ٢٨ / ١٠٩ . ابن عذارى ١ / ١٦٤ . ابن خلدون ٤ / ٣٧ .

الأضطرابات الداخلية وقمعها

أ – الأنتفاضة الأغلبية بالقصر القديم

فلم تعد العناصر الأغلبية من الخاصة تشعر بالأمن بعد مقتل الرجل الذى أمنها إثر سقوط الدولة الأغلبية فوجدت نفسها تحت رحمة عدوها الشيعى . وقد خشى من بقى من بنى الأغلب فى القصر القديم من المهدى وأصبحوا محتاطين منه، بقيادة أحد وجهائهم وهو أبو الحسن بن أبى حجر ومالبث أن أندلع الذى سيؤول بهم إلى الثورة فقد أغتنم بنو الأغلب فرصة خصومة نشبت فى سوق القصر القديم بين بعض الكتامين وبين أحد السكان[1].

ولما قتل أبو عبد الله الشيعى ثار جماعة من بنى الأغلب كانوا بالقصر القديم فأخرجوا منه الكتاميين وقتلوا جماعة منهم، فأحاط به من حوله كتامة. فقاتلهم بنو الأغلب، وقتل من الطائفتين عددٌ كبيرٌ . وبلغ ذلك عبيد الله فرد كتامة وأنكر عليهم فتفرق بنو الأغلب وأنصرفوا إلى دورهم، فتركهم عبيد الله ثم قبض عليهم فقتلوا على باب رقادة[2].

ب – عصيان كتامة

وأعلنت قبيلة كتامة العصيان، وأقامو غلاماً حدثاً وزعموا أنه المهدى، ثم نحلوه النبوة وزعموا أن الوحى يأتيه وزحفوا إلى ميلة فأخذوها. وأنفذ إليهم عبيد الله المهدى جيشاً بقيادة ولى عهده أبنه القاسم، تمكن من هزيمتهم، وقتل منهم خلقا كثيراً، وأخذ الغلام الذى نصبوه فأتى به إلى أبيه، فأمر بقتله[3].

وتغلب مؤنس على معظم جند تلك الحملة وعاد من بقى منهم إلى إفريقية[4].

وتوفى عبيد الله المهدى فى منتصف ربيع الأول سنة (٣٢٢ هـ) وكانت ولايته منذ أن دخل رقاده ودعى له بالإمامة إلى أن توفى أربعاً وعشرين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً[5].

---

(١) النعمان، ص ٢٧٠ . فرحات الدشراوى، ص ١٩١ .

(٢) النويرى : نهاية الأرب ٢٨ / ١٠٩ – ١١٠ .

(٣) نفسه، ص ١١٠ .

(٤) المقريزى : أتعاظ الحنفا ١ / ٧١ .

(٥) النويرى : نهاية الأرب ٢٨ / ١١٣ – ١١٤ . المقريزى : اتعاظ الحنفا ١ / ٧٢ – ٧٣ .

٢ – القائم بأمر الله

كنيته أبو القاسم بن عبيد الله ولد بسلمية سنة (٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م) وبويع يوم مات أبوه[1]. وهو الثاني من ملوك الدولة العبيدية وجدد له البيعة بعد وفاة أبيه بسنة؛ لأنه أخفى وفاته سنة كاملة حتى مهد قواعد دولته[2].

وفي خلافة القائم فتحت عدة مدن من بلاد الروم، وثار عليه عدة ثوار فتمكن منهم، نخص بالذكر منهم أبن طالوت القرشي الذى سار إلى ناحية طرابلس وزعم للبربر أنه المهدى فقاموا معه وأتبعوه، فزحف بهم على مدينة طرابلس ثم تبين للبربر أمره فقتلوه[3].

كما أعلن الثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد في سنة (٣٣٢ هـ) من زناته من مدينة توزر، وكان كيداد من سكان تقيوس من قصطيلية، وكان أبوه يختلف إلى بلاد السودان للتجارة فأشترى بتادمكت أمة تسمى سبيكة فحملت منه وولدت أبا يزيد.

ونشأ أبو يزيد بتوزر، ولما شب قرأ مذهب الأباضية ففقه فيه ثم شرع فى تعليم الصبيان القرآن ثم رحل إلى جبل أوراس وأيده بنو كملان أحد بطون هوارة وقوى أمره وأشتدت شوكته. وتغلب على معظم بلاد إفريقية[4].

٣ – المنصور

هو أبو الظاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله بن عبيد الله المهدى، وهو الثالث من ملوكهم، بايع له أبوه القائم بأمر الله فى حياته وولاه حرب أبى يزيد.

وناصب أبا يزيد حتى رجع إلى المهدية، وتوجه أبو يزيد إلى سوسة فحاصرها، فأدركه المنصور فطرده عنها، وتوالت عليه الهزائم إلى أن أسره فى أواخر المحرم سنة (٣٣٦ هـ/٩٤٧ م)، وتوفى المنصور فى يوم الجمعة أخر شوال سنة (٣٤١ هـ/٩٥٢ م)[5].

---

(١) ابن حماد : أخبار ملوك بنى عبيد، ص ٥٣ .

(٢) النويرى : نهاية الأرب ٢٨ / ١١٥ .

(٣) نفسه، ص ١١٥ .

(٤) ابن حماد : أخبار ملوك بنى عبيد، ص ٥٣ – ٥٦ .

(٥) النويرى : نهاية الأرب ٢٨ / ١١٧ – ١١٨ .

٤ـ المعز لدين الله

هو أبو تميم معد بن المنصور بن القائم بن المهدي، أول من ملك مصر والشام. وتولى شئون الحكم ببلاد المغرب بعد وفاة أبيه المنصور في أواخر شوال سنة (٣٤١ هـ/٩٥٢ م)(١).

وأمر المعز بحفر الأبار في طريق مصر، وأن تبنى له في كل موضع يقيم به قصور منذ سنة (٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) حتى أنتهى من ذلك سنة (٣٥٧ هـ / ٧- ٩٦٨ م)(٢).

وخرج جوهر الصقلي في سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م من المغرب بجيش عظيم من أهل المغرب وأجزل لهم المعز لدين الله العطاء. وسار جوهر بجميع من معه من الجند، ومعه ألف حمل من المال، ومن السلاح والعدد والكراع ما لا يوصف وتمكن جوهر من فتح مصر(٣)، ولما تم لجوهر الصقلي فتح مصر شرع في بناء مدينة القاهرة(٤).

ورحل المعز لدين الله إلى مصر في سنة (٣٦١ هـ / ٦- ٩٧٢ م) وأستعمل على المغرب يوسف بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجي الحميرى(٥).

وأوصاه المعز بقوله: "إن نسيت ما وصيناك به فلا تنس ثلاثة أشياء: إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية. و لا ترفع السيف عن البربر. و لا تول أحداً من إخوتك وبنى عمك. فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك. وأفعل مع أهل الحاضرة خيراً"(٦).

أ. موقع المهدية

حين أراد عبيد الله المهدى أن يؤسس حاضرة لدولته جريا على عادة الدول الإسلامية في العصور الوسطى، فخرج سنة (٣٠٠ هـ / ٩١٢- ٩١٣ م) يرتاد موضعا على الشريط الساحلي في منطقة تونس وقرطاجنة(٧). فوقع إختياره على منطقة جزيرة الخلفاء(٨)،

---

(١) النويرى : نهاية الأرب ٢٨ / ١١٩ - ١٢٠ . ابن عذارى : البيان المغرب ١ / ٢٢١ .
(٢) النويرى : نهاية الأرب ٢٨ / ١٢١ .
(٣) نفسه، ص ١٢٢ .
(٤) نفسه، ص ١٣٠ .
(٥) ابن الأثير : الكامل ٧ / ٤٥ . ابن عذارى : البيان المغرب ١ / ٢٢٨ . المقريزى : أتعاظ الحنفا ١ / ٩٩ .
(٦) المقريزى : أتعاظ الحنفا ١ / ١٠١ .
(٧) البكرى : المغرب، ص ٣٠، ابن عذارى ١ / ١٦٩ .
(٨) ياقوت ٥ / ٢٣ . حسن إبراهيم حسن وآخرين : عبيد الله المهدى، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٤٧ م، ص ٢٠٥ . سليمان مصطفى زبيس : آثار المغرب العربي، الطبعة الأولى، تونس ١٩٥٨ م، ص ٤٠
Cress Well : The Muslim Architecture of Egypt Oxford P.2.

التى يطلق عليها ابن حماد[1] (ت ٦٢٨ هـ / / ١٢٣٠ – ١٢٣١ م) جزيرة القار.

وتقع المهدية على ساحل البحر المتوسط[2]، حيث يحيط البحر بها من كافة الجوانب فيما عدا الجانب الغربى[3]، وهى داخلة فيه كهيئة "كف على زند"[4] و يحد المهدية من الشرق سوسة وتبعد عن القيروان ستين ميلا[5](مسيرة يومان)، وعن تونس مائتين كيلو متر[6]. وكان هذا الموقع محط إعجاب جغرافى العرب، لما يتميز به من حصانة[7].

ب- أسباب أختيار مدينة المهدية

من الجدير بالذكر أن عبيد الله المهدى لم يحبذ فكرة الإقامة فى رقادة أو القيروان إذا كانتا لا تصلحان فى رأيه لتحقيق أغراضه السياسية والحربية والدينية فالمدينتان كانت تزخران بالسنين من أنصار الأغالبة المعاديين للفاطمين الشيعة[8].

كما أن موقع رقادة لا يصلح – من ناحية أخرى – لأتخاذها حاضرة فهى تقع فى سهل فسيح جعلها عرضة للغزو من كل جانب[9]، وهذا ما ينطبق على القيروان التى

---

(١) أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم، ص ٤١ .

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم، ص ٢٢٦ .

Dark Hill : Islamic Architecture in North Africa London P.102.

(٣) البكرى : المغرب، ص ٢٩ .

(٤) ياقوت ٥ / ٢٣٠ . القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢٧٦ .

أبو الفداء : تقويم البلدان، ص ١٤٥ . حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٥٢٤ .

عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطمين وسقوطها فى مصر، الأسكندرية ١٩٦٨ م، ص ٩٦ .

Gautier : les siecles obas cours du maghreb paris 1927 . P. 321.

Marcais : Art Almahdiya. The Encyclkop aecdia of Islam, III, P.121.

(٥) البكرى : المغرب، ص ٢٩ . مجهول الاستبصار، ص ١١٧ . ابن عذارى ١ / ٢٠٧ . الحميرى، ص ٥٦١ .

صابر محمد دياب : سياسة الدولة الإسلامية، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٣ م، ص ٩٥ .

عصام الدين عبد الرؤوف الفقى : تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٧٩ .

(٦) Lezine : Mahdiya, Recherc has D'archealagie Islamique Klimcksieck , 1965 P.13.

(٧) الاصطخرى، ص ٣٣ . ابن حوقل، ص ٧١ .

Lezine : mahdiya, P. 19.

(٨) حسن إبراهيم وأخرين : عبد الله المهدى، ص ٢٠٤ – ٢٠٥ .

(٩) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير، ص ٦٠٤ – ٦٠٥ .

سنوسى يوسف إبراهيم : زناته والخلافة الفاطمية، الطبعة الأولى، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة ١٩٨٦ م، ص ١٧٣ .

ضاعت واستردت أكثر من مرة[1].

وينبغي أن نشير إلى حقيقة هامة مؤداها أن أختيار عبيد الله موقع المهدية - لإقامة حاضرته الجديدة - قائم على فهم صادق لأحوال المغرب واتجاهاته، وإحساسه بالتيارات الدفينة ؛ فقد كان يعلم أن دولته أقامها البرانس من البربر، وأن البتر أعداءهم التقليديين لن يخلدوا إلى السكينة بل سيرفعون لواء المعارضة[2].

وكان هدف عبيد الله من تشييد المهدية تدعيم الوجود الفاطمى بالمغرب لتكون ملاذا وملجأ له ولأهل بيته يمتصمون فيه من ثائرة البربر[3].

ويحدثنا البكرى[4] (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) عن سبب بناء المهدية بقوله "كان سبب بنيان عبيد الله للمهدية قيام أبى عبيد الله وجماعة من كتامة عليه وما حاولوه من خلعه".

وقد صدقت ظنون عبيد الله المهدى، وتحققت مخاوفه، فقد ثار على الدولة الفاطمية ابن كيداد فى سنة (٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م) وهدد كيانهم بحصاره للمهدية، ولم يستطيع أن ينال منها شيئا لمناعتها وتحصينها[5].

كما كان هدف عبيد الله المهدى من اختياره لموقع المهدية الساحلى، أن تتوجه دولته وجهة بحرية بالانفتاح على العالم الخارجى فيما وراء البحر سواء من حيث العلاقات الاقتصادية والمبادلات التجارية أو من حيث العلاقة الحربية حيث تصبح الدولة الفاطمية دولة جهادية بناء على اعتبار السواحل مناطق ثغور أى جبهات قتال يمكن أن يطرقها

---

(١) حسن أحمد محمود : تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الثقافة، القاهرة ١٩٩٠، ص ٢٦٩ .

(٢) حسن أحمد محمود، ص ٢٠٧ .

(٣) صابر محمد دياب، ص ٩٨ .

Marcais : L'Art de L'Islam Paris 1946 P.68.

(٤) المغرب، ٣٠ . Lezime : Op cit P.13.

(٥) حسن أحمد محمود، ص ٢٧٠ .

أثناء تشييد المهدية رمى عبيد الله سهم من الباب إلى موضع المصلى وقال إلى ها هنا يبلغ صاحب الحمار يعنى أبا يزيد مخلد بن كيداد وذكر (ابن النعمان : افتتاح الدعوة، ص ٣٢٨) أن المهدى قال " هذه كله عدة لساعة واحدة من نهار " أما (ابن حماد : أخبار ملوك بنى عبيد، ص ٤٢ - ٤٣) يذكر عبد المهدى بقوله " أنا بنيتها لصيانة ألف رياضة فيها ولو ساعة من نهار يعنى ساعة وصول أبي يزيد لخلع بن كيداد إلى المصلى " .

بينما يذكر ابن الخطيب فى كتابه أعمال الأعلام، القسم الثالث ص ٤٧ على لسان المهدى " وإنما بنيتها لصيانة الفاطميات ساعة من نهار فكان كذلك ! " .

ومن دواعى بناء المهدية- أيضا- أن تصبح مركزا للدعوة الإسماعيلية فى مواجهة القيروان التى كانت ولا تزال كعبة السنة وقلعة المالكية[1] .

ويقول الداعى إدريس بن عماد الدين فى هذا الصدد أن المهدى انتقل بعد بنائها وجعلها دار هجرة، وقد ظلت المهدية كعبة الإسماعيلية يحجون إليها[2] .

ج- تسمية المهدية

ورد ذكر اسم المهدية فى المصادر العربية نسبة إلى عبيد الله المهدى[3] ولكن الدكتور حسن إبراهيم حسن يرفض ذلك ويذكر أن تسمية المهدية لم يقصد بها الانتساب إلى عبيد الله المهدى وحده بل إنها مدينة الأئمة المهتدين من الخلفاء الفاطميين، لأن كلا من هؤلاء الخلفاء إمام مهدى عند الإسماعيلية، وقد رأيناهم يضعون الأحاديث على أن المهدى سليل أثنى عشر إمام مهديا من الأئمة الخلفاء الفاطميين .

وهكذا ظلت المهدية كعبة الإسماعيلية التى يحجون إليها عندما كان بها الإمام الإسماعيلى. فلما هجرها إلى غيرها لم تعد لها تلك المكانة الروحية فى نفوس الأتباع وحلت محلها مدينة صبره التى عرفت بأسم المنصورية نسبة إلى مؤسسها الخليفة المنصور بالله[4] .

د- تاريخ بناء المهدية

أختلف المؤرخين فى السنة التى وضع فيها عبيد الله المهدى أساس مدينته فيرى البكرى[5] (ت ٤٨٧ هـ/١٠٩٤ م) أن البناء قد تم فى سنة (٣٠٠ هـ/٩١٢- ٩١٣ م)، ويتفق معه فى هذا الرأى كل من ياقوت الحموى[6] (ت ٦٢١ هـ/١٢٢٤م) وابن عذارى[7] المتوفى فى نهاية القرن السابع الهجرى .

---

(١) حسن إبراهيم حسن، ص ٣٢٦ .

(٢) حسن أحمد محمود، ص ٢٧٢ .

(٣) البكرى : المغرب، ص ٢٩ . ياقوت ٥ / ٢٣٠ . ابن عذارى ١ / ٢٠٧ .

القلقشندى : قلائد الجمان، تحقيق إبراهيم الإبيارى، الطبعة الأولى دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٣ م، ص ١٦٤ .

الزهرى : الجغرافيا، ص ١١١ .

(٤) حسن إبراهيم وآخرين : عبيد الله المهدى، ص ٢٠٨ .

(٥) المغرب، ص ٣٠ .

(٦) معجم البلدان، جـ ٥، ص ٢٣٠ .

(٧) البيان المغرب، جـ ١، ص ١٦٩ . Marcais : op cit P.121.

عادلة محمد الحمد : قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب، ص ١٥٣ .

المتوفى في نهاية القرن السابع الهجرى .

أما ابن الأثير[1] (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢م) فيرى أن البناء بدأ في سنة (٣٠٣ هـ/٩١٢م) ويؤيده ابن الأبار[2] (ت ٦٥٨ هـ/١٢٦٠م). وأبو الفداء[3] (ت ٧٣٢ هـ/١٣٣١م) والقلقشندى[4] (ت ٨٢١ هـ/١٤١٨م) والمقريزى[5] (ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١م).

ولكننى أرجح رواية البكرى[6] كان ابتداءه بالنظر فيها سنة ثلاث مئة، وكمل سورها سنة خمس، وانتقل إليها سنة ثمان هى الأقرب إلى الصواب والدقة لكونها أقدمهم ولكنها توضح التسلسل الزمنى الذى استغرقته عملية البناء والتشييد بدءاً من الشروع فى البناء، ثم استكمال السور، وهى مدة زمنية كافية لاستكمال مرافق المدينة.

انتقل عبيد الله المهدى للاستقرار في حاضرته الجديدة في سنة (٣٠٨ هـ /٩٢١ – ٩٢٢ م) عندما انتهى من بناء القصور وسور المدينة، وبعض مساكن حاشيته.

ويبدو أن عبيد الله المهدى كان يفضل الرحيل إلى المهدية بعد استكمال مرافقها كافة ولكنه اضطر إلى سرعة الانتقال بسبب الأمطار الغزيرة التى سقطت على مدينة رقادة والقيروان وعلى أثرها تهدمت المبانى، وامتدحه شعراء إفريقية فى تلك المناسبة[7] تذكر منه :

قـدوم فـيه للدهـر ابتسـام	بهـنك أيهـا الملـك الـهمام
رعـته بـك الملائكـة الكـرام	حططـت الـرحيل فـى بلـد كـريم

وعندما اكتمل بناء المهدية عبر عبيد الله المهدى عن غبطته بقوله "اليوم آمنت على الفاطميات، يعنى بناته"[8].

عادلة محمد الحمد : قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب، ص ١٥٣ .

(١) الكامل، جـ٦، ص ١٥١ .

(٢) الحلة السيراء، جـ١، ص ١٩٢ .

(٣) تقويم البلدان، ص ١٤٥ .

(٤) صبح الأعشى، جـ٥، ص ١٠١ .

(٥) اتعاظ الحنفاء، جـ١، ص ١٠١ .

(٦) المغرب، ص ٣٠ .

(٧) ابن عذارى ١ / ١٨٤ .

Marcais : op cit P. 121.

(٨) ياقوت ٥ / ٢٣١ . ابن الأثير ٦ / ١٥١ . القزوينى : آثار البلاد، ص ٢٧٦ .

هـ - مساحة المهدية

يبلغ طول شبه الجزيرة الذى تقوم عليه المهدية ١٥٠٠ متراً. وعرضها ٥٠٠ متر[١] بينما ذكر Creswell إن طول شبه الجزيرة حوالى ميل واحد (حوالى ١٥٨٠ مترا) والعرض ٤٠٠ متر[٢].

ولم تشر المصادر التاريخية إلى مساحة المهدية ولا نجد إلا إشارة البكرى [٣] التى تذكر أنه عندما شرع المهدى فى وضع حجر الأساس للمهدية كان عرض المدخل من القبلة إلى الجوف مقدار غلوة تساوى ٤٠٠ ذراعا أو ١٨٤,٤ متر[٤] وهذه المساحة تمثل منتصف العرض، وعندما نضيف الجزء الآخر يبلغ طول العرض ٨٠٠ ذراعا أو ٣٦٩,٦ متر .

ولكن عبيد الله وجد أن هذه المساحة لا تكفى لبناء كافة مرافق المهدية فردم من البحر مقدار غلوة[٥] وبالتالى يصبح عرض المهدية ١٢٠٠ ذراعا أو ٥٥٤ متر.

و - التطور العمرانى لمدينة المهدية

١ - السور

أحاط عبيد الله المهدى حاضرته الجديدة بسور متين، مبنى من الحجارة، طوله نحو ميلين[٦] وعرضه يسع فارسين يمشيان عليه[٧] ؛ وهو أمر مألوف فى أسوار المدن الإسلامية، كما هو الحال فى أسوار مدينة بغداد، وأسوار القاهرة التى أسسها جوهر الصقلى، وهو تخطيط إنشائى مرتبط بوسائل الدفاع فى العصور الوسطى[٨] .

---

(١) حسين مؤنس ١ / ٤٨١ .

(٢) Greswell : op cit. P.2.

Morcais : Al. Mahdiya Arncile in the Encyclopeadia of Islame Tome 111 P.121 .

أمال العمرى : العمارة فى العصر الفاطمى، محاضرات مقررة على طلاب كلية الآثار جامعة القاهرة، ص ٣ .

(٣) وعرض المدخل إلى المهدية من القبلة إلى الجوف قدر غلوة وردم عبيد الله من البحر مثل ذلك وأدخله فى المهدية واتسع الموضوع البكرى : المغرب، ص ٣٠ .

التجانى : رحلة التجانى، ص ٣٢٣ . حسن حسنى عبد الوهاب : تاريخ تونس، ص ٩٧ .

رابح نوبار : المغرب العربى، ص ١٨٦ .

(٤) صبحى الصالح : النظم الإسلامية، ص ٤١٦ - ٤١٧ .

(٥) البكرى : المغرب، ص ٣٠ .

(٦) البكرى : المغرب، ص ٢٩ وقارن الأدريسى ١ / ٢٨٢ .

(٧) ياقوت ٥ / ٢٣٠ . Creswell : op cit P.57 .

(٨) أمال العمرى : العمارة فى العصر الفاطمى، ص ٣ .

الإسلامية، كما هو الحال في أسوار مدينة بغداد، وأسوار القاهرة التي أسسها جوهر الصقلي. وهو تخطيط إنشائي مرتبط بوسائل الدفاع في العصور الوسطى[١].

ويذكر ابن خلدون[٢] أنه عندما أرتفع السور رمى عبيد الله المهدى من فوقه بسهم إلى الناحية الغربية ونظر إلى منتهاه وقال هذا الموضع يصل أبو يزيد. وفرغ عبيد الله المهدى من بناء السور سنة (٣٠٥ هـ / ٩١٧ – ٩١٨ م)[٣]، بينما يرى ابن عذارى[٤] أن السور انتهى من بنائه سنة (٣٠٤ هـ / ٩١٦ – ٩١٧ م).

وقد بنى السور بأحجار "التلات" أى الدستور الصغير وهى أحجار تشبه تلك التى بنيت بها بعض العمائر الفاطمية فى القاهرة[٥].

وكان السور مزودا بقلاع وفتحات يطلق منها النار لتعزيز الجند[٦] وستة عشر برجا[٧] للمراقبة، ثمانية فى السور الأول وثمانية في الزيادة التى أضيفت من البحر، وكانت هذه الأبراج تعرف بمسميات مختلفة كبرج أبى الوزان وبرج عيسى وبرج الدهان[٨].

وفى العصور الوسطى استخدمت الأبراج فى عدة أغراض فكانت قلعة صغيرة للدفاع عن البلاد، وكان يوجد بها مسجداً لإقامة الشعائر الدينية للمقيمين بالبرج، كما كانت تستخدم الأبراج كمنارات لهداية السفن، وربما استخدمت كسجن أو معتقل سياسى[٩].

٢ – الأبواب

أراد عبيد الله المهدى أن يحكم متانة حاضرته، فشيد على سورها بابين من الحديد، ووضع على كل باب مصراعيين من الحديد[١٠]، وبلغت زنة كل مصراع مائة قنطار،

---

(١) أمال العمرى : العمارة فى العصر الفاطمى، ص ٣ .
(٢) العبر، جـ ٤، ص ٣٨ .
(٣) البكرى : المغرب، ص ٢٩ . Creswell : op cit P.2.
(٤) البيان المغرب، جـ ١، ص ١٧٤ .
(٥) أمال العمرى : العمارة فى العصر الفاطمى، ص ٤ .
(٦) Derk Hill : op cit P.102.
(٧) تطلق كلمة برج على البناء المنعزل المقام على هيئة تحصينات، كما تعنى أيضا الحصن أو القلعة أنظر :
بول كازانوفا : تاريخ ووصف قلعة القاهرة، ترجمة وتقديم أحمد دراج مراجعة جمال محرز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤ م، ص ٤٤ .
(٨) البكرى : المغرب، ص ٣٠ . Creswell : op cit P.3.
(٩) محمد محمد أمين وأخرين : المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية، دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة (د.ت) ص ٢١ .
(١٠) البكرى : المغرب، ص ٢٩ .

وبلغت زنة كل باب ألف قنطار[1]، وطوله ثلاثون شبراً في كل مسمار من مساميرها ستة أرطال[2] .

وكانت الأبواب تزين بصور الحيوان[3]، وهو ما يعني أن الفن الفاطمي الأول في بلاد المغرب، كان فنا تصويرياً (أيقونياً) يأخذ بصور الأشخاص الحية، كما كان الفن الإسلامي الأول على عهد الأمويين بالشام[4] .

وكان بداخل كل باب من أبواب المدينة دهليز يسع خمسمائة فارس[5] ويصف لنا الرحالة ابن حوقل[6] - المتوفى في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري والمعاصر للفاطميين - أبواب المهدية التي شاهدها بقوله "ليس لهما فيما رأيته شبيه ولا نظير غير البابيين اللذين على سور الرافقة وعلى مثالها عملاً .. " .

ولم يبق من أبواب المهدية حتى الوقت الحاضر إلا الباب المعروف ببرج السقيفة الكحلاء، وهو مدخل المدينة الرئيسي من جهة الغرب، وهو عبارة عن حصن منيع مدمج في السور، وظل على حالته الأصلية إلى عصر الأتراك في القرن الحادي عشر الهجري[7]

٢- جامع المهدية الكبير

درجت العادة في تأسيس المدن الإسلامية على أن يكون المسجد في وسط المدينة. كما هو الحال في الفسطاط والقيروان وبغداد، وبجوار المسجد دار الإمارة بينما نجد الوضع مختلفا في مسجد المهدية، إذا كان يقع في الجزء الشرقي، بالقرب من دار الصناعة.

ويشغل هذا الجامع مساحة مستطيلة المسقط ٨٢ × ٦٠ متر ويوجد المدخل الرئيسي للجامع بالواجهة الشمالية، يكتنفه من كلا الجانبين باب آخر، وتم إضافة جزء آخر حديث اشتمل على دورة للمياه ومئذنة حديثة.

---

(١) ياقوت ٥ / ٢٣٠ . ابن خلدون ٤ / ٢٨ . المقريزي ١ / ١٠١ .
وسنوسي إبراهيم يوسف : زناته والخلافة الفاطمية، ص ١٧٤ . Creswell : op cit P.3.
(٢) البكري : المغرب، ص ٢٩ . ياقوت ٥ / ٢٣١ . حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، جـ٣، ص ٤١٥ .
حسن إبراهيم وأخرين : عبيد الله المهدي، ص ٢٠٥ .
(٣) مجهول : الاستبصار، ص ١١٧ . عصام الدين عبد الرؤوف : تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٧٩ .
(٤) سعد زغلول عبد الحميد : ٣ / ٩٦ .
(٥) ياقوت ٥ / ٢٣٠ . Creswell : op cit P.3.
(٦) صورة الأرض، ص ٧٣ .
(٧) سليمان مصطفى زبيس، ص ٦١ .

أما المدخل الرئيسي فهو من النوع البارز عن سمت الواجهة وهو عبارة عن بروزين، ومسقط كل من البروزين مستطيل ٨,٥ × ٣ متر بارتفاع حوالى ٩ متر، ويحصر البروازان بينهما عقد المدخل، وهو من النوع الذى يشبه حدوة الفرس ويبلغ اتساعه ٤ متر وتؤدى فتحة الباب إلى ممر مقبى ينتهى إلى باب يعلوه عتب يعلوه عقد عاتق ويؤدى هذا الباب إلى داخل المسجد[١] .

ويكتنف المدخل دخلتان، كلاهما عقد من النوع الذى يشبه حدوة الفرس، يعلوها دخلتان أخريان كل منهما عقد نصف دائرى وفى ركنى الواجهة بروزان يبلغ طول كل منهما ٧,٨٠ متر، وهذان البروزان عبارة عن قاعدتين لمئذنتين أصليتين بركن الجامع، وتؤدى فتحة الباب الثانية التى ينتهى إليها ممر المدخل الرئيسى إلى سقيفة معقودة بقبوات متقاطعة يحملها دعامات فى خط موازى للصحن. وبائكة هذه السقيفة تتكون من ١٣ عقداً، ويلاحظ أن الجانب الأيمن من السقيفة أكثر عمقاً من الجانب الأيسر.

أما صحن الجامع فمستطيل الشكل ٥٠ × ٣٥ متر ولايحف به أية مبانى من الجانب الشرقى، يطل عليه من الجانب الغربى رواق به سقيفة حديثة تحملها بائكة تتكون من تسعة عقود محمولة على دعائم، وتحمل هذه البائكة سقوف من قبوات متقاطعة[٢] .

ويزحف المحراب الأصلى تسع قنوات مفصصة من ١٠,٥ فصوص بالتبادل — ويبلغ اتساع حنية المحراب مترين وعمقها متراً واحداً ويشغل المساحة المحصورة بين نهاية القنوات وبداية طاقية المحراب كتابة كوفية فى أربعة سطور يبلغ عرضها من ٨٠ سم إلى متر واحد[٣] .

ولقد تغيرت تجاويف المحراب، واصبحت مؤلفة من طبقات رفيعة نصف أسطوانية تعلوها محاريب زخرفية، وقد أثر هذا الطراز المتبع فى محاريب جامع المهدية فى تراث المحاريب التونسية فيما بعد[٤] .

٤- القصور

كانت قصور المهدية نواة مركزية للمدينة كما هى العادة فى بناء المدن العربية

---

(١) أمال العمرى، ص ٦ . Creswell : op cit P.5.

(٢) أمال العمرى، ص ٦ - ٧ . Creswell : op cit P.5 .

(٣) أمال العمرى، ص ٧ . Creswell ; op cit. P. 6.

(٤) عبد العزيز حميد وأخرين : الفنون الزخرفية العربية الإسلامية بغداد ١٩٨٢ م، ص ٩٤ .

الإسلامية وتكونت تلك القصور من قصر الإمام عبيد الله المهدى وله باب غربى[1]، يطل على البحر[1] وزينه بطيقين الذهب[2]، ثم قصر ابنه القائم بالله ولى عهده فى الجهة الشرقية ويقع بين الميدان والجامع وكان يفصل بينهما ميدان للاستعراضات[4].

وأخذ الفاطميون بهذا النظام فى تخطيط قصورهم بالقاهرة حيث نجد القصر الشرقى الكبير للمعز، والقصر الغربى الصغير للعزيز وبينهما ميدان بين القصرين.

ويبدو أن الإزدواجية فى التخطيط كانت ظاهرة معمارية استمرت فى جميع العصور[5].

وكانت قصور المهدية باقية حتى عصر ابن حماد[6] (ت ٦٢٨ هـ/١٢٣٠ - ١٢٣١ م).

وحفلت الحياة الإجتماعية فى تلك القصور بكثرة الجوارى والخصايا مثل قضيب وسلاف وحمزة ونشوى وهذ يدل على وجود الفنانيين والمغنيين وأرباب آلات الطرب والترنيم إذ إن كثرة ربات الجمال بالقصور، دليل قاطع على الاحتفال بالموسيقى والرقص، وما إلى ذلك فى مجالس الأنس[7].

٥ - الدور

بنيت بالمهدية للحاشية وأهل الشيعة ورجال الدولة[8]، ويؤكد جغرافى العرب على نظافة وجمال بيوت المهدية، فيحدثنا عنها ابن حوقل[9] بقوله "نظيفة المنازل والدور".

وأما الأدريسى[10] فيقول "ولها حسن مبان لطيفة نظيفة المنازل" وفيما يختص بالطراز المعمارى لمنازل المهدية فتلتزم المصادر الأثرية بالصمت عن هذا الموضوع، ولكننى يمكن أن أرجح أنها كانت على الطراز المعمارى نفسه السائد فى مصر، حيث كانت الدار تشتمل

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد ٣ / ٩٦ .

(٢) البكرى : المغرب، ص ٣٠ .

(٣) التجانى : رحلة التجانى، ص ٣٢٣ .

(٤) البكرى : المغرب، ص ٣٠ . أمال العمرى، ص ٣ . سليمان مصطفى زبيس، ص ٦١ .

(٥) أمال العمرى، ص ٣ . Creswell : op cit P.3.

(٦) أخبار ملوك بنى عبيد، ص ٤٢ .

(٧) حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٨) سليمان مصطفى زبيس، ص ١٢ .

(٩) صورة الأرض، ص ٧١ .

(١٠) نزهة المشتاق، جـ ١، ص ٢٨١ .

ز- المنشآت الصناعية والتجارية

١- دار الصناعة

أقام عبيد الله المهدى داراً لصناعة السفن فى الجزء الشرقى فى المنطقة الجبلية تسع مائتى مركب عليها باب مغلق[١] ويحدثنا ابن عذارى[٢] عن إعجابه بدار الصناعة بقوله: "بالمهدية دار صنعة الإنشاء عجيبة يخرج السفن معمورا خلف السور فلا يعلم به حتى يفاجأ العدو القاصد فيحيط به فلا يقربها العدو".

وكان الأسطول الفاطمى الذى صنع في المهدية يتكون من عدة قطع هى الشوانى، والحراقة والطريدة والطرادة والشلندى .

٢- دار الطراز

أقام عبيد الله المهدى دار للطراز، ومن المرجح أنها تقع فى نطاق دار للصناعة أو على مقربة منها:

ولقد أزدهرت بالمهدية صناعة المنسوجات القطنية التى يصفها القلقشندى[٣] بقوله" وما يعمل بها القماش الإفريقى وهو ثياب رقاع من القطن والكتان معا ومن الكتان وحده ومنه جل كساوى أهل المغرب" .

كما كان هنالك من المنسوجات المعروفة بالمهدية احتلت مكانة مرموقة فى صادراتها الخارجية[٤] .

وقد أمر الخليفة عبيد الله كاتبه جوذر فى إحدى الرسائل المتبادلة بينهما أن يكتب اسمه (جوذر) على الطراز والبسط .

وقال له "اكتب لهم يثبتوا فى الطراز والبسط مما عمل على يد جوذر مولى أمير المؤمنين بالمهدية المرضية"[٥] .

---

(١) ابن الأثير ٦ / ١٥١ . المقريزى : اتعاظ الحنفا، جـ١، ص ١٠٢ . وقارن البكرى : المغرب، ص ٣٠ .
Greswell : op cit P .3. Gautier : op cit P.321.

(٢) البيان المغرب، جـ١، ص ١٥١ .

(٣) صبح الأعشى ٥ / ١٠٢ . حورية عبده سلام، ص ١٩٨ .

(٤) الأدريسى ١ / ٢٨١ .

(٥) جوذر : سيرة الاستاذ جوذر ، تحقيق محمد حسين كامل، دار الفكر العربى، القاهرة، ص ٥٢ .

وقد أمر الخليفة عبيد الله كاتبه جوذر – فى إحدى الرسائل المتبادلة بينها – أن يكتب اسمه (جوذر) على الطراز والبسط .

وقال له "اكتب لهم يثبتوا فى الطراز والبسط مما عمل على يد جوذر مولى أمير المؤمنين بالمهدية المرضية"[1] .

٣ - دار الضرب (دار السكة)

ويدخل فى إطار المنشآت الصناعية بالمهدية دار ضرب النقود التى شيدها عبيد الله المهدى، ولقد وصلت إلينا دنانير مضروبة بالمهدية مؤرخة بسنة (٣١٥ هـ/٩٢٧ – ٩٢٨م) و (٣١٨ هـ/٩٣٠ م) و (٣٢٢ هـ / ٩٣٣ م).

وكانت تلك الدنانير تزين بنقوش مكتوب عليها "الإمام المهدى بالله" وعلى الوجه الأخر "عبد الله أمير المؤمنين"[2] .

وكانت النقود الفاطمية المضروبة بالمهدية تحمل شعارات المذهب الشيعى ومن المحتمل أن تكون دعاية لنشر المذهب الشيعى ببلاد المغرب. فيوجد دينار مؤرخ بسنة (٣٣٣ هـ / ٩٤٤ – ٩٤٥ م) نقش عليه "بسم الله ضرب هذا الدينار – الدينار – بالمهدية سنة ٣٣٣ هـ الإمام القائم بالله، محمد رسول الله، أميرالمؤمنين، وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم" وعلى الوجه الآخر "محمد أبو القاسم لا إله إلا الله وحده لا شريك له المهدى بالله"[3] .

وعلى الرغم من انتقال الفاطميين من المهدية إلى مدينة صبره حاضرة الفاطميين الثانية فى عهد المنصور بالله سنة (٣٣٦ هـ) فلم يهملوا دار الضرب بالمهدية، وحيث وصلنا منها دينار مؤرخ بسنة (٣٤٠ هـ/٩٥١ – ٩٥٢ م) نقش عليه "لا إله إلا الله وحدة لا شريك له محمد رسول الله، عبد الله إسماعيل المنصور بالله أمير المؤمنين"[4] .

---

(١) جوذر : سيرة الاستاذ جوذر، تحقيق محمد حسين كامل، دار الفكر العربى، القاهرة، ص ٥٢ .

(٢) Lavoix : Catalogue Des Manmales Musuim . Tom 11 Paris 1896 PP. 34-36 .

(٣) Ibid PP. 38- 39.

(٤) Islamic Art in Kuwait National Museum The Alsabh Collection Edited Moruhyne Lenk P.35.

لكل طائفة من التجار سوق يمارسون فيها نشاطهم التجارى ولا أرباب الحرف شوارع معلومة، يقيم فيها أهل كل حرفة[1]، وكان التجار يفدون ببضائعهم من سائر البلاد لبيعها بأسواق المهدية يقول الأدريسى[2] " وكانت فيما سلف المسافر إليها كثير والبضائع إليها مجلوبة من سائر البلاد والأقطار والأمتعة والمتاجر نافقة، وفيها بائعة".

ح. مرافق المهدية :

١. المواجل (خزانات المياه)

حرص عبيد الله المهدى على ضرورة توفير المياه اللازمة بحاضرته الجديدة فبنى الصهاريج لحفظ المياه، وعرفت بالمواجل، وهى مبان مرتفعة يتوسطها صومعة مثمنة ويتكون الجزء العلوى منها من قبة مفتوحة على أبواب[3].

وبلغ عدد المواجل بالمهدية حوالى ٣٦٠ ماجلا، وكانت المياه تأتى لتلك المواجل بواسطة قناة بالقواديس من أحد القرى المجاورة للمهدية المعروفة بأسم قرية ميانش ثم تصب فى صهريج المهدية، عند جامعها، ثم ترفع المياه إلى القصر بواسطة الدواليب[4].

٢. الحمامات

بنى عبيد الله المهدى بالمهدية الحمامات[5] وهى من الخدمات الهامة فى المدن الإسلامية، نظرا لأهميتها فى التطهر والنظافة، وكان يلاحظ فى بنائها أن تصمم بحيث تتيح للمستحم أن ينقل تدريجيا من الجو الحار إلى الجو البارد حتى لا يصاب بأذى. وكان الحمام يسخن عن طريق إيقاد النار تحت أرضيته، وكان يشتمل على أنابيب الماء الساخن والبارد داخل الجدران[6].

---

(١) ياقوت ٣ / ٤١٦ . عصام الدين عبد الرؤوف، ص ١٧٩ .

(٢) نزهة المشتاق، جـ ١، ص ٢٨١ – ٢٨٢ .

(٣) مجهول : الاستبصار، ص ١١٥ .

(٤) البكرى : المغرب، ص ٢٩ . ياقوت ٢ / ٣١ . مجهول : الاستبصار، ص ١١٧ – ١١٨ .

الدواليب لفظ فارسى معرب والأصل فيها الطارة أو الحلقة التى تعرف بالناعورة لسقى بها الماء كجزء من الساقية ثم اصبحت تطلق على الآلة التى ليها حركة دائرية سواء فى الساقية أو الطاحونة أنظر : محمد محمد أمين واخرين : معجم المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية، ص ٥١ .

(٥) ابن حوقل، ص ٧١ . الأدريسى ١ / ٢٨١ .

(٦) حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص ١٦٥ .

٢- الحمامات

بنى عبيد الله المهدى بالمهدية الحمامات[1] وهى من الخدمات الهامة فى المدن الإسلامية، نظرا لأهميتها فى التطهر والنظافة، وكان يلاحظ فى بنائها أن تصمم بحيث تتيح للمستحم أن ينقل تدريجيا من الجو الحار إلى الجو البارد حتى لا يصاب بأذى، وكان الحمام يسخن عن طريق إيقاد النار تحت أرضيته، وكان يشتمل على أنابيب الماء الساخن والبارد داخل الجدران[2].

٣- أهراء الطعام[3]

ولقد بنى عبيد الله المهدى بالمدينة مخازن القمح (الطعام) فى سراديب تحت الأرض[4]، وللأسف لم نجد فى المصادر التاريخية والأثرية معلومات كافية لرسوم صورة واضحة المعالم عنها.

والأهراء هى بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان، والذى جرى عليه مصطلح الدول الإسلامية فى العصور الوسطى إن الأهراء هى الأماكن التى تخزن بها الغلال والأتبان الخاصة بالخليفة أو السلطان أحتياطاً للطوارئ، وكانت لا تفتح إلا عند الضرورة، كما حدث أثناء ثورة أبو يزيد عندما حاصر مدينة المهدية، ولذلك نجد أن هناك فرق بين الأهراء والشون التى كان يخزن بها ما يستهلك طول السنة من غلال وأحطاب وأتبان[5].

٤- دار المحاسبات

تقع فى الجزء الذى أضافه عبيد الله المهدى للمدينة فيما ردم من البحر[6].

٥- المدافن

كانت مدينة المهدية تخلوا من جبانة للعامة، ومن المحتمل أن يكون سبب ذلك، هو ضيق مساحة المهدية إذا ما قورنت بالمدن الإسلامية الأخرى كالقيروان وبغداد والقاهرة، فضلا عن كثرة المنشآت التى أقيمت عليها، مما لا يدع مجالاً لإقامة مدافن للعامة تستغرق مساحة كبيرة من المدينة، ولذلك كان أهل المهدية يحملون موتاهم فى الزوارق

---

(١) ابن حوقل، ص ٧١ . الأدريسى ١ / ٢٨١ .

(٢) حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص ١٦٥ .

(٣) ابن خلدون ٤ / ٣٨ . المقريزى ١ / ١٠٢ .

(٤) سعد زغلول عبد الحميد ٣ / ٩٨ .

(٥) المقريزى ١ / ١٠٢، حاشية (٢) .

(٦) البكرى : المغرب، ص ٣٠ .

لدفنهم في رباط المستنير ثم يعودون إلى المهدية[1] وأغلب الظن أنه كان يوجد بالمهدية جبانة خاصة بالخلفاء لم نعرف مكانها بالضبط، ولكنها من المحتمل أن تكون ملحقاً بأحد القصور. فعندما توفى الخليفة عبيد الله المهدى فى شهر ربيع الأول سنة (٣٢٢ هـ/٩٣٣م) أخفى ابنه أبو القاسم موته لمدة سنة[2] فلا يعقل أن يكون في موضع آخر خارج المهدية ويؤكد ابن حماد[3] على أن عبيد الله المهدى دفن بالمهدية بقوله "ولم يركب - أبو القاسم - دابة بالمهدية منذ مات - أبو عبيد الله - إلى أن توفى هو حزنا وبرا وتكرمة لتربة دفن فيها".

٦-المرسى (ميناء المهدية)

كان موقع المرسى على الساحل الجنوبى لشبه الجزيرة فى نصفه الشرقى[4] وتميز بالمتانة والحصانة. وقد نقره المهدى فى الصخرة المطلة على ساحل البحر فى مساحة تبلغ ١٢٦ × ٥٧ متر، ولا يزال هذا الميناء باقياً إلى اليوم[5].

ويحدثنا البكرى[6] عن مرسى المهدية بقوله "ومرساها منقور - محفور - فى حجر صلد يسع ثلاثين مركبا على طرف المرسى برجان بينهما سلسلة من حديد فإذا أريد إدخال سفينة فيه أرسل حراس البرجين أحد طرفى السلسلة حتى تدخل السفينة ثم مدها، كما كانت بعد ذلك لئلا تطرقها مراكب الروم".

و فى الوقت الحاضر لم يبق لنا من مخلفات البرجين إلا قاعدتهما ويتخللهما فى صلب البناء على اسطوانات رخامية مطروحة أفقيا[7] ومن هذا المرفأ تنطلق سفن الأسطول الفاطمى الحربى والتجارى صوب الشرق والغرب[8].

---

(١) الأدريسى ١ / ٢٨٢ .

(٢) ابن الأثير ٦ / ٢٢٨ . المقريزى ١ / ١٠٥ .

(٣) أخبار ملوك بنى عبيد، ص ٥٠ .

(٤) سعد زغلول عبد الحميد ٣ / ٩٦ .

(٥) أمال العمرى، ص ٥ .

(٦) المغرب، ص ٣٠ . ياقوت ٥ / ٢٣١ . مجهول : الاستبصار، ص ١١٨ . التجانى، ص ٣٢٢ .
حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٥٢٤ .
Creswell : op cit P.3. Marcais : op cit P.121.

(٧) سليمان مصطفى زبيس، ص ٦١ .

(٨) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٥٢٥ .

٧- أرباض المهدية

كان للمهدية أرباض من أهمها ربض زويلة[١]، الذى شيده عبيد الله المهدى، ويفصل بينه وبين المهدية ميدان، وأحاط زويلة بسور وأبواب.

ونقل إلى زويلة عامة الناس[٢] وأسرهم من أرباب الدكاكين من البرازين والحرفيين[٣].

ويبدو أن عبيد الله المهدى، حذا فى ذلك العمل حذو أبى جعفر المنصور (١٣٦ – ١٥٨ هـ) حين نقل أسواق بغداد إلى خارج أسوارها جنوبا إلى منطقة الكرخ[٤].

وشيد عبيد الله المهدى زويلة بهدف تأمين نفسه من غدر الرعية يقول ياقوت[٥] "فقيل المهدى إن رعيتنا فى عناء من هذا فقال أنا فى راحة لأنى بالليل أفرق بينهم وبين أموالهم وبالنهار أفرق بينهم وبين أهاليهم فأمن عائلتهم فإن أرادونى بكيد وهم بزويلة، كانت أموالهم عندى فلا يمكنهم ذلك وإن أرادونى بكيد وهم بالمهدية خافوا على حرمهم هناك وبنيت بينى وبينهم سورا وأبوابا فأنا أصرفهم ليلا ونهاراً لأنى فرقت بينهم وبين أموالهم وبينهم وبين حرمهم نهاراً " .

ومن أرباض المهدية، الأخرى ربض الحمى، وهو بمثابة سكنات عسكرية لجند أفريقية من العرب والبربر وربض قفصة[٦].

ونستنتج مما سبق أن عبيد الله المهدى شيد لحاضرته الأسوار الشاهقة الأرتفاع، وزودها بأبراج قوية للدفاع، ثم وضع نواة المدينة الداخلية وتشمل المسجد والقصور وجعل بين القصور رحبة فسيحة للاستعراضات ثم دور الحاشية وكذلك المنشآت الصناعية والتجارية مرافق المهدية عندما أكتظت المهدية بالسكان أمتد العمران فى الجهة الغربية للمدينة فشيد عدة أرباض ونقل إليها الرعية .

---

(١) زويلة بلدان أحدهما زويلة السودان، تقع بين السودان وأفريقية وزويلة طرابلس بين الغرب والقبلة . انظر : ياقوت : معجم البلدان، جـ ٣، ص ١٦٠ .

(٢) التجانى : رحلة التجانى، ص ٣٢٤ .

(٣) ياقوت ٥ / ٢٣١ . حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام جـ ٣، ص ٤١٦ .

(٤) حسن إبراهيم حسن ٣ / ٤١٦ .

(٥) معجم البلدان ٥ / ٢٣١ .

(٦) البكرى : المغرب، ص ٣١ .

المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات

١- **المقريزى :** (تقى الدين احمد بن على ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) رسالة فى المكاييل والموازين. مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٨٥، رياضيات الكتبة التيمورية، ميكروفيلم ٣٨٦٧٦

٢- **مجهول المؤلف :** ذكر قصة المهاجرين المسمون بالبلد بين معهد المخطوطات العربية رقم ١١١٥.

ثانياً : المصادر العربية

١- **ابن الابار:** (ابو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م) الحلة السيراء، الجزء الأول، تحقيق حسين مؤنس، الطبعة الثانية، دار المعارف ١٩٨٥م.

٢- **ابن الأثير :** (على بن أحمد بن أبى الكرم ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الكامل فى التاريخ، الأجزاء ٣،٤،٥،٦،٧ دار الفكر بيروت ١٩٨٧م .

٣- **ابن الأثير:** أسد الغابة فى معرفة الصحابة، المجلد الرابع تحقيق/محمد إبراهيم البنا وآخرين.دار الشعب القاهرة (د ـ ت)

٤- **ابن الأخوة :** (محمد بن محمد بن احمد القرشى ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م) معالم القربة فى أحكام الحسبة. تحقيق محمد شعبان وآخرين. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٧٦م

٥- **الأدريسى :** (أبوعبدالله محمد بن محمد بن عبدالعزيز ت ٦٥٤هـ) نزهة المشتاق فى أخراق الأفاق. جزئين. مكتبة الثقافة الدينية القاهرة د .ت .

٦- **الأصطخرى :** (أبو القاسم إبراهيم بن محمد توفى فى النصف الأول من القرن الهجرى). مسالك الممالك. ليدن ١٩٣٧م .

٧- **الأصفهانى :** (ابو الفرج على بن الحسين بن محمد أحمد) مقاتل الطالبين. تحقيق السيد أحمد صقر. مطبعة عيسى البابى القاهرة ١٩٤٩م .

٨- **الباجى المسعودى :** (أبو عبد الله محمد) الخلاصة النقية فى أمراء إفريقية، الطبعة الثانية، تونس١٣٢٣هـ.

٩- **ابن بسام :** (محمد بن احمد بن بسام المحتسب) نهاية الرتبة فى طلب الحسبة. تحقيق حسام الدين السامرائى. مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٨م.

١٠- **ابن بطوطة :** (أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتى ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، جزئين، تهذيب وتحقيق أحمد العوامرى، ومحمد جاد المولى. مطبعة بولاق القاهرة ١٩٣٤م.

١١- **ابن بطلان :** (أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون الطيب البغدادى) رسالة فى شرى الرقيق وتقليب العبيد. سلسلة نوادرالمخطوطات. تحقيق عبد السلام هارون. الطبعة الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة. القاهرة ١٩٥٤م .

١٢- **البكرى :** (أبو عبيد البكرى ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب. مكتبة المثنى بغداد (د.ت).

١٣- **البلاذري** : (أبو الحسن أحمد بن يحيى البغدادي ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) فتوح البلدان، ثلاثة أجزاء، تحقيق صلاح الدين المنجد، النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.

١٤- **التجاني**: (أبو محمد عبد الله بن محمد ابراهيم) رحلة التجاني، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨١م.

١٥- **التنيسي** : (أبو عبدالله ت ٨٩٩هـ /١٤٩٤م) تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدرر والعقيان تحقيق/عبدالحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤م .

١٦- **ابن تيمية** : (تقي الدين الحراني ٧٢٨هـ/١٣٢٧-١٣٢٨م) الحسبة ومسئولية الحكومة الإسلامية، تحقيق / صلاح عزام، الطبعة الأولى، مؤسسة دار الشعب، القاهرة ١٩٧٦م).

١٧- **الجاحظ** : (أبو عثمان عمرو بن بحر البصري ٤٣٩هـ/١٠٧٢م) التبصر بالتجارة، الطبعة الثانية، المطبعة الرحمانية، مصر١٩٣٥م.

١٨- **الجرسقي** : (عمر بن عثمان بن العباس) الحسبة، تحقيق ليفي بروفنسال، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٥٥م.

١٩- **الجزنائي** : (أبو الحسن علي كان حياعام ٧٦٦هـ /١٣٦٤م) جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، المطبعة الملكية، الرباط١٩٦٧م .

٢٠- **الجهيشاري** : (أبو عبد الله محمد بن عبدوس ت ٣٣١هـ/٩٤٣م) الوزراء والكتاب، تقديم حسن الزين، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٩٨٨م.

٢١- **جوذر**: (أبو علي منصور العزيزي الجوذري ت منتصف القرن الرابع الهجرى/العشر الميلادى) سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق محمد كامل حسين وآخرين، دارالفكر العربي، القاهرة .

٢٢- **ابن الحاج** : (أبو عبد الله محمد بن محمد ت ٨٣٧هـ/١٤٣٣م) المدخل إلى الشرع الشريف، الجزء الثالث، القاهرة ١٩١٩م.

٢٣- **ابن حجر العسقلاني** : (شهاب الدين بن علي ت ٨٥٣ هـ) الإصابة في تمييز الصحابة، الجزء الثاني، الطبعة الأولى دار العلوم، الحديثة، بيروت ١٣٢٨هـ .

٢٤- **ابن حماد** : (أبو عبدالله بن محمد بن علي ت ٦٢٨هـ) أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق عبدالحليم عويس وآخرين، دار العلوم، الرياض د . ت .

٢٥- **الحميري** : (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م) الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٤م.

٢٦- **ابن حوقل** : (أبو القاسم أحمد النصيبي توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجرى النصف الأول من القرن العاشر الميلادى) صورة الأرض، الطبعة الثانية، ليدن ١٩٣٨م.

٢٧- **ابن خرداذبة** : (أبو القاسم عبد الله بن عبد الله ت ٣٠٠هـ/٩١٢م) المسالك والممالك، ليدن ١٨٨٩م.

٢٨- **الخشني** : (أبو عبد الله محمد بن أسد القيرواني ت ٣٦١هـ/٩٧١م) قضاة قرطبة وعلماء أفريقية وتونس، عني بنشره السيدة عزت العطار، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٧٢هـ

٢٩- **ابن الخطيب** : (الوزير الغرناطي لسان الدين) أعمال الأعلام، الجزء الثالث المنشور باسم "تاريخ المغرب" في العصر الوسيط، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادى وآخرون، الدار البيضاء ١٩٦٤م.

٣٠- **ابن الخطيب** : الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأول، حققه محمد عبدالله عنان، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٥م .

٣١- **ابن خلدون :** (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدأ والخبر، الجزء الرابع، بيروت ١٩٧٩م.

٣٢- **ابن خلكان :** (شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم ت ٦٨١ هـ) وفيات الأعيان. الجزء الثالث، تحقيق إحسان عباس دار الثقافة. بيروت ١٩٧٧ م .

٣٣- **خليفة بن خياط :** (توفي سنة ٢٤٠ هـ) تاريخ خليفة بن خياط. تحقيق /أكرم ضياء العمرى. الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة. بيروت، ١٩٧٧م .

٣٤- **ابن الدباغ :** (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصارى ٦٠٥هـ/٦٩٦م) معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان. الجزء الأول. تصحيح وتعليق إبراهيم شبوح. مكتبة الخانجي. القاهرة.١٩٦٨م

الجزء الثاني، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور وآخرون، مكتبة الثالث، تحقيق، محمد ماضور، مكتبة الخانجي، القاهرة د.ت.

٣٥- **الدمشقى :** (أبو الفضل جعفر بن على ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م) كتاب الإشارة إلى محاسن التجارة، مطبعة المؤيد، مصر ١٣١٨ هـ

٣٦- **الدواداري** :(أبو بكر عبد الله بن أيبك من علماء أواسط القرن الثامن الهجرى) كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السادس، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة ١٩٦١م.

٣٧- **ابن ابى دينار :** (أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى) المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس، تحقيق وتعليق محمد شمام الطبعة الثانية، تونس ١٩٧٦ م .

٣٨- **الذهبى :** (شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ٧٤٨هـ/١٣٧٤م) تاريخ الإسلام حوادث سنة ٨١ -١٠٠هـ تحقيق/ عمر عبدالسلام تدمرى، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربى ،بيروت، ١٩٩٠م

٣٩- **ابن الرفعة :** (نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد على) الإيضاح والتبيان فى معرفة المكيال والميزان، حققه محمد أحمد إسماعيل، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، د.ت.

٤٠- **الرقيق :** (إبراهيم بن القاسم المتوفى بعد سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م) تاريخ أفريقيا والمغرب، تحقيق المنجى الكعبى، تونس ١٩٦٧م.

٤١- **الزبيدى :** (أبو بكر الحسن ت ٣٧٩هـ/٩٨٩م) طبقات النحويين واللغويين. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤م.

٤٢- **ابن ابى زرع :** (أبو الحسن على بن عبد الله ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م) الأنيس المطرب بروض القرطاس، دار المنصور، الرباط ١٩٧٢م .

٤٣- **ابن ابى زرع :** الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م

٤٤- **ابو زكرياء :** (يحيى بن ابى بكر توفي في النصف الثاني من القرن ٤هـ/١٠م) كتاب سير الأئمة وأخبارهم، حققه إسماعيل العربى، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٨٢م

٤٥- **الزهرى :** (أبو عبد الله محمد بن أبى بكر المتوفى فى أواسط القرن السادس الهجرى). كتاب الجعرافية، تحقيق محمد حاج صادق، الثقافة الدينية، القاهرة د.ت

٤٦- **السبكى :** (تاج الدين بن عبدالوهاب ت ٧٧١هـ) معيد النعم ومبيد النقم، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٥م .

٤٧- **السراج :** الحلل السندسية فى الأخبار التونسية .فى الأخبار التونسية، تقديم،محمد الحبيب الهيلة. المجلد الثانى، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٨٤م.

٤٨- **ابن سحنون :** (محمد بن سحنون ت ٢٥٦هـ) اداب المعلمين. تحقيق حسن حسنى عبدالوهاب، تونس ١٩٧٢م .

٤٩- ابن سعد : (محمد بن سعد كاتب الواقدي ت ٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى، الجزء الثامن. دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٦م

٥٠- السقطي : (أبو عبدالله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي ت٦هـ/١٢م) في آداب الحسبة، نشر كولان وبروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي للاثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٤م .

٥١- ابن سعيد : (أبو الحسن بن موسى ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) كتاب الجغرافيا، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، الطبعة الأولى. المكتب التجاري. بيروت ١٩٧٠م.

٥٢- السلاوي : (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ت ١٣١٥هـ) الأستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى. الجزء الأول القاهرة ١٣١٢هـ .

٥٣- السيوطي : (عبدالرحمن بن ابى بكر جمال الدين ت ٩١١هـ) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة. الجزء الأول، القاهرة١٩٦٧م

٥٤- الشماخي : (أبو العباس بن سعيد ت ٩٢٨هـ/١٥٢٢م) كتاب السير، تحقيق ودراسة محمد حسن. تونس١٩٩٥م

٥٥- الشيزري : (عبد الرحمن بن نصر ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق ونشر السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة ١٩٤٦م.

٥٦- ابن صاعد : (ابو القاسم صاعد بن احمد ت٤٦٠هـ/١٠٦٩م) طبقات الأمم، مصر .

٥٧- ابن الصغير : (المالكي القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي) أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق حسن على حسن، القاهرة، ١٩٨٤م .

٥٨- الصفدي : (صلاح الدين خليل بن أيبك) الوافي بالوافيات، الجزء الثاني، الطبقة الثانية ن باعتناء يوسف فان اس قيسبادن ١٩٨١م . الجزء السادس، الطبعة الثانيـــــة باعتناء مس ديد رينغ قيسبادن ١٩٨١م .

٥٩- ابن طباطبا : (محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى) الفخرى في الآداب السلطانية، دار صادر، بيروت د.ت .

٦٠- الطبري : (أبو جعفرمحمد بن جرير ت٣١٠هـ/٩٢٢م) تاريخ الطبرى، المجلد الثاني، الطبعة الثالثة. دار الكتب العلمية. بيروت، ١٩٩١م

٦١- ابن عبدالحكم : (أبو القاسم عبدالرحمن بن عبيدالله ت ٢٥٧هـ) فتوح مصر والمغرب. نشر هنرى ماسيه ليدن ١٩٣٠م .

٦٢- ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز. دار الفكر الحديث. بيروت ن١٩٨٧م .

٦٣- ابن عبدون : (محمد بن أحمد التجيبى) رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، تحقيق ليفى بروفنسال مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية. القاهرة ١٩٥٥م.

٦٤- ابن عبد الرؤوف: (أحمد بن عبد الله) في أدب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال. المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٥٤م .

٦٥- عبيد الله : نص جديد عن فتح العرب للمغرب، تحقيق حسن مؤنس ترجمة حسين مؤنس، صحيفة المعهد المصرى للدراســـات الإسلامية مدريد المجلد الثاني ١٩٥٤م .

٦٦- ابن عذاري : (أبو العباس أحمد المراكشي كان حيا سنة ٧١٢هـ/١٣١٤م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأول، تحقيق كولان وبروفنسال. الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣م.

٦٧- أبو العرب : (محمد بن أحمد بن تميم التميمى المتوفى سنة ٣٣٣هـ/٩٤٣م) طبقات علماء أفريقية وتونس، تحقيق على الشابى وآخرون، تونس ١٩٦٨ م.

٦٨ - **أبو العرب** : كتاب المحن، تحقيق/يحيى وهيب الجبوري،الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت١٩٨٨م
٦٩ - **العماد الأصفهاني** : (عماد الدين) الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، القاهرة ١٩٦٦م
٧٠ - **عياض** : (عياض بن عياض السبتي ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب مالك. الأجزاء الرابع، الخامس، الرباط.(د.ت).
٧١ - **ابن غلبون** : (ابو عبدالله محمد بن خليل من علماء القرن ١٢هـ /١٨م) تاريخ طرابلس الغرب. عنى بنشره الطاهر أحمد الزاوي، القاهرة.١٣٤٩هـ .
٧٢ - **ابن غلبون** : التذكار فيمن ولى طرابلس و ماكان بها من الأخبار. عنى بنشره وتصحيحه / الطاهر أحمد الزاوي، القاهرة.١٣٤٩هـ .
٧٣ - **أبو الفداء** : (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١ م) تقويم البلدان، باريس ١٨٤٠م.
٧٤ - **أبو الفداء** : المختصر في أخبار البشر،الجزء الأول،تقديم / حسين مؤنس تحقيق/ محمد زينهم محمد عزب وآخرين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٨م .
٧٥ - **ابن الفرات** : (ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم) تاريخ ابن الفرات، المجلد الرابع تحقيق حسن محمد الشماع، الطبعة الأولى، جامعة البصرة ١٩٦٧م .
٧٦ - **الفراهيدي** : (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد ت ١٧٥ هـ / ٧٩١ م) كتاب العين، الجزء السابع،تحقيق مهدى المخزومي وآخرون دار الهلال، القاهرة د.ت.
٧٧ - **ابن فرحون** : (برهان الدين بن علي بن محمد ت ٧٧٩ هـ) الديباج المذهب في أعيان المذهب، القاهرة ١٣٢٣هـ
٧٨ - **ابن الفقيه** : (أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني توفي أواخر القرن الثالث الهجري) البلدان ليدن .
٧٩ - **الفيروزابادي** : (محمد بن يعقوب الشيرازي ت٨٠٣هـ/١٤٠٠م) القاموس المحيط، الجزء الأول، الطبعة الثانية،مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٢م.
٨٠ - **الفيومي** : (أحمد بن محمد علي المقرى ت ٧٧٠هـ) المصباح المنير، دار القلم بيروت د.ت.
٨١ - **ابن قتيبة** : (أبو عبد الله بن مسلم ت٢٧٦هـ/٨٨٩م) الإمامة والسياسة، الجزء الثاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦٩م.
٨٢ - **قدامة بن جعفر** : (أبو الفرج قدامة بن جعفر بن زياد ت ٣٢٩هـ/٩٤٠م) الخراج وصناعة الكتابة. نشر وتحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، القاهرة ١٩٨١م.
٨٣ - **القزويني** : (زكريا بن محمد بن محمد) آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت .
٨٤ - **القلقشندي** : (شهاب الدين ابي العباس أحمد بن علي ت٨٢١هـ/١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الجزء الخامس، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩١٩م.
٨٥ - **القلقشندي** : مآثر الأناقة في معالم الخلافة، الجزء الأول،تحقيق /عبدالستار أحمد فراج الطبعة الأولى،عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٤م.
٨٦ - **القلقشندي** : نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب،تحقيق /إبراهيم الأبياري،الطبعة الأولى، القاهرة.
٨٧ - **القلقشندي** : قلائد الجمان، تحقيق / إبراهيم الأبياري،دار الكتب الحديثة، القاهرة،١٩٦٣م .
٨٨ - **ابن القوطية** : (أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، دار الكتاب المصري، القاهرة ١٩٨٢م.
٨٩ - **ابن الكردبوس** : (ابو مروان عبدالملك بن الكردبوس التوزي توفي في أواخر القرن السادس الهجري) تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٩٧١م .

٩٠ - **الكندي** : (أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب ت ٣٥٠هـ) ولاة مصر، تحقيق/حسين نصار دار صادر بيروت. ١٩٥٩م.

٩١ - **مالك بن أنس** : (أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي عالم المدينة المنورة ت١٧٩هـ/٧٩٥م) المدونة الكبرى. برواية الإمام سحنون بن سعيد الجزء الثالث عشر، مطبعة السعادة، مصر١٣٢٣هـ

٩٢ - **المالقي** : (أبو الحسن بن عبدالله بن الحسن النباهي) تاريخ قضاة الأندلس، الطبعة الخامسة، دار الآفاق الجديد، بيروت.

٩٣ - **المالكي** : (أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله توفي حوالي منتصف القرن الخامس الهجري) رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية، الجزء الأول، تحقيق حسين مؤنس، الطبعة الأولى النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥١م، الجزء الثاني، حققه بشير البكوش وراجعه محمد العروسي المطوي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي بيروت، ١٩٩٤م.

٩٤ - **الماوردي** : (أبو الحسن بن علي محمد البصري ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت.

٩٥ - **المراكشي** : (عبد الواحد المراكشي ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبطه وصححه محمد سعيد العريان وآخرون، مطبعة الاستقامة، القاهرة د. ت.

٩٦ - **ابن مقديش** : (محمود بن سعيد ت ١٢٢٨هـ/١٨١٣م) نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، المجلد الأول، تحقيق علي الزواري، ومحمد محفوظ، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٨م.

٩٧ - **المقدسي** : (شمس الدين أبو عبد الله محمد ت٣٨٨هـ/٩٩٨م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثانية نشر دي خويه، ليدن ١٩٦٧م.

٩٨ - **أبو المحاسن** : (جمال الدين بن يوسف بن تغري بردي ت ٨٧٤ هـ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الأول، القاهرة د. ت.

٩٩ - **المقري** : (شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ت ١٠٤١هـ) نفح الطيب في غصن الأندلس الطيب، الجزء الأول تحقيق / محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت.

١٠٠ - **المقريزي** : (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) النقود الإسلامية، تحقيق محمد السيد علي، الطبعة الخامسة، النجف ١٩٦٧م.

١٠١ - **المقريزي** : إغاثة الأمة بكشف الغمة، نشر محمد مصطفى زياده وآخرون، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة١٩٤٠م

١٠٢ - **المقريزي** : الخطط، الجزء الثاني، الثقافة الدينية، القاهرة د.ت.

١٠٣ - **المقريزي** : اتعاظ الحنفا، الجزء الأول، تحقيق جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٦٧م.

١٠٤ - **المكناسي** : (أحمد بن القاضي ت٩٦٠هـ/١٥٥٢م) جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط١٩٧٣م.

١٠٥ - **ابن منظور** : (جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري ت٧١١هـ/ ١٣١١م) لسان العرب، ٥ أجزاء، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠م.

١٠٦ - **مؤلف مجهول** : (كاتب مراكشي مجهول من علماء القرن السادس الهجري) الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتحقيق سعد زغلول عبد الحميد، بغداد ١٩٨٦م.

١٠٧ - **مؤلف مجهول** : حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق يوسف الهادي، الطبعة الأولى، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ١٩٩٩م.

١٠٨ - **مؤلف مجهول :** أخبار مجموعة في فتح الأندلس. تحقيق/إبراهيم الأبياري. الطبعة الأولى. دار الكتاب المصري. القاهرة. ١٩٨١م.

١٠٩ - **ناصر خسرو :** (علوى فارس ت٤٧٦هـ/١٠٨٢م) سفر نامة. تحقيق يحيى الخشاب. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م.

١١٠ - **النعمان :** (القاضي النعمان بن محمد ت٣٦٣هـ/٩٧٣م) رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق وداد القاضي. الطبعة الأولى، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٠م.

١١١ - **النويري :** (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) نهاية الأرب في فنون الأدب. الجزء الرابع والعشرون، تحقيق حسين نصار، ومراجعة عبد العزيز الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣م.

١١٢ - **ابن وادران :** (حسين بن محمد كان حيا سنة ١١٧٢هـ/١٧٥٨م) تاريخ العباسيين. تحقيق المنجى الكعبي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣م.

١١٣ - **الوزان :** (الحسن بن محمد بن الوزان الزياني) وصف أفريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميده ومراجعة على عبد الواحد، السعودية، ١٩٨٠م.

١١٤ - **الونشريسي :** (أحمد بن يحيى ت ٩١٤هـ/١٥٠٨م) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب. أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي. الجزء الخامس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨١م. الجزء السادس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.

١١٥ - **وكيع :** (محمد بن خلف بن حيان) أخبار القضاة. الجزء الأول. الطبعة الأولى. تصحيح وتعليق /عبدالعزيز مصطفى. مطبعة الأستقامة القاهرة ١٩٤٧ م .

١١٦ - **اليافعي :** (أبو محمد عبدالله بن اسعد بن علي بن سليمان ت ٧٦٨هـ) مرآة الجنان وعبرة اليقظان. الجزء الثالث، الطبعة الثانية، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت ١٩٧٠ م .

١١٧ - **ياقوت :** (شهاب الدين أبو عبدالله الرومي ت٦٢٦ هـ) معجم البلدان. خمسة أجزاء. دار صادر. بيروت١٩٧٩م

١١٨ - **يحيى بن آدم :** (ت ٢٠٣هـ/٨١٨م) كتاب الخراج، صححه وشرحه، أحمد محمد شاكر. الطبعة الثانية. دار التراث، القاهرة د.ت.

١١٩ - **يحيى بن عمر :** (الأندلسي الأصل الأفريقي ٢٨٩هـ/٩٠١م) النظر والأحكام في جميع أحوال السوق. تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب، راجعه فرحات الدشراوى، تونس، ١٩٧٥م.

١٢٠- **اليعقوبي:** (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ت ٢٨٤ هـ) البلدان، ليدن ١٨٩٣ م .

١٢١ - **اليعقوبي:** تاريخ اليعقوبي، الجزء الثاني، دار صادر بيروت د . ت .

١٢٢ - **ابن يوسف :** (أبو الحسن على بن يوسف الحكيم) الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق حسين مؤنس، الطبعة الثانية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٦م.

ثالثا: المراجع العربية

١ - **ابتسام مرعى خلف:** العلاقات بين الخلافة الموحدية والشرق الإسلامي. دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥م.

٢ - **إبراهيم احمد العدوى:** بلاد الجزائر تكوينها الأسلامي والعربي. الأنجلوالمصرية. القاهرة ١٩٧٠ م .

٣ - **إبراهيم احمد العدوى:** موسى بن نصير مؤسس المغرب العربي. سلسلة اعلام العرب. العدد (٦٨) أغسطس. ١٩٦٧ م.

٤ - **إبراهيم حركات:** النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط. أفريقيا الشمالية ١٩٩٦م.

٥ - **إبراهيم حركات:** المغرب عبر التاريخ. الجزء الأول. الطبعةالثانية. دارالرشاد الحديثة. الدار البيضاء. ١٩٨٤م.

٦ - **إبراهيم حركات:** المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط. إفريقيا الشرق. بيروت. ١٩٨٨ م .

٧ - **إبراهيم على طرخان:** إمبرطوارية غانا الإسلامية. الهيئة العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٧٠م.

٨ - **احسان حقى:** المغرب العربي، دار اليقظة، بيروت (د ـ ت).

٩ - **أحمد إبراهيم الشريف وحسن أحمد محمود:** العالم الإسلامي في العصر العباسي. دار الفكر العربي. الطبعة الخامسة. القاهرة (د ـ ت) .

١٠ - **أحمد الطويلى:** شجرة الزيتون بتونس تاريخها ودورها الحضاري والاقتصادي بحث ضمن دائرة المعارف التونسية كراس١ تونس١٩٩٠م.

١١ - **أحمد بن أبى الضياف:** إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس في عهد الأمان الجزء الأول. تونس ١٩٦٣ م .

١٢ - **أحمد بن يوسف الدريوش:** أحكام السوق في الإسلام وأثرها على الاقتصاد الإسلامي. الطبعة الأولى. دار عالم لكتب، الرياض ١٩٨٩م.

١٣ - **أحمد سوسة:** العرب واليهود في التاريخ. الطبعة الخامسة. دار الحرية. بغداد، ١٩٨٦م.

١٤ - **أحمد شلبى:** تاريخ التربية الإسلامية. النهضة المصرية. الطبعةالخامسة. القاهرة، ١٩٨٢م.

١٥ - **أحمد عبدالسلام ناصف:** الشرطة في مصر الإسلامية. الزهراء للاعلام العربي. الطبعة الأولى. القاهرة، ١٩٨٧م

١٦ - **أحمد عبد الهادى طلخان:** مالية الدولة الإسلامية. مكتبة وهبه. القاهرة د.ت.

١٧ - **أحمد مختار البرزة:** الأسر والسجون في شعر العرب (تاريخ ودراسة) الطبعة الأولى. مؤسسة علوم القرآن. دمشق. ١٩٨٥م.

١٨ - **أحمد مختار العبادى:** تاريخ المغرب والأندلس. مؤسسة الثقافة الجامعية الأسكندرية (د.ت)

١٩ - **أحمد مختار العبادى:** دراسات في تاريخ المغرب والأندلس. مؤسسة شباب الجامعة الأسكندرية (د . ت).

٢٠ - **أحمد مختار العبادى وآخرون:** البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط. الجزء الثاني مؤسسة شباب الجامعة. الأسكندرية. (د . ت).

٢١ - **أحمد عطية الله:** القاموس الإسلامي. المجلد الأول النهضة المصرية. القاهرة ١٩٦٣ م .

٢٢ - **آدم متز:** الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى. جزئين. ترجمة / محمد عبد الهادى أبو ريدة. القاهرة ١٩٤١م.

٢٣ - **أرشيبالد:** القوى التجارية والبحرية في حوض البحر المتوسط. ترجمة / أحمد محمد عيسى. ومراجعة شفيق غربال. النهضة المصرية. القاهرة (د. ت) .

٢٤ - **أرنولد:** الدعوة الى الإسلام. ترجمة /حسن إبراهيم حسن وآخرين. النهضة المصرية. القاهرة (د ت).

٢٥ - **إسماعيل العربى:** دولة الأدارسة. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ١٩٨٣م .

٢٦ - **إسماعيل سرهنك:** حقائق الأخبار عن دول البحار. الجزء الأول. مطبعة بولاق. القاهرة ١٣١٢هـ .

٢٧ - **إسماعيل سرهنك :** تاريخ دول المغرب تقديم ومراجعة /حسن الزين،دار الفكر الحديث، بيروت، ١٩٨٨م .

٢٨ - **أشتور :** التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط فى العصور الوسطى، ترجمة عبد الهدى عبلة. مراجعة أحمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق ١٩٨٥م.

٢٩ - **اشباخ :** تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين،جزئين،ترجمة/محمد عبد الله عنان. مطبعة لجنة التاليف، القاهرة، ١٩٤١م.

٣٠ - **آمال العمرى:** العمارة فى العصر الفاطمى، محاضرات مقررة على طلاب كلية الآثار - جامعة القاهرة .

٣١ - **أمين توفيق الطيبى :** دراسات وبحوث فى تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٤م.

٣٢ - **أنور الرفاعى :** الإسلام في حضارته ونظمه، دار الفكر، دمشق ١٩٧٣م.

٣٣ - **أودوفيش :** فلس دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة إبراهيم شعلان، الجزء الخامس والعشرون.

٣٤ - **البارون الفونسو روسو :** الحوليات التونسية. ترجمة / محمد عبدالكريم. منشورالجامعة قاريونس.

٣٥ - **بحاز إبراهيم بكير:** الدولة الرستمية الجانب الأقتصادى والفكرى. بغداد، ١٩٨٣م

٣٦ - **بدر عبد الرحمن محمد :** الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى العراق والمشرق الإسلامى من أوائل القرن الرابع حتى ظهور السلاجقة. الطبعة الأولى الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٨٩م.

٣٧ - **برنشفيك :** تاريخ أفريقيا فى العهد الحفصى، نقله إلى العربية / حمادى الساحلى الجزء الثانى. الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٨٨م.

٣٨ - **بروكلمان :** تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكى. الطبعة الحادية عشرة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٨م.

٣٩ - **بوفيل :** تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة /الهادى أبولقمة وآخرين، الطبعة الثانية. منشورات جامعة قاريونس، بنغازى (د . ت) .

٤٠ - **بول كازانوفا :** تاريخ ووصف قلعة القاهرة، ترجمة وتقديم / أحمد دراج ومراجعة جمال محرز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٤٧ م .

٤١ - **بيرين :** تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى " الحياة الأقتصادية والاجتماعية" ترجمة وتحقيق عطية القوصى. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٦م.

٤٢ - **توفيق سلطان اليوزبكى :** النظم العربية الإسلامية، الطبعة الثالثة، بغداد ١٩٨٨م.

٤٣ - **جمال حمدان :** اليهود انثروبولوجيا، المكتبة الثقافية، دار الكاتب العربى. القاهرة،١٩٦٧م.

٤٤ - **جوايتاين :** دراسات فى التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ترجمة / عطية القوصى، الطبعة الأولى، الكويت، ١٩٨٥م .

٤٥ - **جودت عبدالكريم يوسف** العلاقات الخارجية للدولة الرستمية. المؤسسة الوطنية، الجزئر. ١٩٨٤م .

٤٦ - **جورج مارسيه :** بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامى فى العصورالوسطى. ترجمه / محمود عبد الصمد هيكل. مراجعة / مصطفى أبو ضيف أحمد منشأة المعارف الإسكندرية (د . ت).

٤٧ - **جوليان :** تاريخ إفريقيا الشمالية. الجزء الثانى، تعريب / محمد مزالى و آخرين، الدارالتونسية للنشر. تونس. ١٩٦٩م .

٤٨ - **حامد العجابى :** السكة الإسلامية فى أفريقيا، دائرة المعارف التونسية الكراس ١ تونس ١٩٩٠م.

٤٩ - **حايم الزعفرانى :** ألف سنة من حياة اليهود فى المغرب، ترجمة /أحمد شحلان وعبد الغنى أبو العزم، الطبعة الأولى، الدار البيضاء ١٩٨٧م.

٥٠ - **الحبيب الجنحاني:** التحول الاقتصادى والاجتماعى فى مجتمع صدر الاسلام، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٥م.

٥١ - **الحبيب الجنحاني:** القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الاسلامية، تونس ١٩٦٨م.

٥٢ - **الحبيب الجنحاني:** المغرب الإسلامي، تونس ١٩٧٨م.

٥٣ - **حسان حلاق:** تعريب النقود والدواوين فى العصر الأموى، دارالكتاب المصرى، الطبعةالأولى، القاهرة، ١٩٧٨م .

٥٤ - **حسن الباشا:** مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٩٠ م .

٥٥ - **حسن الباشا:** الآثار الإسلامية،دار النهضة العربية،مطبعة جامعة القاهرة،١٩٩٠م.

٥٦ - **حسن الباشا:** الفنون الإسلامية والوظائف على الأثار العربية، الجزء الثانى والثالث، دار النهضة العربية، القاهرة (د.ت) .

٥٧ - **حسن إبراهيم حسن وآخرون:** عبيد الله المهدى، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٤٧م

٥٨ - **حسن إبراهيم حسن:** تاريخ الإسلام، الطبعة التاسعة، النهضة المصرية القاهرة ١٩٨٦ م .

٥٩ - **حسن إبراهيم حسن:** تاريخ الدولة الفاطمية، الطبعة الرابعة، النهضة المصرية القاهرة (د ت) .

٦٠ - **حسن أحمد محمود:** قيام دولة المرابطين، دار الفكرالعربى، القاهرة، ١٩٥٧م.

٦١ - **حسن أحمد محمود:** الإسلام والثقافة العربية فى إفريقيا، الجزء الأول دار النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٣م .

٦٢ - **حسن أحمد محمود:** تاريخ المغرب والأندلس، دار الثقافة، القاهرة ١٩٩٠ م .

٦٣ - **حسن أحمد محمود:** الإسلام فى حوض البحر المتوسط، الطبعة الأولى، دار الفكر العربى القاهرة، ١٩٩٥م .

٦٤ - **الحسن السائح:** الحضارة الإسلامية فى المغرب، الطبعة الثانية، دار الثقافة، الدار البيضاء ١٩٨٦ م .

٦٥ - **حسن بكريم:** الحسبة تطورها قديماً وحديثاً، الطبعة الأولى، المغرب١٩٩٠م.

٦٦ - **حسن حسنى عبد الوهاب:** النقود العربية فى تونس، تونس (د.ت) .

٦٧ - **حسن حسنى عبد الوهاب:** ورقات عن الحضارة العربية بافريقيا التونسية، جزئين، مكتبة المنار، تونس ١٩٦٤م

٦٨ - **حسن حسنى عبد الوهاب:** خلاصة تاريخ تونس، الطبعة الرابعة، تونس (د.ت)

٦٩ - **حسن حسنى عبد الوهاب:** بساط العقيق فى حضارة القيروان، الطبعة الثانية، مكتبة المنار، تونس ١٩٧٠م.

٧٠ - **حسن حسنى عبد الوهاب:** كتاب العمر فى المصنفات والمؤلفين التونسيين، المجلد الأول، مراجعة /محمد العروسى المطوى وآخرين، الطبعة الأولى، بيت الحكمة، تونس، ١٩٩٠م.

٧١ - **حسن خضيرى أحمد:** علاقات الفاطميين فى مصر بدول المغرب، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولى، القاهرة (د.ت)

٧٢ - **حسن على حسن:** الحياة الدينية فى المغرب فى القرن الثالث الهجرى، القاهرة ١٩٨٥م.

٧٣ - **حسن على حسن:** تاريخ المغرب العربى، الطبعة الأولى، مكتبة الشباب القاهرة (د . ت)

٧٤ - **حسين مؤنس:** فتح العرب للمغرب، مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٤٧م .

٧٥ - **حسين مؤنس:** فجر الأندلس، الطبعة الأولى، الناشر الشركة العربية القاهرة ١٩٥٩ م .

٧٦ - **حسين مؤنس:** معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار مطابع المستقبل، القاهرة ١٩٨٠ م .

٧٧ - **حسين مؤنس:** المساجد، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨١م .

٧٨ - **حسين مؤنس:** تاريخ المغرب وحضارته، المجلد الأول، الدارالسعودية للنشر ١٩٩٠م .

٧٩ - **حمدان على الكبيسى:** أسواق بغداد حتى نهاية العصر البويهى، دار الحرية، بغداد١٩٧٩م

٨٠ - **دائرة المعارف الإسلامية .**

٨١ - **دوزى:** المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، دار الحرية، بغداد ١٩٧١م.

٨٢ - **ديمومبين** : النظم الإسلامية ترجمة صالح الشماع وآخرون. بغداد ١٩٥٢م.
٨٣ - **رابح بونار** : المغرب العربي تاريخه وثقافته. الجزائر(د ت)
٨٤ - **روجي لوطورنو** : فاس قبل الحماية، الجزء الأول، ترجمة /محمد حجي وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢م
٨٥ - **زامباور** : دينار، ترجمة خورشيد، دائرة المعارف الإسلامية.
٨٦ - **زامباور** : درهم، ترجمة خورشيد، دائرة المعارف الاسلامية.
٨٧ - **زاهر رياض** : الممالك الإسلامية في غرب إفريقية وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى. مكتبةالأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م.
٨٨ - **الزركلي** : الأعلام، الجزء الرابع، الطبعة الثانية، القاهرة١٩٥٤
٨٩ - **سامح عبد الرحمن فهمي** : المكاييل الإسلامية في صدر الإسلام. المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة ١٩٨١م.
٩٠ - **سديو** : تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، دار أحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٤٨م.
٩١ - **سعد زغلول عبد الحميد** : تاريخ المغرب العربي، الجزء الأول والثاني، منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٧٩م.
٩٢ - **سعدون عباس نصر الله** : دولة الأدارسة في المغرب، دار النهضة العربية، بيروت .
٩٣ - **سعيد عبد الفتاح عاشور** : العصر المماليكي في مصر والشام، الطبعة الثانية، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٩٤م.
٩٤ - **سليمان الباروني** : الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية. الجزء الثاني، تحقيق محمد على الصليبي، سلطنة عمان ١٩٨٧م.
٩٥ - **سليمان مصطفى زبيس** : آثار المغرب العربي. الطبعة الأولى. تونس ١٩٥٨م.
٩٦ - **سنوسي يوسف إبراهيم** : زناته والخلافة الفاطمية. الطبعة الأولى القاهرة١٩٨٦م.
٩٧ - **سهام مصطفى أبوزيد** : الحسبة في مصر الإسلامية حتى نهاية العصر المملوكي. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٨٦م.
٩٨ - **السيد عبد العزيز سالم** : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية (د.ت)
٩٩ - **السيد عبد العزيز سالم** : في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٥م.
١٠٠ - **السيد عبد العزيز سالم** : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، الطبعة الثانية الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٨٦م
١٠١ - **شتريك** : القيسارية، ترجمة حسن حبشي، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد السابع والعشرون.
١٠٢ - **شحادة على الناطور** : تجديد الدولة الأموية في عهد عبدالملك بن مروان، الطبعة الأولى، دار الكندي، الأردن، ١٩٩٦م.
١٠٣ - **شكري فيصل** : المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣م.
١٠٤ - **الشيخ الأمين عوض الله** : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين مالي وسنغي. الطبعة الأولى، دار المجمع العلمي، جدة، ١٩٧٩م.
١٠٥ - **صابر محمد دياب** : بلاد المغرب في القرن الأول الهجري. مكتبة السلام العالمية القاهرة ١٩٨٤ م .
١٠٦ - **صابر محمد دياب** : ولاية المظالم ومجالسها منذ فجر الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري. مطبعة الأمانة القاهرة ١٩٨٤م
١٠٧ - **صابر محمد دياب** : سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط، الطبعة الأولى عالم الكتب. القاهرة ١٩٧٣م .

١٠٨ - **صبحي الصالح :** النظم الإسلامية، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٩م.

١٠٩ - **صفاء أحمد حافظ :** الموانى والثغور المصرية ،دار الفكر العربي،القاهرة (د . ت)

١١٠ - **صفى محمد على عبد الله :** مدن مصر الصناعية في العصر الإسلامي، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٦٩ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.

١١١ - **الطاهر أحمد الزاوى :** تاريخ الفتح العربي في ليبيا، الطبعة الثانية، دارالمعارف، القاهرة ١٩٦٣ م .

١١٢ - **الطاهر أحمد الزاوى :** ولاة طرابلس من الفتح الى نهاية العهد التركي. الطبعة الأولى. بيروت. ١٩٧٧م.

١١٣ - **طاهر راغب حسين :** تاريخ النقود المغربية إلى قيام الدولة الفاطمية، القاهرة ١٩٩٤م.

١١٤ - **عبد الحافظ عبد الخالق يوسف :** الأسواق في المناطق الصليبية في بلاد الشام في الفترة من ٤٩٥-٦٨٧هـ/ ١٠٩٩-١٢٩١م، الزقازيق (د . ت) .

١١٥ - **عبد الحق المريني :** الجيش المغربي عبر التاريخ. الطبعة الخامسة . دار نشر المعرفة. الرباط.

١١٦ - **عبدالحميد حسين حمودة :** تاريخ الدولة الأموية ،القاهرة، ١٩٩٦م.

١١٧ - **عبدالحميد حسين حمودة :** تاريخ الدولة العربية الإسلامية ،الطبعة الأولى،الدار الثقافية للنشر،القاهرة، ١٩٩٥م

١١٨ - **عبد الرحمن الفاسى :** خطة الحسبة، الطبعة الأولى، دار الثقافة، المغرب ١٩٨٤م.

١١٩ - **عبدالرحمن حميده :** المملكة المغربية دراسة في الجغرافية البشرية، معهد البحوث العربية، القاهرة، ١٩٧٢م

١٢٠ - **عبد الرحمن فهمى :** موسوعة النقود العربية. دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٥م.

١٢١ - **عبدالرحمن محمد الجيلالى :** تاريخ الجزائر العام، الطبعة الثانية، دار الحياة، بيروت، ١٩٦٠م.

١٢٢ - **عبدالعزيز الثعالبى :** تاريخ شمال افريقيامن الفتح الإسلامي إلى نهايةالدولة الأغلبية . جمع وتحقيق/أحمد ميلاد وآخرين، الطبعة الثانية. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.

١٢٣ - **عبد العزيز الدورى :** تاريخ العراق الاقتصادى في القرن الرابع الهجرى، مركز دراسات الوحدة العربية. الطبعة الثانية، بيروت ١٩٩٥م.

١٢٤ - **عبدالعزيز عبدالجليل :** مدخل الى تاريخ الموسيقى المغربية. سلسلة عالم المعرفة رقم (٦٥) ١٩٨٣ م .

١٢٥ - **عبدالعزيز فيلالى :** المظاهر الكبرى في عصر الولاة في المغرب والأندلس. تونس. ١٩٩١م.

١٢٦ - **عبد الحليم عويس :** قضية نسب الفاطميين. دار الصحوة. القاهرة.

١٢٧ - **عبدالعليم عبدالرحمن خضر :** الإسلام والمسلمين فيإفريقياالشمالية. الطبعةالأولى. عالم المعرفة. جدة. السعودية. ١٩٨٦م.

١٢٨ - **عبدالواحد ذى نون طه :** الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقيا و الأندلس. داراالرشيد. العراق. ١٩٨٢م.

١٢٩ - **عبدالوهاب بن منصور :** قبائل المغرب، الجزء الأول، المطبعة الملكية، الرباط. ١٩٦٨م.

١٣٠ - **عبدالمجيد بن جلون :** هذه مراكش، الطبعة الأولى. مطبعة الرسالة، القاهرة ١٩٤٩ م .

١٣١ - **عبد المنعم سلطان :** الأسواق في العصر الفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٧م.

١٣٢ - **عبدالمنعم ماجد :** التاريخ السياسي للدولة العربية، الجزء الأول الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٨٢ م .

١٣٣ - **عبدالمنعم ماجد :** ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، الأسكندرية ١٩٨٦ م .

١٣٤ - **عبدالمنعم ماجد :** نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر. الجزء الأول، الطبعة الثانية. الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٧٣م.

١٣٥ - **عثمان الكعاك :** الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط. مطبعة البيان،القاهرة ١٩٦٥م

١٣٦ - **عثمان الكعاك :** مراكز الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٩٥٨م.
١٣٧ - **عز الدين أحمد موسى :** النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة١٩٨٣م
١٣٨ - **عصام الدين عبدالرؤف :** تاريخ المغرب والأندلس، نهضة الشرق، جامعةالقاهرة
١٣٩ - **عطية القوصى :** تجارة مصر فى البحر الأحمر، القاهرة،١٩٧٦م.
١٤٠ - **عطية القوصى :** اليهود فى ظل الحضارة الإسلامية، القاهرة.
١٤١ - **عطية مصطفى مشرفه :** نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين. الطبعة الأولى دار الفكر العربى. القاهرة ١٩٤٨م.
١٤٢ - **عفيفى محمود إبراهيم :** ثورات الجند فى عصر الأغالبة. الأنجلو المصرية. القاهرة، ١٩٩٥م.
١٤٣ - **على إبراهيم حسن :** تاريخ مصر فى العصور الوسطى. الطبعة الخامسة. النهضة المصرية. القاهرة. ١٩٦٤م.
١٤٤ - **على الجزناى :** جنى زهرة الآس فى بناء مدينة فاس، المطبعة الملكية. الرباط، ١٩٦٧م.
١٤٥ - **عمر أبو النصر :** عبدالملك بن مروان. الطبعة الأولى. بيروت، ١٩٦٢م.
١٤٦ - **علاء طه رزق حسين :** السجون والعقوبات فى مصر عصر سلاطين المماليك. الطبعة الأولى. عين للدراسات. القاهرة، ٢٠٠٠م.
١٤٧ - **ألفت محمد جلال :** الأدب العبرى القديم والوسيط، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٨ م .
١٤٨ - **فاطمة مصطفى عامر :** تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية، الجزء الثانى سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٧٣. الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠م.
١٤٩ - **فرحات الدشراوى:** الخلافة الفاطمية بالمغرب، ترجمة / حمادى الساحلى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٩٤م.
١٥٠ - **ألفرد بل :** الفرق الإسلامية فى الشمال الأفريقى، ترجمة / عبدالرحمن بدوى، دار الغرب الإسلامى. بيروت، ١٩٨١م.
١٥١ - **كمال السيد أبو مصطفى :** تاريخ الأندلس الاقتصادى فى عصر دولتى المرابطين والموحدين. مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية د.ت.
١٥٢ - **كمال السيد أبو مصطفى :** جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية فى المغرب الإسلامى من خلال نوازل وفتاوى المعيار للونشريسى. مركز الإسكندرية للكتاب الإسكندرية ١٩٩٦م.
١٥٣ - **لطفى أحمد نصار:** رسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك فى مصر. الهيئة العامة للكتاب سلسلة تاريخ المصريين رقم (١٤١) القاهرة، ١٩٩٩م.
١٥٤ - **مارمول كربخال :** أفريقيا. الجزء الثالث، ترجمة محمد صبحى وآخرون. الرباط ١٩٨٩م.
١٥٥ - **مجمع اللغة العربية :** المعجم الوسيط، الجزء التاسع. دار إحياء التراث الإسلامى قطر (د. ت)
١٥٦ - **محمد أبو الفرج العش :** النقود العربية الإسلامية المحفوظة فى متحف قطر الوطنى. الجزء الأول. الدوحة ١٩٨٤م.
١٥٧ - **محمد أحمد زيود :** التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للعالم العربى الاسلامى، منشورات جامعة دمشق ١٩٩٤م.
١٥٨ - **محمد أحمد عبدالمولى :** القوى السنية فى المغرب. الجزء الأول، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥م
١٥٩ - **محمد الخضرى :** تاريخ الأمم الإسلامية، المكتبة التجارية، القاهرة (د . ت).
١٦٠ - **محمد الشابى :** رقادة بحث فى كتاب (المؤتمر السادس للآثار العربية) المنظمة العربية للتربية والثقافة، القاهرة ١٩٧٣م.

١٦١ - **محمد الصادق عفيفي :** المجتمع الاسلامي وفلسفته المالية والاقتصادية، الجزء الثاني، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٠م.
١٦٢ - **محمد الطالبي :** الدولة الأغلبية التاريخ السياسي، ترجمة المنجي الصيادي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٥م.
١٦٣ - **محمد الطالبي :** تراجم أغلبية مأخوذة من كتب ترتيب المدارك للقاضي عياض، تونس، ١٩٦٨م.
١٦٤ - **محمد المختار العبيدي :** الحياة الأدبية في القيروان في عهد الأغالبة، الطبعة الأولى، تونس، ١٩٩٤م.
١٦٥ - **محمد باقر الحسيني :** تطور النقود العربية الإسلامية، الطبعة الأولى، بغداد ١٩٦٩م.
١٦٦ - **محمد بحر العلوم :** اليهود في الأندلس، المكتبة الثقافية، العدد (٢٣٧) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٠م.
١٦٧ - **محمد بن تاويت وآخرون :** الأدب المغربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٦٠م.
١٦٨ - **محمد بن تاويت وآخرون :** مدينة سبتة عبر التاريخ بحث ضمن محاضرات المهرجان الثقافي الثالث، جمعية الثقافة الإسلامية، المغرب، تطوان، ١٩٤٠م.
١٦٩ - **محمد جمال الدين سرور :** تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر العربي، القاهرة (د . ت)
١٧٠ - **محمد زينهم محمد عزت :** الأمام سحنون، دار الفرجاني، القاهرة د.ت.
١٧١ - **محمد ضياء الريس :** الخراج والنظم المالية، الطبعة الخامسة، دار التراث، القاهرة ١٩٨٥م.
١٧٢ - **محمد عبدالحميد عيسى :** الفتح الإسلامي للأندلس، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس ١٩٨٥ م .
١٧٣ - **محمد عبدالسلام عبود :** تاريخ المغرب، الجزء الأول، المغرب
١٧٤ - **محمد عبد الستار عثمان :** المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة رقم ١٢٨ الكويت ١٩٨٨م.
١٧٥ - **محمد عبدالله عنان :** دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، الطبعة الأولى، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة ١٩٤٣ م .
١٧٦ - **محمد على دبوز :** تاريخ المغرب الكبير، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٣م .
١٧٧ - **محمد عيسى الحريري :** مقدمات البناء السياسي للمغرب العربي، الطبعة الأولى، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧٩م.
١٧٨ - **محمد فتحي عثمان :** الحدود الإسلامية البيزنطية، الكتاب الثاني، دار الكتاب العربي، القاهرة (د . ت) .
١٧٩ - **محمد محمد أمين :** معجم المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، وآخرين دار النشر بالجامعة الأمريكية، القاهرة .
١٨٠ - **محمد محمد زيتون :** القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار المنار، القاهرة ١٩٨٨ م .
١٨١ - **محمد محمد زيتون :** المسلمون في المغرب والأندلس، دار الوفاء القاهرة ١٩٨٤ م .
١٨٢ - **محمد محمود أبو زيد :** النيل ومصر، دار الهداية، القاهرة (د . ت).
١٨٣ - **محمد محمود إدريس :** حسان بن النعمان، المطبعة التجارية القاهرة ١٩٨٩م.
١٨٤ - **محمد محمود الحويري :** الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنيين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩م.
١٨٥ - **محمد محمود الحويري :** أسوان في العصور الوسطى، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠ م.
١٨٦ - **محمود إسماعيل عبدالرازق :** الأغالبة سياستهم الخارجية، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس ١٩٧٢ م

١٨٧ - **محمودإسماعيل عبدالرازق :** الخوارج فى بلاد المغرب، الطبعة الثانية ، مكتبة الحرية الحديثة، القاهرة ١٩٨٦ م .

١٨٨ - **محمودإسماعيل عبدالرازق :** الأدارسة، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩١ م.

١٨٩ - **محمودإسماعيل عبدالرازق :** مغربيات، المغرب، (د.ت).

١٩٠ - **محمود شيت خطاب :** عقبة بن نافع، الطبعة الثالثة، دارالأنسان، القاهرة: ١٩٧٠م.

١٩١ - **محمود شيت خطاب :** قادة الفتح المغرب العربى،الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الفتح للطباعة، بيروت، ١٩٦٦م.

١٩٢ - **محمود كامل :** الدولة العربية الكبرى، دار المعارف، القاهرة (د . ت)

١٩٣ - **مصطفى أبوضيف أحمد :** دور القبائل العربية فى المغرب خلال عصرالدول المستقلة، القاهرة ١٩٩٢م.

١٩٤ - **مصطفى الشكعة :** معالم الحضارة الإسلامية، الطبعة الرابعة دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٢ م .

١٩٥ - **منجى الكعبى :** القيروان، الأولى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٠م.

١٩٦ - **موريس لومبار :** الإسلام فى مجده الأول، ترجمة إسماعيل العربى، الطبعة الثالثة، دار الأفاق الجديدة، المغرب ١٩٩٠م.

١٩٧ - **موسى لقبال :** الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب، الطبعة الأولى، الجزائر ١٩٧٦م.

١٩٨ - **الموسوعة العربية العالمية :** الجزء السابع، الطبعة الثانية، السعودية، ١٩٩٩م.

١٩٩ - **ناجى معروف :** أصالة الحضارة العربية، الطبعة الثالثة، دار الثقافة العربية، بيروت ١٩٧٥ م .

٢٠٠ - **ناصر السيد محمد النقشبندى :** الدينار الإسلامى فى المتحف العراقى، الجزء الأول، مطبعة الرابطة، بغداد ١٩٥٣م.

٢٠١ - **ناطق صالح مطلوب وآخرون :** تاريخ المغرب العربى، جامعة الموصل، ١٩٨٨م.

٢٠٢ - **نجيب زبيب :** الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، الجزء الثانى، تقديم / أحمد بن سودة، الطبعة الأولى، دار الأمير، بيروت، ١٩٩٥م.

٢٠٣ - **نجدة خماش :** الإدارة فى العصر الأموى، الطبعةالأولى، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠م.

٢٠٤ - **نريمان عبدالكريم أحمد :** مجتمع أفريقية فى عصر الولاة، سلسلة تاريخ المصريين رقم (١٩٥) الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٢٠٥ - **نورالهدى عبدالعال :** الملاحات فى المغرب، مطبعة إمبريال، القاهرة، ١٩٩٠م.

٢٠٦ - **نورمان :** بيت ابن عوكل ترجمة / د . زبيدة عطا (تحت النشر) .

٢٠٧ - **الهادى السعيد عرفة :** أصول المضاربة الإسلامية، مكتبة الجلاء المنصورة ١٩٨٩م.

٢٠٨ - **الهادى روجى إدريس :** الدولة الصنهاجية، الجزء الثانى، ترجمة حمادى الساحلى، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٢م.

٢٠٩ - **هاشم العلوى القاسمى :** مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجرى، جزئين، المغرب، ١٩٩٥ م .

٢١٠ - **هايد :** تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى،

الجزء الأول، ترجمة أحمد محمد رضا ومراجعة عز الدين فوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥م.

الجزء الثانى، ترجمة أحمد محمد رضا، ومراجعة عز الدين فوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤م.

الجزء الرابع، ترجمة أحمد رضا محمد،ومراجعة عز الدين فوده، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٩٤م.

٢١١ - **هشام جعيط :** تأسيس المغرب الإسلامي، الطبعةالأولى، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٤م.
٢١٢ - **هوبكنز :** النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة / أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٠م.
٢١٣ - **هنتس :** المكاييل الإسلامية، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية.(د.ت) .
٢١٤ - **ول ديورانت :** قصة الحضارة، الجزء الثالث، ترجمة /محمد بدران، القاهرة،١٩٧٥م.

رابعاً : الرسائل العلمية غير المنشورة

(١) **أحمد الياس حسين :** الطرق التجارية عبرالصحراء الكبرى حتى مستهل القرن ١٦كما فها الجغرافيون العرب. رسالة ماجستير،كلية الآداب ـ جامعة القاهرة،١٩٧٧م.
(٢) **أحمد الياس حسين :** العلاقات بين مملكة غانة والمغرب العربي فيما بين القرنين الثاني والخامس الهجريين، رسالة دكتوراه، معهد الدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة ١٩٨٢م.
(٣) **آمال أحمد العمري :** المنشآت التجارية في القاهرة في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٤م.
(٤) **تقي الدين عارف الدوري :** علاقات صقلية بدول البحر المتوسط الإسلامية منذ الفتح العربي حتى الغزو النورماندي، رسالة دكتوراه كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٩م.
(٥) **حسام أحمد إسماعيل :** الشرطة في العصر العباسي الأول.رسالة ماجستير.كلية الآداب ـ جامعة القاهرة،٢٠٠٠م
(٦) **حسن علي حسن :** الحياة الإدارية والاقتصادية في المغرب الأقصى، رسالة دكتوراه كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ١٩٧٢م.
(٧) **حسني إسماعيل مبارك :** التطور الاقتصادي لولاية أفريقية في عصر الأغالبة، ماجستير كلية الآداب جامعة القاهرة١٩٨٩م.
(٨) **حسين سيد عبد الله مراد :** دولة بني مدرار في سجلماسة بالمغرب الأقصى، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الأفريقية جامعة القاهرة، ١٩٨٦م.
(٩) **حورية عبده سلام :** علاقات مصر ببلاد المغرب منذ الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية، رسالة دكتوراه كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٥م.
(١٠) **خالد حسين محمود :** حضارة فاس في عصر الأدارسة، دراسة اقتصادية وأجتماعية، رسالة ماجستير. كليةالآداب ـ جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م.
(١١) **خالد حسين محمود :** الرق في بلاد المغرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة دكتوراه كلية الاداب ـ جامعة عين شمس، ٢٠٠٤م
(١٢) **عبدالإله بنمليح :** الرق في بلاد المغرب والأندلس خلال القرنين ٥ ـ ٦ هـ /١١ - ١٢م رسالة دكتوراه كلية الآداب والعلوم الأنسانية ظهر المهراز، فاس ـ جامعة سيدي محمد بن عبدالله، ٢٠٠م.
(١٣) **سوزي أباظة محمد حسن داود :** السودانيون في جيش مصر الإسلامية حتى سقوط الدولة الفاطمية ودورهم في الحياة السياسية والأقتصادية والأجتماعية، رسالة ماجستير،معهد الدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٩م.
(١٤) **السيد محمدابوالعزم داود :** بنو باديس وحضارتهم بالقيروان والمهدية رسالة ماجستير كلية دار العلوم جامعة القاهرة، ١٩٧٨ م .
(١٥) **عادلة علي الحمد :** قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكويت١٩٧٦م.

(١٦) **عفيفى محمود إبراهيم :** أحوال بلاد المغرب الاقتصادية في ظل السيادة الفاطمية. رسالة ماجستير. كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٧م.
(١٧) **عفيفى محمود إبراهيم :** مظاهر الحضارة في بلاد المغرب منذ انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر حتى منتصف القرن السادس الهجرى. رسالة دكتوراه. كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٨٠م.
(١٨) **كريمة عبدالرؤوف محمد :** عامة مدينة فاس حتى نهاية عصر الموحدين. رسالة ماجستير. كلية البنات - جامعة عين شمس. ٢٠٠٥م.
(١٩) **يحيى أبو المعاطى محمد :** الحواضر الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين. رسالة ماجستير. كلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٩٤م.

خامساً الدوريات

(١) **أمين الطيبى :** جوانب من النشاط الاقتصادى في المغرب في القرن السادس من خلال رسائل جهنزة القاهرة. مجلة البحوث التاريخية، العدد الثانى مركز جهاد الليبيين، طرابلس ١٩٨٤م.
(٢) **توفيق سلطان اليوزبكى :** التعريب في العصرين الأموى والعباسى. المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٢٤ لسنة ١٩٧٢م.
(٣) **حسين مؤنس :** النظام الإدارى والمالى في أفريقيا والمغرب خلال عصر الولاة، مجلة كلية الآداب والتربية - جامعة الكويت. العدد الأول.
(٤) **خالد خليل حمودى :** مدينة القيروان ومسجدها الجامع. مجلة المؤرخ العربى. العدد السابع عشر ١٩٨١ م .
(٥) **صلاح أحمد عيد خليفة :** الموالى في بلاد المغرب (٢) اوضاعهم الأجتماعية - مشاركتهم السياسية. مجلة التاريخ والمستقبل يصدرها قسم التاريخ كلية الآداب - جامعة المنيا. يناير ٢٠٠٢م.
(٦) **عبدالحميد حموده :** تجارة القمح في مصر في العصر الفاطمى. مجلة المؤرخ المصرى. العدد الثالث عشر. يوليو ١٩٩٤م.
(٧) **قاسم عبده قاسم :** الأسواق بمصر في عصر سلاطين المماليك. كلية الآداب- جامعة القاهرة. المجلدان السادس والسابع والثلاثون ١٩٧٤ - ١٩٧٥م.
(٨) **كمال عناتى إسماعيل :** عمران سبته كما شاهده ووصفه السبتى. مجلة المؤرخ العربى. اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة. العدد السابع. المجلد الأول ١٩٩٩م.
(٩) **ليوبولد وتورس بلياس :** الأبنية الأسبانية الإسلامية ترجمة علية إبراهيم. صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية. مدريد العدد الأول. السنة الأولى ١٩٥٣ م .
(١٠) **محمد الفاسى :** نزوح البربر إلى إفريقية. مجمع اللغة العربية بالقاهرة. الجزء الرابع والخمسين لسنة ١٩٨٤ م .
(١١) **محمد بركات البيلى :** الغلاء والمجاعات في بلاد المغرب الإسلامى حتى القرن الخامس الهجرى. مجلة المؤرخ المصرى. العدد الحادى عشر. يوليو ١٩٩٣م.
(١٢) **محمد بركات البيلى :** المهالبة من المشرق إلى المغرب. مجلة المؤرخ المصرى العدد الثالث عشر ١٩٩٤ م .
(١٣) **محمد رزق :** الجالية الأندلسية بالمغرب العربى (تونس الجزائر) مجلة المناهل. وزارة الثقافة. الرباط. العدد ٣٤ يوليو ١٩٨٦م.
(١٤) **محمود شيت خطاب :** سكان المغرب العربى في ايام الفتح الإسلامى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. الجزء السابع والعشرون لسنة ١٩٧١ .

(١٥) منى حسنى محمود : السكة الإسلامية فى مصر، مجلة المؤرخ المصرى. العدد ٢٢ يوليو ١٩٩٩م.
(١٦) هوادسى : محاولة فى الخط المغربى، تعريب /عبدالمجيد التركى، حوليات الجامعة التونسية، العدد الثالث، تونس، ١٩٦٦م.
(١٧) يحيى الخشاب وآخرون : ضبط وتحقيق الألفاظ الاصطلاحية التاريخية الواردة فى كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمى. المجلة التاريخية المصرية، المجلد السابع ١٩٥٨م.

سادسا :المراجع الأجنبية

- مراجع بالعبرية

١ - إبراهام شاطل : تاريخ اليهود،القدس، ١٩٧٤م
٢- مركز الأعلام : أعرف شعبك،مطبعة ميسون،القدس، ١٩٨٠م.

1 - Abbou:Musulmans Andalous of Judea Espagmals, asablonce,1953.
2 - Abdallah Laroui : The History of the Maghrib, New Jersey,
3 - Ashtor:The jews of Muslem spain V.1Philadelphie.
4 - Bouyahia : La Vie Litteeraire en Ifriquya sous Les Zirides, Paris, 1973.
5 - Creswell (K . A . C): The Muslim Architecure of Egypt, I . iKhids and Fatimids Oxford .
6 - Derek Hill and Luven : Islamic Arshitecture in North Africa London
7 - Encyclopaedia Judaica.
8 - Gautier (E.F) : Les Siecles Obscurs Du Maghreb ,Paris 1927 .
9 - Gerber: Jewish society in fez leiden .1980.
10 - Goitien : A Mediterranean society of the History Middle Ages. Las Angelos, 1987, V.I, 2,3.
11 - Goitien : Mediterranean Trade in the eleventh Centry : Some Facts and problems (Studies in the economic history of the middle Ages) edited by M.A. Cook London, 1970.
12 - Goitien : Zion (Hebrew) V.27,1962
13 - Goitien : Jews and Arabs Their conatacs Through the Ages New York,1955
14 - Hirshberg: Ahistory of the Jewsm North Africa V.I Leiden 1974
15 - Islamic Art in the Kuwait National Museum .
16 - Jamil Abu-Nasr : A History of the Maghrib in the Lalamic Period London .
17 - Julien (Charles-Andre) : History of North Africa Translated by John Petrie New York.
18 - Lavoix : Catalougu des Monnaies Musulmanesa A Frica and spain V.III Paris, 1887.
19 - Lezine (Alexandre) : Mahdiya Recherches D' Archealogie Islamique .
20- Lopez : Medival trade in the Mediterranean world ,London,1900.

21 - Lowick: Islamic coins and trade in the Medieval world ,vabrun.
22 - Mann: Texts studies in Jewish history and literature, V.I New York, 1972.
23- Age, Paris, 1946
24 - Marcais (G) : Art Al Mahdiya in the Encyclapeadia of Islam Tome III .
25 - Marcais (Georges) : L' Art de Islam Paris 1946 .
26 - Mones: The conquest of North Africa and Berber relstonce Eassy
in Generl History of Africa 111 form the seventh. to the Eleventh centurty
28 - Muham med Abu-L- Farage : Monnais Aglabdes, Damas, 1982
29 - Michael: TFRIAIYO As Amorket for Saharan trade From the
tenth to the twelfth centry A.D (in journal of African history, X.3 69.
30 O.Godrington :Musalmanaun Numismation , London,1904.
31 - Pellegrine: Histoire clela tunisie. Tuns, 1944
32 - Slouschz: travels in North Africa, Philadelphia, 1927.
33 - Talbi: th in depenence of the Maghrih (in General history of Africa III)
unisca, London, 1988.
34 - Walker: Catalogue of the Arab - Byzantine and post Reform umaiyad, London,1950

المحتويات

محتويات الكتاب

الموضـــوع	الصفحة
الإهداء	٢
المقدمة	٥
الباب الأول : الفتح الإسلامى للمغرب	
الفصل الأول : جغرافية بلاد المغرب والسكان	١١
الفصل الثانى : طلائع الفتح	٢٧
الفصل الثالث : تثبيت الفتح	٥١
الفصل الرابع : إستكمال الفتح	٨٥
الباب الثانى : بلاد المغرب فى عصر الولاة	
الفصل الأول : الولاة فى العصر الأموى	١٢٣
الفصل الثانى : الولاة فى العصر العباسى	١٤٧
الفصل الثالث : إنتشار الإسلام فى بلاد المغرب	١٦٣
الفصل الرابع : التعريب فى بلاد المغرب	١٧٧
الفصل الخامس : التنظيمات الإدارية والاقتصادية	١٨٣
الباب الثالث : دولة الأغالبة (١٨٤ - ٢٩٦هـ/٨٠٠ - ٩٠٨م)	
الفصل الأول : التاريخ السياسى	٢٠١
الفصل الثانى : الزراعة والصناعة والأسواق	٢١١
الفصل الثالث : النظم التجارية فى أسواق القيروان	٢٢٧
الفصل الرابع : النظم المالية والرقابة على الأسواق	٢٤٩
الفصل الخامس : التجار فى أسواق القيروان	٢٧١
الفصل السادس : القضاء والمظالم والسجون	٢٧٩

تابع محتويات الكتاب

الموضـــوع	الصفحة
الفصل السابع : الحياة الاجتماعية والثقافية	٣٠٧
الباب الرابع : دول المغرب المستقلة فى المغربين الأوسط والأقصى	
الفصل الأول : دولة بنى رستم	٣٢١
الفصل الثانى : دولة بنى مدرار بسجلماسة	٣٤٧
الفصل الثالث : دولة الأدارسة	٣٥٧
الباب الخامس : قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب	
١ـ النسب الفاطمى	٣٧٩
٢ـ نجاح الدعوة الفاطمية ببلاد المغرب	٣٨٢
٣ـ خلفاء الدولة الفاطمية	٣٨٧
٤ـ تاسيس مدينة المهدية	٣٩٢
قائمة المصادر والمراجع	٤٠٩